

٢١٩١  
٢

✦  
فريسيون  
فاصل

من دير القديس أنبا مقار الكبير

( ما بين القرن الرابع والقرن الثاني عشر )

[www.christianlib.com](http://www.christianlib.com)

إعداد : الراهب  
فلساوس المقياري

مراجعة :  
نيافة الحبر الجليل  
الأنبا إيسافا  
أسقف ورئيس دير القديس العظيم أنبا مقار





## قلاسة البابا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية

١١ / ٥٥٥٨١

٩ / ٣ / ٩١

١٦ / ٩١٦





ذیافتہ الحبر الحلیلہ الانبا ایفانیوس

أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار الكبير  
برية شيهيت







فَرْجَسُونِ  
فاصله  
من دُرِّ الْقَدْسِ أَنْبَاءُ مَقَارِكِ الْجَبِّ

( ما بين القرع الرابع والقرع الثاني عشر )

إعداد الراحل فلتاوس المقاري



الكتاب: قديسون من دير القديس أنبا مقار الكبير.

إعداد: الراهب فلتاؤس المقاري

الطبعة الأولى: ٢٠١٦

الناشر: دار مجلة مرقس

ص ب ٣١ شبرا القاهرة

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون

ص ب ٢٧٨٠ القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨١٧٣ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: 978-977-5545-84-8

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

المقاري، فلتاؤس

قديسون من دير القديس أنبا مقار الكبير:

(ما بين القرن الرابع والقرن الثاني عشر)

إعداد: الراهب فلتاؤس المقاري

القاهرة: دار مجلة مرقس. ٢٠١٦

٠ ص: ٠٠٠ سم

تدمك ٨ ٨٤ ٥٥٤٥ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القديسون

العنوان ٥٢، ٢٧٣

يطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

[www.stmacariusmonastery.org](http://www.stmacariusmonastery.org)



## الفهرس

مدخل: ..... ٥  
الباب الأول:

سيرة الثلاثة أنبا مقارات القديسين .....  
سيرة القديس العظيم أنبا مقاريوس الكبير ..... ١١  
الخطاب الأخير للقديس أنبا مقار الكبير ..... ٧٤  
نفي المقارين ..... ٩١  
نقل جسد أنبا مقار ..... ١٠٦  
سيرة القديس مقاريوس السكندري ..... ١١٥  
سيرة القديس أنبا مقار الأسقف ..... ١٣٧  
وصول جسد أنبا مقار الأسقف لدير أنبا مقار بيرية شيهيت ..... ٢٢٥  
الباب الثاني:

القمامص .....  
سيرة القديس يحنس القصير ..... ٢٢٩  
سيرة أنبا دانيال القمص ..... ٢٧٣  
سيرة القديس أنبا يؤنس القمص ..... ٣٠١  
الباب الثالث:

الشهداء والمعترفون .....  
٤٩ شهيداً شيوخ شيهيت ..... ٢٣٧  
أنبا صموئيل المعترف ..... ٣٤٣







## مدخل

لَا يَخْفَى أَنَّ كَثِيرِينَ تَجْذِبُهُمْ قِرَاءَةُ سِيرِ الْقَدِيسِينَ، لِأَنَّهَا تَنْعِشُ الرُّوحَ وَتَحْتَفِئُهَا مِنْ سَيْرِ عَسَى خُطَاهُمْ كَقَوْلِ الْكِتَابِ: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي مَعاً أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، وَاجْزُوا الَّذِينَ يَسِيرُونَ هَكَذَا كَمَا نَحْنُ عِنْدَكُمْ قُدُورًا»<sup>١</sup> وَبِاتٍ وَاضِحًا أَنَّ فِي سِيرِ آبَاءِ الرِّهْنَةِ حَتَّى وَقْتَنَا الْحَاضِرِ دُرُوسًا مُتَنَوِّعَةً حُفِظَتْ لَنَا فِي بَطُونِ التَّارِيخِ، الَّتِي بِدَوْرِهِ قَدْ جَعَلْنَا وَرَثَةً لِهَذِهِ التَّعَالِيمِ الْأَصِيلَةِ حَتَّى نَنْتَبِهَ إِلَيْهَا وَنَتَعَلَّمَ مِنْهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ. وَنَحْنُ بِدَوْرِنَا نَقْدِمُهَا لَا كَعَمَلٍ تَارِيخِي بَحْتٍ أَوْ دَرَسَةٍ نُشَرِّتْ، إِنَّمَا كَانَ الْمَهْدَفُ الْأَسْمَى هُوَ كَعَمَلٍ رُوحِي يَجْدُمُ حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةَ.

وَإِذَا مَا وَجَهْنَا انْظَارَنَا إِلَى سِيرِ الْآبَاءِ، نَلَاظُ ذَلِكَ التَّأْثِيرَ الَّتِي يَنْعَكِسُ عَلَيْنَا، وَذَلِكَ التَّأْثِيرَ لَمْ يَنْشَأْ عَنْ تَفُوقٍ فِي الْعِلْمِ وَلَا عَنْ سُمُوٍّ فِي الْفَهْمِ بَلْ عَنْ قُوَّةِ حَيَاةٍ جَاهَدَتْ حَتَّى النَّفْسَ الْأَخِيرَ مِنْ أَجْلِ اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَلَّتْ وَانْتَصَرَتْ بِاسْمِهِ الْمُبَارَكِ، وَسِيرِ الْقَدِيسِينَ هِيَ «يَنْبُوعُ جَنَّاتٍ يَنْفُثُ مِيَاهَ حَيَّةٍ وَسَيُولُ مِنْ لُبَّانٍ»<sup>٢</sup> نَسْتَقِي مِنْهُ مَا يَرْوِي ظِمَانَنَا لِلْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ الْعَمِيقَةِ، وَيُظَلِّلُوا كَصُورَةٍ شَاخِصَةٍ أَمَامَنَا نَقِيسُ أَنْفُسَنَا وَرُوحِيَاتِنَا بِمَقْدَارِ مَا هُمْ وَصَلُوا إِلَيْهِ، لَا لِنَشْعُرَ بِصَغَرِ النَّفْسِ وَفَقْدَانِ لِلرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَ عَيُونِنَا بَلْ سَعْيًا لِلتَّوَدُّجِ فِي عَالَمِ الرُّوحِ وَالسَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْكَمَالِ الْمَسِيحِيِّ الْمُنْشُودِ.

[وَأَمَّا نَحْنُ كُلُّنَا فَهَبْ لَنَا كَمَالَنَا الْمَسِيحِي الَّذِي يَرْضِيكَ أَمَامَكَ. وَأَعْطِهِمْ وَإِنَّا نَصِيحًا وَمِيرَاثًا مَعَ كَافَةِ قَدِيسِيكَ].<sup>٣</sup>

وَيَحْتَوِي الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ عَلَى سِيرِ قَدِيسِينَ مِنْ دَيْرِ الْقَدِيسِ أَنْبَا مَقَارِ الْكَبِيرِ فِيمَا بَيْنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ وَالْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، مُرْتَبَةً فِي خَمْسَةِ أَبْوَابٍ، وَقَسَمْنَا سِيرَهُمْ إِلَى مَجْمُوعَاتٍ مُتَوَافِقَةٍ مِثْلَ (الثَّلَاثَةِ مَقَارَاتِ، الْقِمَامِصَةِ الْكِبَارِ، الشَّهَدَاءِ وَالْمُعْتَرِفُونَ، الْعَذَارَى الْمُتَرْهَبَاتِ، الرِّفِيقَانِ). لَيْسَ هَلْ عَلَى الْقَارِئِ الرَّجُوعُ إِلَى السَّيْرَةِ الْمُرَادِ الْبَحْثَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَ التَّسْلُسُ التَّارِيخِي

<sup>١</sup> (في ٣: ١٧).

<sup>٢</sup> (نش ٤: ١٥).

<sup>٣</sup> أَوْشِيَّةُ الرَّاقِدِينَ.



وقف حائلاً أمام ذلك الترتيب لكننا حاولنا قدر المستطاع أن يكون الترتيب وفق الجدول الزمني للأحداث. ولا يمكن أن يكون هذا العمل جامعاً لكل سير الآباء قديسي الدير فيما بين القرن الرابع والقرن الثاني عشر، بل إننا قد ذكرنا القليل منهم الذين تعرفنا عليهم لتظل السماء تحتفظ بأسرار لا تبوح بها إلى اليوم العتيذ أن يُستعلن.

إضافة إلى ذلك، راعينا أن تكون أغلب السير الواردة في هذا الكتاب كما هي في نصها القديم. ومن أهم النقاط التي كانت من الأولويات هي الحفاظ على لغة النص الأصلي لتصل الروح التي كُتبت بها النص إلى القارئ العزيز، وفي سبيل تحقيق ذلك بات علينا عمل الآتي:

١- وضع النقطة، الهمزة، الألف، وعلامات الترقيم، وعلامة الاستفهام، وعلامة التعجب، والأقواس... الخ.

٢- وضع معاني لبعض الكلمات مثل التي من أصول لغات أخرى وتستخدم في اللغة العربية، والكلمات الغامضة وما يفيد إيضاح النص فيما بين قوسين ( ).

٣- وضع عنوان لكل فقرة بما يناسبها.

ولابد من توضيح أمر أساسي وملحوظ في أغلب مخطوطات سير القديسين العربية منها على الأخص هو تناقل أيادي النساخ للمخطوطات وعدم دقة النساخ في بعض الأحيان وذلك بسبب تطرق البعض منهم إما للإضافة أو الحذف أو الشرح؛ فتعرضت للتطور بعامل الزمن فكان من الأفضل أن لا نأخذ بالنص الواحد دون الرجوع للسيرة من نصوص أخرى وتجنب كل عدم اتساق مع عقيدتنا المستقيمة وينافي حقائق التاريخ. وقد تم التنويه لكل في موضعه؛ ويعود كل هذا لأن النسخة كانت عملاً يتبغى الناسخ منه الريح.

لذلك حرصنا أيما حرص أن نعلق على كل خطأ وارد في الهوامش، كما وضعنا تقريراً في أغلب السير التي رأينا وجوب التنويه عن أمر ما بإسهاب أكثر فأوفيناه قدر المستطاع، وأضفنا نشر ما صدر من تعليقات باحثين ومتخصصين في ذلك المضممار سبق أن نشروا عنها.



وبخصوص القديسين الذين لم يتوفر لدينا نص قديم لسيرتهم وحتى يكتمل البحث مُرد عن قديسين الدير في تلك الفترة الزمنية (من القرن الرابع حتى القرن الثاني عشر) تم البحث عن سيرهم في أبحاث سابقة منشورة وتحديدًا سير عدد رى مترهبات، أنبا صموئيل المعترف، وهناك قديسون كانت المعلومات التي وصفتنا عنهم ضعيلة للغاية لم ترد عن السطر الواحد مثل القديسة أرسيماء. الباب السادس والأخير هو ملحق خاص بالأساقفة أبناء دير أنبا مقار (ما بين القرن السابع وبداية القرن الخامس عشر)، وهو ملحق "تاريخي" يحتوي على سير ثلاثة وعشرين أسقفًا، و أُشيرَ إلى كلمة "تاريخي" مؤكَّدًا إنه لا يخص القديسين منهم فقط ولكنه تأريخًا لسير الآباء الأساقفة أبناء الدير ممن حصلنا على سيرتهم.

توجد في نهاية الكتاب بعض صور للخرائط الجغرافية تُفيد القارئ في تحديد مكان كثير من البلدان التي تم ذكرها ليرتسم في ذهنه موقع تلك الأماكن بالضبط، بالإضافة لبعض الصور الطبوغرافية من المخطوطات.

### خاتمة:

الرب يجعل هذا العمل سبب بركة وعزاء لكل من يقرأه بصلوات وطلبات القديسين الذين كُتبت سيرتهم فيه، وأولهم الاليس الروح أبونا القديس أنبا مقار الكبير كوكب برية شيهيت المضيء. و بصلوات حضرة صاحب القداسة البابا المعظم أنبا تواضروس الثاني، وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل أنبا إبيفانيوس أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار الكبير بيرية شيهيت، ولإلهنا المجد إلى الأبد أمين.

الراهب فلتاؤس المقاري

دير القديس أنبا مقار الكبير - بيرية شيهيت

٢٩ برمهات ١٧٣٢ ش

عيد البشارة المجيد.







# **الباب الأول**

## **الثلاثة أنبا مقارات القديسين**







# سيرة القديس العظيم أنبا مقاريوس الكبير

## المقدمة

### مؤلف السيرة

بسم الآب والأبن والروح القدس، الإله الواحد.  
نبتدئ بعون الله بنسخ ميمر<sup>١</sup> وضعه أبونا القديس أنبا سريايون أسقف  
نقيوس<sup>٢</sup>، من أجل نسكيات وجهادات أبونا القديس العظيم أنبا مقاريوس  
الكبير، صلاته تكون معنا. آمين. في سابع عشر من برمهاة.

١ ميمر: كلمة سريانية تعني "مقالة" أو "خطبة" أو "فصيذة دينية"، وجمعها "ميمار".

٢ يذكر الأب متى المسكين في كتاب الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار ما يلي: "وإن كانت بعض المخطوطات أضافت إلى اسم سريايون صفة (أسقف تمي)، فهذا خلط من الكتاب، وقد جاء عفواً بسبب شهرة سريايون الأسقف".  
أما عن القديس سريايون أسقف تمي الأمديد، فقد لُقب بالمعلم وذلك لأنه جمع ما بين المعرفة الروحية والعلوم العالمية. وقد تتلمذ بعض الوقت في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ثم اعتزل في الصحراء حيث صار راهباً، كما كان صديقاً مقرباً للقديس الأنبا أنطونيوس الذي أعطاه إحدى جلود الغنم. ثم أختير وأُجبر أن يترك وحدته ليكون أسقفًا على تمي الأمديد (نواحي مركز السنبلاون)، شارك في مجمع ساردিকা سنة ٣٤٧م، وكان من المقررين للقديس أنثاسيوس في دفاعه عن الإيمان المستقيم. وأول خطاب وصله من البابا أنثاسيوس كان مؤرخاً في سنة ٣٣٩م. بعنوان: "إلى الأخ الحبيب وزميلنا في الخدمة"، مما يعني أنه صار أسقفًا قبل ذلك التاريخ. ويقول العلامة جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) أنه نُفي بأمر الإمبراطور قسطنطينوس حيث أرسله البابا أنثاسيوس على رأس أربعة أساقفة يرافقهم ثلاثة كهنة لإقناع الإمبراطور قسطنطينوس بتعديل وتصحيح فكره الآريوسي. فما كان من الإمبراطور إلا أن نفاه ونكّل به وتحمل عذابات وآلاماً في مدة أسقفيته أهلته أن يكون واحداً من مصاف المعترفين. وبعض الوثائق تشير أنه تبيح خريف ٣٥٩م أو سنة ٣٦٢م ويرجح العلامة ليتزمان أنه تبيح سنة ٣٧٠م. القمص متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مطبعة دير القديس أنبا مقار، الطبعة الثانية ١٩٨٤، ف٦، ص ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠.  
كتابات أنبا سريايون أسقف تمي الأمديد.

ضد المانئين، رسالة إلى إدوكسيوس الأسقف، رسالة إلى الرهبان، بعض الشذرات، أجزاء من رسالة إلى الأساقفة المعترفين، رسالة إلى تلاميذ أنطونيوس، أجزاء من تعليقات على سفر التكوين، الإخولوجيون (يضم ١٨ صلاة تختص بالإفخارستيا، ٧ صلوات للمعمودية والميرون، و ٣ صلوات للرسامة، وصلاتان لتبريك الزيت والصلاة على الميت)، شذرة وردت عند إفاجريوس البنطي.  
ومن ضمن الكتابات التي ثبت عدم صحة نسبتها إليه.

سيرة مقاريوس الإسقيطي.

ويذكر الراهب القس أنثاسيوس المقاري ما يلي: "وهي سيرة أنبا مقار الكبير، وهي بقلم شخص يُدعى صرايامون أو سريايون كان تلميذاً لأنبا أنطونيوس ثم بعد نياحة معلمه انتقل إلى الإسقيط وصار تلميذاً لأنبا مقار، وهو غير سريايون أسقف تقيوس.



(الراهب القس أنطانيوس المقاري، "فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية الكتابات اليونانية"، المطبعة دار نوبار، الطبعة الأولى، يناير ٢٠٠٣م، ص٢٨١، ٢٨٢، ٢٩١.

من أحد الدراسات التي تمت عنه:

القديس سريايون أسقف قمى الأמיד.

اعداد: أ. أنطون فهمي جورج (سلسلة IXQYS).

الناشر: كنيسة مارمرقس والبابا بطرس. الإسكندرية، سنة النشر: ١٩٩٣م.

تعليق:

على أي حال ما يُعني هنا أن أنبا سريايون أسقف قمى تتيح قبل القديس أنبا مقار الكبير (٣٠٠-٣٩٧م) على الأقل بعشرين سنة. في حين يُشير المخطوط إلى أن أنبا سريايون كان مرافقاً للقديس مقاريوس الكبير حتى وقت نباحته بل كان حاضراً وشاهداً حيث يقول: "وشهد أبونا القديس أنبا سريايون". لكن تشير كل الدلائل على أنه هناك قديس آخر باسم سريايون وهو الذي كتب سيرة القديس مقاريوس، وهو القديس سريايون الكبير و المخطوطة السريانية وهي قديمة العهد جداً وهي مترجمة عن القبطية بواسطة الكاتب "بيدحان" ... تحمل شخصية سريايون تلميذ أنطونيوس وهو يتكلم بصيغة الحاضر. (القصص من المسكين، الرهينة القبطية، مرجع سابق).

إلا أن المخطوطات العربي التي قام بتحقيقها الأب بارتولوميو بيرونه (سير ٣١ [المخطوط الأساسي]، سير ١٧، سير ٢٠، سير ١٩، سير ١٨ من دير أنبا مقار، ومخطوطة من دير الأنبا يشوي يُشير لها برمز ب) تقول في مقدمة السيرة: "ميمر وضعه أبونا القديس أنبا سريايون أسقف مدينة نقيوس"، (بارتولوميو بيرونه، سيرة القديس مقاريوس العظيم، مؤلفات المركز الفرنسي سكاني للدراسات الشرقية المسيحية، مطبعة الآباء الفرنسيسيين، القاهرة - القدس ٢٠٠٨م).

وكذلك في مخطوطة نسختها الراهب القس متياس البراموسي مكتوب عليها تاريخ نسختها في ١٤ يونيو من عام ١٦٤٠ش - وهي حديثة نوعاً ما - تذكر في مقدمة سيرة أنبا مقار بالمقارنة بباقي السير أن كاتب السيرة أنبا سريايون أسقف نقيوس، وفي سيرة الثلاثة مقاررات القديسين طبعة دير السريان، ابريل ١٩٦٢م وهي عن مخطوطة رقم ٢٩٠ ميامر (بدير السريان) وتضم سيرة القديس أنبا مقار كما رواها أنبا سريايون أسقف تميموس (τῆμος) وفي بعض المخطوطات أسقف نقيوس كما في ن فاس (الكتاب ص ٧٩) ولنا هنا رأي في أن قمى الأמיד (بالقرب من السنبلين محافظة الدقهلية) بعيدة عن نقيوس (زاوية رزين بمركز منوف من أعمال محافظة المنوفية) وهنا يتضح أولاً: خطأ النسخ والخلط بين تميموس ونقيوس إلا أنه في النص القبطي يذكر أنه أنبا سريايون أسقف قمى. Histoire des Monastères De La Basse-Égypte; 1894, P. 46. وتم تداول الخطأ دون تداركه. ثانياً: في المخطوطة سير ٣١ في مقدمة السيرة تقول: "ميمر وضعه أبونا القديس أنبا سريايون"، و في خاتمة السيرة تقول: "وشهد أبونا القديس أنبا سريايون أسقف نقيوس وبينوده رئيس تلاميذه". مما تعني أنه ليس هو الكاتب وإلا ما قال عن نفسه القديس، إلا إذا كانت مقدمة السيرة والخاتمة من إضافة النساخ.

الخلاصة.



## منفعة الكتب المقدسة

يا أحبائي، كل الكتب مكتوبة من موسى النبي مثل الشريعة التي قبلها من الله، لم تصير بغير منفعة، لأن الشريعة هي أرشدتنا إلى معرفة المسيح، مثل كلمة التدبير التي قالها وأعلمنا بها بولس الرسول. إن هذه الكتب التي كتبت بعد الناموس، إن قلت أسفار القضاة أو الأنبياء أو أسفار الملوك أو باقي العهد العتيق، لم تكتب عبثاً؛ لأنها كلها كانت ناظرة من البعد إلى تجسد المخلص من الروح القدس ومن البتول الطاهرة مريم.

لأن كل الكتب العتيقة والشرائع المدعوة كما يقال في الإنجيل ولا كلمة واحدة تزول من الناموس حتى يكمل جميعه لأن هذه المكتوبة تعرفنا سُنَّة (شريعة) الصليب المقدس الذي صار من الرب تمام كل النبوات، لأن الذي صلب عليه وصبر للموت وهو صانع الحياة وخلص العالمين من سلطان العدو هؤلاء الذين صاروا خداماً للكلمة، مثل تعاليم السيد للرسل القديسين الذين في كل المسكونة.

ثم بعدهم، هؤلاء الذين اقتفوا آثارهم بمحبة الله وأدركوا وصنعوا الجهاد بكل قوتهم بخلاف من هم متمسكين بهذه الحياة العابرة التي هي كمثل المنام. وهم ينظرون إلى المواعيد التي لا تنقضي إلى الأبد، التي ينالوها من بعد القيامة بفرح لا يوصف، كما علمنا الرب في إنجيله المقدس قائلاً: "إن الطريق المؤدية إلى الحياة ضيقة هي وقليلين هم الذين يسلكون فيها".

### لماذا كتبنا سيرته؟

ففي هذا كنت مفكراً في كل وقت ودارساً فيه وناظراً إليه. ولا سيما سيرة هذا القديس العظيم المدعو من الله من بطن أمه وصلب أبيه كاهناً، أعني الأب مقاريوس، كما أعلمنا عنه الروح القدس، كما قد شرحنا في هذا الخبر أنه كان

---

أن كاتب سيرة القديس أنبا مقار الكبير هو القديس سريابون الكبير تلميذ القديس أنطونيوس والذي ترك جبل أنطونيوس واتجه لبرية شيهيت وصار رفيقاً للقديس مقاريوس الكبير لأنه كاتب سيرته وبالتالي فقد عاش إلى ما بعد نياحته، وهو لم ينال درجة الأسقفية بل عاش راهباً في الإسقيط.



ناظرًا إلى القديسين السائرين أمامه. وكان يماثلهم في أعمال الصلاح، متشبهًا بتدبيرهم كمثّل تعليم الرسول بولس.

هذا المغبوط الأب مقاريوس كان يتعجب منه ومن كلامه وأفعاله، كما نشرح ذلك بعد، ليكون هذا الكلام منفعة لجميع مُحبي الله، الطالبين خلاص نفوسهم.



## والدا القديس مقاريوس

أبوهم إبراهيم وأمه سارة

فننظر الآن لمحببتكم قليل من كثير من أعمال هذا القديس الخائف من الله. هذا يا أحبائي، العظيم المؤيد بنعمة الله، الأب القديس مقاريوس النقي في البتولية، كان من أبوين صالحين، من جنس كريم، معروفين عند الله والناس، خائفين من الله، يعبدونه ويحفظون وصايا الإنجيل المقدس. وكان اسم أبيه إبراهيم وكان كاهنًا فاضلاً. وكان يخدم دائماً المذبح المقدس بمخافة الله، بنقاوة، وقديس، ومحبة كثيرة للرب، متشبه برئيس الكهنة العظيم. وأمه أيضاً كانت مؤمنة بارة خائفة من الله بالأكثر، واسمها سارة كمثل سارة وأليصابات، سالكة في وصايا الرب بتواضع.

وكانا كلاهما بآرين أمام الرب في أعمالهم فبارك الرب عليهم وأغناهم في أعمالهم في أمور هذا العالم. وكانوا حريصين على الصدقات والرحمة للناس أجمعين، مجاهدين دائماً في الصوم والصلاة في المنزل وفي الكنيسة. فأقاموا مع بعضهم البعض زمناً ولم يرزقوا ولداً ذكراً ولا أنثى. فبعد أيام قليلة افتقدهم الله بوجع. وإن هذا القس الفاضل المحب لله هو وزوجته البارة اختاروا جميعاً الطهارة وافترقوا من فراشهم بعضهم من بعض وكانوا حريصين دائماً على الصوم والصلاة والبر ويفتقدوا الغرباء والمرضى، محبوبين من الله والناس.

## حسد الشيطان

فأقاموا كذلك زمناً كبيراً. وإن عدو الخير، لما رآهم في هذه الفضائل هكذا، حسدهم وكان يصر بأسنانه عليهم كعادته وحرصه أن يعمل الشر بالخائفين من الله. فمضى ودخل في أناس أشرار لصوص من الذين يخدمونه وهو ساكن فيهم دائماً. وأتى بهم إلى منزل هذين المغبوطين فأخذوا كل ما لهم من القنية، كمثل أيوب الصديق وهكذا أصاب هؤلاء أيضاً.



وكان في ذلك الزمان هياج ولم يكن أحد يخاف من السلطان في كل أرض مصر<sup>٦</sup>. وكان كل من يتمكن من رفيقه يقتله ويأخذ ما له. وإن هذا البار القس الفاضل هو وزوجته لما نظروا ما لحقهم حزنوا في قلوبهم وتوجعوا لأجل ذلك الأمر. فشاورت المرأة زوجها قائلة: ”نمضي من ههنا لنخلص نفوسنا ونمضي من بلدنا ومن عند أهلنا“. فبقي القس منقسماً في فكره من أجل هذا الأمر.

### البشارة بميلاد ابن

ففي تلك الليلة ظهر له في الرؤيا منظرًا عظيمًا، كأن شيخ قديس مضيئًا كالشمس، لابس لباس المجد كشبه لباس البطارقة، فدنا منه وقال له: ”لا تخاف، أيها الإنسان، أنا إبراهيم، رئيس الآباء، الذي ولدت إسحاق وإسحاق ولد يعقوب وقد أرسلني الإله ضابط الكل إليك أن تسمع من زوجتك سارة وتخرج من أرضك وجنسك وتسكن في الضيعة المسماة ششوير<sup>٧</sup> المقاربة مدينة ليقونيا التي هي بإزاء ترنوط، أم المدن؛ لأن هكذا قد أحب الله وهكذا قال رب الأرباب: 'إنني لست أحلي يدي عنك، بل سأعظملك وأباركك وأخلصك من كل أحزان الأعداء وشروهم'، وأنا أيضًا خرجت من بيت أبي، من حاران، وصرت غريبًا بأرض كنعان. كما قال لي الرب. فإذا مضيت إلي ششوير أنا أرزقك ولدًا من هذه المرأة. قال رب الأرباب وإله كل الخليقة: وأجعل اسمه شائعًا ويكرز به على الأرض كلها ويصير ذكره دائمًا إلى الأبد وإلى كمال العالم

<sup>٦</sup> ويذكر إدوارد جيبون في كتابه اضمحلال الإمبراطورية الرومانية: [ووجه دقلديانوس (٢٨٥-٣١٣م) اهتمامه نحو الشرق بعد أن أخذ ثورة في مصر] إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد علي عودة، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٧، الجزء الأول ص ٢٠٥. ويتحقق هذه الواقعة التاريخية إفلين هويت فيقول: ”إن هذا الوصف يطابق تمامًا ما يسجله التاريخ عن الثورات المحلية التي جرت في مصر أيام حكم أخيليوس وذلك في سنة ٢٩٥-٢٩٧م“. الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، الباب الثاني، مرجع سابق، ص ٥٩.

<sup>٧</sup> أو ججوير، كانت قرية مشهورة لأنها موطن القديس أبو مقار حيث قيل إن والديه قررا أن يغيرا قريتهما، ووصلتا إلى **zrzBep** وسكنتا هناك. وقد أثير إليها في كتاب دولة مصر وتُعرف النطق من ششوير إلى ششبير ثم إلى ششبور حتى وصلت إلى مسماها الحالي ششور من أعمال مركز أشمون بمحافظة المنوفية. (أميلينو، جغرافية مصر في العصر القبطي، ترجمة أرشيدياكون د. ميخائيل مكسي، الناشر مكتبة الحب، ٢٠٠٧، ص ١٣٤). انظر خريطة رقم (٢) ملزمة الصور والخرائط.



ويرزق اولاد روحانيين في حياته وأجمع إليه من كل المسكونة ومن كل الألسن والشعوب ويخدموني ويعبدوني بكل مخافة في الموضع الذي أعطيه له وأجعله له ميراثاً إلى الدهر، حتى أن ذلك المكان يمتلأ من الأولاد الروحانيين الذين يلد لهم لي. ويصير كالنردوس الممتلئ خيرات، الذي سكنه آدم وطرده منه العدو بحسده. هذا ما قاله إبراهيم رئيس الآباء، لإبراهيم القس البار وقال له: "تكون معافاً من الآن". وانصرف عنه. فلما استيقظ هذا الشيخ المبارك، كان متعجباً من المنظر الذي نظره وسمعه مسروراً في قلبه.

### الانتقال إلى ششوير

فلما أصبح الصباح، استحضر زوجته فحدثها بكل ما أبصر وسمع فعلما وفهما أن هذا الأمر بإرادة الله. فأهملوا سائر ما بقي لهم وخرجوا من وطنهم الذي ولدوا فيه وأخذوا معهم فضة كانت باقية لهم وأقبلا إلى ششوير وسكنا فيها، كما أمرهم الرب في الرؤيا. فلما رأوا الكهنة التي لتلك القرية هذا القس الفاضل وشاهدوا تواضعه ومخافته من الله وشيخوخته الموقرة ونعمة الروح القدس المضئية في وجهه، قبلوه واعطوه مسكناً في ضيعتهم وسألوه أن يشاركهم في خدمة المذبح المقدس. فلم يجيبهم إلى ذلك قائلاً: "إن شرائع وقوانين الكنيسة ما تفسح ان يشترك كاهن غريب في مذبح ليس هو له إلا بكتاب أسقفه أو بشهادة من عاينه في مسكن سلطانه". فلما استراح في تلك القرية وسكن فيها، ابتدأ يفلح الأرض ليعيش منها. وكان يحث ويزرع. وكان جميع أهل القرية جميعهم يحبوه ويوقروه. وبعد قليل مرض هذا القس البار إبراهيم واعتل ورقد على فراشه. فلما طال به الوجع، سأل أن يمضوا به إلى الكنيسة ليسجد فيها كأمانته ليعطيه الله الشفاء. فلما أوصلوه إليها وطلب أن ينام فلم يجبه النوم في تلك الليلة لأجل كثرة ضربان الوجع.

### ملاك الرب يظهر لإبراهيم القس

وفي النصف من الليل وهو مستيقظ رأى ملاك الرب وقد خرج من المذبح ووقف عنده وخاطبه هكذا قائلاً: "إبراهيم إبراهيم، قم سريعاً من رقادك وعوفي من وجعك". ودنا منه ولمسه فأجابه الشيخ الكاهن قائلاً: "اغفر لي، فإنني



مريض وليس لي قدرة أجيء إليك“. فتقدم إليه ملاك الرب ومسكه بيده وقال له: ”الرب قد افتقدك ورحمك. قم من الآن على رجليك“. فلوفته قام معافاً صحيحاً وقال ملاك الرب: ”اذهب بسلام وتقدم إلى زوجتك والزم فراشك لتجبل وتلد لك ابناً ويكون لك به فرحاً وسروراً كثير ولوالدته ولكل الذين يعرفونك. ويكون هذا الولد الذي يولد مباركاً، ويكون اسمه ”مقاره“ أي الطوباني، خائفاً من الله وأعماله مستقيمة في الفضائل، حتى أن اسمه يذكر في كل الأرض، لأنه يجمع للرب أمماً لا تحصى ويناجيهم الرب الصباؤوت ويخدمونه كممثل الملائكة في خدمتهم. فالملائكة يخدمون الله في السماء وهؤلاء يخدمونه على الأرض دائماً. ويكونوا أيضاً على الأرض كممثل من ليس لهم أجساد في الأعمال والعبادة“. وإن امرأة هذا الشيخ المبارك، القس إبراهيم، كانت منضجعة بقربه تخدمه. وكانت في ذلك الوقت نائمة فدنا منها وأيقظها وأخبرها بجميع ما قاله له الملاك.

## ميلاد ونشأة طفولة القديس مقاريوس

### ميلاده

فما كان الغد، مضوا جميعهم إلى منزلهم. وبعد أيام قلائل حبلت المرأة وولدت ابناً ذكراً جميلاً حسناً مثل يوسف ابن يعقوب في بهاه. فدعوا اسمه مقاره الذي تفسيره الطوباني كمثل ما تقدمنا بالقول. وكان وجهه مملوءاً نعمة ومجداً من الله الذي خلقه وافرزه عبداً صالحاً منذ وهو في بطن امه ومسحه بالدهن الروحاني وليكن رئيساً ومعلماً عظيماً للشعوب الكثيرة فيجذبهم ويقدمهم كبخور طيب لإلههم الرحوم الذي يحب حياة جميع الناس وخلصهم وأن ينالوا الخيرات السمائية الأبدية. وكان الطفل مقاره يتربى وينمو بنعمة خالقه وسيده يسوع المسيح وتربية أبويه المؤمنين البارين وكان ينمو بخوف الرب والطهارة، ناظراً إلى ترتيب وطقس أبويه الذين كانوا محبين لله من كل قلوبهم. وكانت نعمة الله فائضة عليه تشمله منذ كان في احشاء أمه، لأنه كان من بني الملك، كما تقدمنا بالقول. فتأيد ونشأ قليلاً قليلاً وكان يساعد أبيه في خدمة الحقول والمزارع. وباركهما الله وأوسع عليهما بالمواشي والقنيات والغلات الكثيرة التي رزقهما الله إياها سريعاً وأكثرهما لهما عاجلاً منذ ولادة هذا الولد المبارك الذي رزقوه، مقاره الشاب الحكيم.



## سيامته أغنسطس<sup>(٨)</sup> (شماس قارىء)

وإن أولاد تلك القرية كانوا يشاهدوا تواضع الصبي وهدهؤه وتربيته ونعمة الله الحالة عليه فيتعجبوا منه. وكانوا الكل يقولوا له: "إن الله عتيد أن يجعل هذا الشاب الطاهر القديس رئيس ومقدم لقوم كثيرين". وبعد ذلك أحذه كهنة القرية ومضوا به إلى الأسقف فكرزه أغنسطس فلما سمع أبوه، حزن بالأكثر ثم قال: "إرادة الرب تكون". فلما بلغ الشاب إلى كمال القامة، أرادوا والديه أن يزوجه امرأة فبدأوا يسألوه قائلين: "نحن نريد أن يتم لك إكمال الزواج قبل موتنا". فلم يذعن هو إلى هذا الأمر البتة قائلاً لهم: "لا تتبعوا ولا تطلبوا مني افعلوا هذا الشيء لأن الله لا يريد هذا الفعل الذي تشيرون به عليّ". فأعادوا الطلبة إليه أيضاً أن ينيح قلوبهم في هذا الأمر ويتخذ امرأة ويرزق أولاداً ويفرحون به. وكانوا والديه قد نسوا كل ما قيل لهم من الله عنه أولاً من إبراهيم، رئيس الآباء، وبعده من الملاك المقدس.

### إجبار الشاب مقاره على الزواج

وإن الفتى مقاريوس لم يكن له فكر في هذا العالم البتة، بل كان حافظاً مخافة الله والطهارة وتلاوة الكتب المقدسة في الكنيسة. وكان يفهم بقلبه الذي يقرأه. فألزموه الكهنة، لأنهم احتاجوا إليه، أن يكون خادماً للكنيسة واضطروه أن يأخذوا له امرأة. وكان أبويه يحبون هذا الأمر وهو لا يريد ذلك. فأكرهوه واتخذوا

---

٨ "أغنسطس"، تعريب لمنطوق اللفظة اليونانية "أناغوستيس" أي "قارئ"؛ والكلمة اليونانية في معناها القديم تعني "عبد يُدرب على القراءة"، وإن كانت درجة الأغنسطسية هي من الدرجات الكنسية الصغرى، إلا أن مركزها الليتورجي هام جداً. وكان عمل القارئ في العصور المبكرة هو قراءة كتب الأنبياء من العهد القديم، ورسائل العهد الجديد، أي قراءة الأسفار المقدسة في الخدمة الليتورجية ما عدا الأناجيل، إلا أن بعض الكنائس مثل كنائس شمال أفريقيا وإسبانيا منحت صلاحية قراءة الإنجيل المقدس في الخدمة الليتورجية. وينسب على الأغنسطس أن يكون عالماً عبقراً، خبيراً بالكتب المقدسة، مجتهداً للقراءة، يفهم كل ما يتنوه من القراءات، وإلا فكيف بدأ مسامع شعب الله بما لا يفهمه؟ (الراهب القس أناسيوس المقاري، معجم النسطاحات الكنسية الجزء الأول - ج. ١، م. ٢٠١١، ح. ١، ص ١٢٨، ١٢٩).

[تعليق: و يتضح من شرح المعنى لكلمة شماس بركة أناغوستيس؛ كيف كانت هذه الرتبة كرامة حليمة جعلت الشعب يقدم تركبة برسامه الشاب مقاره وهو حديث السن، حتى أن كهنة القرية رشحوه للأب الأسقف].

له امرأة على ترتيب الناموس العالمي وأدخلوه معها الخدر. وكان قلبه ونفسه ناظرًا إلى الله، فلم ينظر إلى المرأة ولا تقدم إليها البتة. وكان إذا أدخلوه معها إلى الخدر يسند رأسه إلى العامود ويحتج أنه وجع ويتحجج بهذا كل يوم، حافظًا للطهارة بحق ويفتش في قلبه كيف يرضي الله.

### مقاره يخرج مع الجمالين لوادي النطرون

فلما جازت أيام العرس ساموه شماسًا. وكان لأبيه جمالٌ كثيرةٌ فطلب من أبيه أن يمضي، مع الأجراء الذين لهم، مع الجمالين إلى الجبل ليحملوا (النطرون) الملح إلى مصر. وإنما أراد بهذا أن يبعد من قلبه إرادة المرأة ويتخلص بالطهارة من التقدم إليها ولا يلتقي بها أيضًا ولا يبصرها. وكانوا قد اجتمع في ذلك الزمان أناس كثيرين يمضون إلى شيهات، أعني جبل النطرون، ومعهم جمال كثيرة يُحملوها ملح إلى مصر. وكان بعضهم يؤازر بعض مترافقين خوفًا من البربر السكان داخل ذلك الجبل لأنهم كانوا، وقت كمال النيل، يخرجون فيسلبون الناس ويأخذوهم إلى بلدانهم ويبيعونهم للعبودية. فلهذا الحال مضى الأب مقاره مع أناس كثيرين وجمالين مرارًا عدة في هذه الخدمة ولأجل هذا الأمر سُمي من أهل قريته مقاريوس الجمال. فلما مضى دفعة أخرى مع جماعة من الناس بالجمال ليحملوا الملح كعادتهم، وصلوا إلى أسفل الجبل الذي فوق البحيرة بالليل، نزلوا هناك ليستريحوا هم وجمالهم إلى الغد لتحميل الجمال بالملح.

### ظهور إنسان نوراني للقديس مقاريوس

فلما ناموا جميعًا القى الأب مقاريوس نفسه على الأرض من كثرة التعب ونام فرأى في نومه أمر مخوف. هكذا نظر إنسان نوراني موشح بأصطوانية كالبرق المضىء الساطع وكانت تلك الأصطوانية مكللة بجوهر فكلمه قائلاً: "قم فانظر وتأمل هذا المنظر وجول في الجبل وطوف فيه وتأمل العمق الذي في وسطه وتفهم ما تشاهده". فلما تأمل ونظر، قال للذي يكلمه: "إنني، يا سيدي، ما أنظر شيء إلا رأس البهلس الذي على الغابة من يمين البقعة والجبل المحيط بها". وإن ذلك الرجل المنير فتح فاه وقال له بإعلان: "إن الله يقول: 'إنني أعطيك هذا الجبل ميراثًا لك ويكون لك بنين يتفرغون لعبادتي ويخرج منك



رؤساء ومقدمين من هذه البرية، أمم كثيرة. وتصير أساس وثيق على صخرة الأمانة للشعب الذي تلده بتعاليمك ومحبتك فيّ. وأنا أجعل أغصانك يحملون ثمارًا كثيرة، يسبحوني في أقطار الأرض ويذيعون ذكرك الجميل المفضل. انخفض الآن من نومك وامض بسلام إلى موضعك وتفهم جيدًا وتأمل جميع ما رأيت وسمعت. وإذا ما صرت كاملاً ظهرت لك وكلمتك بما يجب. ثم قال له أيضًا: "لا تعلم إنسان بهذا المنظر الذي رأيته إلى الوقت الذي تؤمر فيه".

### انتقال زوجته للحياة الأبدية

فلما قام الشاب مقاره من نومه بالغداة وصار كمثل من قد تاه عقله وكان مفكر فيما رآه، متعجبًا فيما كُلم به، لأنه ما كان تدرب أن يعاين مثل هذه الرؤيا. فسأله رفيقته وأصحابه: "ما بالكَ، فزع القلب مرعوبٌ مفكرٌ؟" فلم يُجيبهُم بجواب. وبعد ثلاثة أيام رجع من جبل النظرون إلى بيته فوجد امرأته محمولة حُمى الموت. وبعد قليل انتقلت من هذه الحياة بسلام وهي طاهرة بتوليبتها. فلما عاين الشاب مقاره هذا الأمر الذي كان، قال لنفسه: "يا مقاره، احرص من الآن على اغتنام ثمار نفسك ومداوتها لأنك أنت أيضًا ستؤخذ بعد أختك هذه المؤمنة إلى الموضع الذي لا يسكنه الجسدانيون وإنما الروحانيون الأطهار الأبرار، كما قال الرب: "كونوا أطهار وقديسين كما أني قُدُّوس". ولم يعد الفتى مقاره يهتم بشيء إلا الكنيسة، محبًا لكل الناس بتواضع كثير كائن فيه ويحني رأسه للصغير منهم والكبير. فلهذا كان محبوبًا من الكل، مثل ابن حبيبٍ من كل أهل قريته وكانوا يتحدثوا بذكره. وإذا نظروا اتضاعه وأفعاله وأعماله الفاضلة ونعمة الروح الظاهرة المضيئة على وجهه، كان يقول بعضهم لبعض: "تُرى ماذا يكون من هذا الشاب الذي في قلبه مثل هذه الحكمة العظيمة؟". لأنه ما كان يمشي مع أحد من الشباب أقرانه، بل كان دائمًا يخاطب الشيوخ الطالبيين الحكمة، الفاهمين بقلوبهم الخائفين من الله. وكانوا كل معارفه يقولون: "بالحقيقة، إن منظر هذا الشاب منظر ملائكي".

## سعادة أبيه وأمه بأعمال ابنهما

وإن أباه وأمه كانوا يفرحوا به في قلوبهم وأعينهم أكثر من مُفرحات العالم وخاصة إذا كانوا ينظروا حكمة الله الساكنة في قلبه. وكانوا يفرحون كثيراً ويمجدون الله لأنهم كانوا يصادفوه مراراً كثيرة وهو منتصباً في الصلاة يُصلي ويُعطي الصدقة للمُحتاجين ويتعاهد المرضى ولم يقدر أحد يرجع يذكر له ذكر امرأة، بل يسمعون منه ويصغون إلى كلامه؛ لأن الله كان حالاً فيه، الذي كان يدبره مُنذُ صباه، ورى نفسه مُنذُ صغره. وكان مُتأمل المناظر التي تظهر من الله له. وكان أبواه يطلبان مرضاته في كل شيء. وكان هو أيضاً يتربح مخافتهم من أجل الله ويخدمهم ويُرضيهم في كل شيء ويطيعهم كما يطيع العبد مولاه. فلما وصل الأب مقاريوس إلى حد السن الكامل، عَدَمَ أبيه نور بَصَره من الشيخوخة مثل إسحق، رئيس الآباء، وضعف من طول السنين وكان مضطجعا على سريره. حينئذ لازمه مقاريوس يخدمه خدمة كثيرة وطالباً منه دائماً أن يُبارك عليه. هكذا كان. فلما تمت أيام شيخوخته المكرمة، استودع روحه إلى الله الرخوم وقُرِ بِكرامة كثيرة، كما يليقُ بِرُتبته.



## مقاريوس يوزع أمواله على الفقراء والمحتاجين

حوار بينه وبين أمه

فما تُؤفي أباه، فكر في قلبه أن يُهمل مسكنه مُنذُ شبابه ويهتم بمخافة الله ويُثابر على الصلاة دائماً إلى الرب، بلا انقطاع بعقله، وهكذا ابتداءً أن يفرق كُل ما له ويُعطيه صدقة للمُحتاجين. فلما شَعَرَت بذلك أمه قالت له بينها وبينه: ”يا ولدي، ما هذا الذي تعمل؟ إذ تفرق كُل ما لك، لأنك بعد شاب، انظر إذا بددت مالك، تحتاج وتصير أجير لآخرين“. فلم يُرد أن يُجزئها قائلاً: ”كُل ما تقولي، يا سيدتي، أنا أسمع وأعمله“. ولم يكشف لها أفكاره. فبعد ستة أشهر وأيام قلائل توفيت العجوز وخرجت من هذا العالم المملوء أحزان فدفعها عند زوجها الكاهن الفاضل. وإن البار مقاريوس بقي وحده واكتنفته أفكار كثيرة ولم يكشف رؤياه لإنسان، كما تقدمت الوصية إليه. فلما كان يوم معلوم للعيد، خَطَرَ بباله أن يعمل فيه وليمةً للمُحتاجين ليكون لأبويه نياحاً يذكرهما الرب بصلواتهم. وكان هناك راهب متوحد، بعيد من القرية قليلاً، يتقي الله كثيراً، هارباً في رهبانيته، متفرداً وحده. ففي ذلك اليوم الذي عمل فيه مقاريوس تذكّار أبويه، جاء إلى الكنيسة ليأخذ الأسرار الإلهية فطلب إليه القديس مقاريوس أن يجيء ويأكل من المائدة التي عملها للمُحتاجين فمضى معه.

### اللقاء مع الراهب الشيخ المتوحد

فلما انصرفت الناس، طلب الراهب المضى إلى قلايته فأجابه الأب مقاريوس: ”أمني، إن أراد الرب وعشنا إلى غداً، أن أحْيِء إلى عندك وأكشف لك أفكاري لأخا تَعْمُنِي كثيراً“. وإن الراهب كان ودع الأب مقاريوس فأذن له بذلك. فلما كان بالغدوة مضى إليه وعرفه أفكاره قائلاً هكذا: ”إنني أؤثّر أن أعيش متفرداً وأهتم بخلاص نفسي“. فتعجب منه الراهب ومن لطف خطابه وتواضعه فأجابه قائلاً له بكلاماً أحلى من العسل والشهد ومسكه عنده تلك الليلة ولم يتركه يمضي حتى يطلب من الله أن يُقنعه من أجله؛ لأن ذلك

الراهب القديس كان يرى مناظر. فعند غروب الشمس اكلوا قليلاً من الخبز وشرباً ماءً وشكراً نعمة الله وصلوا وناما جميعاً في القلاية.

### المتوحد يرى رؤيا بخصوص القديس مقاريوس

فلما استيقظ ذلك الشيخ أول الليل كعادته للصلاة، فتح الله نور عيني قلبه فأبصر جموعاً من الرهبان مُحَدِّقِينَ بِمَقَارِيُوسَ وَهُمْ كُلُّهُمْ مُضِيئِينَ كَالنُّورِ وَعَلَى أَكْتَافِهِمْ أَجْنَحَةٌ كَالطُّيُورِ. وَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ: "قُمْ الْآنَ، يَا مَقَارِيُوسَ، وَابْدَأْ بِالْخِدْمَةِ الَّتِي أُعْطِيتَ لَكَ". فلما سمع ذلك الراهب القديس، تعجب كثيراً وصمت. فلما كان بالغداة، طلب مقاريوس أن يمضي إلى منزله فقال له ذلك الشيخ: "هل رأيت في هذه الليلة شيء؟" فأجابه مقاريوس المغبوط قائلاً: "ما رأيت شيئاً، بل نمت بنياح وكانت نفسي في لذة كثيرة". فقال له الشيخ: "الشيء الذي فكرت فيه عمله. فإن دعوتك من الله هي وها الرب قد دعاك برحمته للبشر وتديبه للناس في كل وقت". ولم يكشف الشيخ المنظر الذي أبصره لئلا يتعظم برأيه<sup>٩</sup>. أمره الشيخ أن يمضي بعيداً قليلاً من القرية ويسكن في قلاية وحده. ولأنه لم يكن المحبين لله قد دخلوا البرية إلا أنطونيوس القديس وحده. فخرج هذا البار مقاريوس ففرق كل ما يملكه على المحتاجين والمساكين ومضى فسكن في قلاية خارج القرية، موضع لم يكن له فيه أنيس، كما أمره ذلك المتوحد. وكان وحده في الهدوء.

### تزكيتُه لرسمته قساً

فلما شاهدوا أهل تلك القرية أعماله الحسنة واستقامته مع ربنا يسوع المسيح وتواضعه الكثير فتشاوروا بينهم أن يرشوه قساً لأنه لم يكن في ضيعتهم قساً يُقَرِّبُهُمْ<sup>١٠</sup> (يُنَاوِلُهُم مِنَ الْأَسْرَارِ الْمُقَدَّسَةِ). فمضوا وطلبوا إلى اسقفهم القديس الذي في أشموم لِيُقَسِّمَهُ لَهُمْ قَسِيْسًا وَلِيَسْتَحِقَّ نِعْمَةَ قَبُولِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّتِي هِيَ الْكَهَنُوتُ، مِنْ يَدَيِ ذَلِكَ الْقُدَيْسِ. فلما رضي الأسقف بذلك، أتوا مسرورين

<sup>٩</sup> حشية أن يتكبر وهو شاب.

<sup>١٠</sup> لم يكن هم فقط كاهن يعطيهم البركة في القرية (لأنه مادام هناك كنيسة بالقرية فلا بد أنه هناك كاهن يأتيهم كل فترة ليناولهم من الأسرار المقدسة ولكنهم كانوا يريدون كاهن خاص بقريتهم لتبَارِكُ القرية بوجوده الدائم بها).



إلى قلايته وأخذوه غصبًا ومضوا به إلى الأسقف فرسمه لهم قسًا وصارت عليه  
نعمة الله التي هي الكهنوت بتدبير من عنده يُعين نفسه وكثيرين معه. وبعد  
ذلك سكن في البرية القُصوى.

## مقاريوس في البرية القصوى

### سلاح الرهبان الصلوات والدموع

فلما قام بتلك القرية وكُل الذين يرونه ويشاهدونه ينتفعون منه، حينئذ بدأ عدو جنسنا الشيطان ينهض عليه حروبه الأولى. وإن مقاريوس البار لم يكن يقبل الخواطر التي يزرعها في قلبه. فحاول الشيطان أن يجعل القديس يقيم في ذلك الموضوع ولا يخرج إلى البرية يتفرد لقتاله ويجعل البرية الفقراء عالماً جديداً للإله السماوي في الموضوع الذي جمع فيه جمعاً لخدمته روحانية، الذين هم مزينون بزي القتال مقابل قوة الأرواح الخبيثة وأجناد الشياطين فيقاتلونهم بنبل الشباب المسنون الحاد والسيوف التي هي ذات الحدين. وهذا السلاح هو الصلوات والدموع وباقي الخدمة الروحانية التي تقيم الغلبة باسم ربنا يسوع المسيح. حينئذ الإله الناظر والمطلع على علم كل شيء قبل كونه، الحكيم وحده بسابق علمه، جعل على القديس مقاريوس تجربة يكون بسببها يذكر ما خُوطب به، فيجري هكذا إلى البرية، إلى الموضوع الذي قد رآه، ويجمع إليه جميع المحبين للحياة الأبدية. وهذه التجربة أنتم أجمعون تعرفون بها. كما شهد هو من فيه المقدس، أنا أجدد ذكرها هنا في هذا الكتاب.

### اتهام القديس بتهمة مُخزية

كان بتلك القرية التي كان هذا البار يسكن إلى جانبها امرأة عاتق<sup>١١</sup> (عذراء) ما عرفت رجلاً. وكان لها جارٌّ من جنسها<sup>١٢</sup> فسكن بقرىها. وإن أبوي هذا الشاب أرادوا أن يملكوه (يزوجه) هذه الشابة كما في الناموس الطبيعي فلم يفعلوا من أجل مسكنتهم (فقرهم) فصار للشاب والشابة دالة أحدهم مع الآخر لأنهما كانا من جنس واحد، كما سبقْتُ وقُلْتُ. فكان أحدهما يسكن بقرب الآخر لأنهم كانوا يلتقوا كل وقت في الشارع وفي البيت. ففي بعض الأيام كان عيداً وشرباً نبيذاً كثيراً وسكراً فسقط أحدهما مع الآخر في الزنا وانحلت

<sup>١١</sup> كبرت في السن ولم تتزوج بعد.

<sup>١٢</sup> شاب من جنسها وذو قرابة معها.

بتوليتهما جميعاً. فبعد قليل حملت الشابة وكانا يخافان من زناهما لئلا يُقتلا من أجل الفضيحة فشاوّر ذلك الشريران الرديّان أحدهما الآخر وقالوا: "ماذا نعمل؟ إن علموا آبائنا فهم يهلكونا لكن نقوم، نلقي السبب على الراهب ونقول إن ذلك القس المتوحد عمل هذا العمل ولا نرثي له لأنه مثل غريبٍ هو ههنا". وكذلك فعلاً. فلما علم أبو الشابة بحبلها، سأها قائلاً: "من عمل بك هذا الأمر؟" فأجابت قائلة كما تعلمت من ذلك الشاب، وقالت: "إنني في بعض الأيام مضيت إلى ذلك الراهب المتوحد فنام معي فحبلت". فلما سمعا أبواها هذا الأمر، امتلئا غضباً وحنقاً من أجل الخزي الذي حل بابتنتهما فخرجا إلى القلاية مع كثيرين وأخرجوا القديس مقاريوس ولم يعلم ما هو السبب. فضربوه ضرباً موجعاً يقارب الموت وكان القديس يسألهما: "ماهي خطيتي؟ وما هو ذنبي؟ حتى تضربوني هكذا بلا شفقة!". فربطوا في عنقه حبلاً وفيه قُدورٌ مسودة مكسورة وأذان جرار مُسحمة<sup>٣</sup> وطفقوا يُخرجونه وسط ضيعتهم وجماعة الصبيان يجرون خلفه ويضربونه ويُجرّوه إلى ههنا وإلى هنالك كالجنون وينادون عليه قائلين: "هذا الذي اغتصب بنتنا البتول وأفضحها". وكان للقديس رجلٌ مؤمن يخدمه وكان يأخذ عمل يديه ويبيعه ويحضر له خبزه وحاجته كمثلي أمانته بالقديس ملتصقاً أخذ بركته. وكان هذا يتبعه في ذلك الوقت مخزياً بخجلٍ من أجل كذبهم على القديس، مغموماً من تلقاء الضرب الذي ضربوه والاستهزاء به. فبغته ظهر للناس المجتمعين ملائكة يشبهون أناس مؤمنون ومعروفين وكأنهم قد أقبلوا من بعيد. فلما عاينوا القديس قد قارب الموت من الضرب المروع والهز الذي كان من قبل أولئك الناس الأشرار الكذبة استحبوا منهم قائلين: "ما حال هذا الراهب؟" فأعلموهم بحُملة الكذب. فقال لهم الملائكة: "هذا ليس هو حقاً. نحن نعرفُ هذا الإنسان منذُ صباه مؤمناً صالحاً". فتقدموا إليه وحلّوه من رباطه، وكسروا تلك القدور والجرار المسودة المعلقة في عنقه. فقال لهم أبوا تلك الجارية: "لا نطلقه حتى يأتينا بكفيل (ضامن) متى ولدت الجارية

<sup>٣</sup> "مسحمة": قبحة الصورة وكانت غالباً مسودة ومطوية بالغياب. وهي من الشحام (سوادُ القدر) يجمع اللغة العربية، لشيخ الوحي، ضعة حاصة بوزارة التربية والتعليم، المطابع الأميرية، طبعه ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ م، ص ٣٠٥.



ويتعهد بنفقة ولادتها إلى أن يترى الطفل“. فأجاب القديس مقاريوس قائلاً: **لأولئك: ”يا آبائي، هذا الأمر الذي يتشاهدون عليّ به أنني قد سقطت فيه، ما أعرفه.“** فدعا بذلك المؤمن الذي كان يخدمه وقال له: **”اصنع محبة واضمني.“** فضمن ذلك الرجلُ القديس مقاريوس واطلقوه بعد ذلك ومضى إلى قلايته وقد كاد أن يموت.

### تعسر المرأة في ولادتها

فحين دخل قلايته، جعل يُعاتبُ نفسه قائلاً: **”الآن، يا مقاره، قد صارت لك امرأة وبنين فينبغي لك أن تعمل ليلاً ونهاراً لِقُوتك وقُوَّتهم.“** وهكذا كان يعمل دائماً قُفف ويدفعُها لذلك الرجل الذي يخدمه فيسبعها ويدفع للامراة حتى إذا ولدت تُنفقُه على ولدها. وإن الله، خالق البرية، الذي يمجّد الذين يمجّدونه، العالم بكل الأشياء قبل كونها ولا تخفى عليه خافية، لم يشأ أن يَكْتُم طهارة هذا القديس والعمل المكتوم الذي عمل عبده مقاريوس، لكن شاء أن يُعرف من كل الناس أنه رجاء الخائفين من الله، المتوكلين عليه. وحينئذ لما كان اوان ولادة الشابة البائسة اشتد عليها طلق الولادة بصعوبة عظيمة. فلما أقامت في تلك الشدة أربعة أيام تستغيث ليلاً ونهاراً ولم تقدر تلد حتى أشرفت على الموت، فقالت لها أمُّها: **”ما هو ذنبك، يا ابنتي؟ الآن عن قليل تمُوتُ.“** فقالت لأُمها: **”نعم يا أُمي، أنا مُستحقة الموت. ما كفاني خطييتي بالزنا حتى جعلتُ الأمر كذباً على عبد الله القس الراهب وذلك لم يدُنْ مني ولم يصنع بي شراً البتة. ولكن فُلان الشاب صار معي إلى أن حبِلْتُ.“** فلما سمع أبواها الأمر، داخلهما ندم كثير وندموا اشد ندامة، ولاموا نفوسهم لكثرة الشرور التي عملوها بالقديس وضربه حتى قارب الموت. وإن الشاب الذي أفسد الجارية، حين سمع ذلك هرب لثلاً يُمسك حين اعترفت الجارية بالخطية التي عملت. وإن الرجل الذي كان يخدم القديس مقاريوس لما سمع الأمر وصحته، فَرَحَ. وإن الناس زعموا أن يَمْضُوا إليه ويستغفروا منه ليغفر لهم ما جرى منهم من الخطية إليه. وإن الخادم وصل إليه بفرح كثير وبافتخار قائلاً له: **”تلك الشابة الشقية ما أمكنها الولادة حتى أتعرفت: إن القديس ما صنع معي هذا الأمر، لكن فُلان**

الشباب. والذين سمعوا يريدون الخروج إليك ويستغفرون منك ويشكرون خادمتك“. وإن الخادم فرح وابتهج إذ أخذ الله الخجل من وجهه لأنهم قبل قليل كانوا يُعَيرونه قائلين له: ”ذلك الرجل الذي شهدت له أنه قديس قد انكشف أنه قد صنع كذا وكذا“.

## ظهور الكارويم والدعوة للاعتزال الكلي

وإن القديس لما سمع ما كان، عول أن يخرج من ذلك الموضع ويسكن في قلاية أخرى. فبينما هو يقدس القريان كعادته وهو قائم أمام مائدة الحياة فشهد عن يمينه كارويمًا ناريًا ذو ستة أجنحة مملوء كله عيونًا. فلما عزم القديس أن يتفرس فيه حسنًا وينظر ما هو المنظر المنير وذاك الشبح المحدث به، اشتمله الخوف فسقط على وجهه وصار كالمت ملقًا على الأرض. فتقدم إليه الكارويم المقدس ومسك بيده وأقامه وقواه وقلع عنه الخوف. فلما تأيد قال له: ”لَمْ قَدْ ثَقُلْ قَلْبُكَ وَنَسِيتَ مَا خَوَّطْتُ بِهِ؟ حَسَنًا عَمِلْتَ إِذْ احْتَمَلْتَ التَّجَرِبَةَ الَّتِي جَاءَتْ عَلَيْكَ لَتَأْخُذَ الْكَمَالَ حَتَّى إِذَا حَلَّ بِكَ تَجَرِبَةٌ، تَعْرِفُ قَلِيلًا قَلِيلًا التَّجَارِبَ الَّتِي تَأْتِي عَلَيْكَ فِي الْجِهَادِ وَتُبْتَلَى بِهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالنَّاسِ أَيْضًا.“<sup>١٤</sup> لكن أكمل الآن هذه الخدمة التي قد بدأت بها وشارك السرائر المقدسة لتكون لك القداسات الطاهرة والقوة، وتُسَوِّمَ من نفسك في الليلة المقبلة الخروج من هنا مبادرًا.<sup>١٥</sup>

وتمضي وتسكن في الموضع الذي أريك إياه بأمر الرب كما يشاء أن يصنع لك. ولا تغفل عما أُوصِيَتْ بِهِ وَلَا تَخَافْ وَلَا يَنْقَسِمَ فِكْرُكَ لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَمَرَ بِهَذَا. فَلَا تَرُدَّ جَوَابًا فَإِنِّي أَجِيءُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأَخْذُكَ لَيْلًا وَنَسِيرٌ وَمَا يَشْعُرُ بِنَا أَحَدًا لِّئَلَّا يُبْصِرَكَ النَّاسُ فَيُذْهِلُوكَ“<sup>١٦</sup>. وَلَا تَخَفْ مِنْ شَيْءٍ لِأَنَّهُ هَكَذَا

<sup>١٤</sup> وتأتي في أصل المخطوطة العربي هكذا: ”تعرف قليلاً قليلاً التي تكون في الجهاد، التي يطلقها الله أن تُبْتَلَى بها من الجان والناس أيضًا“.

<sup>١٥</sup> واعدد نفسك خلال الليلة التالية حتى تخرج سريعًا من هذا المكان (ق). حسب نص الترجمة من المخطوطة القبطية التي نشرها أميلينو أميلينو ”ترجمها عن القبطية“، تاريخ الأديرة في مصر السفلى ”حياة القديس مقاريوس وفوائده“، ترجمة عن الفرنسية إلى العربية أحد آباء رهبان دير أنبا مقار، الناشر كنيسة أنبا مقار أتريس، القاهرة، بدون بيانات إدارية. وسوف نشرها فيما بعد برمز (ق).

<sup>١٦</sup> لنخرج ليلاً دون أن نعرفنا أحد، وذلك من أجل مضايقات الناس (ق).



يقول الرب: 'إني أمضي وأُسْكُنُ في ذلك البلد الذي أراك الربَّ الإله حتى تُكْمِلَ كُلَّ الذي سمعت، كما قد قيل لك'. لأنها هكذا ليس مشيئة الله أن تكون أبًا لكثيرين من الأولاد الجسدانيين، بل تُعطى أن تلد بنين روحانيين<sup>١٧</sup>. وأنا قد قبلت وصايا من الغُلا لتجمع أنت هذه الجُمُوع كَمَثَلِ مَسَرَّةِ الله إلَها. أجذبهم بالأسرار الخفية والأستعلانات إلى النهاية إن هُمُ حَفَظُوا الوصايا الناموسية التي للرب، التي تقلدهم أنت إياها". هذا خطاب الكارويمم لمقاريوس المغبوط. وَقَبْلَ ما قيلَ له بفرح ونسي ذلك الضرب والتعذيب الذي حل به من الناس والشيطان معًا. وهكذا استعد لإكمال ما نُوجي به مِنَ الكارويمم.

### ظهور الكارويمم النوراني للقديس مقاريوس في الليل

فلما كان الليل قام في الصلاة كعادته فُبَغَتْهُ تراءى له نورًا عظيمًا في الموضع الذي كان فيه يُصلي، مثل نور الشمس المضيء في نصف النهار من حزيران (بؤونه / يونيو). فعمل القديس مقاريوس كما قد أوصي لأن النور هو كان الكارويمم. لم تخاطب تلك القوة المقدسة الأب مقاريوس مدة قليلة نحو ساعة لئلا يَرْتَعَدَ وَيَخَافَ. فبعد ذلك، استعلن له وخاطبه وقال له: "فَمُ بِقُوَّةِ الله الذي يقويك وامشي ورائي كما أُرِيكَ، فإن الرب قد أَمَرَنِي". وهكذا ترك كُلَّ شَيْءٍ في قلايته وخرج مسرورًا بقوة الله، والكارويمم يمشي قدامه. فبعد يومين دخل الجبل ودار به جميعه وكُلَّ نواحيه، الموضع التي كان مزعمًا السُكْنى بها<sup>١٨</sup>. فقال الأب مقاريوس للكارويمم المقدس: "أَطْلُبُ إِلَيْكَ، يا سَيِّدِي، عرفني أين أَسْكُنُ في هذا الجبل". فقال له الكارويمم: "هذه الإرادة إِلَيْكَ. ها كُلُّ البرية أمامَكَ وأُخشى أن أعطيك أنا وصية أن تسكن هنا أو هُنالك فَيُقاتِلُكَ الاضطهاد وتخرج من ذلك الموضع وتتجاوز الوصية فَتُحِطِّي، بل فليكن سُكْنُكَ إلى سُلْطَانِكَ لِنَفْسِكَ. أين ما أردت أَسْكُنْ وجرب وكُن صامِتًا وتأمل ذاتك وتحرز

<sup>١٧</sup> لأنه هكذا أراد الرب أن تكون أبًا لكثيرين، ليس حسب الجسد، بل تبعًا لدعوة الابناء الروحيين(ق).

<sup>١٨</sup> وتأتي في أصل المخطوطة العربي هكذا: "بعد يومين دخل الجبل وأداره جميعه وكل نواحيه، الموضع الذين يزعمون يسكنون هناك".

حسنًا من شرور المتمردين ومن مناصبتهم وحيلهم الشريرة حتى إذا بُليت تكون قد سَبَقَتْ لك معرفة بذلك وأنا كُلُّ وقتٍ بأمر الله عندك“<sup>١٩</sup>.

### سكنى القديس في مغارة بيرية شهيت

فمشى الأب مقاريوس في الجبل وشاهد كل ما فيه فوصل إلى موضع يدعى بَهْلَس لم يكن بعيدًا عن الماء، فحفر في ذلك الجبل وعمل له مغارةً وسكنها أيام قلائل. ثم خرج يطوف البرية وجاء إلى يمين ذلك الموضع وحفر فيه سردابًا وسكن فيه لأن الناس كانوا يطوفون فيه إلى البَهْلَس، يحملون النطرون (الملح) ويزعجوه في ذلك الموضع أيضًا ولأن البربر قد قتلوا جنودًا من الروم أتوا إلى هناك<sup>٢٠</sup>. فلما صار هناك زمانًا طويلًا أصلح موضعًا آخر يُصلي فيه ويقرأ ومكان آخر يعمل فيه الضفيرة ويعطيها للجمالين الذين يحملون النطرون يبيعونها ويحيئون له بحاجته، أعني خبزًا يابسًا. فلما نظر الشياطين الذين في ذلك الجبل شجاعة نفس القديس وقوة قلبه ومحبه لله، تقسموا عليه كمثّل الحيوان الأشرار واحاطوا به كالنحل<sup>٢١</sup>. فلما نظروا أنه ليست لهم استطاعة أن يتقدموا إليه البتة، حزنوا كثيرًا وتمرمروا لأن الرب لم يُطلق أن يُجرب منهم. وهذه رحمة منه (الله) أن لا ينجي عليه تجربة من الابتداء صعبة لا يعرفها فيسقط بغته في صغر النفس، لأنه لم يكن في ذلك الجبل إنسانًا ساكنًا يتعزى بمعاينته ويعرفه الأفكار المخيرة من العدو النجس الطمثة. وبعد ثلاثة سنين فكر في نفسه وقال: ”ها قد جئت إلى هذا الموضع وإلى هذا البلد كما قد أمرت وليس لي أحدٌ يرشدني إلى طريق الفضائل ولا السيرة التي يسير بها سُكان البرية. فماذا أصنع؟ قد كُنْتُ سَمِعْتُ، وأنا في مصر، خَبَرَ أنطونيوس القديس الساكن في البرية منذُ سنين كثيرة. فأقوم الآن وأمضي إليه فيمنحني الافراز ثم أعودُ إلى هاهنا“.

<sup>١٩</sup> وإن ثابرت فيه سأزورك دائمًا كما أمرت من إلهي (ق).

<sup>٢٠</sup> حسب نص المخطوطة العربي: ”ولأنه كان قد أتوا أجنادٌ من الروم قتلوهم البربر“.

<sup>٢١</sup> ولما رأت الشياطين العديدة التي كانت في ذلك الموضع شجاعة القديس وغيرته من أجل الله، صارت مثل حيوانات متوحشة هائجة (ق).

## أنبا مقاريوس وأنبا أنطونيوس

فنهض وصلى وبدأ يسير في الطريق إلى الأب أنطونيوس، إلى الجبل الشرقي. فلما اجتمع بالشيخ القديس، الأب أنطونيوس قبله بفرح وكشف له أفكاره بالإدلال (بصراحة) ولم يكتمه شيئاً. وإن الشيخ القديس أنطونيوس قَبَّلَ رأس القديس مقاريوس وقال له: ”يا ابني مقاره، إنك عتيد أن تسمى مغبوط كما يترجم اسمك يونانيًا لأن الرب إلهي قد كشف لي أموركَ مُنْذُ أَيَّامٍ وقال لي عن جيئِكَ، وأنظر سلامتك وأعابن ترتييك“. وإن الشيخ العظيم وعظه وايدته بكلامًا كثير مما يليق بزي الرهبانية المقدسة وأظهر قُدَّامَهُ قتالات العدو وعرفه أنهم مُزْمَعُونَ أن يُحَارِبُوهُ سِرًّا بالأفكار الباطنة والأُمُور الظاهرة إلى الموت. ولتكون أنت كاملاً إذا حاربوك فتصبر إلى حد الموت. وطلب منه الأب مقاريوس بَتَوَاضُعٍ وَتَخَشُّعٍ أن يسمح له بالسُّكْنَى عنده. وإن الشيخ الأب أنطونيوس لم يُطْلَقْ له ذلك لكنه قال له: ”كُلُّ أَحَدٍ مِنَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَدْ دَعَاهُ الرَّبُّ إِلَيْهِ. فَتَصْبِرُ أَنْتَ فِيهِ وَلَتَسْكُنَ“.

## العودة لشيھيت

فلما مَكَثَ عِنْدَ الشَّيْخِ أَيَّامًا قَلِيلَةً وَقَبْلَ رُسُومِ وَصَايَا خِدْمَتِهِ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ نَشِطَ لِلرَّجُوعِ إِلَى جَبَلِهِ. وَكُلَّ الْأَيَّامِ الَّتِي أَقَامَهَا عِنْدَهُ قَالَ مَقَارِيُوسُ وَأَنْبَا سِرَابِيُونُ: ”مَا رَأَيْنَاهُ نَامَ اللَّيْلَ جُمْلَةً وَبَعْدَ خِدْمَتِهِ اللَّيْلِيَّةِ كَانَ يَمْدُحُ صَبْرَهُ وَجْهًا دَهْ“. وَأَيْضًا بَتَدْبِيرٍ مِنَ اللَّهِ كَشَفَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ سِيرَتَهُ<sup>٢٢</sup>. فلما وصل القديس مقاريوس إلى موضعه، جلس في قلايته صامتًا يخدم الله وقد اتكل عليه وحده. وكان الكارويم يفتقده دائمًا افتقادًا منظور. ففي بعض الأيام عِنْدَ الْمَسَاءِ خَرَجَ لِيَمْلَأَ جَرَّةَ مَاءٍ مِنَ الْيَنْبُوعِ الَّذِي فِي الْبَهْلَسِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَفَرَ لَهُ بئرًا بَعْدَ. فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ فِي الطَّرِيقِ يَدْرُسُ الْأَلْفَاظَ الْمُقَدَّسَةَ جَاءَهُ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: ”مَقَارَهُ، مَقَارَهُ“. فلما سمع وقف من مشيه ونظر إلى جانبيه فلم يرى أَحَدًا.

<sup>٢٢</sup> كان بنام كل ليلة بالقرب مني، أنا الصغير صرابامون (أي سرابيون). وبعد صلاة الليل، كنا نمدح أولئك الذين جدوا في الجهادات، وكنا نروي كل واحد منا للآخر حياته (ق).



فسمع الصوت ثلاث دفعات، ففزع وجلس على الأرض. وسمع الصوت قائلاً: ”من أجل أنك سمعت وصاياي وأتيت إليّ ها نذا أجمع إلى ها ههنا شعوب لا تحصى من كل جنس ومن كل لسان ويخدموني ويُمجدوني ويباركُ اسمي أعمالهم الصالحة وأعمالهم الحسنة. لكن انظر، لا تُبعد أحد من الذين يقصدونك“. فلما سمعَ هذا تأيد وقوي في قلبه ومضى في طريقه. فلما عاد إلى مغارته، غربت الشمس وصلى وأكل قليل خُبزاً ونام.

### فزع الشياطين من سُكنى مقاريوس للبرية

فلما استيقظ للصلاة كعادته، فتح الله الرحوم أذنيه وسمع الشياطين تقول بعضهم لبعض: ”أترى نترك هذا الإنسان يسكنُ معنا في البرية؟ لأن من أجله تصير هذه البرية ميناء وملجأ ونياحة للذين يضطهدون (منا) في العالم<sup>٢٣</sup>، يصنعون في هذه البرية مُدنًا، مُتشبهين بالسمايين الذين هم مُتوكلين على الحياة الأبدية؟ لأنه سيجمع إليه شعوب كثيرة وتُخلي نحنُ البرية لأننا لا يبقى لنا معه فيها سلطان، نُطرِدُ مِنْهُمْ بِضَرْبٍ ووجع وأنواع العذاب من صلواتهم. فالآن فلنجتمع كلنا ونكتفِفه (نحاوطه) من كل جانب ونُفزعُه لعلنا نقدر نطرده من هذه البرية“. فلما سمع الأب مقاريوس هذا، تأيد وتشجع بقلبه على الشياطين وصار كالليث<sup>٢٤</sup>، يباركُ الله في قلبه، الذي عمل معه رحمةً وفتح أذنيه ليستمع كلام الشياطين ويعرف ضعفهم وأقام في الصلاة بشهامة. فاجتمع إليه كلُّ جمع الأشرار وصعدوا فوق المغارة على الجبل فابتدأ (ظهر) منهم طائفة وصاروا شبه الخيل، وقوم آخرين رُكَّاب مستعدين للقتال بعضهم بإزاء بعض. جاء إليه نفرٌ مِنْهُمْ إلى باب المغارة وأضرمو نارًا عظيمة وجعلوا يأخذون منها ويرجمون إلى داخل المغارة وكانت كلها تنطفئ بصلاة القديس مقاريوس وهو يُسبح قائلاً: ”الرب نوري ومخلصي ممن أخاف؟“<sup>٢٥</sup> وإِثْمُ بعد هذا، لما صار الصُبحُ، تفرقوا فلم يرى شيئاً فدخل إلى مغارته وجلس يعمل عمله كعادته وهو يُسبحُ الله

<sup>٢٣</sup> وتصح بسببه هذه البراري ميناء لكل من هو في خطر (ق).

<sup>٢٤</sup> تشدد قلبه كالأسد ص ١٣ (ق).

<sup>٢٥</sup> (مز ٢٧).

وَمُجَدِّهِ وَيُبَارِكُهُ. ولكنه لم يكن صافيًا مثل كُلِّ يوم لأن الرب اطلق أن يُجرب  
بالأفكار. فبدأت الشياطين الأشرار يرحمون إلى قلبه بالأفكار كمائدة مملوءة من  
كل الأغذية، هكذا بدأوا بالأفكار الأولى، أفكار الزنا، والدوران، وبضغطة  
القلب، والغم والوجع، والعظمة، المحبة البطالة، والخوف، والافتخار، والكسل  
حتى تصدق نفسه بقبول التجديف، عدم الأمانة<sup>٢٦</sup>، قطع الرجاء الذي يُعد  
الإنسان من الله وما هو أكثر من هذه الأنواع. لم تدع الشياطين شيئًا من أنواع  
القتال إلا وجلبوها عليه بالأفكار الغريبة منه كما عرفه بهذه الأمور كُلِّها الأب  
الكبير أنطونيوس. وإن الرب من أجل استقامة قلبه إليه، أعانه في جميع  
التجارب وتخلص من هذه الأشياء كُلِّها وصار غالبًا.

---

<sup>٢٦</sup> هكذا بدت لي أفكار: الزنا، الشره، القلق، الغرور، المجد الباطل، الخوف، الحزن، الكبرياء، البدع، الشك، التجديف، عدم  
الرجاء في الله ص ١٣ (ق).

## نياحة القديس أنبا أنطونيوس

### زيارة أنبا مقاريوس الثانية للأنبا أنطونيوس

فلما مكث زماناً طويلاً والشياطين يحاربوه مجتهدين، قام ومضى عند الأب أنطونيوس. فلما نظر إليه القديس أنطونيوس من بعيد، أجاب قائلاً لتلاميذه: ”هذا إسرائيلي بالحقيقة لا غش فيه. أترون يا أولادي هذا الإنسان عُصْناً مستقيماً طويلاً وسيكون له ثمرات حلوة من فم الرب الصباؤوت، كما قال عنه النبي قائلاً: «هؤلاء البنين الذين أعطانيهم الرب، الذين يقبلون النعيم المقدس». فلما دنا من القديس أنطونيوس، سجد له على الأرض فأقامه مسرعاً وسلم عليه وقبله لأنه نظره مُنْقَطَف الوجه، مُتَغَيِّراً مثل المريض من أجل القتالات التي تكبد من الشيطان. فبعد أن صليا وجلسا جميعاً، أجاب القديس أنطونيوس وهو مسرور وقال: ”ما حالك، يا ولدي مقاريوس؟“ فأجابه القديس مقاريوس وقال: ”قد سبق الله وعرفك بكل شيء كان“. وللوقت وعظه وأيده وقال له: ”تأيد ولا تخاف لأن هكذا سبيلنا أن نُجْرَب بكل هؤلاء الذين يُقْرِننا فإذا بُلينا بهذه الأشياء كُلُّها حينئذٍ تستحق أن تصير مُعَلِّماً للشعوب الكثيرة من الذين يحبون الحكمة الروحانية التي هي الرهبانية، وتذكر أمر الصوت الذي خُوطبت به من الرب لما كُنْتَ ماضياً تملأ ماء“. فلما سمع هذا الأب مقاريوس قبل أن يُعلن أفكاره للشيخ فتعجب وقال: ”ما أحتاج بعد أظهر شيئاً من مكتوماتي أمام هذا القديس لأنه قد عرفها كُلُّها بالروح قبل أن أعرفه بها“. فمكث عند الشيخ أياماً يتبارك منه ويقبل وصاياه. فطلب منه أن يُلبسه الإسكيم المقدس فألبسه إياه. فلهذا دُعي تلميذ الأب أنطونيوس. ثم قال له الشيخ سراً: ”لا تكسل أن تحيى إلى هنا. فإنني بعد أيام قليلة أمضي إلى الرب“. فلما سمع منه هذا، نهض وسجد له بمطانية يسأله أن يُطلق له عنده الجلوس ويستحق أن ينال بركته الروحانية. وأن الشيخ الأب أنطونيوس لم يشأ أن يُخرجه فتركه عنده. فقال الأب أنطونيوس للأب مقاريوس: ”بعد زمان قليل يُنحك الرب ويُرحلُك من كثرة هذه الأفكار الرديئة وبعد ذلك يقتلوك مواجهة مثلما عملوا معي؛ لكن تشجع وتأيد وتحفظ بالقوة التي عندك، أعني الكارويم المقدس، لأن الرب جعله



معك لمعونتك. فلا تخف واحذر أن يكون منك شيئاً ليحزنه في شيء ما عسى أن يكون، ليكون معك دائماً إلى آخر نسمتك ويُعينك ويحفظك ويأيدك كما قد أمر هو من الرب إلهنا بذلك“. فلما سمع القديس مقاريوس هذا، بقي مُتعجب كثيراً من هذه الغوامض التي أُعلنت له عنه وأعطاه الشيخ الشبوقه<sup>٢٧</sup> العتيقة التي كانت عنده وصلى عليه وقبله القُبلة المقدسة.

### نياحة القديس أنطونيوس

فلما كُملت حياة الشيخ الكبير أنطونيوس القديس، أخذ القديس مقاريوس جسده المغبوط، وستره لثلاً ينظره أحد ولا يُظهر لأحد وعاد إلى البرية المقدسة، إلى قلايته وجلس صامتاً مع نفسه ومُثابر على الصلاة دائماً<sup>٢٨</sup>.

<sup>٢٧</sup> الشبوقه من الكلمة القبطية "ἁγῶτα"، وتعني عصاته القديمة، وترمز إلى تسلمه التدبير الرهباني من بعده.

<sup>٢٨</sup> ولما أكمل أبونا أنبا أنطونيوس سعيه، اعتنينا بجسده المقدس، ورجع أبونا أنبا مقاريوس إلى موضعه في البرية، ولبث هناك متفرغاً لخدمته، معطيًا الجهد لربنا يسوع المسيح. (ق) ص ١٤.

**تعليق:** السيرة هنا كما يرويها القديس سريون سواء في نص المخطوطات العربي أو في نص المخطوط المترجم من القبطية للفرنسية إلى العربية يشير إلى أن القديس مقاريوس الكبير شارك في تكفين ودفن القديس أنطونيوس، ولوقوف على التواريخ في حياة أنبا مقار يقول بالليديوس، في تاريخه إلى لوزاس: "إن القديس مقار التجأ إلى الصحراء وهو في سن الثلاثين عام ٣٣٠م"، وهذا هو تاريخ بداية توحده في الصحراء المتاخمة لقرنته لمدة عشر سنوات والتي رُسم خلالها قسًا، وانفرد القديس مقاريوس متوحداً في برية شيهيت سنة ٣٤٠م.

### أحداث الزيارة الأولى

ولما اشتدت عليه حروب الشياطين لجأ إلى القديس أنطونيوس يسترشد به لأنه أول من سكن البرية وكانت تلك الزيارة الأولى بعد ثلاث سنين من وصوله لبرية شيهيت حسب نص المخطوطة فتكون بذلك الزيارة الأولى عام ٣٤٣م، وقيل عن هذه الزيارة: ذهب مرة الأب مقاريوس إلى الأب أنطونيوس في الجبل وقرع بابه، وهو يقول: "من البذي يقرع الباب؟" فأجابته: "أنا مقاريوس أيها الأب". فتركه ودخل ولم يفتح له. ولما رأى صبره فتح له وفتح معه، وقال له: "منذ زمان كنت أريد أن أراك". وأراحه لأنه كان في إثر تعب كثير. ولما حان المساء بل أنبا أنطونيوس قليلاً من السعف لنفسه. فقال له أبا مقاريوس: "أسمح أن أبل لنفسي أنا أيضاً قليلاً من الخوص؟" فقال له: "بل". فأصطحب حزمة كبيرة وبهلا وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس. وكانت الضفيرة تنحدر من الطاقة. فرأى أنبا أنطونيوس باكراً أن مقاريوس قد ضفر كثيراً فقال: "إن قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين". هذه القصة عن (رهبان برية شيهيت، فردوس الآباء-بستان الرهبان الموسع- الجزء الأول، مطبعة الدلتا، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م، ص ٢٥٩)، (أنبا إيفانيوس أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، بستان الرهبان، الناشر دار مجلة مرقس، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص ٣٧).

## تلمذة القديسان مكسيموس ودوماديوس للقديس أنبا مقار.

فبعد أن بدأ الناس يجتمعون إليه ويلتمسون منه أن يلبسهم زي الرهينة المتوحدة كانوا يسكنون عنده ويتعلمون منه مخافة الله، وكان يقبل كل من يأتي إليه بفرح، كما أمر. وكان يقول لكل أحد أن يقوم أموره وسبله بحسب قوته ويدعهم عنده إلى أن يتعلمون أعمال الله. فتكاثر الناس عليه وكان يعلمهم شغل اليدين ثم يعلمهم أن يحفروا في الجبل مغائر، ويظللوها بالسعف والقصب

ومن أحداث تلك الزيارة أيضًا قيل إن أنبا مقار رأى مرةً بعضًا من السعف الجيد بجوار الأب أنطونيوس الذي كان يستخدمه في عمل يديه، فطلب حزمةً منه. فقال له أنبا أنطونيوس: "إنه مكتوب: 'لا تشته... شيئًا مما لقريبك'" (خر ٢٠: ١٧). وحالما قال هذا تجعد السعف وتغير لونه وكأنه شويّ على النار، ولما رأى الأب أنطونيوس ذلك قال لأنبا مقار: "ها إن روحي قد ارتاحت عليك وستصير أنت الوارث لفضائلي". عن (فردوس الآباء - بستان الرهبان الموسع -، مرجع سابق، ص ٢٥٩).

### زيارة أنبا مقاريوس لأنبا أنطونيوس

تذكر المخطوطة القبطية والعربية نقلًا عن القديس سريايون زيارة أنبا مقاريوس لأنبا أنطونيوس رغمًا عن اختلاف كثير من الباحثين ونقدهم لصحة هذه الزيارة وعدم حدوثها، ولكن أقوال الآباء تؤكد أنه تمت زيارة ثانية فعلاً وإن كانت بعد الزيارة الأولى بفترة كبيرة (الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص) أما عن الزيارة الثانية فقد قيل: ذهب أنبا مقاريوس يومًا ما ليرى أنبا أنطونيوس، ولما تحدث معه رجع إلى الإسقيط، فجاء الآباء لمقابلته، وأثناء حديثهم قال لهم الشيخ: "لقد قلت لأنبا أنطونيوس إننا ليست عندنا تقدمة (أي مكان لتقديم الذبيحة) في برنتنا" (فردوس الآباء - بستان الرهبان الموسع -، مرجع سابق ص ٢٥٩). والواضح من سرد أحداث الزيارة الأولى، والثانية أن أنبا مقاريوس ذهب لمقابلة أنبا أنطونيوس لهدف شخصي وهو حروب الشياطين التي توالى عليه، أما الزيارة الثانية فكانت تكونت حوله جماعة رهبانية كبيرة استدعت أن يأخذ مشورة أنبا أنطونيوس في بناء كنيسة لهم للتقدم للتناول من الأسرار المقدسة.

### هل حضر القديس مقاريوس تكفين ودفن أنبا أنطونيوس؟

حسب نص المخطوطة القبطية والعربية للقديس سريايون فإنه حضر تلك الأحداث، لكن البعض يؤكد أن للقديس أنطونيوس تلميذ آخر يسمى مقاريوس هو الذي قام بتكفين ودفن القديس أنطونيوس مع سريايون لتلميذه أيضًا، ومن هنا يتضح أنه حدث خلط بين المقارين أنبا مقار الكبير (وهو تلميذ القديس أنطونيوس سواء من ناحية الإرشاد الروحي أو إنه قام بإلباسه الزي الرهباني والإسكيم المقدس، كما إنه أعطاه عصاته علامة توليه مسؤولية التدبير الرهباني من بعده)، لكن هنا كان يقصد مقاريوس تلميذه المقيم معه في الجبل الشرقي، وهذا ما يؤكدّه إيفلين هوايت [إن رواية سريايون معرضة للشك لأنه يقع في خطأ الخلط بين مقاريوس الذي من الإسقيط ومقاريوس الذي من بسير الذي دفن فعلاً أنطوني] إيفلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء العربية، تعريب بولا البراموسي، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، الجزء الأول ص ١٠٦. ويتضح لمن يقرأ الرسالة التي كتبها القديس سريايون لتلميذ أنبا أنطونيوس بعد رسامته أسقفًا على قمي الأمديد إلى تلاميذ أنبا أنطونيوس (مقاريوس، وأمثاس) أنها كتبت في ذكرى نياحة القديس. (فردوس الآباء - بستان الرهبان الموسع -، مرجع سابق، ص ١٠٠).

من الوادي ويسكنوها. وجعل عنده قوم من الإخوة برسم تلاميذ. وفي ذلك الزمان أتاه شابان أخوان من بلاد الروم ليسكننا عنده فقبلهما وثبتهما. وبعد زمان قليل أخذهم الله إليه فقبرهم الأب مقاريوس في المغارة التي عملها وأخبر عنهما أنهما أرضيا الله بأعمالهما جدًا. وأناس كثيرين سكنوا ذلك الموضع حول مغارتهما، أعني الأخوين القديسين، وسموا ذلك الموضع دير الروم وهكذا دُعي إلى اليوم دير برموس حينئذٍ لما نظر الأب مقاره كثرة الجموع ومحبتهم لله، جمعهم إليه ليؤازر بعضهم بعض وبنّا لهم كنيسة حسنة يتقربون فيها. وبدأ خبر هذا القديس يُذاع ويعرفه الملوك لكثرة أعماله والأشفية والبرّوة التي صنعهم الله على يديه.

### حسد الشياطين لخلاص النفوس

فلما أبصر الشياطين تسبحة الله هكذا وعظمة مخافة الله وكثرة النفوس التي تنتفع من هذا القديس لأجل أن يقدمهم قرابين مقبولةً مُحْيية إلهية ويُتِم الخدمة بكل نقاوة وقُدس وبصوت لائق للرب، حنقوا عليه بسُخْط فأحاطوا حوله نصف النهار وهو جالس وحده في قلايته مُمثِلين كسبه الكلاب فألقوه على وجهه وجعلوا ينهشوا لحمه بلا إشفاق، حتى صيروا جسده كبعض الشهداء<sup>٢٩</sup>، حتى جعلوا جسد القديس كأنه جرد بمجاريده حديد. ولم يجعلوا على عظامه سوى العروق. فكان هكذا ثلاثة أيام ولم يوجد أحد يُقلِّبه، لأن الإخوة لم يشعروا به. حينئذٍ قوة الله التي معه أشفته من كل عذابه فجاء إلى الكنيسة قليلاً قليلاً<sup>٣٠</sup>.

### الكارويم يرشده لمكان آخر يسكنه

#### (موضع دير أنبا مقار حاليًا)

فلما برىء أعلن له رجل نوراني قائلاً له هكذا: ”هذا الموضع الرب يُسكنه على يديك. قُمْ الآن وتعال خلفي فأريك موضع آخر تسكنه وتُكْمَلُ سعيك

<sup>٢٩</sup> حتى صار جسده كله أسودًا (ق).

<sup>٣٠</sup> إلا أنه بالكاد استطاع أن يذهب بمشقة إلى الكنيسة في اليوم الثالث (ق).

فيه إلى النهاية“. فمشى أمامه حتى أتى به إلى رأس الجبل عند بحيرة البهلِس، فوق البحيرة الغربية المائية المالحة فقال له الشخص النوراني: ”أَسْكُنْ هُنَا واعمل لك قلايةً به وابني كنيسةً. فإن شعباً كبيراً يجيء إليك إلى هُنَا بعد زمان ويسكنون عنْدك“. فعمل كذلك وسكن ذلك الموضع إلى آخر نسَمته وبعد وفاته سُمي الموضع باسم القديس مقاريوس مُنْذُ ذلك الزمان وإلى آخر الدهور، لأنه فيه أكمل سعيه.

### بئر القديس مقاريوس

وحينئذ لما سكن الموضع أبونا القديس مقاريوس زماناً طويلاً وكانوا الشياطين يُقلقونه ويُزعجوه سرّاً وجهراً. وأقبل كثيرون يسكنون عنده، ففي بعض الأيام حفروا هؤلاء بئراً يكون لهم للشرب. فلما اشتد الحر في نصف النهار ومضوا الإخوة يستريحوا بعد أن عمقوا البئر وبنوا فيها حجارة كثيرة، فبقي القديس بعد انصراف الإخوة يغسل يديه بالماء قبل المضي إلى القلاية فجاءوا إليه الشياطين وألقوه في البئر ونقضوا كُلَّ الحجارة التي بنوها الإخوة وطرحوها عليه وانظر إلى نصف قامته. وإن أحد الأخوة اتفق له سبب مجيء إلى البئر فوجد القديس فلم يستطع أن يُصعده من البئر الذي طمره فيه الشياطين. فلما أبطأ عن المجيء، مضوا إليه الأخوة وجدوه مطموراً بالحجارة والطين وقد انطمر البُنيان الذي عملوه جميعه وضاع تعبهم. فقالوا الأخوة بعضهم لبعض: ”ماذا لحق أينا؟“. وتقدموا إليه وقالوا له: ”يا أبانا القديس، من الذي صنع بك هذا؟“. فتبسم الشيخ قائلاً لهم: ”أغيثوني وأخرجوني من هذه الحفرة“. وهكذا أصعدوه فعرّفهم السبب. فعادوا وحفروا البئر وعمقوه أكثر. وسموا ذلك البئر باسم الأب مقاريوس لأن الشياطين الأشرار طمره فيه. حينئذ حفر الشيخ مع الإخوة أجباب كثيرة ولم يُسمى باسمه واحد منهم إلا هذه فقط. وبعد فإن الله صنع عجائب كثيرة في أشفية كثيرة بماء ذلك البئر.



كل الألسن لا تستطيع أن تنطق بالآيات والعجائب التي أُجريت بواسطتك يا سيدي الأب أبنا مقار.<sup>٣١</sup>

### القديس مقاريوس يصنع المعجزات والعجائب

حينئذ كانوا يحضرون إلى القديس مرضى كثيرين ليس من مصر وحدها بل ومن البلدان البعيدة، وكان يشفيهم مثل كلهم مثل الرسل القديسين، كما سبق وعرفه الأب أنطونيوس العظيم قائلاً: ”إن الأب مقاريوس أعطاه الله نعمة الشفاء“. وكان كل وقت يُوجد حول قلايته أناس مرضى وقوم فيهم الأرواح النجسة، وكان يُخرجهم إذ يرشم عليهم بالزيت باسم يسوع المسيح، الإله الحقيقي، وكان يُبرئ مُجذمين ومفاليح بكلام فاه، لأن قُوة الله كانت معه، ويُطلقهم إلى بلادهم معافيين وهم لله يسبحون. وقد أقام أيضاً موتى ولم يكن شيئاً لم يستطيع القديس مقاريوس يعمل به بالقوة الإلهية وكثرة التواضع الذي كان اقتناها والمحبة الإلهية الساكنة فيه. ففي بعض الأوقات أوتي إليه بإنسان أخرس أطرش فيه أرواح نجسة. وهذا كان يُهلك كل من يلتقيه إذا كان مطلقاً. وإذا كان مغلولاً بالسلاسل والقيود وأربعة أحداث يُمسكوه أقوياء وبهذا كانوا يقدرون على ضبطه حتى أوصلوه إلى الشيخ القديس أبو مقار فقال للذين يمسكوه: ”خلوه“. فأجابوه قائلين: ”يا أبانا، إن طلقناه يُهلك كل من يلقاه من هذا الجمع“. فقال لهم أيضاً ثانياً: ”خلوه، اسمعوا مني، أطلقوه“. فلما حلوا أيديهم منه وكل السلاسل والقيود الذي كان مغلولاً بها في عنقه وبديده ومقيد في رجله وجعل يجري بقوة عظيمة صاعداً إلى الجبل يُرَبِّدُ ويعج، فقال الذين أتوا به للأب مقاريوس: ”يا أبانا القديس، الساعة نهلك كلنا“. فأجابهم الشيخ قائلاً: ”لا تخافوا“، لأن القديس كان يُصلي سراً. فلما مضى ذلك الإنسان يجري إلى الجبل من مكان إلى مكان ويدور اثني وعاد إلى الشيخ، فقال له الشيخ: ”ما اسمك؟“ فأجابه الروح النجس: ”عن نفسي تسأل؟ اسمي لجئون لأننا كثيرون

<sup>٣١</sup> (دوكصولجية أبنا مقار).

من الأرواح النجسة دخلنا فيه“.<sup>٢٢</sup> فقال له الشيخ القديس: ”أخرج باسم يسوع المسيح، السيد إله الكل، من هذا الإنسان ولا ترجع إليه البتة لأن إلهي يأمرُك بهذا“. وللوقت سقط الرجل إلى الأرض وصار مثل الميت. فأخذ الشيخ ماء ونضح على وجهه وصب في أذنيه وسكب في فاه وتركه ينام قليلاً. ودخل وصلى على زيت ودهن به جبهته وصب في أذنيه وفاه وأقامه وقال له: ”انطلق إلى منزلك“. فلما قام سامعاً متكلمًا وقد برىء من جميع أوجاعه فسبح الله كل من حضر، الذي صنع مثل هذه العجائب والقوات المفزعة بيد عبده مقاريوس.

### أنبا مقار يكشف حيل الشياطين

وأيضاً في أحد الليالي بينما القديس كان نائماً، جاء إليه الشياطين ووقفوا عند رأسه قائلين: ”قُم حتى تُصلي“. فلما استيقظ جلس، نظر إليهم ليعرف منْ هُم، أجاب نحوهم قائلاً بعد أن عرفهم: ”انطلقوا إلى الظلمة البرانية، الموضع الذي يخصكم، ذات البكاء وصرير الأسنان“. فأجابوه قائلين: ”قد جددت أنت وافتريت على القديسين. قُم حتى تُصلي“.<sup>٢٣</sup> ففعلوا به ذلك ثلاث مرات فلعنهم حينئذٍ باسم الرب. فتقدموا إليه وجعلوا ينهشوه بحنق عليه والحصير الذي تحته. فصاح القديس قائلاً: ”يا سيدي يسوع المسيح أعني“. وللوقت صاروا كالدخان.

### الكارويم يظهر لأنبا مقار يشده ويشجعه

وكان ذات مرة الأب مقاريوس جالساً وحده فاعتلن له الكارويم وقال له: ”تشجع في جهادك وانتصب بإزاء حروب الشياطين ولا تسترخي وفي كل شيء تصنعه سبح الله. واحذر وتحفظ ولا ترفع أفكارك فيذهب منك كُل تعبك والشفاء الذي تعمله“. فأجابه الأب مقاريوس قائلاً: ”الشياطين يعذبون نفسي وجسمي بالروائح المنتنة، روائح أفكارهم النجسة. ونفسي عندي بتحقيق كامرأة طامث إذ كانت في نجاستها. فلم يستعلي قلبي لأنني أعرفُ في هذه

<sup>٢٢</sup> وسأله الشيخ: ”ما اسمك؟“، أجابه: ”الشیطان هو اسمي“ (ق).

<sup>٢٣</sup> فالشياطين لا يقولون للناس صلوا، وما نحن ثلاثة على مثال الثالوث (ق).

التحارب التي تأتي عليّ أن ليس لي مُعينًا سوى ربي ونعمته هي التي تفعلُ هذه  
الأشفية“.

### أنبا مقار يلتقي بالآباء السواح في البرية الداخلية

كان مرةً خطر به فكر في بعض الأيام وهو جالس في قلايته، إن كان إنسان  
في البرية داخل منه<sup>٣٤</sup>. فمكث يُحاربُ هذا الفكر ثلاثة سنين فقال في قلبه:  
”إنني أقوم وأدخلُ فأنظرُ من داخل مني“. فمضى أربعة أيام فوصل إلى مرج في  
وسطه ماء وحوله صفصاف وحلفاء. وتأمل لينظرُ فعابن رجلين مُجردين  
مُتفخحين الجلود وشعرهُم قد طال وأظفار أيديهم ورجليهم قد صارت كالذي  
للحيوان. فلما شاهدتهما ارتعد فرعًا لأنه ظن أنهما أرواح خبيثة. فلما عايناه وهو  
خائفًا، كلماه باسم الرب قائلين له: ”تأيد ولا تخاف“. وكلمهما وأجاباه:  
”ما حالك؟ ولما جئت إلى هنا؟“. فأجابهما قائلًا: ”إن الشيء الذي طلبته لم  
يُعبده الله عني، الذي جعلني مُستحقًا لنظرُكما المقدس حقًا وبركتكما“. فلما  
دنا منهما لمسهُما لأنه خشي أن يكونا شياطين. فلما عرف أنهما قوم قديسين  
سجد لهما، وسألهُما عن أشياء كثيرة فأجاباه قائلين: ”نحنُ ما سكنا البتة دبر  
البرية جُملةً ولا شاهدنا زيًا مثل ما عليك لكن اتفق أحدنا مع الآخر مُنذُ زمانًا  
طويلاً وأتينَا إلى هذا الموضع. ومُنذُ يوم جئنا إلى هذا المكان لم يلتقينا أحدًا من  
أناس هذا العالم إلا أنت الآن. وكُنَّا حائلين في هذه البرية وننظرُ فيها حيوانات  
مختلفة الأجناس ومرار كُنَّا نعاين سُكان البرية بمعرفة الله وما هربنا من شيء<sup>٣٥</sup>.  
ونحن هكذا مُجردين كما تَرانا الآن، لا نتأذى من الحر ولا يُضرنا الشتاء لأن الله  
هو المدير لنا“. فسألوه عن العالم وسُكانه فأجابهما الأب مقاريوس: ”بمعونة  
الله وصلواتكم الرب يهتم برحمته بجميعهم“. وتبارك مِنْهُما وعادَ إلى قلايته.

<sup>٣٤</sup> فكر في نفسه قائلاً: ”أقوم وأذهب إلى البراري الداخلية وأرى إن كان هناك آخرون في هذه البرية سواي“ (ق).

<sup>٣٥</sup> كما رأينا جمعًا من أهل الجبل، وكنا نقابلهم مرات عديدة إلا أنه بمعونة الله لم بمسنا واحد منهم بأذى (ق).

## أنا مقار يُشفي امرأة من فعل السحر

وأيضاً كان بمدينة بمصر رجلاً مؤمن وكانت له امرأة صالحة خائفة من الله. وكانت حسنة المنظر جداً فأقامت مع زوجها زماناً طويلاً بتقوى الله فحسدهما الشرير فراسلها بإنساناً فاسق كان ساكناً فيه لأنه كان يُكملُ كُل أعماله الشريرة. وإن ذلك الإنسان الشرير التمس من المرأة مِراراً كثيرة أن يزني معها فلم تسمع منه البتة لأنها كانت مُحبةً لله، خائفة منه وظلت على ودها لزوجها كوصية الرسول القائل: ”أيُّها النساء، أحبوا أزواجكم“. وإن ذلك الشرير لما أبصر المرأة المؤمنة لم تُدعن له في شيء فيما التمسها منها، فمضى إلى أقوام سحرة فعرّفهم خبره وقال لهم: ”إن أمكنكم تجعلوني أصلُ بهذه المرأة، أنا أدفعُ لكم فضةً ليست قليلة واجعلوا الشيطان يدخلُ فيها ويطرحها في النار لتهلك نفس هذه المؤمنة مع حسننها ويُعدها من الله“. فأجابوه السحرة وقالوا لذلك الرجل الخبيث: ”نحنُ نعمل فيها خيالات مُطغية مخفية عن عيون الناس أن ينظروها بِشبه فرس وما يُمكننا أن نتحقق أن ننقل شيء من خلائق الله إلى شكلٍ آخر. وإذا أبصرها زوجها شبه فرس، يُعدها من بيته من أجل خجله وبمضي يبيعها“. فعملوا كما قالوا فبغتةً نظروا زوجها وهي مضطجعة شبه فرس ولم تنطق البتة ثلاثة أيام. فقدم لها زوجها خُبراً فلم تأكل وأيضاً عُشباً فلم تذوقه. فصار في حُزن كبير فمضى وعرف القسوس ورؤساء الضيعة. فلما جاءوا وأبصروها، تعجبوا عجباً عظيماً، فأجاب أحد الكهنة قائلاً له: ”إن تقبل مني الذي أشير عليك به، أيها الإنسان، فُمن خذها وامضي إلى عند عمود النور الأب مقاريوس، فإن الرب الساكن فيه يشفيها ويعرفك خبرها“. وإن زوجها سمع منه المشورة، فجعل في رأسها رسناً يقودها به ويؤديها إلى عند عبد الله الأب مقاريوس. فلما عاينوا الأخوة الفرس معه، قالوا: ”ما حالُك وهذه الفرس معك إلى هنا؟“. قال: ”أتيتُ بها إلى قديس الله ليُصلي عليها. لكنني اسألُ محبتكم طالباً أن تعرفوا القديس بخيري. فإن هذه بالحقيقة هي زوجتي ولست أعرف ما الذي دهاها فصارت بُغتةً فرساً“. فعرفوا الشيخ السبب فخرج إلى عندهم. فلما نظره الرجل سقط ساجداً له. فأجاب القديس وقال للإخوة: ”هذه ليست فرساً بل امرأة، ابنة إنسان، أعني هذه المرأة المؤمنة. أنتم الذين



لكم عُيُونُ الدواب فأنتم ما تنظروه لأنكم ترونها شبه فرسًا بخيالات وصنائع خبيثة، صنع بها هذا أقوام سحرة أشرار. أترى الناس شبه فرس؟ لا، لا يُمكن أحدٌ يُبدل خليقة الله إلى شبهٍ آخر“. فتناول القديس ماءً في إناء فخار وصلى عليه ورش منه عليها ورشمها بزيتٍ برسم الصليب المقدس، فللوقت ظهرت كما كانت مُنذُ البدء القديم امرأةً حسنة. فسبح جماعة من حضر هناك الله، بارئ الخليقة، فسقطت ساجدة للقديس تُقبل رجله مُسبحة لله. فقال لها الأب مقاريوس: ”هذه التجربة لم تلحقك إلا أنك مكثتي خمسين يومًا لم تأخذي الأسرار المقدسة الذي هو جسد ودم ربنا يسوع المسيح، ابن الله، وأكلت لحمًا مدة هذه الأيام. فلهذا السبب قوي عليك الشيطان لأنك أحببت اللحم أكثر من القربان، فصار فيك هذه المحنة. والآن فصومي دائمًا إلى المساء وتناولِي الأسرار المقدسة دائمًا ، لا تَفترِين وداومي أمام الله بالصلاة، لئلا يُصيبك أيضًا شيئًا آخر رديًا“. وأمر أن يقدم لها طعامًا تأكله وتقوى لأن كان لها أربعة أيام لم تأكل شيئًا. وعادا إلى بلدهما مسرورين. فلما نظروا الكهنة والشعوب جميع هذا الأمر، سبّحوا الله الساكن في قديسه مقاريوس.

### القديس مقاريوس يعبر النهر على ظهر تمساح

وفي بعض الأيام كان قائمًا يُصلي فناجاه الله قائلاً: ”واحدًا في القرية الفُلانية يخدم ويسبح الله بلا تدمير“. فلما سمع قال لي، أنا ببنوده، أول تلاميذه: ”خُذ شبوقتك (عصاتك) وسر بنا نمضي إلى القرية الفُلانية“. فمضينا إليها فلما وصلنا إلى شاطئ نهر النيل، طلبنا العبور فلم نجد الزورق. فجلسنا ننتظره مدة طويلة فلم يجيء. فقلْتُ أنا: ”يا أبي، صلي ليعيننا الرب فلإنني عالمٌ أن الله يسمع صلاتك“. وللوقت ظهر لنا حيوان كبير يُسمى التمساح، فقال له أبي القديس: ”إن أحب الرب وأمرك، تعبّرنا“. فبادر وصعد من الماء وحملنا إلى البر الآخر. فأجاب القديس وقال لذلك الحيوان: ”اعمل محبة واغطس في الماء قليلًا قليلًا إلى أن يُعطيك الرب أجرتك“. وللوقت غطس رأسه في الماء ورفعها وفي فاه سمكةٌ بيضاء كبيرة وسمينة. فمضينا إلى تلك القرية فلما وصلنا إلى قُربها وجدنا فلاحين كثيرين يعملون في دار رئيس القرية. وإن

الشيخ مقاريوس أتى وجلس قبالة الدار ناظرًا إلى واحدًا واحدًا من أولئك الإخوة. فلما خرج ذلك الذي عَزَّمَهُ الله عنه، أبصر النعمة الحالية به وصبره، فقام وَقَبَلَهُ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ وانفرد به ناحية وخاطبه قائلاً: ”كيف تخدم هذا الرجل؟“. فأجاب وقال: ”أنا أخدم رئيس هذا العالم والملك السمائي ربي يسوع يُعْطِينِي أُجْرَتِي. فلماذا يستخدمُني طُولُ الزَّمان“. فقال له الأب مقاريوس: ”من أين لك هذا اليقين؟“. فأجابه قائلاً: ”من فم الله القائل: ”أحضروا الفعلة، أعطوهم أجرهم“. فلما سمع القديس هذا منه، قبله ووعظه ورشم عليه رشم الصليب المحيي وعُدنا لوقتنا والقديس يبكي بُكَاءً مُرًّا طَوِيلًا الطَّرِيقَ قائلاً: ”ويلك، يا مقاره، الذي ليس لك نفس يقين مثل هذا الرجل، الأخ العالمي. إن قد خشيت وأرضت أعمالك الرب وإنه يُعْطِيكَ أُجْرَتَكَ من أجلها. فلما وصلنا إلى النهر لم نصادف تلك المعدية فصلى قليلاً وقال: ”اجلس يا ولدي، إلى أن يُعِينَنَا اللهُ“. ففي الطريق نمت واستيقظت فوجدت نفسي أنا والأب واقفين جميعاً قُدام باب المغارة فقلْتُ له: ”كيف وصلنا لهذا الأمر بُعْتَةً؟“. فأجابني قائلاً: ”سبح الله، يا ولدي واشكره. فهو أرسل النبي الذي خطف حبقوق النبي من أرض اليهودية إلى بابل، إلى دانيال النبي في طرفة عينٍ وأعادته إلى الحصادين أيضاً، هو الذي جابنا إلى هاهنا“.

### أنبا مقار يسأل شخص ميت عن مكان وديعة

خرج بعض الأيام الأب مقاريوس إلى الحصاد هو وثلاث مائة أخ<sup>٣٦</sup> وإن امرأة كانت تَلْقُطُ خلفهم وتبكي بُكَاءً مُرًّا. فحزن من أجلها القديس مقاريوس لأنه كان رحوماً جَدًّا. فاستدعى صاحب الحقل وقال له: ”ما سبب بُكَاءِ هذه المرأة؟“. فأجابه قائلاً له: ”هذه المرأة أودع زوجها إنساناً كيس فيه دراهم لأنه كان إنسان ثقة. فمات فجأةً بغير وصية. والآن صاحب المال يُريدُ يأخذ أولادها يبيعهم من أجل ماله“. فقال له القديس: ”إذا جئنا نستريح اليوم صوت إليها فتحيءُ إلينا فثَرِينَا قبر زوجها ونفحصُ عن هذا الأمر“. فلما رفعوا

<sup>٣٦</sup> قال أبأ شيشوي: ”لما كنْتُ في الأسقيط مع الأب مكاروريوس، صعد سبعة منا إلى الحصاد“. (فردوس الآباء - بستان الرهبان

الموسع -، مرجع سابق، ص ٢٧٥).

الحصادين جاءت الامراة ومضت بالقدّيس إلى قبر زوجها وجاء معه جماعة الأخوة وكل أهل الضيعة. فصلى القدّيس مقاريوس فوق القبر وقال: ”يا فلان، أنا أسألك أن تُعرفنا أين رفعت الوديعة التي أودعتها لأنه من أجلها أولادك يُبتاعون“. فأجاب الميت من القبر قائلاً: ”تلك الوديعة مُخبأة تحت رجل السرير الذي كُنْتُ اضطجع عليه“. فقال له القدّيس: ”ارْقُدْ مُنْذُ الْآنِ واستريح إلى أن يأتي ربنا يسوع المسيح، الإله الحقيقي، فيُقيمنا جميعاً“. فمضت المرأة والأب مقاريوس إلى بيتها وجماعة الأخوة معه. فوجدوا الوديعة في موضعها فدفعوها إلى صاحبها وخلّصت المرأة وأولادها من العبودية. فسبحوا الجُمُوع كُلّهم الله وباركوه.

### نير المسيح هين، ومتع الشيطان ثقل على القلب

وفي بعض الأيام كان هذا القدّيس يمشي في مصر ومعه إخوة يتبعونه. فنظر صبي يقودُ عجوز عمياء، وهي أمه، يطلبون صدقة. فسمعوا الصبي يقول لأمه: ”إسكندريةُ المبنية بالحجارة سقطت عليّ ولم أُمْتَ ومظلةُ قصبٍ حقيرةٌ سقطت عليّ فُمْتُ“. فلما سمع الشيخ وقف متعجباً فسجد الأخوة له طالبين منه تفسير هذا الكلام، فأجابهم قائلاً: ”الحجارة تُشبه سيدنا يسوع المسيح، الحجر الذي رذله البناءون الذي صار رأس الزاوية. والمظلة القصب تُشبه الشيطان، حين سقط علينا ربنا يسوع المسيح، الذي هو الصخرة، بأوجاع مختلفة وبحسرات وهُزءٍ وافتراء من الناس الأشرار فَصَبَرْنَا عليها فصارت حياةً لِنُفُوسِنَا وحرسنا وعتقنا من الأذناس المبتنة برحمته وأدخلنا إلى ملكوته. فأما الشرير عدُوْنَا لما سقط علينا بشروره، أهلكنا بالخطية التي أمتتنا وقادتنا إلى الجحيم وسقطنا فيه. فإذا لم نرجع بالتوبة الحقيقية فنحنُ نهلكُ“. فلما سمعوا الإخوة هذه المقالة قالوا: ”حقاً يا أبانا هكذا هو الأمرُ“.

وأنا أشبه وجه الأسد بأبينا أنبا مقار.. لأنه صار أسداً قوياً ضد الأرواح النجسة<sup>٣٧</sup>

<sup>٣٧</sup> ذكولوجية القدّيس أنبا مقار.

وفي بعض الأيام خطر بباله أن يسكن بترنوط<sup>٣٨</sup> القرية. فمضى وسكن فيها ثلاثة سنين في ناووس<sup>٣٩</sup> مقابر وكان فيه أجساد موتى من الحُفَّاء الأولين. فبعد ثلاثة سنين عَزَمَ على العودة إلى البرية وأخذ مخلاته وأراد أن يخرج. بُغْتَةً قام ميتٌ وسد باب المغارة بجسده وخاطبه قائلاً: ”ما أجعلك تمضي من عندنا“. فقال له القديس: ”ولم ذلك؟“. فقال له الحنيفي: ”لأن من أجلك تحن الله علينا منذُ وقت سكنت معنا في هذه الثلاثة سنين خرجنا من عذاب الجحيم الذي كُنَّا فيه“. وبعد ذلك جاء صوتاً إلى ذلك الميت قائلاً: ”أجعل القديس يمضي إلى موضعه فولولا وجدت فيك فضيلة واحدة لما كُنْتُ أهتمته إلى أن يجيء يسكنُ عندك ثلاثة سنين“. وللولقت سقط ذلك الجسد عند الباب وخرج القديس مقاريوس ومضى إلى البرية.

أنبا مقار يسأل الله عن من مثله في السماء؟.

طلب أبونا القديس أن يُعرفه الله لمن يُضاهي في سيرته، فجاءه صوت من السماء قائلاً: ”تُضاهي امرأتين هُما في المدينة الفلانية“<sup>٤٠</sup>. فلما سمع هذا، تناول شبقته (عصاته) ومخلاته ومضى إلى المدينة. فلما تقصى عنهُما وصادف منزلهُما فقرع الباب، خرجت واحدة وفتحت له الباب. فلما نظرت الشيخ أَلَقَتْ ذاتها على الأرض ساجدةً له ولم تعلم من هو، لأنهما رأوا أزواجهما كانا يُحِبَّان الغرباء. فلما عرفت الأخرى أَلَقَتْ ابنها على الأرض وجاءت فسجدت له وقدمت له ماء ليغسل رجليه وقدمت إليه مائدة. فأجاب القديس قائلاً لهم: ”ما أدعكما تغسلان رجليَّ بماء ولا أَكُلُ لكما خبزاً إلا بعد أن تكشفَا لي تدبيركما مع الله كيف هو، لأنني مُرسل من الله إليكما“. فقالتا له: ”من أنت، يا أبانا؟“. فقال لهم: ”أنا مقاره الساكن في بركة الإسقيط“. فلما سمعتا ارتعدتا وسقطتا على وجوههما أمامه باكيتين. فأخضعهما فقلتا له: ”أي عمل تطلبُ منا نحن الطمئتين، أيها القديس؟“. فقال لهما: ”من أجل الله تعبت وجئت

<sup>٣٨</sup> الطرانة حالياً بمحافظة البحيرة، وكانت إيبارشية كبيرة في القرون الأولى للمسيحية.

<sup>٣٩</sup> ναός كلمة يونانية تعني معبد أو هيكل.

<sup>٤٠</sup> يُقال إنها الإسكندرية.



إليكما. لا تكتُما عني منفعة لنفسي“. فأجابتا قائلتين: ”نحنُ في الجنس غريبتين أحَدُنا من الأخرى، فتزوجنا أخوين جسدانيين وقارنناهما على شبه الزواج وقد طلبنا منهما أن نمضي نسكن في دير الراهبات ونخدم الله بالصلاة والصوم فلم يسمحا لنا بهذا الأمر. فجعلنا على نفوسنا حدًّا أن تكون أحَدُنا مع الأخرى بكمال محبة إلهية ورسولية. ونحن حافظين أنفسنا بصوم دائم إلى المساء وصلاة لا تنقطع. وقد ولدت كُلُّ واحدةٍ منا ولد ذكر فمتى نظرت كُلُّ واحدةٍ منا ابن أختها يبكي فتأخذه وترضعه كأنه ابنُها. هكذا نعملُ جميعًا. ورجالنا رُعاةٌ غنمٍ، يأتیان من المساء إلى المساء إلينا كُل يوم فنقبلهما مثل يعقوب ويوحنا ابن زبدي إخوة قديسين. ونحن بائستان مسكيتان وهما للصدقة الدائمة ولرحمة الغرباء، ولم يُطلق أن يخرج من فم الواحدة منا كلمةٌ عالمية البتة، بل خطابُنا وفعلُنا مثل قاطني جبال البرية“. فلما سمع هذا منهما، خرج من عندهما وهو يقرع صدره ويلطم وجهه قائلاً: ”ويلي ويلي ولا مثل هاتين الامرتين العالميتين لي محبةٌ لقريبي“. فانتفع به كثير.

### أنبا مقار ينাম في مقبرة للوثنيين

وفي بعض الأوقات مضى إلى أبرونوطس<sup>٤١</sup> الأب مقاريوس فوصل الموضع ليلاً. ولم يؤثر أن يدخل إلى أحدٍ من العلمانيين فينام عنده. فمضى إلى مقبرة الخنفاء في ناووس وأخذ جسمًا من الموضوعة هناك وتركه تحت رأسه<sup>٤٢</sup>. فتعجبت الشياطين الذين رأوه من قوة نفسه وشجاعته وعظم قلبه. لأن اتكاله لا على نفسه، بل اتكاله على سيده كان؛ فلم يخف. فبدأت الشياطين يصوتون بأسماء شبه الناس قائلين بعضهم لبعض: ”هَلُم بنا، نمضي إلى الحمام“. فأجاب ذلك الذي كان نائمًا عليه قائلاً: ”ما أجيءُ معكم الحمام“. فأجابوه: ”ولم ذلك“. قال: ”لأن فوقي إنسان غريب“. فأجاب القديس مقاريوس وقال: ”نعم، قُم وامضي إلى الجحيم والظلمة البرانية“. فلما سمعوا الشياطين،

<sup>٤١</sup> الأسم اليوناني τεσευοῦθιν (الطارنة حاليًا من أعمال محافظة البحيرة).

<sup>٤٢</sup> كانت الأجساد قديمًا تُكفن بلف طبقات كثيرة من القماش عليها فلهذا وجدها القديس تصلح كوسادة.

صاحوا بأصوات قائلين: ”ويلنا، غلبنا منك. يا لهذا الغضب!“ وانصرفوا وتركوه.

## لقاء أنبا موسى الأسود بالقديس أنبا مقار الكبير

اجتمع بعض الأوقات سبعة من الشيوخ القديسين ليمضوا إلى قلاية القديس مقاريوس. فلما جاءوا وجازوا على قلاية الآباء الروم وعبروا على قلاية موسى الأسود، سألهم الأب موسى: ”إلى أين أنتم ماضين؟“. فأجابوه: ”إلى عند الأب مقاريوس نتبارك منه“. فقال لهم: ”وأنا قد صار لي هذا الفكر“. فخرج الأب من قلايته. وكان الوقت قد قرب المساء وكانت الغيوم والهواء كثير جدًّا. فلما ساروا قليلاً لم يعرفوا إلى أين يمضوا فصلوا كلهم وقالوا: ”أيُّها الروح البارقليط، الساكن في قديسه الأب مقاريوس، أضيء لنا وقوم مسيرنا إليه ونجتمع بعبدك مقاره“. فللوقت أضاء لهم عمود نارٍ نُورُهُ مُتَّصِلٌ بقلاية الأب مقاره فأرشدهم. فلما وصلوا إلى القلاية، رأوا في داخلها ضوءاً أكثر من ضوء الشمس فدخلوا إلى عنده وسجدوا عند رجليه. فبعد أن صلوا وبارك عليهم، أمرهم بالجلوس وأقبل يُخاطبهم بنبوة ويقول: ”يا إخوتي، واحد منكم هو عتيد أن ينال إكليل الشهادة ويهرق دمه في هذه البرية“. فأجاب موسى وقال: ”لعلي أنا هو، يا سيدي، لتكمل عليّ كلمة الرب القائل: كُلُّ مَنْ يَقْتُلُ بالسيفِ، بالسيفِ يُقْتَلُ“. وبعد هذا صلى عليهم ومضى كُلُّ واحدٍ منهم إلى قلايته.

## القديس أنبا مقار يدحض البدع ويقيم الموتى

### أنبا أوغريس يسأل أنبا مقار الكبير

(السلام للعظيم أنبا مقار مصباح الرهبنة الذي صار منارة ذهبية تُضيء أكثر من الشمس)<sup>٤٣</sup>.

وحدثنا القديس أنبا وغري<sup>٤٤</sup>: ”إنني مضيت إلى عند الأب مقاريوس فسألته عن الأفكار التي تُقاتلني بها الشياطين ويضطهدوني“. فأجابني الشيخ قائلاً: ”لو لم يثقل عليّ أمرك لما كنتُ أفتح لك الباب“. ولما قال هذا، أضاء وجهه أكثر من ضوء الشمس. ولما لم أستطيع أنظر إليه، سقطت على وجهي. فبعد قليل بسط يده وأهضني وقال لي: ”أما سمعت ربنا يقول في الإنجيل: قد أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قُوات العدو؟“.

### أنبا مقار يهاجم البدع والهرطقات

وكان بعض الرهبان ساكنًا في أحد القرى غربي الموضع المعروف بباططس. هذا كان قد قوّم فضائل كثيرة ولكنه لم يكن يمضي إلى آخرين الذين هم قبله مجربين بأنواع الجهاد في الإسكيم فيتبارك منهم ويأخذ مشورتهم ورأيهم. فاستولى عليه قبل كلّ شيء فكر الكبرياء ليُعرفه الأخبار. وبعد قليل سكنه فكر قلة الأمانة والتجديف. ولئلا يُطيل المقال، دخله شيطانُ المخالفين المدعوين الزنادقة، القائلين: ”ليس ثمّ قيامة“. ورافضين المأكل. وبعد هذه الأمور كلّها طرح عنه جميع المؤمنين. وكان يرذل أمر التزويج الطاهر الذي أمر الله به. وصار معه تابعًا لتعليمه أكثر من خمسمائة رجل أتقياء عزلهم من نساءهم. وكان الأسقف يعظهم بكلام كثير ولم يسمعوا منه. فقال للأسقف قوّم من الإكليروس: ”ما تجد إنسان تستعين به على هذا الأمر إلا القديس أبو مقار“. فقبل مشورتهم ومضى إلى جبل شيهات ماشيًا على قدميه من حزن قلبه على

<sup>٤٣</sup> ذكصولوجية. أنبا مقار الكبير.

<sup>٤٤</sup> القديس أنبا أوغريس.

رعيته. فبلغ إلى قلاية القديس فخر ساجدًا له باكيًا. ولما صلى وجلس، عرفه الأمر جميعه. فقال له الأب مقاره: "أنا راهب مسكين حقير، ماذا يُمكنني أصنع لك؟ هذا الإنسان المخدوع قبل إليه بجهله أرواحًا كثيرة شريرة مُطغية وهو يعلم بطغيانه، ونحن ما قبلنا من آبائنا أن نُقاتل مثل هذه الأرواح المطغية". فأجاب الأسقف وهو ييكي وقال له: "بحق الذي بذل ذاته للموت والآلام من أجلنا كُلنا حتى خلصنا من عبودية الشيطان المهلك، أما بذلت أنت نفسك من أجل ضعفي؟ لأن عن قليل تهلك ريعتي وتبلغُ إلى حد الفساد، وأنا أخاف من الراعي العظيم، المسيح ملكي القائل: 'إني أطلبُ دَمَ خرافِي من أيديكم'". فلما نظر أبو مقار طلبة الأسقف ومخافته من الله، وكان اسم ذلك الأسقف إسحق، فمضي معه.

### أنبا مقار يقيم ميتًا للقضاء على بدعة

فلما وصلا إلى ذلك المخالف المبلبل، سلم عليه القديس أبو مقار وسأله عن حاله فأجابه: "نحن بخير". فقال له القديس مقاره: "كثيرون قد جاءوا من بعيد إلينا وتشاورنا مع بعضنا البعض<sup>١٥</sup> ونحن طالبون من الله أن يُصلح ذاتنا. وأنت قريب منا، ما جئت إلى عند مسكنتنا فنعرف أمرك". فأجابه ذلك المخدوع وقال: "من أجل أماتكم ما أجيء إلى عندكم". فقال له القديس مقاره: "وماذا رأيت في أمانتنا؟". فأجابه ذلك المطغي: "أنتم تقولون إن بعد الموت، أعني بموت هذا الجسد ويلى، يقوم دفعة أخرى سالما صحيحًا". فأجاب القديس: "إن كُنّا من ذات أنفسنا قُلْنَا هذا، فلك أن تقاومنا، بل ربُّ المجد والجلال أعلمنا في إنجيله المقدس في مواضع كثيرة أنه ستكون قيامة الموتى. وأكثر ذلك مما يُوضّح الأمر إقامة لعازر الميت بعد أربعة أيام من القبر وعاش بعد ذلك ما يقرب من عشرين سنة. وإحياء ابن الأرملة التي من نايين وابنة يايُرس. فهذه الأشياء كُلها عرفتنا القيامة وحياة الأموات. والرب نفسه، إله الكل، أَرانا القيامة المحيية لما قام من الأموات بعد ثلاثة أيام وصار بكر الأموات، كما شهد بذلك بولس الرسول. وقال أيضًا: «إن كان الموتى لا

<sup>١٥</sup> وتشاوروا معنا بعضنا مع بعض. (حسب نص المخطوطة العربي).

يقومون فلنأكل ونشرب لأن غدًا نموت»<sup>٤٦</sup> وقال أيضًا لأغريبا<sup>٤٧</sup> الملك: ”أنا واقفًا أمامكم أذان عن قيامة الموت“. <sup>٤٨</sup> وشاهد كثيرة قالها له الأب مقاره من الكتب ووعظه لكي ما يرجع. فأجاب المخدوع وقال للأب مقاريوس: ”لست أصدق البتة ولا كلمة واحدة من هؤلاء الأقوال. أنا أكرز بالأمانة التي لي على رأس الشعب؛ وأنتم أيضًا اكرزوا بالتي لكم ونعرف أيما هي الصحيحة“. أجابه القديس: ”أما أنت فيألي الأبد لا تركز بالأمانة التي لك ولو كرزت بقيامة الموتى لأنه مكتوب أن أمانة طاغي لا تُقبل البتة لأننا نحن أولاً نكرز بقيامة الموتى من نص أمانتنا التي تقلدناها من الآباء القديسين المجتمعين ببنقية“. وأمر الأب الأسقف أن يقولها. فأجاب الأسقف وقال هكذا: ”نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل“ وباقي الأمانة. فلما سمع هذا المخدوع تلك الألفاظ أخيرًا قال: ”أنا لست أعرف ولا أؤمن بهذه الأشياء إذ لم تُقيموا لي واحدًا من الأموات يُكلمني شفاهًا وألمسه أنا بيدي. وبعد ذلك اتبع رأيكم. وإذ لم تستطيعوا هذا أنا أقيم لكم من القبور نفسًا بلا جسد وتُبصرونها بأجمعكم وتتيقنون أن الأجساد لا تقوم“. فلما سمع الأب مقاره هذا حزن جدًا على هلاك ذلك الإنسان الطاغي وعلى كُل من أضلهم. وقال القديس: ”إن هذا حزنٌ عظيم من أجل نفس واحدة تُخدعت، تُجرب الرب إلهنا أن يقيم لنا ميتًا“. فأجاب الأسقف قائلاً وهو ييكي بمرارة: ”ليس من أجل هذا فقط، بل ومن أجل سكان مصر جميعهم إن أهملت هذا الطاغي فهو يضل العالم أجمع“. فقال له الأب مقاره: ”إن النفس التي قال إنه يُقيمها من القبر، إنما هو الشيطان الذي يخدمه يتمثل بصورة نفس. فإن كان هكذا أطغى جميع الناس“. وكان هناك ناووس للحنفاء فقال ذلك المتمرد للقديس مقاره: ”بماذا نوافقكم يا ضاليين؟“. فرجزه وأسكته بالروح القدس قائلاً: ”اصمت، يا روح الضلالة. الرب يبطل جسارتك وصنائعك الباطلة من البشر ومن كل الكنيسة المقدسة“. وأمر الأب مقاره أن يُفتح باب ذلك الناووس وقال مقاريوس للأسقف

<sup>٤٦</sup> (أكو ١: ٣٢).

<sup>٤٧</sup> أغريباس الملك.

<sup>٤٨</sup> (أع ٢٦: ٦-٩).



والإكليروس بتواضع عظيم ولكل الشعب الواقف: ”أيها الأب الحقيقي وكل الآباء الكهنة والشعب، أطلبوا يا إخوتي، في هذه الساعة بقلوبٍ مُنْسَحَقَةٍ ودموعٍ وتوجعوا معي لكيما يعمل الله معنا محبته للبشر“. وسجد القديس سجدةً على الأرض وبكى بُكاءً مُرًّا مقدار ساعتين وهو مبتهل كمثل ولد يسأل أباه أن يهب له مسألته. وبعد ساعتين قام وقال: ”بقوة ربنا يسوع المسيح، الإله الحقيقي، الذي أقام لعازر من القبر بعد أربعة أيام، الآن هو يقيمك أيها الميت الراقد هاهنا مُنْذُ سنين كثيرة ليعلم هؤلاء المخدوعين ويصدقوا قيامة الأموات“. فللوقت قام الميت ووقف على قدميه غُريَانًا يُشْبِه جسد صبيًّا قد خرج من أحشاء أمه. فلما شاهدته الجموع الوقوف هناك صرخوا بأصوات عالية قائلين: ”مبارك الرب إله أبينا القديس الأب مقاره ولتدم أمانته لدهر الدهرين وليهلك هذا الطاغى“. وأرادوا أن يقتلوا ذلك الشقي فلم يطلق لهم ذلك الأب مقاره، بل وعظه وأقامه إلى جانبه.

### حوار بين أنبا مقار والميت الذي أقامه

وصاح بعد ذلك بالميت الذي أقامه الله بصلواته وألبسه ثيابًا وسأله قدام جميع الناس: ”كم لك من السنين؟ ومن أي ملةٍ أنت؟“. فأجابه ذلك الميت الذي قام بسماع عظيم وقال قدام كل ذلك الجمع: ”أنا مُنْذُ أزمنة طويلة، مُنْذُ عهد أطياخوس، الملك الساجد للأصنام، وأناس<sup>٤٩</sup> الساجدين للأصنام كُنتُ“. فقال له القديس: ”كم تقول لهذا الأمر من السنين“. فقال: ”إن تاريخ الوقت الذي أقول عنها إن لي ألف سنةٍ مُنْذُ مُت“. فقال لي القديس: ”فما سمعت، إذ كُنت في العالم، بالإله الحق الخالق، خالق السماء والأرض وكل ما فيها؟“. فأجاب قائلًا: ”كُنت أسمع قومًا يقولون: وجدنا كتابًا أنه ستكون عذراء تحبل وتلد ابنًا بلا زرع ويدعى اسمه عمانوئيل، الذي هو الله، إله الكل وليس إله غيره. فلما مُت رأيت هذا الإله دفعتين: الدفعة الأولى لما قام من الأموات لأنه تعاهد النفوس الذين في الجحيم والذين وجدهم مؤمنين به أنه الإله أصعدهم من العذاب وأدخلهم راحته. ونحن، الذين كنا نسجد للأصنام، تركنا في العذاب

<sup>٤٩</sup> ومن الناس.

الذي كُنّا فيه في الجحيم. واليوم رأيته دفعة ثانية وقد جاء فوقف على الجحيم الذي كُنّا فيه وهو بلباس بهي جدًّا وعلى رأسه تاج ملك منصوب وفيه صليب بمجدٍ ساطع النور يلمع بضوء عظيم، فصرخ يا لعازر خليلي خذ هذه النفس وأوصلها إلى مقاره عبدي. فهوذا هو واقف قُدّامي وردّها إلى جسدها. فقمت أنا للوقت“. فلما سمعت الجموع هذا جميعه، وقعوا أمام رجلي أينا القديس وسجدوا له. وإنه بعظم اتضاعه لم يجب مجد هذا العالم فبكى بُكاءً كثيرًا. وعند بُكائه خرج ذلك الشيطان من الذي اسمه راقا وأبصره جميع الشعوب بشبه صبي أسود خارجًا. فأخذ الأب مقاره ذلك المطعني راقا والذي أقامه من الأموات وأتى بهما إلى الجبل المقدس إلى قلايته ووعظهما. فأما راقا فإنه صار كمثل حروف، قام في مخافة الله وأرضى وتوّفى. وأما ذلك الذي أقامه من الأموات، فإنه أقام يعظه ثلاث سنين من الكتب المقدسة العتيقة والجديدة، ثم عمده وألبسه إسكيم الرهبنة. وعاش ثلاثة سنين لقيامته من الموتى وأرسلهما اثنيهما قدامه إلى الله قُربانًا مقبولًا .

### سؤال أنبا مقار عن السُّبح الباطل

وإن أبونا القديس بعد نياحتهما الاثني جاء إليه الأب الأسقف إسحق، أسقف مدينة أوسيم وتبارك منه وسأله باستبشار قائلاً: ”يا أبا القديس وسيدي، أنا أطلب منك أن تُعرفني إن كان خطر ببالك محبة سُبح الباطل حيث أقيمت ذلك الميْت حيًّا وسجد الشعب كُلّه على الأرض لقدسك“. فأجابه القديس قائلاً: ”صدقني، إنني كُنْتُ في ذلك الوقت كمن هو واقف على شفرة الموسى الحادة جدًّا. ومن فرط فرعي كدْتُ أن أسقط فينقطع جسدي. وصدقني، إن كُل من يقبل في نفسه السُّبح الباطل، الذي من الناس ولهذا العالم الزائل، فذلك بعد ما أبصر الله ولا عرفه لأن عينيّ قلبه قد تغطى بظلمة طغيان هذا العالم؛ وكل من يطلب في قلبه أن يمدح من الناس فذاك بعد ما صار عبدًا لله، بل هو عبد للشرير الساكن فيه“. فلما سمع الأسقف هذا، قال بصوت عظيم: ”هذا هو القديس المنتصب كُلّه في مخافة الله وليس فيه شيء واحد حي من هذا العالم إلا ربنا يسوع المسيح، إلهنا الحقيقي وهو الحي

فيه وحده“. فلما سمع، انتفع الأسقف أنبا إسحق كثيرًا من الأب القديس المغبوط مقاره. ثم عاد إلى كرسيه ورعيته وهو يمجّد الله وقديسه على العجائب الجارية على يدي هذا الأب القديس أبونا أبو مقار. صلاتهم الجميع تُعْضد ضعفنا إلى النفس الأخير. آمين.

### أنبا مقار في بيت المرضى

(أقامت الموتى أخرجت الشياطين شفيت المرضى بأنواع كثيرة باسم الرب)°.

وفي ذلك الزمان عبر القديس مقاريوس ببيت المرضى الذي كانوا عنده لأن كثيرين كانوا يأتون إليه من سائر البلدان ويطرحون نفوسهم في بيت ضيافة الغرباء عنده. وكل يوم كان يُبرئ منهم واحدًا يُصلي على زيت ويدهنه. ورتب بعض الأخوة كان اسمه يوحنا، على ذلك البيت ليقوم بخدمة الضعفاء وكان أقوامًا مؤمنين يُعطونه فضة للنفقة عليهم. وإن ذلك الأخ قبل إليه فكر محبة الفضة من الشيطان وكان يُخبئ من الفضة ولا يُنفقها على المرضى. فأبصر الأب مقاريوس بعيني الروح كل شيء كان يعمل فاهمله زمانًا وبعد مدة استحضره وقال له: ”يا يوحنا الخدم، قد استولى عليك الشيطان قليلاً بمحبة الفضة“. وانتهره ووعظه أن يطرد عن فكره القتال. فسمع ورفض كلام مُعلمه القديس وجمع فضةً كثير جدًا. وبعد وفاة أبونا القديس بخمسة عشر سنة، جلب الله عليه وجعًا عظيمًا، المسمى الجذام، حتى لم يُوجد في جسمه موضعًا صحيحًا ولا مثل مغرز إبرٍ وهكذا توفى.

### أنبا مقار يُفسر للرهبان سبب بُكاء النعجة

مضى الأب مقاريوس في بعض الأوقات مع الإخوة إلى مصر، فجازوا على جبل ليلًا وكان مملوءً غنمًا. فأبصر نعجةً واحدة قد خرجت من القطيع إلى خارج وولدت خروفاً. فجاء ذئب بعد قليل فوجدها خارج المراح فخطف ابنها. ونظر الشيخ انها تبكي وتصيح قائلة هكذا: ”لو لم أفرق نفسي من رفيقي

°° (ذكصولوجية أنبا مقار الكبير).

وخرجت من القطيع، ما كان الذئب وجدني وأكل ولدي“. فلما سمع أبو مقار هذا، وقف متعجباً فقال له الإخوة: ”يا أبانا، ماذا تُبصر من هذه النجعة؟“. فأخبرهم بأمرها فقال له الإخوة: ”ما تفسر هذا الأمر، يا أبونا؟“. فقال لهم: ”سيجيء زماناً تجتمع فيه الرهبان ويسكنون جماعات جماعات فمن يُريد يفرق نفسه من تلك الجموع ويبقى وحده، يُوافق ذلك الشياطين الذين هم ذئاب شريرة فيخطفون عقله المولود معه وتهلك خدمته التي في الله“. فلما سمع الإخوة ذلك منه، سجدوا له وسبحوا الله لأن الروح القدس البارقليط كشف للقديس الأشياء العتيدة التي تكون في الأزمان الأخيرة.

### أبنا مقار يكشف شيطان محبة النصيب الأكبر

مضى أبونا أبو مقار إلى الوادي دفعة ليجمع سعف. فلما جمع حاجته، وقف عليه الشيطان في زي راهب لابس إسكيم وقال له: ”هب لي جزءاً من هذا الخوص الذي جمعته“. فقال له الشيخ: ”خُذ ما أحببت“. فأجابه الشيطان: ”أريد نصفه“. فقسم الخوص جزأين وجعل جزءاً صغيراً وجزءاً كبيراً فقال الشيخ للشيطان: ”خُذ ما شئت“. فقال له الشيطان: ”أنت الذي تعبت، خُذ ما أحببت“. فمد القديس يده وأخذ الجزء الأصغر. فللوقت لم يصبر الشيطان على تواضع الشيخ لكنه ابتدل إلى صورة الغاموريين وصار سناطاً وشبك يديه على رأسه وجعل يصيح ويقول: ”الغوث منك يا مقاره، الغوث منك؛ غلبتنا بكثرة تواضعك وما قدرت أن يكون لي فيك ولا نصيب واحد، لأن كثيرين قد أطغيتهم وكثيرين كسلتهم وأرختهم بفخاخهم وأعمالهم الطمثة وجعلت لهم معي حظاً في الجحيم“. فقال له القديس مقاريوس: ”ومن أنت“. فأجابه الشيطان: ”أنا شيطان محبة الجزء الأكبر بالأعمال الطمثة العادمة القنّع“. فقال له القديس: ”الرب يهلك أفعالك“. فللوقت صار دخاناً وغاب عنه. وكان الأب مقاريوس بعض الأوقات، بينما هو يمشي في البرية، أبصر شياطين بشبه صبيين أحدهما يخطئ مع الآخر. وكتب الله عنه الأمر أنهما شياطين. فلما شاهدهما، رفع عينيه إلى السماء وبدأ يدق صدره ويكي ولم ييكتهما ولا قال لهما شيئاً، بل كان يكي ويقول: ”هو ذا خالقهما يُعانيهما

ويرى أمرهما ظاهرًا وباطنًا “ . وحزن القديس من أجلهما بالأكثر . فأتاه صوتًا من السماء قائلاً له : ” مغبوط أنت يا مقاره ، لأنك صرت إلهًا على الأرض لتشهد خطايا الناس ولا تدينهم “ . فللوقت انصرف أولئك الشياطين ولم يُنظروا بعد .



## الشيخوخة المستنيرة

### الشياطين لا تكف عن محاربة القديس

فلما بلغ أبو مقار إلى الشيخوخة الكبيرة، ضعُف جسمه. فأما نفسه فكانت قوية بالرب، متجددة كُل يوم في محبة الله. مضى القديس بعض الأيام إلى غابة البهلس فاجتمع عليه الشياطين. وكان بيده عدة يقطع بها الجريد من النخل مع الإخوة. فاحتلى به الشياطين ليضربوه بتلك السكين ويقتلوه لأجل حنقهم عليه وغضبهم. فجعل الأب مقاره يقول لهم: ”إن كُنْتُمْ قد أخذتم علي سلطان تضربوني، فمشيئة ربي يسوع المسيح تتم فيّ؛ وإلا فانصرفوا أنتم إلى الظلمة البرانية“. فلساعتهم صرخوا بأصوات عالية: ”الغوث منك يا مقاره، لقد صارت كُل أعمالنا وأفعالنا فيك كُلها باطلة ولا نجد فيك ولا منفعة واحدة“. فأجابه القديس قائلاً: ”لست بقوتي أعمل هذا، بل بالقوة الساكنة فيّ“. فانطلقوا وغابوا عنه. ومن ذلك اليوم بدأ الرب أن يُنيحه ويرجحه من قتال الشياطين وصار في نياح وطية قلب ولم تُعد الأحزان تُقلقه ولا يوماً واحداً إلى حين خروجه من هذا العالم. بل كان يتفكر ويتوقع الأحزان التي يظن أنها تأتيه وبهذا كان متيقظاً في قلبه كُل وقت، كما يليق بالنعمة التي منحه بها الرب مُنذُ صباه وإلى شيخوخته.

### نبوءة القديس عن الأربع أديرة

وكان كثيرون يطلبون إليه أن يُلبسهم بيده الإسكيم المقدس ولأجل هذا صار له تلاميذ كثير بلا عدد، مُتشبهين بتديره النسكي المقدس متمثلين به، يخدمون الله. وكان يأمر جميعهم أن يكونوا في المواضع التي تكون فيها في البرية ورسم لهم هذه المساكن وجعلها تُسمى بأسمائهم. فبعضهم كان يسمى دير الأب بو يحنس<sup>٥١</sup> وداخل منه دير أنبا بشيه<sup>٥٢</sup> وداخل منه دير الأبهات الروم. والإخوة

<sup>٥١</sup> القديس يحنس (يوحنا) القصور.

<sup>٥٢</sup> القديس الأنبا بيشوي.

الروحانيين الذين كانوا في دير أبو يحنس كانت أفكارهم يدبرها أنبا بامويه، تلميذ الأب مقاره. وعاش الأب مقاره حتى أبصر الأربعة دياره معمورة جدًا. وتنبأ عليهم الأب أبو مقار بروح القدس وقال: ”هذه الأربعة دياره يُحبها ربنا يسوع المسيح ويريد أن تصير كمثال الأربع مُدن التي كانت خلاصًا وملجأ لبني اسرائيل. فأسسهم الملك المسيح على رأس هذا الجبل ليكونوا خلاصًا لأهل كُل العالم الذين يريدون خلاص نفوسهم ويحبونهم هؤلاء الذين يهربون من شرور خطية هذا العالم ويتجددون لله ويرجعون إليه من أعمالهم الشريرة“. وقال أبونا أبو مقار في نبوته: ”إن الطغمات الأولى الذين يسكنون في هذا الجبل يكونوا أقوياء بالله في الأعمال فيكونوا مثل سباع الجبال، وترتفع طلباتهم وصلواتهم وطيب دموعهم ومسكنتهم وأصواتهم الدائمة إلى عرش الثالوث المقدس ويقيمون هكذا أزمنة كثيرة. وبعد هذا يطلق الله أن تُخرب الأربعة دياره وتصير هذه البرية مقفرة لا إنسان فيها أربعين سنة ولا طائر يعبرها. وبعد ذلك يذكر سيدي يسوع المسيح، إلهي الرحوم أعمالهم وتدابيرهم وفضائلهم، ولا يريد أن ينسى أعمال عبيده فيستدعي من بقي من الرهبان ويوعز إليهم الملك المسيح قائلاً: ”ارجعوا إلى بلدانكم وأنا أشرع لكم رسوماً وحدوداً لتكملوها“. ويقول لهم: ”إن أنتم عملتم جميع ما أمرتم به تؤهلون للنياح الذي ناله آبائكم“. فيجيبون قائلين له: ”ما يمكننا أن نتم أعمال آبائنا، بل نعمل النصف منها“. فيقول لهم برحمته: ”إذا رجعتم فاعملوا بمقدار قوتكم إلى زمان معلوم“. ثم ينظر الله إلى حرصهم وكمال إرادتهم في الشرور فيرجع يُخرب هذه البرية عشرين سنة بلا إنسان. وبعد ذلك يذكر عبيده ولا يؤثر أن يُعدهم من هذا الجبل ولا سيما كمال خدمة الكنيسة الجامعة التي في هذه البرية. فيستدعي من بقي منهم في العالم ويقول لهم: ”ارجعوا إلى آبائكم القديسين وأنا أكون معكم كما كنت مع آبائكم ومعيناً لكم وأشرع رسوماً وحدوداً لتعملوا بها“. فيجيبونه قائلين: ”ليس لنا قدرة نُكمل هذا جملة“. فيقول لهم بمحبته للبشر: ”اجلسوا في قلالي آبائكم وصوموا وصلوا بمقدار طاقتكم واعملوا الخير الذي تناله أيديكم. وليُحب بعضكم بعضاً واحفظوا هذه القلالي التي بناها آبائكم. وإذا تعاهدتكم ووجدتكم في الصلاح فأزيدكم بالأعمال الصالحة والمحبة للناس وطهارة الجسم

والنفس ومحبة الله، لأنكم من أجله صابرين على كل الأحزان التي تُصادفكم وأدخلكم إلى النياح ومساكن القديسين التي لأبائكم وآباء آبائكم". وكل هذه الأقوال قالها القديس أبو مقار الشهيد والنبي وكل من سمع هذا تعجب وسبح الله قائلاً: "إن كيف ظهر له هذا من الروح القدس المعزي الساكن فيه بإعلام الأمور العتيدة أن تكون ويُصيب ذلك الصقع وتلاميذه في كل حيل، الذين يجمعهم سيدنا يسوع المسيح، إلهنا الحقيقي، ويجعلهم يلبسون زي القديس عبده، ويُصيرهم تلاميذ له يهربون من الأعمال المزدولة، أعني الذين نشأوا في هذا العالم الشرير، وهكذا يُورثهم ملكوته السماوية برحمته السابغة على مساكن عبده القديس مقاريوس، الذي انتخبه يسوع المسيح مُخلصنا وإلهنا الحقيقي.

### انتشار الرهبنة في أقاصي المسكونة

(فلهذا يفدون إليك من أقاصي الأرض. من رومانيا وسوريا والمشرق وإسبانيا).<sup>٥٣</sup>

وكان القديس مقاريوس يُعاین زيه قد كثر وزرعه الروحاني ينمي بأشياء شتى. وكان ينظر الأشجار التي نصبها هو في الأرض الصالحة وهي حاملة أثماراً روحانية بلا انقطاع، شاكراً نعمة الله، قائلاً في ذاته: "كل ما قيل لي من ربنا يسوع المسيح قد كمل ونظرته عيناى ولمسته يداى". ولم تكن سُكَّانُ ذلك الجبل مصريين فقط بل ومن بُلدان بعيدة واجتمعوا وجاءوا إلى القديس من رومية وإسبانيا وبلدان النوبة والسبطانوس<sup>٥٤</sup> وقبادوقية وآسيا ومن بلاد الشام وكورة فلسطين وبلاد رومية. ونظرت عيناه كل ما قيل له وتم على يديه.

<sup>٥٣</sup> ذوكسولوجية أبنا مقار.

<sup>٥٤</sup> لعل المقصود بها الخمس مدن الغربية حيث تأتي هكذا في نص المخطوطة القبطية وكذلك في نص الترجمة الفرنسية [من رومانيا وإسبانيا، وليبيا، والخمس مدن الغربية، وكبادوقية، وبيزنطة، وإيطاليا، ومقدونية، وآسيا، وسوريا، وفلسطين، وغلاطية].

E. Amelineau, *Histoire des Monastères De La Basse - Égypte*, 1894, P. 99.

أو مُحرَفة من نطق "ΠΤΟΛΕΜΑΙΣ ΤΗΣ ΠΕΝΤΑΠΟΛΕΩΣ".

## السنين الأخيرة من حياة أنبا مقار

### الحرب سجالاً حتى المُنتهى

فلما انتهى وبلغ الضعف، ألقى ذاته دفعة في وسط القلاية. فأتوا إليه الشياطين كشبه أناس يطلبون صدقة فقرعوا الباب قائلين: ”نسألك أن تُعطينا صدقةً وتصنع معنا معروفاً“. فلما عرف أصواتهم، صمت ولم يرد جواباً عليهم. فقال بعضهم لبعض: ”هو نائم وهو ثقل في نومه ولعله مات واسترحنا منه“. إلا أنه كانت نفسه قوية بالله أكثر من أيام صحته. فبطل أعمالهم وحروبهم الباطلة التي يجلبونها عليه فلم يعبأ بهم البتة. فقالوا: ”إن كان قد مات فقد استرحنا من كثرة أتعابه. أترانا ما نقدر بعد وفاته أن نُشتت هذه الجموع ونُقفر هذه البرية من هؤلاء الرهبان ونُصيرها كما كانت أولاً؟“. وكان القديس يسمع هذا كله وهم يقولونه فخزاهم وبكتهم بسكوته. فلما خزاهم وهَوَّنَ بهم تناولوا حجارة وأرادوا أن يكسروا الباب، وبهذا لم يتحرك القديس ثم تناولوا حجارة وبدأوا يرمون الشيخ من خارج. فستره الرب منهم ولم يُصيبه واحد منهم وهو مُنضجٌ ساكت وكانت الحجارة تضرب بعضها بعض. فبدأوا يقولون: ”بالحقيقة قد مات مقاره“. وجعلوا يكون بشماتة فرحين بموته ورفعوا أصواتهم مولولين حتى سمع الإخوة فخرجوا لينظروا ما هو الخبر. فبعد ذلك قام الشيخ القديس بقوة الروح القدس وأجاب وقال لهم: ”يخزيكم الرب ويقلّعكم من كُل الأرض“. فلما سمعوا صوته وعلموا أنه لم يموت، جعلوا يرفعون التراب والغبار إلى الجو ويقولون: ”إنك قد قويت علينا وغلبتنا، أيها الشيخ الرديء الشيخوخة“. فانتهرهم باسم الرب فطاروا كُلهم كمثل غمامة جرادٍ.

### أنبا مقار يُخبر الإخوة بقرب انتقاله من هذا العالم

أبصره الإخوة في بعض الأوقات يُعذب نفسه فطلبوا إليه أن يستريح من كثرة التعب، فقال لهم: ”إلى زمان يسير ويتم كُل شيء؛ بل قد قبلت محبة أنفسكم إذ أنا بضعف شيخوختي أبصر فضائل استقامة قلوبكم“.

## شفاء ابنة والي أنطاكية من روح نجس

وفي أحد الأيام عشاءً لما عزم هذا الأب مقاره يأكل، دخل إليه بعض تلاميذه وقال له: "وصل من مصر رجل واحد يتكلم باليوناني وهو لابس لباس الرؤساء ومعه صبي يُشبه مسكين وهما يطلبان يتباركا من قدسك". فقال له: "مرهما بالدخول". فخرج التلميذ وأمرهما بالدخول. فاستقبلهما القديس وعرف حالهما بالروح وقال لتلميذه: "انطلق بسلام". فلما جلسا قال لذلك الإنسان: "ماذا تُريد". فأجابه: "يا سيدي، هذا الطفل هو ابني وفيه رئيس الشياطين كما يشهد الشيطان الذي فيه عن نفسه قائلاً إني أحد رؤساء كراديس الشياطين. وكل يوم يصصره خمس دُفعات. وقد مضينا به إلى قديسين كثيرين من بلادنا فلم يقدروا على برئه. وهو يعرى ثيابه وينهش لحمه فلهذا البسته هذه الخلقان". فأجاب القديس أبو مقار الطوباني بالحقيقة، كمثل ترجمة اسمه وقال للرجل: "كيف جسرت أن تُدخل هذه الصبية إلى هذه البرية؟ ولم تكتف بهذا فقط، بل وأنت تكذب لنعمة الروح القدس هذه هي ابنة ديوقليانوس والي مدينة أنطاكية أتيت بها معك سرّاً بحيلة عظيمة وأيضاً أولئك الذين تركتهم خلفك في جانب هذا الجبل، واتيت بهذه الصبية بهذا الزي لئلا يعرفكم إنسان، بل حسناً صنعت لئلا يصير هذا استقاصاً لكم". فلما سمع هذا الكلام ذلك الإنسان ار تعد وسقط على الأرض أمام رجلي القديس فقال: "قم ولا تخاف واحذر أن تعود تكذب". فقال: "أطلب منك، يا سيدي وأبي، أن تغفر لي لأنني، أنا المسكين عبداً لهذه الصبية، وأنا كما أمرت هكذا صنعت لأنني أنا طائعٌ لله ولساداتي". فأمر الأب مقاره أن يحضروا له زيتاً. فأحضروه فصلى عليه وصلب به حول أذني الصبية فلوقتها برئت. وقال له الأب: "قم وانطلق إلى رفقتك ولا تباتوا هذه الليلة في هذا الجبل من أجل كثرة الرجال والنساء والبهائم الذين معكم. لكن انطلقوا إلى مصر، الموضع القريب منكم. فمن أجل أمانة أبوي هذه الصبية في القديسين وفي الأمانة المستقيمة قد وهبها الرب الشفاء". فصاح ذلك الإنسان بأحد عبيد الصبية الوقوف بالبعد من المغارة، التي للقديس، فحاج له كيساً فيه أربعة ألف دينار فأتى إلى القديس وقال له: "أطلب إليك يا أبي أن تقبل بركة مولاتي هذه وعدتها أربعة ألف دينار



تُفرقها على المحتاجين من الإخوة وعلى من يُريد قدسك“. فأجاب القديس مقاره وقال: ”إن موهبة الله ليست تُعطى بثمن فضة البتة ولا هؤلاء المساكين الرهبان هاهنا مُحْتَاجِينَ إلى ذهب ولا إلى فضة لأنهم من أجل الرب جاءوا إلى هاهنا وتوكلهم عليه وهو المهتم بهم وبما يحتاجونه. فخذ أنت هذا وانطلق بسلام إلى من أرسلك“. فتبارك ذلك الإنسان منه وأكمل وصية الأب مقاره. ولم يناموا في الجبل.

### شجعوا صغار النفوس

جاء في بعض الأوقات إلى الأب مقاره أخ راهب شاب وقال له: ”يا سيدي، اغفر لي فقد سقطت في خطية أنت تعرفها، لكن صلي عليّ ليغفر الله لي يا أبي“. فأجابه القديس: ”يا ولدي آمن في قلبك أن الذي لا يُحد ولا تقدمه زمان ولا له نهاية سنين وليس لعظمته زوال، ربنا يسوع المسيح هو يغفر خطاياك ولا تُعاود أن تخطئ“.

### يا إله أبي القديس مقاريوس أعني

مضى دفعة أحد تلاميذ الأب مقاره إلى ترنوط وهو حامل شغل يديه يطوف به على أبواب الناس ليشترؤا منه. فنظرته امرأة فجعل الشيطان في قلبها شهوة رديئة من أجل ذلك الشاب فصاحت به من السطح كأنها تُريد تشتري منه شيئاً. ففتحت الباب فدخل ثم أغلقت بعده واستوثقت منه وجعلت تساومه على شراء شغل يديه. ثم بدأت تخاطبه بكلام آخر وقطعت عنها البيع والشراء وأرادت تضع له المائدة ليأكل. فأجابها قائلاً: ”إن الرهبان لا يأكلون هذا الوقت لأن الوقت هو باكر“. فأحماها الشيطان وألهبها بشهوة الخطية فقالت له بلا حياة: ”أنا ما أبالي أكلت أم لا، لكن قُم لتنام معي“. وإنَّ ذلك الأخ صاح بصوت عالٍ قائلاً: ”يا إله أبي القديس مقاريوس بصلواته عيني وغثني“. ولساعته حُطِف ذلك مع قُفْفه وحط قدام قلابة الشيخ مقاريوس مُعلمه في البرية. وكان الأب مقاريوس قد كشف له الله عن التجربة التي لحقت تلميذه. فقام في الصلاة إلى حيث دخل إليه تلميذه فوجده مبسوط اليدين يسأل من أجله لكيما يخلصه الله. فلما نظره الشيخ قال له: ”يا ولدي

أشكر الله على نعمته الذي خطف فيلبس من قدام الخصي الحبشي هو حملك وأتى بك إلى". وهذا التلميذ أخبرنا عن القوات والعجائب التي كان يصنعها بيد عبده القديس مقاريوس وكثرة الأعمال التي كان يعملها ولا سيما انه قد كتب من أناس كثيرين من الذين يعرفون سيرته في الكتب اشياء أخر غير هؤلاء.

## نياحة القديس أنبا مقار الكبير

### أنبا مقار يُعزي أبناءه قبل نياحته

فإن الأب المنتخب القديس مقاره، ضَعُف جسمه من طول السنين ونخل لحمه من الأعمال والتعب الذي يعملُه سرًّا ، لأنَّ كُلَّ تجاربه كانت روحانية. والذي كان يعملُه ما كان يشعر به إنسان. وإلى وفاته كان يحفظ نفسه جدًّا من سُبح الناس الباطل كما أَمَرَ من الكاروي الذي كلمه من الابتداء. ونقص أيضًا ضوء عينيه من كثرة التعب وطول السنين لأن مدة حياته بلغت سبع وتسعين سنة. فبدأ ينضجع على الأرض من ضَعفه فأحاط به تلاميذه وكان يُعزي كُلَّ واحدًا منهم على رسمه ويقول لهم هكذا: ”كُل هذا الزمان الذي كُنْتُ معكم الربُّ يعلم أنني ما كنْتُ عنكم شيئًا بل خاطبتكم بما أعلم أنه ينفع أنفسكم. وأعمل بقدر قُوَّتي وأكلف نفسي لئلا أصير سببًا لاسترخاء أحدًا منكم لا كبير ولا صغير. ولا نمت قط ليلة واحدة وفي قلبي حُزن أو وجع على أحدًا منكم. ولا تعدت بعض أعمال الله ولا تجاوزتها ولا نقصت محبتي لله في رفيقي المعروفين للرب. ومحبتي لكل الخليقة الرب يعرفها وهو يشهد علي لأنه قال لي: ’لم تصل بعد إلى مقدار امرأتين اللتين في المدينة الفلانية‘. وهكذا كان فكري دائمًا في قلبي إلى الآن وهذه الغلبة التي نلَّتها عل الشياطين والنعمة، أعلم أنني ما تحسبت قط ولا ذكرت أنني عملت شيء بقوتي بل كانت الغلبة والرحمة والأشفية أنسب ذلك كله إلى الله لأن بيد قوته المقدسة كان كل ذلك يُعمل. والآن يا إخوتي اهتموا بخلاص أنفسكم وتيقظوا فإنني بعد قليل أُؤخذ منكم“. فلما سمعوا الإخوة منه هذا الخطاب ونظروه قد وصل إلى هذا الضعف الكثير، رفعوا أعينهم إلى السماء باكيين لأجل أنه يتركهم أيتامًا. فلما شاهدهم يبكون وعظهم قائلاً: ”اصمتوا. ما حان الوقت بعد. فلم تبكون وتُحزنون قلبي؟ فليس بُدَّ لَكُلنا من أن يلحقنا هذا الأمر في وقتنا، كما تُخرُج القضية علينا من الله وما يُمكن أحدٌ يقاوم هذا الأمر“. فلما سمعوا صمتوا ومضى كُلُّ واحدٍ منهم إلى قلايته.

أنبا أنطونيوس وأنبا باخوميوس

يظهران لأنبا مقار يبشرونه بقرب رحيله

وبعد انصرافهم ضَعُفَ بالأكثر ودخل إلى مغارته وحده وانضجع في الساعة السابعة. وكان يُفكر في قلبه من أجل ساعة وفاته كعاداته بالفكر بهذا كل أوقاته وكيف يلتقي الله، مُهتَمًّا بالقضية التي تُخرج عليه في أوانها والأماكن التي يمضي إليها ففيما هو مُفكر في هذا فللوقت ظهر له شخصان قديسان يُضيئان بالمجد الإلهي والجلال العظيم أحدهما مُتبسّم مع الآخر. فلما عاينهُما الشيخ صمت قليلاً فأجاب أحدهما وقال له: "أعرفنا؟ من نحن؟". فلما نظر لم يستطيع أن يعرفه من كثرة النور الذي كان يُضيء في وجهه. فبعد قليل قال له: "كأني قد عرفتك يا أبي القديس أنطونيوس"، فقال له: "أعرف هذا الآخر من هو؟". فسكت أيضاً لأنه لم يكن يبادر بالجواب سُرْعَةً بل يتمهل ويُجاوب. فقال له الأب أنطونيوس: "هذا هو الأب أنبا باخوم أب رهبان دوناسه<sup>٥٥</sup>". وقد أرسلنا إليك الرب ندعوك. لكن اهتم بما تريده فإنك إلى تسعة أيام تخلع ثوب هذا الجسم وتحيي إلينا وتسكن معنا. ارفع عينيك إلى العُلا وانظر إلى الخدر الذي قد أُعد لك لتقبل الفرح وتُسّر بالنياح". ولما قالوا هذا غابوا عنه. وإن الشيخ مقاره صمت ولم يُعرف أحد شيئاً لئلا يحزنوا الإخوة ويبكوا قدامه فيُحزنوه، لأنهم كانوا ينظرونه قدامهم مثل قائد الجيش الواقف بين جنده. فإذا أخذ منهم رئيسهم قُطع رؤوسهم من أجسادهم. وإذا لم يكن لهم رئيس فلا تكون لهم قوة في الحرب بالحقيقة. يا أحبابي إن تلاميذه كانوا يعتقدون فيه كما أقول لكم وبحسبونه مثل الله، ناظرين إليه بينهم وليس تلاميذه فقط بل وكل طغعات الرهبان بكُل صقع، لأنه كان يعزيهم ويقوي نفوسهم ويشجعهم.

أنبا مقار يستودع روحه بين يديّ الله

وكان هذا القديس مطروحاً على حصير كعاداته ولم يستطيع أن يقوم من الوجود الصعب الذي كان فيه. وكان يلتهب كتثور نار بنار الحمى ولم يستطيع

<sup>٥٥</sup> والمقصود بها (طبانسين TāBennhici) حيث أول دير أسسه القديس باخوميوس.

يقوم قائماً. وفي الليلة الثامنة مُنذُ ظهور القديسين له أعني أبانا أنطونيوس وأبنا باخوم الذي هو السابع والعشرين من شهر برمهاث جاء إليه الكارويم الذي كان معه مُنذُ الابتداء ومعه جموع كثير من الروحانيين وقال له: "بادر بالخروج وتعال فإن هؤلاء كلهم ينتظرونك". فصاح أبونا القديس مقاره بصوت عظيم: "يا سيدي يسوع المسيح حبيب نفسي اقبل روحي إليك". وبعد ذلك اسلم الروح، ولم يحضر كثيرون في ذلك الوقت ولا عرفوا أن في ذلك اليوم تكون وفاته لأنهم نظروه في ضعفه في ذلك اليوم يتكلم معهم كلام روحاني ويعظ الإخوة ويؤيدهم كمثّل عادته الأولى. فلما تسامع الإخوة الذين في الجبل في الأربع ديارة، اجتمعوا كلهم باكيين حزينين القلوب من أجل يتمهم منه. لأنهم تقلدوا منه طريق الله ومخافته والأعمال الصالحة وشدهم مثل رؤساء القوات بكل معرفة الله ليقوموا لمقاومة الشيطان ويحاربوهم، أعني بذلك رئيسهم الشيطان الذي لا يُشفق وكل قواته الشريرة. وثبتهم على الأساس الذي لا يتزعزع أعني المسيح إلهنا الذي يحفظهم إلى النهاية بلا حُزن بنعمة القديس أبو مقار. فلما سمع أولئك كُلُّهم بوفاته خرجوا من قلالهم مُحزّن عظيم باكيين على فرقتهم منه. وأخذ بالحقيقة إلى المساكن السمائية المملوءة من كل الخيرات وصار يُسبح مع الطغمت السمائية والملائكة، لأنه صار مثلهم بالأعمال والكلام، بأعمالهم الملائكية. وبيصروا سيرة حياته الصالحة المستوجبة التعب التي هي بِالْعِلْمِ المحق لكل من يريد يحيا بالبر في وصايا الإنجيل المقدس فلما صلوا كُلُّهم أتى الشيوخ إلى الكنيسة باكيين بمرارة على فقد مثل ذلك الأب الذي فقدوه ذاك الذي كان لهم مُعزّيًا ومُغذيًا لهم بالأغذية الإلهية والفرح الدائم وكل الفضائل. فألقوا نفوسهم على جسده المقدس بكاء عظيم يتباركون منه ويُقبلونه وكل من كان فيه وجع في جسمه أعطاه الله الشفاء لوقته. ثم عملوا له أغنية<sup>٥٦</sup> واشتركوا كلهم في جسد ودم الرب يسوع المسيح، ورفعوا جسده إلى المغارة بجانب البيعة التي بناها هو. وانصرفوا إلى قلالهم مُحزّن عظيم على فراقهم لمثّل ذلك الأب القديس مُدبر الله.

<sup>٥٦</sup> من كلمة أغابي (والمقصود تمموا صلاة القديس الإلهي وقاموا بالاشتراك في مائدة الأغابي بعد القداس).

## القديس بنوده تلميذه يتولى تدبير الجماعة الرهبانية

وكان الأب بنوده رئيس تلاميذ هذا القديس يُعزيهم لأنه أخذ الأبوة والرئاسة والتدبير بعده إذ كان رجلاً قديساً كما وصفنا، مُجرباً في كُلِّ الأمور الصالحة والأعمال المتواضعة الذي كان قد اقتنا ذلك من القديس أبو مقار. فلهذا ذاع صيته في كُلِّ مكان بالأعمال الصالحة وكانت طغمت الرهبان يقصدونه وليس الذين في البرية فقط، بل كل الذين بأرض مصر والبلاد البعيدة. وكانوا يأتون إليه ويقبلون منه تعاليم مخافة الله والأعمال التي هو قدكملها بالعمل والفعل والفضائل والحكمة التي تعلمها من الرجل الكامل الصديق أبو مقار.

## نقل جسد أنبا مقار إلى بلده ششوير

حينئذ لما سمعوا بوفاة القديس أهل ضيعته ششوير من بعد زمان كبير أتوا سراً إلى شيهات برية القديس وسرقوا جسده من اجل أمانتهم ومحبتهم فيه وحملوه بفرح كثير إلى قريتهم. وبعد قليل بنو عليه كنيسة من الجانب الغربي من القرية. وكان الرب يُعينهم بصلوات القديس وأتوا بالأسقف وكرز لهم الكنيسة. وكان معهم جماعة من الرؤساء وقدسوا الهيكل ورفعوا القرايين وأعطوا الشعب من الجسد والدم المقدس. ثم وضعوا جسد القديس أبو مقار إلى جانب المذبح. وكم من القوات والعجائب التي صنعها الله من قبل جسد هذا القديس!



## خاتمة السيرة

### مدح فضائل القديس

والآن فقد أظهرنا هذا لمحببتكم يا إخواني القديسين لتعرفوا تدبير أبونا أبو مقار واستقامة فضائله هذا الرجل الكامل بالحقيقة وقد أهملنا ذكر عجائب كثيرة وقوات وأشفية أجراها الله على يد هذا القديس ولم نشرحها في هذا الكتاب لئلا يطول الكلام. بل أقول لكم حقًا إن هذا المغبوط لم يقدر أحد يبلغ كثرة تواضعه وامانته ومحبته الكثيرة لله. ولذلك غلب وهزم كل قوات العدو وبدد حيله المتوكل عليها حتى أن الشياطين ورئيسهم سقطوا أمام هذا القديس من قبل القوة الإلهية التي كان متوكل عليها. من هو الذي جعل لجمًا في فم الحيوان العقلي مثل هذا القديس؟ ومن الذي نال الفرح والعزاء كممثل إنسان على مرتبته مثل هذا القديس؟ أو من أهلك الكبرياء المرذولة أمام الله مثله؟ أو من هو الذي اضطهد وبدد تجارب العدو ورفضه وأهلكه وكان لنا معزيًا ومعلمًا؟ لنسمع وصاياه بالحقيقة إذ نحن عبيد الله وصار هذا القديس معينا لكثيرين، طارداً لقوات الشياطين بكثرة دموعه وعظم صلواته التي كان يقدمها أمام الله. والآن يا إخواني كلنا فلنتشبه بهذه الفضائل وهذه الأعمال التي لأبينها القديس بكل هذا الرجاء إلى النهاية ونتشبه بتدبيره الحسن لنعرف أن نحن أولاده المحقين. فهو الشجرة ونحن الأغصان ونحن حاملون من ثمرته كي يقول كل من يرانا: ”بالحقيقة إن هؤلاء هم أولاد قديس الله الأب مقاريوس“. فلنعمل الآن لله ثمرات نحن الذين سمعنا سيرة هذا القديس ومثلها أمام عيوننا كل وقت لكيما نستطيع أن نقدم أعمالاً تليق بنا في هذه السيرة بمحبة ربنا يسوع المسيح وصلوات أبينا القديس وتعليمه المقدس كما سبق وأرانا إياه في كل الأشياء بمحبته وأمانته بالله. بالحقيقة إنه قد صار رسولاً في زماننا ولم ينقص شيئاً عن بطرس وبولس ويوحنا ويعقوب الرسل القديسين لأجل الأشياء التي شاهدناها بأعيننا والتي سمعناها بأذاننا من قوم مؤمنين. لكن إنما كتبنا واحدة بعد واحدة عن الإكليل الذي أهل له. فليحرص يا إخواني كل واحد منا أن يتشبه بفضائله

أمام الله بالثمرات الصالحة بمناظر روحية بالقوة التي هي المحبة لله والقريب وتمسك بالمسكنة والغربة والبعد عن العالم ونبتعد من سبح الباطل فبعض بالتيقظ والسهر وآخرين بالصلوات النقية وآخرين بصدق اللسان وآخرين بطهارة الجسم والنفس وآخرين بصيام وصمت وحفظ المحبة لكل الناس. وأن لا نصير سبب عثرة لكل أحد لئلا تنحس خدمته. وليكن كل واحد منا مُهيأ لهذه الأشياء كلها التي وصفناها الآن لكيما إذا أبصر أبونا المغبوط ثمرات الصلاح التي تظهر منا ونحن مُضيئين في تديرنا في نفوسنا وأجسادنا كل حين فيطلب ويتوسل عنا بالدوام أمام الملك المسيح الذي هو الآن قائم أمامه لكيما يأخذنا ويقبلنا عنده في تلك المواضع التي استحقها هو في الملكوت الأبدية بربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وشهد أبونا القديس أنبا سراييون أسقف نقيوس وبنوده رئيس تلاميذ أبونا أبو مقار أن في ذلك الزمان الذي أسلم فيه روحه إلى الله وكُنّا مجتمعين عنده وكان قوم من الشيوخ القديسين جلوسًا فتطلعوا وأبصروا نفس القديس وقد خرجت من جسده وهي أضوأ وأجهى من الشمس أضعاف وقد سُلمت في يد الكاروبي الذي نزل من السماء ومعه القوات العلوية التي لا يستطيع أحد ان يصف سُبحهم وبهاهم فلما نظروا الشياطين نفسه هكذا صاحوا قائلين: "خلصت وأنفلت من أيدينا يا مقاره". فأجابهم قائلاً: "لا بعد ما خلصت". فلما وصل إلى الجو صاح الشياطين: "مضيت يا مقاره". فقال: "لا بعد ما خلصت". فلما جعل رجله الواحدة داخل الباب صاحت الشياطين بأصوات عالية: "دخلت يا مقاره". فأجابهم: "لا بعد". فلما وصل وجعل رجله الأثنين داخل فصاحوا أيضاً قائلين وهم باكيين: "وصلت يا مقاره". فصاح بصوت عال حتى إن السماء والأرض ارتعدوا من صوته وقال: "قبلت نعمة ربنا يسوع المسيح وأنا شاكر إلهي الحقيقي الذي خلصني من أيديكم ومن فخاخكم التي لا عدد لها وأهلني برحمته لنعمته السماوية بكثرة محبته للبشر". وإن الكاروبي حفظه وحجبه عنهم ودخل إلى المنازل المجيدة التي لربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي أحبه من كُل قلبه التي يكون لنا نحن الساكنين تلك المساكن التي استحقها أبينا القديس أبو مقار بنعمة ورأفة ومحبة البشر التي

لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد والسجود مع الآب وروح القدس  
الآن وإلى الأبد. آمين.  
تمت سيرة القديس العظيم أبو مقار. صلاته معنا. آمين.

## الخطاب الأخير للقديس أنبا مقار الكبير .

حدث مرة أن أرسل شيوخ جبل البرنوج إلى أنبا مقار يقولون له: ”سر إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب ولا تضطر الشعب كله إلى المجيء إليك“ . فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله (الرهبان)، وطلب إليه الشيوخ قائلين: ”قُل للشعب كلمة أيها الأب“ . فقال:

يا أولادي الأحباء، كثيرة هي أجماد القديسين، وينبغي أن نغير منها ونطلب معرفة تديبرهم وعملهم، ونفتش لنعرف كيف استحقوا الملكوت ونالوا النعيم في تلك الرتبة، لأنهم لم يشتروها بمال بل إنهم اقتفوا فقط آثار القديسين الذين قبلهم. وقد اقتنوا المسكنة وتواضع النفس وانسحاق القلب والمجاهدة في الصلاة والمحبة لكل الناس وخوف الله الذي لم يفارق قلوبهم والذي لا يبدده الغضب، هذه هي فضائل النفس!

أما الجسد فقد رفضوا جميع شهواته، وكانوا جوعاً عطاشاً لا يُنعمون ذواتهم بشيء من شهوات الدنيا. بهذا التدبير نالوا هذه الذكصا (المجد) وأخذوا إكليل ملكوت السموات. فالآن أي شيء كان لهم وليس لنا سوى أنهم تركوا كل أهوية قلوبهم من أجل الرب، وحملوا الصليب وتبعوه ولم يفصلهم عن محبته شيء آخر؟. أما نحن فليس حب الله تاماً كاملاً مثل آبائنا القديسين الذين أحبوا الله حباً خالصاً ليس فيه غش ولا رياء، ولم يُبعدهم عن محبته شيء من أمور العالم البتة: لا مال ولا أولاد ولا أهل ولا امرأة ولا أخ ولا سلطان، مثل إبراهيم الذي أحب الله حباً تاماً ولم يُشفق على ابنه إسحق لما أمره أن يذبحه فأطاعه وعمل مرضاته، ومثل الشهداء القديسين الذين اختاروا حب الله على حياتهم وصبروا على صعوبة التعذيب وتقطيع أجسادهم وسفك دمائهم لأجل محبة الله التي انغرس فيهم وأكملوا قول بولس الرسول: «ما الذي يفرقني عن حب المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم غري أم خطر أم سيف، لأن هذه كلها وما هو أعظم منها لا يمكن أن يُفرقني عن محبة الله في المسيح» (رو ٨: ٣٥-٣٩).

فالآن، يا أولادي، وجب علينا إذ قد تركنا محبة العالم ولبسنا زي العبادة واتبعنا الرب يسوع، أن نحبه أكثر من الأهل والوالدين والإخوة والأولاد وكل الممتلكات الفانية التي في العالم حتى نكمل الوصية ونفوز بتتيميم أوامره المقدسة، فننال الطوبى مثل القديسين. يا أولادي، فروا من الخطية واصبروا إلى الموت في حفظ وصايا الرب، ولا تقبلوا مشورة العدو من جهة كسر أي وصية مهما كانت صغيرة، لأن كسر أي وصية صغيرة كانت أم كبيرة يُغضب الله. إنني أريد أن تكون نفوسكم، يا أولادي، مسكنًا دائمًا لله حتى تتفكروا على قرييكم بالخير دائمًا ولا يكون فيكم من يذكر الشر لأخيه أو يتحرك بالبغضة عليه، فإن القلب الذي يتفكر بالشر والبغضة لا يمكن أن يكون مسكنًا لله. لقد علمتم المكتوب إن أحببتم بعضهم بعضًا فإن الله يكون ساكنًا فيكم، فاقنوا الحب بعضهم لبعض لكي تقتنوا لأنفسكم كل تدبير الفضائل الأخرى في رهنبتكم كل أيام حياتكم. اكشفوا عن وجوهكم برقع الظلمة الذي ينعكم أن تُبصروا حلاوة محبة الإخوة وتعرفوا مقدار كرامة هذه الفضيلة. اسمعوا بولس الرسول كيف يقول: «أنا مسكن الله الحي» (١ كو ٣: ١٦، ١٧)، فامسكوا هذا في قلوبكم ولا تقولوا الشر على قرييكم أو تحزنوه لئلا تُغضبوا الله الساكن فيه! لأن كل كرامة يكرم بها الإنسان أخاه هي واصله بالمسيح سبحانه، وكذلك كل ما يُكرم به المسكين والغريب، لأنه هو القائل: «بما أنكم فعلتم بأحد إخواني هؤلاء الأصاغر فني فعلتم» (مت ٢٥: ٤٠). أطلب إليكم، إذن، أن تفروا من كل وقية ودينونة لأنها تهلك من نفوسكم، أما النفس التي لا تقبل الوقية ولا تفكر في السوء على أحد ولا تميل إلى حب الدرهم ولا تميل إلى شهوات العالم، فإنها تستضيء مثل الشمس إذ تصبح نقية تامة من العيوب. فإن تغلبها الشهوة وسعت إلى النيمة والوقية والحسد وحب الفضة، فإن بقية الخصال الرديئة تكمل فيها فتتزع منها نعمة النقاوة والاستضاءة. اعلموا أن الحكيم إذا وقع في حفرة مرة، فإنه يحترس منها حتى لا يقع فيها مرة أخرى، واعلموا أنه كما كانت الحية إناء للعدو وبواسطتها هلك آدم ووجب عليه الموت؛ هكذا أفعال السوء فهي مدخل للعدو الذي بها يُهلك نفس فاعلمها. فالواجب، إذًا، أن نحفظ أنفسنا جدًا لئلا نصير آنية للشيطان. يا أولادي احفظوا اسماعكم لكي تبقى

قلوبكم نقية، واهربوا من كل نجاسة لأن الذناب الزمان كثيرة، وهي تسعى لتخطف الخراف الساذجة. وإن اتفق لأحد منكم أن زلّ وأوجع قلب أخيه بكلامٍ أو وقعة، فعليه أن يندم في الحال ولا يعود إلى ذلك حتى لا يزيد النار حطبًا. وإن هو سمع كلامًا رديئًا عن أحد إخوته، فعليه أن يرد الكلام إلى الصلاح حتى يملك الحب والسلام بينكم، فيثمر فيكم قول المخلص: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون» (مت ٥ : ٩). وهكذا يحرص كُل واحد منكم أن يمدح أخاه في غيبته حتى إذا سمع أخوه ذلك عنه يزداد في محبته. واعلموا، يا أولادي، هذه الحقيقة أن في قلب الإنسان سرًا إلهيًا، فمتى كان قلب الإنسان غير نقي ونيته غير صافية نحو أخيه أو صاحبه؛ فلا بد وبكل ضرورة أن قلب أخيه يشعر بذلك مهما حاول هو أن يتجمل بلسانه نحوه. وكذلك أيضًا من جهة المحبة: إذا كان قلب أخيك يُحبك فلا بد أن قلبك يشعر بذلك وتحبه. لذلك احرصوا بكل جهد أن لا يغير أحد منكم على صاحبه. فإن حدث أن سمع أحدٌ كلامًا صدر من أخيه عنه ولم يتحقق أنه صحيحٌ أو كذبٌ، فلا يُجنّبه في قلبه ويحقد عليه ويبدأ أن يتجمل بلسانه نحوه وقلبه غير نقي، فهذه الحال تولد البُغضة المرة والحق، وهي تُغضب الله. فالإنسان إذا سمع من أخيه شيئًا يوجع قلبه، عليه في الحال أن يأخذه فيما بينه ويعاتبه عليه، فإن كان صحيحًا يُنبهه ألا يعود إلى ذلك، وإن كان كذبًا فسيُزول ما في قلبه في الحال. ولكن إذا أهمل الإنسان ذلك وتركه جانبًا، فإن الحق يتولد فيه شيئًا فشيئًا، وهذا هو هلاك النفس هنا وفي الآخرة! يا أولادي، كل من يسمع التأديب ولا يقبله ولا يعمل به فهو خاسرٌ نفسه ويُصبح مُعذب النفس دائمًا لا يهدأ له سرٌّ أبدًا، ويصير غصوبًا حزينًا كثيرًا مهمومًا مغمومًا كثير الأفكار، تُطالبه نفسه بعمل الشر وبالكلام الرديء، لأن الأدب هو مثل طريق الملك التي عليها الحراس يجرسونها نهارًا وليلاً، فكل من يسلكها بالنهار أو بالليل يكون آمنًا على نفسه! أمّا الجهالة وقلة السمع والإعجاب بالنفس فهي طريق وعرة غير مسلوكة، وكل من مشى فيها ضلّ وتعب وربما هلك، لأن اللصوص والدعرة موطنهم هناك! وكل من مشى في الطريق المسلوكة واتفق أن عثر في أمر أو عارضٍ كان عُذره مبسوطًا وعلاجه حاضرًا، أمّا مَنْ ترك عنه طريق الملك



واختار أن يسير في الطريق الوعرة فلا عُذر له ولا علاج. وانا أطلب منكم بكل قلبي ان لا تغيب الشمس على غضبكم، ولا يبيت أحدٌ وفي قلبه دغلٌ أو حقدٌ على اخيه، فهل يعلم إن كان يُدركه المحتوم في تلك الليلة فيمضي إلى الرب وهو ملوث القلب بنجس الفكر، فيضيع تعبهُ ويذهب خاسراً الدنيا والآخرة! أنا أوصيكم، يا أولادي، أن تُبالغوا في خدمة القديسين (أي الرهبان) والمرضى، وادفعوا لهم على قدر قوتكم من عمل أيديكم. واعلموا أن كل واحدٍ منكم محسوبٌ له إن كانت خدمة أو صلاة أو مطانيات أو دموعاً أو صوماً، حتى الكلمة الواحدة التي يقولها الإنسان بالحبّة لأجل الله (للتعزية) أو عمل اليدين هذا كله محسوب لكم. فلا تحافوا، يا أولادي، لأن مخلصنا لا يظلمنا بشيءٍ وكل تعب يتعبه أي واحدٍ منا سوف يُستعلن له وقت خروج النفس من الجسد. فاستيقظوا، يا أحبائي، ولا يظن الذين يأكلون ويشربون ويرقدون بلا مقدار والذين لا يلومون أنفسهم أنهم يتساوون بالذين يتعبون ويسهرون ويحرصون في كل شيء من أجل الله. فاجتهدوا، إذن، وأحبوا التعب. ليكن عندكم تعب الجسد حلواً شهياً بلا ملل، ولكن ليس بتكلف، لأن متكلف الشيء ضعيف القدرة عليه... أمّا المشتهي التعب فيسعى إليه بنشاط وفرح قلب بغير ضجر. وطوبى لمن يبقى في تعبهِ فرح القلب ويدوم فيه غير متكلف عليه، لأنه باب الفردوس المفتوح. أمّا الذي يُطيع ضعف الجسد فإنه يصبح في النهاية غريباً من تلك الخيرات المعدة للمجاهدين، ويستولي عليه الندم في القيامة حينما تستعلن الأكاليل والمواهب السماوية للذين تعبوا، ويبقى هو بعيداً لا يملك إلا الحزن والكآبة التي لا تنفع! ماذا ينتفع الإنسان إذا تنيح في هذه الدنيا بالنطعام والشراب والنعيم الزائل زماناً يسيراً ثم يقع هناك في العذاب الدائم؟! وأعرفكم أيضاً أنّ الذي يُلازم فضيلة واحدة من الصلاح ويُقرِّط في فضيلة أخرى يُشبه إنساناً أخذ إناءً وملاه زيتاً وأهمل فيه ثقباً ثم سافر، فلما وصل إلى نهاية سعيه فرغ الإناء مما فيه! هكذا كل من يتوقف عن الاهتمام بوصية واحدة ولا يسلك بالصواب في بقية الفضائل، فإن عمله لا يُقبل وتعبه يضيع. فاحرصوا على حالكم وميزوا أعمالكم حتى لا يلحقكم تفريط ولا يغلب عليكم هوى، لئلا تصيروا مثل من يتصدق بكل ما عنده ويعتقد أنه بتلك الصدقة ينجو من

(عقاب) تفريطه في باقي الوصايا. أو مثل من يعتقد أنه يخلص بإطعام (الآخرين) بالخبز أو إضافة الغرائب أو زيارة المحبوسين والمرضى وهو مُهمَل في بقية الوصايا. أو مثل من يجتهد في الصلاة ليلاً ونهاراً وهو خال من المحبة أو الرحمة وبقية الوصايا. أو مثل من يصوم كل زمانه ويحرم نفسه من كل خيرات الدنيا وهو مفرط في الوصايا الأخرى. أو مثل من يتمسك بالتعفف والمسكنة، ثم يقتني الاسترخاء والكسل مقتنعاً أنه بتعففه ومسكنته يخلص. أو مثل من يلزم الطهارة الجسدية، ثم لا يتعد من أفكار الشر والوقية والحسد، معتقداً أنه بطهارة جسده ينال الملكوت السماوي. هكذا، فإن كل من يتمسك بهذه الوصايا المفردة لا يكاد أبداً أن يخلص بها، لأن الوصايا مثل السلسلة متى انفكت منها عروة تلتفت بأكملها، فمن تواني عن وصية من الوصايا ضاع تعبها! يا أولادي افهموا كلامي، خذوه وأدخلوه في خزائن قلوبكم، لأنه سيأتي وقت تُسألون فيه عن ثمر كلامي وتعطون جواباً عما سمعتموه مني، فلا تجعلوا كلامي لكم سبب دينونة لأنني إنما كلمتكم لأجل خلاصكم وصحة أنفسكم. اهتموا، يا أولادي، بخلاص نفوسكم وارجعوا إلى الرب بتوبة نقية من الغش، وبكاء وتضرع اعترفوا بنقائصكم، ولا تكونوا كالهيمة التي لا حس لها ولا حكمة عقل، تقع في حُفرة وتعود إليها. واعلموا أن التوبة قائمة الآن ومستعدة وكل الفضائل تلحقها لكل من يُجاهد فيها، لأن شأن التوبة جليل، وعظيم هو حُسن عاقبتها إلى الأبد... والذين يثبتون على مرارتها ويتمسكون بمسلكها ولا تتغير قلوبهم عنها يأخذون أجراً عظيماً عنها وينالون الملكوت بسببها، لأن التوبة النقية هي مفتاح كل الفضائل وبدء كل صلاح وسلّم الخيرات الأبدية، والذي يقتنيها تسهل عليه باقي الوصايا شيئاً فشيئاً. ولكن التوبة ليست هي عن خطايا الجسد فقط، وإنما عن كل الخطايا سواء كانت للجسد أو للنفس... وكل من اجتهد فيها فهو الرجل الكامل الذي بدأ يني على الصخر! يا أولادي، أنا أفرع إلى الله مرتعداً من أجلكم حتى لا تُصادوا بفخ الغفلة ولا تميل قلوبكم إلى اعتياد التهاون، لأن ذلك يُبعدكم عن حرارة التوبة ويورثكم الندامة في النهاية حيث لا ينفع حينئذ ندم، فما دمتم في الجسد فامسكوا التوبة ولا تدعوها تفلت منكم، لأن كل من فارقتها فقد فارقت الرحمة وملكوت السموات.

اضرعوا دائماً وابكوا بكاءً قدام مُخلصنا حتى تستحقوا سماع الصوت: «مغفورة لك خطاياك!» صالحٌ هو مُخلصنا، وهو مُحب البشر يفرح بتوبتكم ويطلب من الآب لأجلكم، ولكن لا تتهاونوا أنتم بطيبة قلبه وترجعوا إلى خطاياكم فتصبح الطلبة من أجلكم بلا نتيجة... فمن هو الجاهل إلا الذي ترك عنه التوبة واستكان للاسترخاء والغفلة فينهدم كل ما بناه بالتعب والدموع! أحيوا، إذًا، حلاوة الجهاد لأن التعب والحرص يأتيان بالإنسان إلى النياح ويُشفيان جميع أوجاع قلبه، ويجلبان له خيرات السماء، وفي النهاية يصير مسكنًا للروح القدس. فلنُشب ما دام لنا زمانٌ قبل أن يآزف الوقت وندعى للخروج من الجسد، لأن التوبة هي لزمان قليل بعد، لأنّ الذي يموت في خطاياہ يقول الله إنه لا يذكر شيئًا من صلاحه. إذن، فلنحرص من الآن حتى نجد عزاء في زمان الشدة كالفلاح الذي إذا لم يتعب ويحراث ويزرع في زمان الشتاء لا يجد في زمان الجفاف ما يجمعه إلى مخازنه ولا ما يقتات به. هكذا نحن، فليحرص كل واحد منا على قدر قوته، فإذا لم نقدر كلنا أن نُكَلِّل مع الكاملين، فلا بأس أن نكون دونهم، ولكن لا نكل يا أحبائي في الجهاد لنشارك أعباء المسيح، ولا نكون مع ذلك العبد الذي دفن فضة سيده ولم يعمل شيئًا. نحن نجاهد على قدر قوتنا مهما كان قليلاً، لأنّ إلهنا صالحٌ وهو يُكافئ عوض القليل بالكثير. ولنجتهد لنتشبه دائماً بالصالحين لئلا نندم عندما نجدهم في النهاية في مجدٍ عظيم، فنبداً نلوم أنفسنا قائلين: يا ليتنا كنّا سلمنا أنفسنا للموت في الجهاد حتى نرث هذه النعمة مثلهم! طوبى، يا أولادي، للذين يعملون الآن بكل قوتهم، فإن ساعة واحدة في ذلك المجد والراحة تجعلهم ينسون كل تعبهم. احرصوا، إذن، لئلا تُعدموا تلك النعمة! مكتوب في رسائل القديس بولس الرسول أن اهتمام الجسد موت واهتمام الروح حياةٌ وسلام. فليكن اهتمامنا الآن هو في الروح لكي نحيا إلى الأبد ونرث النعيم الدائم. يا أولادي، أنا أعطي وصيتي لكل واحد منكم أن لا يدنو من الأسرار المقدسة إلا وهو مُستبرئ نفسه (أي يحاكمها فيجدها بريئة)، أمّا إن كان بينه وبين أخيه جدّ (أي حقّد) فليمض إليه ويُصالح قلبه ويضرب له مطانية (توبة واستغفارًا)، وبعد ذلك يتناول من الأسرار الطاهرة، عالين أن محبة الإخوة ومصالحة قلوبهم بعضهم نحو بعض هي النعمة كل النعمة

وهي العبادة وهي الملكوت ... أما الغضب والحقد والتعير (أي الشماتة) والحسد والبغضة والغش والرياء، فهذه هي صناعة العدو الملعون، ومن يتبع شيئاً منها فهو يتشبه بالشيطان ويشغل بصناعته، والذي يطلب خلاص نفسه يهرب من هذه جميعها. واعلموا ان مخلصنا لم يُقاتل الشيطان بارتفاع (أو بعظمة) لاهوته، لكنه وضع نفسه وتنازل حتى غلب كبريائه وتجبره، وعلمنا أن نُقاتله بهذا التدبير حتى نغلبه. فلنلحق باتضاع معلمنا حتى يعطينا الغلبة في قتال عدوِّنا. يا أحيائي، اجعلوا أنفسكم غرباء عن هذا العالم لكي تصيروا أهلاً للخيرات الأبدية. أول معصية كانت بسبب الطعام في الفردوس، وأول الجهاد الذي جاهد به مخلصنا حتى غلب العدو هو بالصوم. فلنجاهد إذن كما علمنا وننتقدم الآن إلى جهاد الصوم بحيث يكون تبعه حلواً عندكم، واطلبوا الزيادة حتى تأخذوا المكافأة مضاعفة. واعموا ان صوم الأربعين المفروض علينا ليس الجهاد به وحده هو الذي يدخل بنا إلى الملكوت، وإنما صوم الأربعين هو الخميرة للسنة كلها، فيجب أن نوفيهِ باحتراس لأن الخميرة إذا فسدت أفسدت العجين كله. والصوم مربوط بعدة فضائل لا يُثمر إلا معها وبها، وجميعها أنتم تعرفونها، فاحترسوا في صومكم من الغفلة، لأن أعدائنا الذين يحسدوننا إن هم ظفروا بنا فلن يرنُّوا هلاكنا، وكلما غفلنا نحن ازدادوا هم حرصاً على هلاكنا، فلا تُفرحوا أعدائنا ولا تُتكمّلوا مشيئة مبغضينا لأنهم يريدون تبديد أتعابنا. وفي أيام الخماسين، إذا لم تقدروا أن تصوموا أو تضربوا ميطانيات فالزموا السهر وقراءة الكتب الإلهية بنشاط، وتمموا خدمتكم بحرصٍ ولا تتوانوا عن الذهاب إلى الكنيسة بمخافة. واعلموا أن الملاك الموكل بالسرائر المقدسة يعرف من هو المستحق ويفرح به ويطوبه، أما غير المستحق فيحزن عليه ويعطيه الويل لأنه إنما يأخذ ناراً في جسده. فاحترسوا، يا أولادي، وتحفظوا حتى لا يتقدم أحدٌ إلى الأسرار المقدسة وهو في شكٍّ لسبب من الأسباب لئلا يهلك وهو لا يدري. واجعلوا دخولكم إلى الكنيسة مبكراً لتسمعوا المزامير والتسبحة ثم قراءة الكتب — كما علمنا الرسل في قوانينهم — قبل أن تأخذوا جسد المسيح ودمه المحيين، لأنه يطرد من نفوسكم كل قوات الظلمة ويظهر قلوبكم من كل دنسٍ، لأنه شفاء للنفس وبه تُحفظ من كل قوات العدو كما قال سيدنا: «من يأكل

جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦). أما الذي يتهاون ويظل بلا قربان فإن قوات الظلمة تقوى عليه وتدنس قلبه ويكون غريباً من النعمة التي أعطاها له مخلصنا. فيجب علينا ألا نترك في أنفسنا علة تمنعنا من التناول، بل نكون ملازمين لنقاوة الضمير وطهارة النفس متحدّين دائماً بالمسيح، لأننا بذلك نعتقد من سلطان العدو، ولا يبقى له فينا مطمع، ولا يجد إلينا سبيلاً لهلاك أنفسنا وخسارة تعبنا وإبعادنا من خالقنا. فتيقظوا بالروح وامتلئوا بالإيمان حتى تمضوا إلى الرب بدالة، ووجوهكم مكشوفة وأعمالكم نيرة لتستحقوا الدخول إلى أورشليم السماوية، وتناولوا الإكليل الذي لا يبلى، وطوبى لمن وجد ذلك عند ظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الدهور آمين. ثم إنه في نهاية حديثه قال لهم: ”أيها الإخوة، لنبك ولتسل دموعنا من أعيننا الآن قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع“. ثم بكى أنبا مقار فبكى الكل معه وخرّوا على وجوههم قائلين: ”أيها الأب، صل لأجلنا“.

### رسالة إلى أولاد الله

المؤرخ الوحيد الذي ذكر كتابات القديس مقاريوس جناديوس (Gennadius) أسقف مارسيليا (توفي ما بين ٤٩٢ - ٥٠٥م) في كتابه ”حياة مشاهير الرجال“ (De viris illustribus) - وهو امتداد لمؤلف القديس جيروم الذي يحمل نفس الاسم - وقد ذكر جناديوس وجود رسالة واحدة وحيدة للقديس مقاريوس. وهي موجهة إلى صغار الرهبان، وقد حفظت في ترجمة لاتينية<sup>٥٧</sup>، وقام الراهب ويلمار A. Wilmart في تولوز بفرنسا سنة ١٩٢٠م بترجمتها وتحقيقها إلى الفرنسية في ”مجلة النسك والتصوف (RAM)“ تحت عنوان: ”الرسالة الروحية لأنبا مقار“<sup>٥٨</sup>. وقد حفظت أجزاء من هذه الرسالة في كتاب ”فضائل أنبا مقار“ الذي نشره العالم

<sup>٥٧</sup> الراهب باسيليوس المقاري، دراسات في آباء الكنيسة، الناشر دار مجلة مرقس، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ص ٥٤٨.

<sup>٥٨</sup> Wilmart, la lettre spirituelle de l'abbé Macaire, in RAMI (1920), P. 58-83.

E.Amelineau في باريس سنة ١٨٩٤م، ضمن كتابه: تاريخ أديرة مصر السفلى<sup>٥٩</sup>.

وبذلك يكون هذا الخطاب في الأصل مجموعة أقوال لمقاريوس، دونها تلاميذه أولاً، كما وردت في المجموعة القبطية، أو العكس! أما ورودها في هذه المجموعة القبطية القديمة والأصيلة فهو دليل كاف على أصالتها.

وقد صدرت ترجمة عربية لنص هذا الخطاب نشرت في كتاب "الرهبة القبطية في عصر القديس أنبا مقار" الطبعة الثانية ١٩٨٤م - للقمص متى المسكين - ونورد هنا في الجدول التالي نص الخطاب كاملاً، يقابله الأجزاء التي حُفظت في النص القبطي البحيري لفصائل أنبا مقار المترجم للفرنسية، وقد ترجمه إلى العربية الأب المنتيح الراهب القس يعقوب المقاري<sup>٦٠</sup> ولكن لم يتم نشره.

### رسالة القديس مقاريوس إلى أولاده:

١- حينما يبدأ الإنسان يعرف ذاته، ولماذا خُلق، ويبحث عن الله خالقه، فإنه يتوب أولاً عن كل ما

<sup>٥٩</sup> الراهب القس أناسيوس المقاري، فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية الكتابات اليونانية، مطبعة دار نوبار، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص ٣٧٩.

(E. Amelineau, Histoire des Monastères De La Basse - Égypte; 1894, P. 122sq).

<sup>٦٠</sup> الراهب القس يعقوب المقاري (المنتيح)، ولد في ٦ إبريل ١٩٣٥م بمحافظة قنا، حصل على بكالوريوس هندسة - قسم عمارة - جامعة القاهرة ١٩٥٥م، تهرن في ٨ يناير ١٩٦٨م، كان ضمن الاثني عشر راهباً الذين جاءوا مع القمص متى المسكين إلى دير أنبا مقار في ٩ مايو ١٩٦٩م. رُسم قساً في يوليو ١٩٧٢م بيد المنتيح أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير أنبا مقار بيرة شيهيت عمل في المباني والإنشاءات بالدير عملاً متواصلاً بدون كلل، كان يجيد من اللغات الحية الإنجليزية، الفرنسية، ومن اللغات القديمة اليونانية، والعبرية التي أتقنها حتى أنه كان يصلي المزامير بها، كان عالماً كاتباً وباحثاً كنسياً وله محاضرات عديدة في التاريخ الكنسي، وشرح إنجيل يوحنا، والعبرانيين. وبعض الأبحاث الأخرى (مسجلة بالصوت على CD) تنيح فجر الثلاثاء ١٣ أغسطس سنة ٢٠٠٢م عن عمر ٦٥ سنة قضى منها في الرهبة ٣٥ سنة (الراهب أرسانيوس المقاري، أيقونة مجد من النجم السماوي لرهبان دير أنبا مقار، بدون رقم للطبعة، ٢٠١٤م، ص ١٤٠: ١٥٢).

اقترفه في زمن توانيه. وهكذا يعطيه الله الرؤوف حزنًا على خطاياهم.

٢- ثم يعطيه، بنفس الرأفة، أن يُتعب جسده بالأصوام والأسهار، وأن يثابر على الصلاة ويحتقر العالم، كما يمنحه أن يحتمل الإهانات، برضى، ويبغض كل نباح الجسد، ويفضل البكاء على الضحك.

٣- ثم يعطيه اشتياقًا للدموع والبكاء، ومسكنة في قلبه، وتواضعًا، كما يعطيه أن يرى الخشبة في عينه دون أن يحاول إخراج القذى من عين قريبه، وأن يردد باستمرار: «إني عارف بإثمى وخطيئتي أمامي في كل حين» (مز ٥١: ٣)، وأن يتفكر في يوم موته وفي مثوله أمام الله، وأن يتصور الدينونة والعذاب، وأيضًا الأجر والكرامة التي تُعطى للقديسين.

٤- وحينما يرى الله أن هذه الأشياء تحلو له، يعرضه للتجربة، ليراه هل يرفض الشهوات، وهل يثبت أمام هجمات ولاية هذا العالم الذين غلبوه من قبل، وأمام ملذات الأطعمة المتنوعة التي تُضعف القلب. فتصل به الحال (تحت التجربة) إلى أنه يعجز تقريًا عن الصوم، ويكاد يستسلم، منهزمًا بضعف الجسد وطول الزمان، لأن



أفكاره المعادية تقول له: ”كم من الزمان تستطيع أن تحتمل هذه الأتعاب؟“، وأيضًا: ”إنه لتعب مرير أن تستحق حلول الله فيك، لاسيما وأنك قد أخطأت بهذا المقدار“، ثم أيضًا: ”هل يستطيع الله أن يغفر لك كل هذه الخطايا؟“.

٥- ولكن حينما يتيقن الله أن قلبه يبقى ثابتًا في مخافته، وأنه لا يترك المكان الذي جاء ليسكن فيه، بل يقاوم بشدة، فإنه يسمح بأن تأتيه أفكار أخرى توحى له قائمة - وهي متخذة فرصة ببه: ”صحيح أنك أخطأت، غير أنك قد قدمت توبة، فقد صرت منذ الآن قديسًا“، وتذكره بخطايا بعض الناس الذين لم يتوبوا، وبذلك تزرع المجد الباطل في قلبه.

٦- ثم أن الأبالسة لا تكفني بذلك، بل تجعل أيضًا بعض الناس يمتدحونه بإفراط، ويدفعونه إلى أعمال لا يقدر أن يقوم بها؛ وتوحى له بأفكار، كأن يمتنع عن الأكل أو الشرب أو يغالي في السهر، وأفكار أخرى كثيرة يطول ذكرها؛ بل وتعطيه سهولة للقيام بها، محاولة بكافة الوسائل أن تحتذبه إليها (أي إلى هذه الأعمال) مع أن الكتاب يحذر قائلاً: «لا تمَلْ

عنّة ولا يسرةً بل اسلك في الطريق المستقيم»<sup>٦١</sup> (أم ٤: ٢٦، ٢٧).

٧- ولكن إن لاحظ الله إن قلبه لم يمل إلى أي من هذه التجارب، التي سبق داود فتكلم عنها قائلاً: «جربت قلبي وافتقدته ليلاً. محصنتي بالنار لكن لم يوجد فيّ إثم»<sup>٦٢</sup> (مز ١٧: ٣)، حينئذ ينظر إليه الله من سمائه المقدسة ويحفظه بلا عيب. ولاحظوا جيداً أن داود لم يقل «نهاراً» بل «ليلاً»، لأن خداعات العدو هي ليل، كما يقرر أيضاً بولس الطوباوي: «إننا لسنا أولاد ظلمة بل أولاد نور. فإن ابن الله هو بالحققة "نهار" بينما يشبه إبليس بـ "الليل"».

٨- ومتى تجاوزت النفس كل هذه المحاربات، فإن الأفكار المعادية توحى لها بشهوة الزنا (والنجاسة). وفي كل ذلك تشعر النفس بضعفها، ويدبل القلب، لدرجة أنه يتوهم أن حفظ الطهارة أمر يستحيل عليه؛ فإن الأفكار، كما قلت، تبين له طول الزمان، من جهة وصعوبة الفضائل، من جهة أخرى، وكم أن حملها ثقيل لا

أنبا مقار: إن حيل العدو هي تلك التي سمّيت "ليلاً" و"ظلمة"، كما قال الرسول بولس: «لسنا من ليل ولا من ظلمة، بل جميعنا أبناء نهار» (١ تس ٥: ٥). لأن ابن الله هو في الحقيقة النهار، وإبليس هو الليل.

فإن كان القلب يهدأ قليلاً من هذه القتالات، فهي تعود مرة أخرى بحسد إبليس، وتصيب المجاهد. حينئذ تبدأ تثير عليه قتال الزنى وشهوة الصبيان، فيضعف القلب مقابل هذه القتالات حتى يصعب على الإنسان أن يحفظ طهارته لأنها تواجهه طوال الوقت مع تعب الفضائل وضنك السيرة؛ وتكون المعاناة شديدة

<sup>٦١</sup> «لا تمل بغيري ولا يسرة باعد رحلك عن الشر» (أم ٤: ٢٧).

<sup>٦٢</sup> «جربت قلبي تعهدته ليلاً محصنتي لا تجد في ذموما لا يتعدى فمي» (مز ١٧: ٣).

يُجتمَل، وتُضَيَّف إلى ذلك أيضًا ضعف جسده وهوان طبيعته.

٩- وإن لم يكل أمام هذه المحاربات، فإن الله الرؤوف والرحوم يرسل له قوة مقدسة، ويثبت قلبه، ويعطيه الفرح والنياح والقدرة على أن يقوى على أعدائه، بحيث أن هجومهم عليه لا يخرجه، لأنهم يخافون القوة الساكنة فيه، هذه التي قال عنها القديس بولس: «جاهدوا فتنالوا قوة»<sup>٦٣</sup> (كو١: ٢٩)، والتي تعرض لها أيضًا الطوباوي بطرس في حديثه عن «الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم، أنتم الذين بقوة الله محروسون بالإيمان»<sup>٦٤</sup> (١ بط١: ٤-٥).

١٠- ومتى رأى الله الرؤوف المتحنن أن قلبه قد صار أقوى من أعدائه، فإنه يسحب عنه بالتدريج القوة التي كانت تسنده، ويسمح لأعدائه أن يهاجموه بنجاسات الجسد المختلفة وبشهوة المجد الباطل والعظمة، وتجارب الخطايا الأخرى التي تجذب إلى الهلاك، حتى يكاد أن يشبه سفينة

وبالأخص مع ضعف الجسد.

ثم طرح عنه التخاذل وصرخ إلى الله بتنهّد وأنين نفسه، فللوقت يرسل الله الصالح المتحنن على خليقته قوة مقدسة تسند قلبه وتمنحه دموعًا وفرحًا وعزاءً حتى تجعله أقوى من عدوّه، فلا يستطيع أحد أن يغلبه؛ إذ يهرب القوة الكائنة معه. كما يقول ق. بولس الرسول: «جاهدوا لكي تنالوا القوة» (كو١: ٢٩)،

هذا التي يتكلم عنها أيضًا بطرس الرسول فيقول إنها «ميراث لا يفنى ولا يتدنس، محفوظ لكم أنتم الذين بقوة الله محروسون بالإيمان» (١ بط١: ٤).

حينما يرى الله الصالح أن القلب قد انتصر على العدو، حينئذ يبدأ أن يرفع عنه القوة، إذ يرى (صدق) نيته. فيترك عليه العدو لكي يقاتله بالنجاسة وشهوة العيون والمجد الباطل واستعلاء القلب، فيصير مثل سفينة بلا ملاح تتضاربها الأمواج هنا وهناك.

<sup>٦٣</sup> «متقوين بكل قوة» (كو١: ١١).

<sup>٦٤</sup> «ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم، انتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان» (١ بط١: ٤).

بلا دفة، تتخبط من كل ناحية على الصخور.

١١- ولكن متى صار قلبه وكأنه قد ذبل، وكاد أن يكون قد عثر في كل تجارب العدو، فإن الله محب البشر والمعني بخلقته يرسل فيه قوة مقدسة، ويثبته، ويخضع قلبه ونفسه وكل أعضائه إلى نير الباراقليط، لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩).

١٢- وهكذا يبدأ الله الرؤوف، أخيراً، يفتح أعين قلب (الإنسان)، لكي يفهم أن (الله) هو الذي يثبته، وحينئذ يبدأ الإنسان يتعلم بالحقيقة كيف يعطي مجداً لله بكل تواضع وانسحاق قلب، كما يقول داود: «الذبيحة لله روح منسحق» (مز ٥١: ١٧)، لأنه من صعوبة ذلك الجهاد، يتولد التواضع وانسحاق القلب والوداعة.

١٣- ومتى تجرّب بكل هذه الأنواع، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السماوية، أي كل ما يعود بالاستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته. وحينئذ يتفكر الإنسان في ذاته ويردد

وعندما يضعف القلب جداً مقابل العدو، فحينئذ يرسل الله المتحنن على جبلته أيضاً تلك القوة المقدسة فتضبط النفس والقلب والجسد وسائر الأعضاء تحت نير الروح المعزّي، كقول ربنا يسوع المسيح: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني أي وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩).

حينئذ يبدأ الله الصالح أن يفتح عيني قلبه ويعلمه أن يعطي المجد لله بتواضع وانسحاق قلبي؛ كما يقول داود النبي: «الذبيحة لله روح منسحق متواضع» (مز ٥١: ١٧). لأنه من معاناة تلك الحروب يتولد التواضع والانسحاق في القلب.

حينئذ تستعلن تلك القوة لروح الإنسان وقلبه السمايين وتسيبهم، والكرامة التي لكل من يصبر؛ وأنه إذا كان الإنسان يحتمل آلاماً كثيرة، فهي لا تعتبر شيئاً إذا قيست بالأجناد التي يهبها الله له، كما يقول الرسول:

قول الرسول: «إن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» (رو ١٨: ٨)، وأيضًا قول داود: «وماذا لي ما السماء؟ ومعك كم من الأشياء أردت في الأرض؟»<sup>٦٥</sup> (مز ٧٣: ٢٥) ومعناه: يا رب كم أعددت لي في السماء؟ وأنا كم من الأشياء طلبت معك في الحياة الفانية؟ وهكذا أيضًا تعلن له العذابات التي تنال الخطاة، وأشياء أخرى كثيرة يفهمها كل رجل قديس بدون أن أذكرها.

١٤- وبعد هذا كله يقطع البارقليط عهدًا مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة، ويعمل فيه، بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، وأنه يرى المستقيم بعينه، ويضع حارسًا لفمه، ويرسم طريقًا مستقيمًا لخطواته، ويقتني برّ يديه أي (بر) أعماله، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرر. ولكن هذه الأشياء يرتبها البارقليط فيه بقياس وإفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء.

١٥- ولكن إن تجاسرت روحه فقاومت ترتيب الروح القدس نفسه،

«إن آلام هذا الزمان الحاضر لا تساوى المجد العتيد أن يُستعلن لنا» (رو ١٨: ٨).

عندئذ يبدأ يعلن للقلب أنواع العقوبات، والذين يُعاقبون بها، وأمورًا أخرى كثيرة لا أستطيع أن أقولها كلها.

كما أن البارقليط يثبت أركان القلب التي هي طهارة النفس وبقية الأعضاء، وبهية تواضعًا عظيمًا ويقظة وفهمًا واعيًا، واضعًا ذاته تحت الخليقة كلها، والتغاضي عن شر كل إنسان (مهما كان)، وطهارة العينين وحفظ اللسان، ونظافة السيرة، ونقاوة اليدين وخدمة الصلوات وتعب الجسد والسهر الإلهي. هذه الأمور توهب له بقياس وتدبير وليس باضطراب، بل في هدوء وثبات.

فإن كان العقل يحتقر وصايا الروح، حينئذ تتباعد عنه القوة

<sup>٦٥</sup> «من لي في السماء و معك لا اريد شيئا في الارض» (مز ٧٣: ٢٥).

(المقدسة)، ويتعرض القلب للمحاربات والاضطرابات (من جديد) فتزعجه أوجاع الجسد بإثارات العدو وزراعاته.

فإذا عاد إلى نفسه لكي يحفظ وصايا الروح، حينئذ تأتي وتحلّ عليه مظلة القدير؛ فيعرف أن الثبوت في الله هو راحته، كما قال داود النبي: «منذ أن صرخت إليك يا رب ارتاحت نفسي كحسب مشورتني» (مز ٣٠: ٢).

فأقول مؤكِّدًا، إنه ما لم يقتنِ الإنسان تواضعًا عظيمًا في قلبه وفي جسده، حتى أنه لا يعتبر نفسه شيئًا في أي أمر من الأمور، مع الصبر الكثير على احتمال الإهانة والاحتقار، ويغضب نفسه في كل شيء، ويضع موته قريبًا منه يومًا فيومًا، مع التجرد من الماديات ومن كل الأمور الجسدية،

فلن يكون بمقدوره أن يحفظ

فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب، وبذلك تتولد في قلبه محاربات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو.

١٦- ولكن إن تاب قلبه وتمسك بوصايا الروح القدس (من جديد)، فإن معونة الله تكون عليه. وحينئذ يفهم الإنسان أنه خير له أن يلتصق بالله في كل حين، وأن حياته هي في (الله) كما يقول داود: «صرخت إليك فشفيتني» (مز ٣٠: ٢)، وأيضًا: «لأن عندك ينبوع الحياة» (مز ٣٦: ٩).

١٧- فمن رأبي، إذن، أن الإنسان إن كان لا يقتني تواضعًا كثيرًا، وهو قمة جميع الفضائل؛ وإن كان لا يضع حارسًا لفمه ولا يجعل خوف الله في قلبه؛ وغن كان لا يمتنع عن تركية ذاته بسبب الأشياء التي يتوهم فيها أنه أصلح من غيره، وكأنه قد فعل خيرًا ما؛ وإن كان لا يحتمل برضى الإهانات التي تقع عليه، ولاح ليقنتيه؛ وإن كان لا يحمل نفسه في يده كأنه يموت كل يوم؛ وإن كان لا يعتبر كل الأشياء التي ترى تحت الشمس كأنها باطلة، ولا يردد في نفسه: «لي اشتها أن انطلق وأكون مع المسيح» (في ١: ٢٣)، أيضًا: «لي الحياة هي المسيح والموت

هو ربّح» (في ١ : ٢١)؛ فإنه لا يستطيع | وصايا الروح القدس.  
أن يحفظ وصايا الروح القدس. آمين.



## نفي المقارين (أبنا مقار الكبير، وأبنا مقار السكندري).

### المؤرخون القدامى تؤرخ

### وقائع الاضطهاد الآريوسي على البرية والرهبان

من المؤكد أن القديس أبنا مقار الكبير قد تم نفيه بناء على أوامر من الإمبراطور فالنس (٣٦٤ - ٣٧٨ م) وكان يرافقه في منفاه القديس مكارىوس السكندري، ويذكر أندريه إيمار - أستاذ في السوربون - في كتاب تاريخ الحضارات العام المجلد الثاني "روما وإمبراطوريتها" ما يلي: [وبعد أن استلم الحكم إمبراطور آريوسي، هو "فالنس"، أمر بالبحث بينهم عن الممثلين لهم واعتبرهم هاربين، فأعادهم إلى مدنهم الأصلية، كما فرض الخدمة العسكرية على نساك نتريا بعد اصطدامهم بالجنود: ولكن هذا التدبير لم ينفذ.]<sup>٦٦</sup> ويذكر القمص متى المسكين في كتاب الرهينة القبطية في هذا الصدد ما يلي: [ويظهر أن فالنس أراد أن يهاجم سكون الرهبان منذ أول يناير سنة ٣٧٣ م، لأن لدينا قانوناً (مرسوم) مؤرخاً بهذا التاريخ، يقول فيه إن بعض الأشخاص قد تركوا الأعمال التي كان يجب أن يمارسوها في المدن في الموضع الذي ولدوا فيه، واعتزلوا في البراري والوحدة وانضموا إلى جماعات الرهبان، متسترين تحت مظهر كاذب للتدين، ليُخفوا كسلهم. ويقول لأشخاص ينبغي أن ينتزعوا من مغائرهم بواسطة والي الشرق، ويُلزموا بتقديم الوظائف الواجبة عليهم نحو وطنهم، وإلا فإنهم يفقدون جميع ممتلكاتهم، وتوهب لمن يقوم عِوضاً عنهم بهذه الوظائف]. كما أيد من المؤرخين القدماء حقيقة نفي القديسان أبنا مقار الكبير وأبنا مقار السكندري كل من روفينوس، وسقراط، سوزومين. مما يؤكد الحدث تاريخياً،

<sup>٦٦</sup> أندريه إيمار (أستاذ في السوربون)، جانين أوبوايه (أمنية متحف غيمه)، إشراف مورييس كروزيه مفتش المعارف العام في فرنسا، تاريخ الحضارات العام "روما وإمبراطوريتها"، ترجمة فريد م. داغر، فؤاد ج. أبو ربحان، منشورات عويدات بيروت - باريس، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م، المجلد الثاني، ص ٦١٩.

لكن المخطوطة التي تحوي أحداث منفاها وصلت إليها يد العبث فتحتوي على هرطقات وتلك المخطوطات التي كُتبت باللغة العربية وتناقلتها أيادي النساخ ومزجوها بأفكارهم وخیالهم ومعتقداتهم تجعلنا ننتقي منها ما يوافق التاريخ ولا يخالف الأصول الإيمانية، وسوف نحاول هنا على قدر الإمكان استخدام لغة المخطوطة وتسخيرها لخدمة الهدف المطلوب دون التعرض لما يشوبه الخلط والخطأ.

### حياة النسك تدريب لتحمل الآلام من أجل المسيح

لا شك أنه لولا صمود كنيسة الإسكندرية ضد الآريوسية والهرطقات عمومًا لكان العالم كله أصبح أريوسيًا. وكان للرهبنة دورًا روحيًا وعمليًا؛ الدور الروحي نابع من صلوات الآباء القديسين في البراري والدرجات النسكية العالية التي تدرجوا فيها، فكانت خير سند للكنيسة و تعضيد قوي للمؤمنين الذين كانوا يثقون في آبائهم، ومن الناحية العملية نرى القديس أنطونيوس أب جميع الرهبان يترك مغارته ووحدته وينزل إلى مدينة الإسكندرية يساند المؤمنين ويعظمهم ويثبتهم على الإيمان المستقيم المسلم لنا مرة من القديسين، وبعدما استفحلت شوكة الآريوسية وقويت وجدت أن العائق أمامها في القادة الروحيين للشعب، ووجد فالنس الإمبراطور الأريوسي أن ولاء الشعب لهم أقوى من تهديداته وتنكيله بكل من يخالفه الرأي، وهذا ما أشرنا له في الفقرة السابقة فأمر بالبحث عن الممثلين (القادة) حيث كان الشعب يتبعونه فقط في إيمانهم مقتنعين أن الحق في جانب هؤلاء القديسين. ولم يكن ابتعاد الآباء في البرية حائلًا أمام وصول الإضطهاد إليهم. فكان تقشفهم ونسكهم إعدادًا مباركًا لتحمل آلام ونير الإضطهاد من أجل المسيح.

### مراحل وخطوات الاضطهاد على سكان البرية

لكن الخطوات التي اتخذوها بأمر لوكيوس (لوقا) الأسقف الدخيل (وكان والي مصر هو تاتيان وفي مدة ولايته نفى واستبعد أساقفة، وكهنة، وشمامسة، ورهبانًا) أما هذا الأسقف الكاذب المغتصب الذي كان له اسم الذئب و ووحشيته؛ قام مؤيدًا - كما يقول المؤرخ سقراط - من السلطان الإمبراطوري، بداية من غلق

الكنائس وحرّموا على النساك والمتوحدين دخولها وانتهت بأعمال وحشية فظيعة ضد إكليروس وشعب الإسكندرية وسائر أساقفة مصر<sup>٦٧</sup> ويؤكد "جيروم" و"أوروس" أن جماعات كاملة من الرهبان (بالآلاف) سُفكت دماؤهم في نتريا على يد الوالي "لوكيوس" مدعي الأسقفية، ثم يقول المؤرخ سقراط: "لما سُمّ لوكيوس، الأسقف الآريوسي، من إزعاج القديسين وقتل العديد من الرهبان الأرثوذكسيين، أمر بنفي آباء الرهبنة الكبار مثل (إيسيدورس، وهيراكليد، وبامو، ويسسيمينوس، وأدلفيوس، وبفنتيوس، وأمونوس ذي الأذن الواحدة إلى فلسطين، ثم أمر بالقبض على المقارين سرّاً أثناء الليل ومعهما شخصان لخدمتهما، وكان ذلك في ١٣ برمهات".

وكان روفينوس المؤرخ شاهداً على تلك الأحداث إذ كان في برية شيهيت فيقول: [ولما وصلوا تلك البراري وجدوا فيها رهباناً منشغلين في عبادتهم وأصوامهم وخدمتهم، غزلاً بلا سلاح، بل وغير مستعدين حتى للدفاع عن أنفسهم، بل ومصممين على سفك دمائهم صوناً للإيمان المستقيم الذي سُلّم لهم مرة من القديسين. كما وجدوا في تلك البراري نساكاً عراة، لا يرفعون حتى أيديهم لصد الضربات الموجهة نحوهم، بل يقدمون الرقاب لقبول الموت دون أن يقولوا شيئاً سوى: "مبارك الله في كل شيء"]<sup>٦٨</sup> أما عن المقارين فيؤكد كل من روفينوس وسقراط و سوزومين أن مقاريوس المصري ومقاريوس السكندري تم نفيهم لجزيرة في مستنقعات الدلتا<sup>٦٩</sup>.

<sup>٦٧</sup> الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق ص ١٠٥.

<sup>٦٨</sup> المرجع السابق ص ١٠٧.

<sup>٦٩</sup> إيفلين هوايت، تعريب بولا البراموسي، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م، الجزء الأول، ص ١٢٥.

تعليق: تشير المخطوطة العربي إلى أنهم نفوا إلى جزيرة غاغرا!! وإن كان هذا الرأي ضعيف ولا يتطابق مع الشواهد التاريخية للمؤرخين القدماء السابق ذكرهم بالإضافة إلى الشواهد المكانية؛ حيث توجد كنيسة على اسم القديس أنبا مقار الكبير في مدينة أبوتيج قد بناها عند عودته من المنفى وتقع هذه المدينة جنوب أسيوط على شاطئ النيل الأبيض. بل على الأرجح أنه نُفِيَ إلى جزيرة فيلة جنوب أسوان وذلك كما ورد في السنكسار تحت يوم ٢٧ برمهات. كما تذكر منفاه في جزيرة فيلة دائرة المعارف الفرنسية تحت كلمة "مكاري".

## مقتطفات من نص مخطوطة نفي المقارين

وتقص المخطوطة ما يلي: فلنعلمكم يا إخوتي الأحباء المسيحيين أبناء  
أورشليم السماوية بتلخيص الكلام. فأن الاختصار فيه بغية. ما جرى للقديس  
أبو مقار الكبير، وأبو مقار الإسكندراني في الجزيرة المقدم ذكرها من العجائب  
والبراهين. وذلك أنه كان في تلك الجزيرة قومًا يعبدون الأوثان دون الله. وكان  
الملك كاهنًا وساحرًا ويتخذونه إلهًا. فلما مثل الأبحاث القديسين بين يديه. وقرأ  
عليهما الرسالة المرسلة بسببهما من والس (فالنس) الملك وغضبه عليهما.  
لكونهما لم يطيعانه في امانته الغير المستقيمة وأنه ابتدأ يعذبهما مدة ثلاث  
سنين. ولو شرحنا العذاب الذي صنعه بهما لطال الحديث فيه واتسع الوصف.  
لكن طلبنا الاختصار كما طلبنا أولاً. كما ابتدأنا أولاً. ولما نظر الرب لعبديه  
وصبرهما وتعبهما جعل لهما هذا السبب العجيب وذلك ان ملك تلك الجزيرة  
كانت له ابنة وحيدة وهو مغرم بحبها. وكانت حسنة جدًا. فأمر الرب جلّ اسمه  
احد الأبالة الذين يخدعون أبوها أن يصرعها ويتعبها. فقلق أبوها لذلك وأظهر  
قوته وسحره أن يطرد ذلك الشيطان من ابنته. فلم يقدر لأن الله صنع ذلك،  
وكان على أهل الجزيرة سطوة عظيمة من الشياطين الذين بها يصرعونهم  
ويتعبونهم وبصلوات الآباء القديسين أظهر الله معجزاته فيهم. ويظهر اسمه  
القدوس، وكان الشياطين يصرخون ليلاً نهارًا قائلين بحرقه وقلق: ”آه يا مقاره  
الكبير الذي طرده من بلاده، ومقاره الآخر الذي يصحبه أهلكونا و أحرقتونا  
بصلواتكم. لا تستطيعوا أن تقيموا عندنا البتة“، وكانت تلك الجزيرة واسعة  
جدًا. وكان الناس الذين هناك يسمعون صراخ الشياطين هكذا علانية، وكان  
الشيطان في ابنة الملك يفضحها ويخزنها ويعريها في وسط المجامع والمحافل ولا

---

وان لم يذكر كتاب تاريخ المسيحية وآثارها في أسوان والنوبة شيئاً عن نفي القديس أنبا مقار لجزيرة فيلة بل يذكر عن جزيرة فيلة  
ما يلي: [أقيم أول أسقف على مدينة فيلة في نحو عام ٣٥٠م أي في نحو منتصف القرن الرابع الميلادي ... وأول أسقف على  
فيلة كان مكدينوس (٣٥٠م) في عهد البابا أناسيموس الرسولي البطريرك (٢٠). ١١٩.] (نبه كامل داود) (مدرس تاريخ بالكلية  
الإكيليكية)، عاطف نجيب (أمين متحف أسوان)، مراجعة د/ جودت جبر، تاريخ المسيحية وآثارها في أسوان والنوبة، الناشر  
مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص ٦٧.

يستطيع أحدًا يقترب إليها البتة. لأن الرب أمر الشيطان الذي بها ان يقول الحق بغير إرادته. وكان يصرخ أمام الملك الساحر وعظمائه قائلاً: ”إذا لم يجيء مقاره المصري ويخرجني من بيتي هذا فلا لك عليّ استطاعة البتة“... (ثم تشير بعد ذلك المخطوطة أن ملك الجزيرة الساحر أمر سبعين غلامًا أن يبحثوا عن أنبا مقار في الجزيرة وأرسلهم اثنين اثنين إلى أن وجدوه) وكان القديس يكلمهم بلغتهم لأن نعمة الروح القدس كانت حالة فيه فسألوه (يقصد أنبا مقار) أن يفكوا الحديد من يديه ورجليه فلم يجيبهم إلى ذلك لأن القديسين كانا راغبين في التعب على اسم المسيح، وبعد أيام قليلة وصلوا إلى المدينة التي فيها الملك الساحر فلما علم بوصولهم إليه فرح غاية الفرح، ولما بلغا القديسين إلى باب قصره صرخ الشيطان الذي في ابنة الملك وصرعها وقال أمام العظماء: ”الويل لي أحرقتني بصلاتك التي تصعد إلى الله، ولولا أنت لقتلتها لأجل أبيها لأنه مستحق لذلك“، فلما سمع الملك ذلك قلق قلقًا عظيمًا وأمر بإحضار الأبحاث إلى قدامه. فلما نظر إلى الأب أنبا مقاره الكبير والنعمة الإلهية الحالة عليه في وجهه وكانت لحيته سابلة على صدره مثل إبراهيم رئيس الآباء وكانت بيضاء مثل الثلج وكان النور يتلألأ في وجهه فتعجب (الملك) عجبًا عظيمًا ثم سلم عليه (أنبا مقار) بلغة الملك فتعجب الجماعة الحاضرين لسلامه على الملك بلغته، وفي تلك الساعة خرج الروح النجس الذي كان على الملك وذهب بصلاة القديس أنبا مقار، وبنعمة الله صار الملك كمثال الحروف الطاهر التقى بصلاة القديسين. (بعد ذلك طلب الملك من القديس أنبا مقار الصلاة من أجل ابنته التي يصرعها روح نجس وقد اعترف أمام القديس بأنهم كانوا يطيعونه ولكنه لا يستطيع أن يشفي ابنته ويخرجهم منها، وبعدما أرشد أنبا مقار ملك الجزيرة وعرفه بضلاله، وبعدها اعترف الملك أمام أنبا مقار إن شُفيت ابنته فهو يؤمن بقوة إله أبينا أنبا مقار) فلما سمع أبينا القديس هذا الكلام من الملك أمر ان يقدموا اليه الطفلة فأحضرها إلى المجلس ولم يستطيع أحد ان يقترب منها لسطوة الشيطان عليها وللوقت صرخ الشيطان الساكن فيها قائلاً: ”يا مقاريوس مالنا ولك. قد ضيقت على جنسنا في كل الأماكن والآن قد جئت إلى هاهنا لتطردنا من بيوتنا“. فأجاب الشيخ أنبا مقار الكبير وقال للشيطان:

”باسم ربي وإلهي ومخلصي يسوع المسيح ابن الله الآب، بطهارة وحق اخرج من الطفلة ولا تصنع بها ردياً“ ... فصرخ الشيطان قائلاً للقديس: ”دعني أنا وهذا الملك أدينه على سوء أفعاله ليعلم أن الله كائن“. فلما سمع الملك خاف جداً. فأجاب القديس وقال له: ”لا تخاف أيها الملك آمن باسم المخلص سيدنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح وهو يخلصك من كل سوء“... (ثم أخذ القديس أنبا مقار زيتاً وصلى عليه ومعه أنبا مقار الإسكندراني ودهنا به الطفلة وانتهرا الروح الشرير فخرج منها في الحال وأمر أن يقدموا لها طعاماً لأن الشيطان كان يمنعها ان تأكل، وبعدما رأى الملك وكل الحضور هذه الأعجوبة سألوه أن يعرفهم بإلهه<sup>٧٠</sup>، فأجابهم أنبا مقار إلى طلبهم وعرفهم الإيمان المستقيم شارحاً لهم من بداية خليقة أبينا آدم وتمام الكتب والأنبياء إلى ميلاد مخلصنا الصالح وتتميم الفداء بموته وصلبه وقيامته المقدسة في اليوم الثالث، وحالما انتهى من شرحه للإيمان طلبوا منه أن يكون لهم بيت ومسكن للرب يسوع في وسطهم فحول هيكل الأصنام في الذي في المدينة إلى كنيسة وزينها بالذهب والفضة وبني فيها ثلاثة هياكل بثلاث قباب)... وتستطرد المخطوطة وكان يجيء إليه المحب لله إيغومانوس الإسكندرية في خفية يأخذ بركته وهو في السجن مع أبو مقار الإسكندراني. وكان الأب أنبا مقاره يسأله أن يجيب له الميرون، من الأب البطريك أثناسيوس، أو بطرس الذي هو بطريك بعده. فأجاب سؤاله ومضى به إليه وسلمه. ثم قال الايغومانوس لأبينا القديس اعلم أن أنبا بطرس البطريك ما له من حين قدم على البطريكية إلا مدة ستة أشهر ما لحق أن يصلي على الميرون. إلا إني اعرف مكان ميرون من أيام القديس اثناسيوس الرسولي، مخفياً تحت الهيكل في بيت البطارقة، فقال له القديس: ”امضي وأتيني به فما عليك خوف من لوكيوس الذئب الخاطف الذي هو في ذلك المكان. قم في هذه الساعة بقوة ربنا يسوع المسيح إلى الموضع الذي فيه الميرون وأنا أو من بالله أنه ما يلحقك شيء وتأتيني به لأنك تنظر أيدينا ورجلينا مربوطة“ . (وحفظ الله

<sup>٧٠</sup> هنري مونيه، مقالة عن ”المسيحية في جزيرة فيلة“ نشرها في مجلة جمعية الآثار القبطية، بعددها الرابع سنة (١٩٣٨م) ص

٤٢. الأستاذة إيريس حبيب، قصة الكنيسة القبطية، طبعة مكتبة المحبة، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٦م، الجزء الأول ص ٢٦٣.

الايغومانوس حتى أحضر لأنبا مقار الميرون، وقام بتعميد أهل الجزيرة، وكانت الأعجوبة أنهم كانوا يسمعون الصلوات التي يتلوها بلغتهم، وقدس لهم في ذلك اليوم وكان أنبا مقار السكندري يخدم معه في ذلك اليوم كشماس، وتقدم شعب الجزيرة وتناولوا من الأسرار المقدسة، كما تمت سيامة يوحنا الصائغ أسقفًا على الجزيرة)... ويتبين من المخطوطة إنه تم تدشين الكنيسة بالميرون في ١٠ طوبة وهو تذكّار عماد ربنا يسوع المسيح. (ولما عُرف خبر انتصار يسوع المسيح هذا في الإسكندرية، فكان خوف شديد على الأسقف لوكيوس من أن ينقلب عليه الشعب نفسه، لأنه ظهر ليس كمن يحارب الناس بل كمن يحارب الله نفسه، وصب الشعب عليه غضبه طالبًا من الله أن ينتقم منه ما لم يطلق سراح القديسين. ولخوف الوالي من النتائج الخطيرة المنتظرة من هذا الشعب، فاضطر لوكيوس أن يأمر بإرجاعهم سرًا، وتركهم يعودون لبراريهم ومغايرهم في ٣٧٦م وقد تجمع الرهبان حولهم مثل فراخ الحمام من أربعة أركان الجبل، وبعدها بسنة واحدة طرد هذا الأسقف الكاذب الشرير سنة ٣٧٧م، وعادة جماعة نتريا وسكنت البرية مرة أخرى. وكان أول من استقبل أنبا مقار الكبير هما القديسان أنبا يؤنس القصير وأنبا بيشوي أخوه الروحي فبارك عليهما وقال: ”الرب يسوع المسيح يبارك عليكما وتكونا أشجارًا عالية وتثمر أثمارًا زكية روحانية حتى تُشبعوا نفوسًا كثيرة من رؤيتكما ويكونوا تحت ظلكما مثلما سعيتمَا وأخذتما البركة من مسكنتي اليوم قبل اولادي جميعهم كذلك يجعلكما سيدي يسوع المسيح مقدمين ورؤوس في هذه البرية من بعد اسمي يدعى اسمكما على هذه المدن التي أنعم بها عليّ الرب. فأنت يا يوحنا تكون بعدي. وأنبا بيشوي يكون بعدك. وأولادكم يكثرون من بعدكما“... وكان تلميذه أنبا بينوده يخدمه لأنه كان قد تعب جدًا من كثرة التعب. ولما انتهى إلى اليوم السابع والعشرون من شهر برمهات تنيح فيه حبيب ربنا يسوع المسيح.

## تكريس هيكل البابا بنيامين (٣٨) بدير القديس أنبا مقار<sup>٧١</sup>

كما رواها القديس البابا بنيامين نفسه وسجلها ونقلها لنا تلميذه أغاثو القس (البابا أغاثو ال ٣٩)

[لما كنت في مدينتي (الإسكندرية) في قلایتي، وعندما وجدت زماناً يسيراً سالماً من الاضطهاد الذي للهراطقة، وإذ قد حضر يوم ميلاد ربنا يسوع المسيح — تمجد اسمه — الذي هو الثامن والعشرون من كيهك، كنا مجتمعين في كنيسة والدة الإله القديسة مريم التي تدعى "أسطوا أنجيلون" أعني مجمع المسیحیین وقد عملنا فيها صلوات كثيرة وقداًساً بمحضر من جماعة الكهنة ومقدمي المدينة وجميع الشعب الكبار والصغار، والأغنياء والمساكين، وجمع كثير من النساء المؤمنات المحتشمات ... تطلعت فرأيت رهباناً فضلاء قد دخلوا في وسط الشعب، وقوم منهم كهنة، قد جاءوا من بركة أنبا مقار الرجل الصديق. وكنت أنظرهم واقفين في هدوء وثبات بشكل ملائكة الله. وأنا عرفتهم من مشيهم المهتدي المتواضع أنهم من جبل شيهات. أما هم فلن يستطيعوا أن يصلوا إلّی من كثرة الجموع التي كانت تراحهم. حينئذ تطلع واحد من كبار الكهنة الذين في الإسكندرية، فعلم أنهم من بركة أنبا مقار، فمشى آتياً نحوي وأعلمني عنهم. فأمرت أن يأتوا بهم إلّی. ولما نظرت ثباتهم الحسن وكثرة تواضعهم علمت أنهم كاملين، وقد جاءوا من الأرض المقدسة. وحينئذ سألتهم: "من أين أنتم يا آبائي إلى هنا، ومن أجل أي عمل؟" أما هم فقالوا لي: "أبوتك تعلم!" وأنا قلت لهم: "أعلموني يا أولادي لماذا أنتم ومن أجل أي عمل قبلتم هذا التعب وهذا العناء العظيم وهذه الطريق المقفرة؟" فأجابوا: "أنينا لأبوتك نطلب إليك كي تتكلف مشقة الطريق إلى جبل شيهات المقدس مسكن أبينا الصديق البار العظيم أنبا مقار، من أجل الله، لكي تركز لنا البيعة الجديدة التي صنعها في الصخرة القائمة بين القلاي، من أجل أن كثيرين من الشيوخ والضعفاء ممن يسكنون في القلاي السفلية يتعبون في صعودهم إلى المواضع العلوية، والآن يا

<sup>٧١</sup> عن مخطوطة ١٨ سير — دير أنبا مقار.



أبانا نيحنا من اجل الرب لتأت مع عبيدك لتصنع معنا رحمة ومع إخوتنا ليأخذوا بركتك المقدسة لأنهم جميعًا منتظرون ومشتاقون لرؤياك“.

وأنا لما سمعت هذا من أولئك الإخوة المحبين لله أخذني فرح عظيم تجاوز حد مسكنتي وقلت: ”ترى هل يجعلني الله مستحقًا لهذا الأمر؟“ ثم قلت لهم: ”يا آبائي أقيموا عندي اليوم وغدًا حتى نصنع عيد ربنا يسوع المسيح ونجتمع بالشعب ونعظهم بكلام الرب وبعد ذلك نستعد للسير معكم بإرادة الله لنأخذ بركتكم“.

وعندما صنعت العيد الذي لربنا يسوع المسيح الذي هو الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من شهر كيهك، قمنا في نهاية هذا الشهر وقلت لأغاثو القسيس الذي لي وقسمًا كاتي: ”اهتموا بنا يا أولادي لكي نمضي إلى جبل شيهات ونأخذ بركة آبائنا الرهبان أولاد أبينا الصديق العظيم أنبا مقاره“.

وفي اليوم الثاني من طوبة قمنا وتقدمنا في المسير في الطريق، وكانت نعمة الله تظللنا ونحن نمشي على فم بحيرة مريم وأتينا إلى تروجه، فقبلونا أولئك الرجال أهل ذلك الموضع بفرح عظيم. ومن هناك أتينا إلى جبل نيري المقدس الذي لأبينا أنبا إيساك على رأس جبل برنوج. فبالعظم فرح الإخوة بنا وحلاوتهم الروحانية والجسدانية. وأمسكونا عندهم يومين. ومن بعد هذا قمنا باكراً وركبنا دوابنا وهم يودعوننا، هؤلاء الإخوة المحبين لله الذين وجدنا منهم ربحًا عظيمًا وافتقارًا. ثم ابتدأنا بالمسير في الطريق المقفرة في البرية الداخلية، وكانوا يمشون معنا - أي الإخوة الذين من جبل نيري - ليدلونا على استقامة الطريق. وكانت معنا قوة عظيمة تظللنا من الله، حتى أشرفنا على فم الوادي الذي في داخل جبل النطرون. ثم استقمنا إلى دير أبوبنا الروم مكسيموس ودوماديوس واسترحنا هناك في كنيسة القديس إيسيدورس القس يومًا.

حينئذ مضى الإخوة الذين كانوا قد أتوا إلينا في الإسكندرية متوجهين إلى دير أبينا أنبا مقار وبشروا الإخوة كلهم والشيخو بمجيئنا إلى البرية. وبقي معنا إثنان من كهنتهم مع الإخوة الذين صحبونا من نيري.

ومن بعد هذا قمنا في السابع من الشهر ومررنا على ديارات آبائنا أنبا بيشاي وأنبا يحنس واخذنا بركتهم المقدسة وصرنا إلى دير أنبا مقار فلما قربنا من

البيعة نحو ميلين، وهوذا قد تلقانا منه شاباً حاملين سعوف نخيل في أيديهم، ومن بعدهم شيوخاً حاملين مجامر وصلبان يسبحون بمدائح وتراويل بأصوات تشبه أولاد العبرانيين لما خرجوا يسبحون قدام ربنا يسوع المسيح حتى أتوا به إلى اورشليم. وهكذا صنعوا بمسكنتي. وعندما خرج الشيوخ يرتلون أمامي تزلزل الجبل من كثرتهم. وكانت صفوفهم مثل جنود السماء طعمة طعمة، وكان معهم المعلم باسيليوس أسقف مدينة نقيوس.

وأنا عندما نظرت هذه الثيوريا (الرؤيا) هكذا، ومحبتهم فيّ؛ مجدت المسيح إلهنا قائلاً: ”أشكرك يا سيدي يسوع المسيح، لأنك جعلتني مستحقاً أن أنظر علانية الأمانة الأرثوذكسية مرة أخرى، وازدهار الكنيسة المقدسة، وانقلاب وهدم كل الهرطقة الكفرة. نعمتك مقبولة يا مخلصنا الصالح بالمثال الذي أريتني فيه الكنائس مرة أخرى في مجدها واستقامتها. أشكرك يا سيدي يسوع المسيح لأنك خلصت نفسي من المارد التنين المنافق، هذا الذي كان يطاردني من أجل الأمانة المستقيمة. أشكرك يا مالكي المسيح لأنك جعلتني أنظر أولادي مرة أخرى وهم محيطون بي في كرامتك يا سيدي يسوع المسيح“.

وحيث أن كان الكهنة كلهم والرهبان يمشون قدامي، حتى دخلنا إلى الكنيسة الجديدة التي بنوها، فقلت أنا في ذلك الوقت: ”إني قد حملت إلى فردوس الله، مجمع الملائكة، فرح القديسين، راحة الصديقين“. واسترحنا ذلك اليوم ... ثم دعوت أغاثون القس الذي لي، الذي تعب معي من أجل الأمانة في زمان تجاربي عند مطاردة كيرش المقوقس، عدو كل حق، لضعفي. وقلت له: ”قم يا ابني لتخرج كتب القراءة المختصة بتكريس الكنيسة لأكرسها مع المذبح“. وحيث أن لما ابتدأت بأول صلاة، كان يساعدي أنبا باسيليوس أسقف بشادي وكل الكهنة حولي.

وفيما أنا أشاهد جموع الرهبان والكهنة، إذ بي أرى واحداً منهم ووجهه يضيء جداً، يسطع منه بريق، في وسط الكهنة. وكنت أتأمله وقتاً طويلاً، ولم أكن أعلم أنه هو العظيم أنبا مقار أب هذا الجبل الذي جاء في وقت تكريس الكنيسة. بل كنت أفكر قائلاً: ”هوذا أب الشعب وراعي الخراف. إذا أراد الرب وخلأ كرسي فيني أجعله أباً عليه، لأن هذا الرجل قديس ويليق به هذا

الأمر وهذه الأبوة تصلح للكاملين بهذا المقدار. وفيما كنت أتفكر بهذه الأمور في ذلك القديس إذا بشاروويم ذي ستة أجنحة وقد ظهر مقابلتي وقال لي: ”يا أسقف، لماذا تخطر هذه الأفكار في قلبك؟ هذا هو أبو مقار أب البطارقة والأساقفة. هذا هو لابس الروح أب الرهبان كلهم الذي لهذا الجبل“. أما أنا فقد صرت داهشاً وأنا أنظره في وسط بنيه يفرح معهم. وكان صوت ذلك الشاروويم يطن في مسامعي، وقد خفت منه. ثم قال لي ذلك الشاروويم: ”إذا سلك أولاده الطريق المستقيم وسعوا السعي الملوكي الذي مشى فيه أنا مقار والذي علمه لهم، فإنهم يدخلون معه في طريق الملك ويفرحون معه في دهر الأنوار. وإذا لم يسمعوا منه ولم يتبعوا وصاياه فليس لهم معه نصيب لكنه يطردهم من قطيعه ولا يكون لهم نصيب في ميراثه“. فأجاب البار أنا مقار بتحزن ومحبة لبنيه: ”يا سيدي لا تقطع على أولادي بهذا. لكن إذا بقى في العنقود حبة واحدة، قيل ’لا تهلك‘، لأن بركة الرب تكون فيه. وأنا أوّمن بالمسيح حبيب نفسي أنه إذا وجد في أولادي وصية واحدة لله التي هي محبة الإخوة بعضهم لبعض والرأفة لكل أحد أو وصية أخرى من الوصايا، أو يرفعوا عيونهم إلى السماء إلى المسيح ملكنا يسوع دفعة في كل يوم، فأنا أوّمن بصلاحه أنه لا ينسى تعبهم بل يخلصهم من العذاب الأبدي. لأن محبة الرب تسهل التوبة للخاطئ ولا تريد أن الخاطئ يموت في خطيته بل يرجع ويحيا بالتوبة“.

وحينئذ لما سمعت هذا الكلام من رجل الله أنا مقار علمت أنه محب لأولاده بالحقيقة. هذا هو مقار الحقيقي المكرم عند الله والناس. هذا هو الشبكة التي تجمع من كل جنس إلى ملكوت الله، أعني الأب أنا مقار، تلميذ الرب. فأجبت حينذاك: ”طوباك يا أنا مقار، طوبى لطغمتك. طوبى لبنيك لأنهم استحقوا أن تكون أنت طالباً عنهم أمام منبر الله الآب و وحيد الابن ربنا يسوع المسيح والروح القدس إذا جاء ملكنا وإلهنا يسوع المسيح في مجيئه الثاني ليعطي كل واحد كنعنو عمله. بالحقيقة أنك أنت أنا مقار القديس الذي خلصت أنفس كثيرين، ورسيت بهم إلى ميناء الخلاص، وكنت شفيحاً لهم كلهم. داود البار أبو المسيح بالجسد يكرم اسمك في أول مزموه ويصرخ لنا هكذا قائلاً: «طوبى للرجل الذي لم يتبع رأي المنافقين. ولم يقف في طريق الخاطئين. ولم

يجلس في مجالس المستهزين» (مز ١: ١). بالحقيقة يا أنبا مقار قد صرت مختارًا في جيلك. طوباك أنت يا شجاع الملك المسيح طوبى للبطن التي حملتك بالحقيقة في العالم. اذكرني يا قديس الله“.

فقال باسيليوس وابيفيوس لي أنا وأغاثون القس: ”يا أبانا، لمن تخاطب؟“ فقلت لهم: ”يا إخوتي، أنا أتكلم مع أنبا مقار النبي، أب هذا الجبل. لكن يوجد زمان للكلام ويوجد زمان للسكوت“. وصعدت إلى المذبح وقلت صلاة الميرون المقدس. ولما أخذت الميرون المقدس لأنقط منه على المذبح المقدس، سمعت صوتًا يقول: ”تأمل يا أسقف“. وفيما أنا اقطر على المائدة نظرت يد المخلص تمسح المذبح. وللوقت اعتراني خوف ورعدة حتى قلت مع البطريك (رئيس الآباء) يعقوب<sup>٧٢</sup>: «إن هذا الموضع مخوف وهو ذا بيت الله وهذا محله وموضع راحة العلي» (تك ٢٨: ١٧). وحينئذ لما تطلعنا (إلى أنبا بنيامين) رأيناه وقد صار كله نارًا ووجهه يضيء جدًا بالنور، ولم يجسر أحد منا أن يتكلم معه، لكن كنا قائمين بهدوء. فأجاب هو وقال: ”هذه مظلة الآب والابن والروح القدس“ وكان يدور حولها قائلاً ثلاث مرات: ”الليلويا“. ثم رتل قائلاً: «مساكنك محبوبة يا رب إله القوات ملكي وإلهي. تشتاق نفسي وجسدي إلى دخول ديارك. مذابحك مقدسة أيها الرب إله القوات ملكي وإلهي إلى أبد الآباد» (مز ٨٤: ١ - ٣).

ولما كرز القبة خرج إلى الشعب وكرز الأعمدة والجدران ثم عاد وجلس في القبة وأجابنا قائلاً: ”قد حملت اليوم إلى فردوس الرب إله الصباؤوت، وسمعت أصواتًا لا ينطق بها ولا تخطر على قلب بشر كقول الحكيم بولس. صدقوني يا إخوتي أنني نظرت مجد المسيح اليوم وقد ملأ القبة. ونظرت بعيني الخاطئة الذراع غير المرئي واليد العالية، نظرت يسوع المسيح يمسح مائدة هذا الموضع المقدس. ورأيت أيضًا الشاروييم والسارافيم والملائكة ورؤساء الملائكة ورؤساء الكهنة وقوات العلاء كلهم يسبحون الآب ولابن والروح القدس في هذه القبة اليوم. ورأيت أب البطارقة والأساقفة أب كل معلمي البيعة الأرثوذكسية قائمًا في وسطنا

<sup>٧٢</sup> رؤيا يعقوب هذه مصورة في الناحية الغربية البحرية في قبة هيكل يوحنا المعمدان بكنيسة أنبا مقار.

اليوم يفرح وسط أولاده، أعني العظيم أنبا مقار. بالحقيقة أن كرسي الله الضابط الكل أبو ربنا يسوع المسيح والروح القدس فوق هذا الموضع المقدس. بالحقيقة هذا هو المذبح الذي تكلم إشعياء النبي من أجله قائلاً: «يكون مذبح للرب في أرض مصر وعمود الرب في قراه المقدسة» (أش ١٩ : ١٩). قوموا الآن يا أولادي لنكمل الخدمة المقدسة ونأخذ بركة آبائنا ونمجد الله العلي.

ولما أكملت الخدمة، وفيما أنا أقرب الكهنة، إذ رأيت أيضاً نعمة عظيمة لا يجب أن نخفيها: لما أتيت لأقرب الشيوخ رأيت صفوف الشيوخ كلهم تلقي دخائناً إلى فوق القبة. وهكذا انفتح سقف الكنيسة وصعد دخان البخور إلى السماء. وكنت أفكر أن كل واحد من الآباء يرفع البخور حتى يتناول من الأسرار المقدسة التي لابن الله العلي بشكر. فلما تأملت وإذا أولئك الشيوخ يصلون وبخور خارج من أفواههم صاعد إلى السماء. فعلمت بالحقيقة أنهم يقولون صلوات وطلبات قبل أن يأخذوا من الأسرار المقدسة التي لابن الله العلي بشكر. فلما تأملت وإذا أولئك الشيوخ يصلون وبخور خارج من أفواههم صاعد إلى السماء. فعلمت بالحقيقة أنهم يقولون صلوات وطلبات قبل أن يأخذوا من الأسرار المقدسة أي الجسد والدم الكريم للذين للمسيح. ونظرت صلوات القديسين والملائكة تستقبلها وتضعدها أمام كرسي الله. ومن كثرة صلواتهم علمت بالحقيقة أن هذه هي المنارة الذهب التي عليها السراج، والجوهرة الثمينة المختارة وكوكب الصبح المشرق مجداً الذي ينير على المسكونة. وكنت أجد وأسبح، وأرتل تسبحة الثلاثة فتية عذاريا وحنانيا وميصائيل الذين قالوها وهم في أتون النار: "تباركت أيها الرب إلهنا إله آبائنا. تزايدت بركة وعلووا إلى الأبد". مبارك إله الرهبان، بالحقيقة أن العالم كله مستقيم بهؤلاء القديسين وبنسلهم الروحاني. هذا هو مجمع الملائكة وخلاص الأنفس الذين التجأوا إلى الله منحي كل احد.

وأنا عندما نظرت هذه الأعمال هكذا، مجدت ملكنا المسيح، الذي جعلني مستحقاً للرؤيا العظيمة هكذا. وكنت داهشاً من أجل الذين رأيتهم كلهم. وهكذا اجتذبتني نوم كثير. ولما غطيت في النوم قليلاً، إذا بإنسان منير وقف معي فوقاً مني وقال لي: "قم يا أسقف لترتب قوانين هذه البيعة وهذه القبة

الواحدة معًا. ليحتز كل أحد من سلوكه فيها من القسوس إلى الشمامسة بصبر تام وسكون صالح، لأن المسيح ههنا وملائكته المقدسين معه. وهكذا فلتثبت هذه القوانين تذكيرًا لهذه القبة إلى الأبد. لأنه سيأتي جيل يحبون فيه مجد الناس أكثر من مجد الله ويدوسون هذا الموضع المقدس بحسرة وقحة بغير حشمة، ويدلون نعمة الروح القدس التي دفعها بغير حسد للكنيسة المقدسة بالأموال ويقاومون القوانين الرسولية. فمن أراد أن يكون له ميراث في هذا الموضع المقدس وهو بلا مخافة ولا يفتش نفسه، ويدلون مجد هذا الموضع الكريم ويكون عندهم كمثّل موضع البهائم في دخولهم إليه؛ هؤلاء الذين لهم قلوب البهائم لا يقرأون ولا يفهمون. قد زاغوا كلهم وصاروا غير مفلحين وهمهم في بطونهم ومجدهم في عارهم. يمشون على بطونهم مثل الحيات وينفخون ويلدغون. جاهلون، مبغضون لإخوتهم، مستهزئون، متطلعون للمآكل والمشارب، يشبهون البهائم التي لا فهم لها. هؤلاء تفرزهم هذه البيعة المقدسة السعيدة الجامعة.

(ثم أخذ الملاك يذكر القوانين المختصة بالصلاة في هذه البيعة وختمها بهذه الكلمات):

اعلموا يا إخواني أن نصيب يعقوب لا يكون لواحد من هؤلاء القوم. لأن هذه القبة والقوة الساكنة فيها مع مذبحها لا ترضى بشيء من هذا. بل من يكون متواضعًا متزينًا بالأناة كاملاً في شكل حسن كمثّل ما شهد لنا المعلم بولس الرسول في قوله على هذه الدعوة، أنظروا ولا تظنوا يا إخواني أنه أتني هذه القوانين من أجل هذا الجيل، لا بل حينما يتم ما أعلن لي من قبل. والذي أعلمني قال لي أنه لا بد من أن يكون هؤلاء في آخر الأيام. ومن أجل هذا كتبت هذا القانون بثبات كثير لمن يأتي في كل زمان. لكي يتعدوا من الناس ويحبوا مجد الله العلي.

قال لي صاحب الشكل المنير الذي لا استحقه هذا الكلام أيضًا: ”إن يوم خروجك من الجسد يوافق يوم تكريس هذه الكنيسة المقدسة لتمضي إلى المسيح الذي أحببته وتستريح مع كافة القديسين كلهم في أورشليم مدينة الفرحين كلهم“. فقلت له: ”يا سيدي، أترى الله يجعلني مستحقًا أن يقبلني إليه في هذا

اليوم المقدس ويفتقدني فيه أنا عبده الخاطيء؟ مبارك هو المسيح ملكي حبيب نفسي وروحي لأنه صنع رحمة عظيمة معي.“  
وللوقت غاب عني ذلك الشاروبيم. فدعيت أغاثون القس وقلت له: ”يا ابني أغاثون، أكتب يوم تكريس هذه الكنيسة عندك وذكّرني به في كل يوم لكي أكون ذاكرًا خطيائي. لأن الشاروبيم قد قال لي أن يوم خروجك من الجسد يوافق يوم تكريس هذه الكنيسة الجامعة التي لأبيننا الصديق أنبا مقار البار“.

### نقل جسد أنبا مقار<sup>٧٣</sup>

وأهل ششوير بلد أبينا القديس كانوا يأتون إليه مجتهدين لأن يسجدوا عليه وينظروا الآيات الإعجازية التي تظهر من جسده المقدس، من بعد ما كانوا يرونها منه حين كان في الجسد. فقرروا بعضهم مع البعض أن يحملوه خلسة من البرية إلى بلده ششوير. ولهذا فقد اجتمع جموع كثيرة وجاءوا خفية إلى شيهيت لأنهم قد سبقوا أن عرفوا الموضع الذي كان فيه جسد أبينا القديس، فذهبوا وأخذوه من الموضع الذي كان فيه، وحملوه على دواب إلى ششوير وبنوا له كنيسة وزينوها حسناً كما يليق بكرامته ووضعوه فيها من أجل أن أرض مصر كانت في هدوء عظيم في تلك الأيام، لأن المملكة كانت للروم في ذلك الزمان. ومن قبل البارقليط الكائن فيه كانت أشفية كثيرة ومعجزات كثيرة في تلك البيعة.

ومن بعد هذا لما ملك المسلمون أرض مصر ابتدأت هذه البعة تخرب قليلاً قليلاً من جهة نيرهم الثقيل المرّ. وكذلك ششوير أيضاً خربت ولم يبق منها إلا القليل. فلما نظر الأرخن المحب للمسيح يوسف الذي من أهل ألما أنه لم يبق من يهتم بتلك البيعة التي كان فيها جسد أبينا النبي العظيم أنبا مقاره، مضى مهتماً مع كهنة كثيرين ليحمله إلى ألما، وكانوا يمشون حاملينه بهدوء عظيم في سنة ٥٠٠ ش - ٧٨٤ م؛ ولوقت بنوا كنيسة حسنة ووضعوه فيها لأجل أنه كانت له أمانة كبيرة في رجل الله العظيم مقاره.

ومن بعد هذا كان في سنة ٥٠٩ ش - ٧٩٣ م. الذين كملوا في عهد دقلديانوس الملك الكافر، في السنة الثامنة عشرة من رياسة أبينا البطريك الاليس الله أنبا يؤنس رئيس أساقفة الإسكندرية الذي زين البيعة مثل أنناسيوس الرسولي، الذي نادى بالأوامر المستقيمة، مثل جرو الأسد كيرلس الذي صار قاطعاً وصانعاً للكتب بجملة عظيمة على الجمع النجس الذي اجتمع بخلقدونية، مثل ديسقورس المعترف الحقيقي، الذي أشهر معرفة الأرثوذكسية

<sup>٧٣</sup> مخطوطة رقم ١٨ سير - دير أنبا مقار.



جهراً من قبل فلسفة أوامره السرية، ومثل ثيودوسيوس حجر الماس الذي لا ينكسر، الذي صار مخوفاً لكل شر بدع الأمانة، إذ يطعن - برماح رسائله القوية العجيبة - واحدة واحدة منها، مثل العظيم في البطارقة ساويرس، وبالحقيقة قد صار كغم الذهب الجديد في جيلنا، وذلك أيضاً في أيام أنبا جاورجي الأسقف الفاضل الذي لمصر مدبر جميع كنائس الثيودوسيين هذا الذي صار مهتماً بعمارة البراري المقدسة، وكان رئيس المتوحدين لكنيسة أبينا القديس المبارك العظيم أنبا مقاره - أنبا خائيل القس والإيغومانس العابد لله الذي جاء من بعد الطوباني أنبا جاورجي الابن الخاص لأنبا خائيل رئيس أساقفة الإسكندرية، وكان أقنوماً لهذه البيعة الواحدة أبا كيري القس الابس الله. هذا الذي من جهة اجتهاد اهتمامه، أشرق علينا نور هذه الجوهرة الثمينة أعني جسد أبينا المبارك العظيم أنبا مقاره، وسُرَّ الثالث أن يصنع هذه الزحمة العظيمة على الأربعة أديرة في شيهات، هذه النعمة التي لا ينطق بها، هذه الصعيذة المملوءة من كل ستر ومعونة وخلاص وشفاء للأنفس والأجساد معاً، وفي هذه السنة الواحدة كان صاحب السرائر المخفية المعلم الحقيقي بالحقيقة المصباح المضيء أبينا أنبا يؤنس رئيس أساقفة الإسكندرية في جبل شيهت في أيام الساريستيك التي هي الأربعين المقدسة. فلما كان ذات يوم وبينما الشيوخ جلوس حوله وهو يرويهم من ينبوع ماء الحياة النابع من فيه، أتى ذكر أبينا القديس العظيم أنبا مقاره وكأنه متحرك من الروح القدس. فقال للشيوخ باشتياق حسن: "كنا نشتهي الآن أن يكون في هذا الموضع عندنا جسد أبينا أنبا مقاره لكي في كل وقت نشتهي أن ننال بركته بسجودنا عليه". ثم امتلأ من روح النبوة، فقال: "أنا أرجو أن الله يكمل لنا هذه المسألة". ومن بعد ما فرغ من الإحتفال بعيد القيامة المقدسة مضى إلى قلاية البطركية من أجل اهتمام البيع المقدسة. وبعدما ذهب، كان الكلام الذي خرج من فيه كأنه من الباراقليط روح القدس الساكن فيه، وكان مثل النار التي تتقد داخل قلب أبينا المتعبد لله أبا كيري أقنوم البيعة المقدسة التي لأبينا الصديق العظيم انبا مقاره وهو مثل النار الإلهية التي تتوقد فيه، كان يكمل ما سبق أن يرسم له ليكون في الزمان الأخير من قبل تدبير المسيح وسابق علم الله خالق المسكونة كلها.

ويومًا بعد يوم وهذا الاشتياق والاهتمام ينبع ويتحرك داخله، مضى في اهتمام خدمة البيعة المقدسة في شهر مسرى. وبينما هو في الكرم الذي للبيعة المقدسة التي على عبر البحر مشهد (مكان استشهاد) القديس أبادير، وكان معه القس العابد لله أنبا خائيل الذي كان إيغومانسًا لجبل شيهات في تلك الأيام، لأنه هو أيضًا كان في الشهوة الطوبانية، وكذلك أباكيري كان له هو الآخر الاشتياق الحسن، هذا ذكره قائلًا لأنبا خائيل: ”يا أبتاه بمشيئة الله فلنبتدئ أن نصنع كل اجتهاد كيما نستطيع أن نحضر جسد أيينا الطوباني العظيم القديس أنبا مقاره من مصر إلى هذه البرية المقدسة عزاءً أبدياً وأساساً غير متزعزع لجميع الرهبان العباد الساكنين بهذا الجبل“. أما أنبا ميخائيل ففرح جدًا على هذا الكلام لأنه كان يشناق إليه، وقص هذا الكلام أمام الشيوخ الحيين للإله، فسرهم ذلك وتعزوا وطلبوا إلى الرب أن يكمل لهم السؤال سريعًا، حينئذ اختاروا الشيوخ الذين كانت هذه المشورة أمامهم: أنبا خائيل، وأنبا كيري مع عشرين راهبًا من الإخوة وأرسلوهم قائلين: ”إله أيينا الصديق أنبا مقاره يصحبكم ويعيدكم إلينا حاملين هذا الكنز العظيم المعطر والجوهر المتقد“، أعني جسد أيينا المبارك العظيم أنبا مقاره. أما فهم فلما ذهبوا قاموا في ذلك الموضع متطلعين ومشتاقين أن يشاهدوا الجوهر الحقيقي.

ثم أن أحد الشيوخ الذين مضوا ليحضرُوا جسد أيينا الصديق أنبا مقاره شهد لنا قائلًا: ”إنني رأيت في الليل كأنني مع الإخوة قائم في البيعة التي بناحية ألما التي كان فيها جسد أيينا المبارك. وعندما أطلعناه من الموضع الذي كان مخفيًا فيه، كنا واقفين نتشاور بعضنا مع بعض قائلين: ما هي صفة ما أتينا لنحمله؟ وللوقت نظرته واقفًا على الكفن بمجد لا ينطق به، ووجهه يضيء مثل الشمس في ضيائه، وكان شكله مثلما هو مصور على العمود الذي بكنيسته بالبرية. وكان يصرخ علينا ويشير إلينا بيده قائلًا: ”أسرعوا يا أولادي واحملوني من هذا المكان“. وهذا ما قاله لنا وكان يستعجلنا بحركة يديه. فلما رأى الشيخ هذا في الرؤيا استيقظ من النوم وأخبر الإخوة بذلك. فلما سمعوا هذا اعتزت قلوبهم مثل السباع وقالوا: ”نحن نؤمن أن الله يسهل طريقنا“. وعندما وصل الشيوخ مع الإخوة إلى ألما، ابتدأوا يكملون العمل الصالح الذي كانوا مجتهدين فيه. وحينئذ

وقعوا في عقبات كثيرة وجراحات عظيمة. حتى إنه من كثرة جراحاتهم تبللت ثيابهم من الدم. وكان ذلك الوقت ليلاً .

فأما الشماس المحب لله الذي كان في ألما، فإنه اعترف قائلاً: ”إنني في هذه الليلة الواحدة رأيت كأني واقف في الكنيسة التي كان جسد أبينا أنبا مقاره فيها، وبينما أنا واقف في الصلاة رأيت كفنًا عظيمًا قد أخرج من الكنيسة، وهم صاعدون به إلى السماء، فبهت متعجبًا لما رأيت الكفن صاعدًا به إلى السماء، وسمعت صوتًا عظيمًا قوي الصراخ من السماء قائلاً: ”أعطوا القدس للقدسين، ولوقتي نهضت قائمًا بخوف عظيم“، وكل من سمع بهذا طابت قلوبهم أن هذا الأمر صار من قبل الله ضابط الكل. وعندما رأى الله إيمان المشايخ الثابتة في هذه الخدمة المقدسة طيب قلوب الولاة المتسلطين أن يساعدهم على إتمام غرضهم الكريم.

وبدالة من غير خوف، دخلوا إلى البيعة وحملوا جسد أبينا المبارك العظيم أنبا مقاره. وكانوا يسيروا به متهللين بفرح عظيم لا يُطّبق به، وكان ذلك في السابع عشر من مسرى.

وكان أيضًا جزء يسير من جسد الشهيد الالبس الجهاد القديس أنبا اندونينا الذي من أهل تتاً<sup>٧٤</sup> مكفنً وكائنًا مع جسد أبينا الصديق، وكان في تابوت صغير فحملوا هذا الآخر معهم ووصلوا إلى ساحل ديدا، فصعد للوقت إنسان راعي من سفينة وخر بوجهه يطلب إلى الشيوخ قائلاً: ”يا ساداتي الآباء، فلتدركني رحمتكم أن أحمل جسد هذا النبي القديس في مركبي، وأنتم معه أيضًا، إلى ترنوط“. فتعجب الشيوخ جميعهم من هذا أن الرب يسوع المسيح يسهل طريقهم كما هو مكتوب في إشعياء النبي: هو ذا أنا أرسل ملاكي أمامك ليسهل طريقك. ولما حملوه إلى السفينة ووضعوه في الوسط، كان الإخوة جميعهم قيام حوله يرفعون أصواتهم أكثر فأكثر ويرتلون بمدائح تليق بطوبانيته، وكانت أصواتهم تتردد في الأصقاع حتى طن البحر كله. ولأن أهل أنوفاس كانوا مستعدين لأن يخرجوا للقاءه كيما يحملوه إلى كنيستهم المقدسة بمجد يعجب

<sup>٧٤</sup> تتاً مركز منوف وتنطق قديماً ديدا.

منه، أقاموا ثلاثة أيام يعيدون له قبل أن يطلقوه، وهذا كان من جهة حرارة أمنتهم القوية فيه. وعندما سمعوا أيضًا أنهم مقبلين إلى القبلية معه، أسرع جموع كثيرة رجالًا ونساءً كبارًا وصغارًا وتمشوا على شاطئ النهر يصرخون ويطلبون إلى الشيوخ قائلين: "أرسوا على البر كيما نتبارك من أيينا اللابس الروح"، أما الشيوخ فلم يكونوا يطبقون هذا الأمر. وكان يسير على ساحل البحر قوم من بعد قوم يصرخون بأصوات عظيمة قائلين: "باركنا يا رجل الله إيليا وأليشع الجديد". وعندما كان الشيوخ ينظرون إيمان الجموع، كانوا يتعجبون ويمجدون الله. وفي هذا، كان يسير في الإقلاع معهم الروح القدس الساكن في أيينا العظيم أنبا مقاره السعيد بالحقيقة حتى وصلوا إلى بيعة القديس أبادير في الساعة الأولى من الليل. فحملوا جسد أيينا القديس بأصوات محبة لله إلى دهروط الكنيسة المقدسة التي لأيينا العظيم أنبا مقاره، وأقاموا الليل بأجمعه يسبحون ويرتلون حوله بعظيم ابتهاج.

ولما كان باكر زينوه بالأطياب والكان باكر زينوه بالأطياب والسعف وحملوه في مركب، وكانوا يقلعون به إلى سا في مركب، وكانوا يقلعون به إلى ساحل ترنوط حتى أن ضجيج أصواتهم ملأ البحر كله. ولما رسوا على البر وجدوا رهبانًا كثيرين وكهنة قد سبقوا وجاءوا على البر حاملين الأناجيل والصلبان ومجامر البخور. وحينئذ حمل الإخوة جسد أيينا المبارك على أعناقهم وكانوا يسيروا به بفرح عظيم لا ينطق به. ومن كثرة الجموع ارتفعت أصواتهم جدًا وهم يسبحون أمامه. وكان ذلك باكر يوم الأحد المقدس. وكانت سواحل ترنوط مملوءة رجالًا ونساءً نصارى ومسلمين، وكانوا جميعهم مسرعين بغيرة مملوءة محبة للقديس، بل محبة للإله في السجود للقديس. ولولا أنهم سبقوا وأوقفوا شابًا أقوياء بسيف مجردة في أيديهم حول جسد أيينا الصديق، لما كان أحد من الجموع قد ترك شيئًا من الأكفان واللفائف التي كانت عليه. وكان المسلمون أيضًا يسبيرون معهم والجموع يزدحمون بعضهم مع البعض وهم كاثنون في سهر وخوف.

ولما وصلوا إلى البيعة المقدسة التي لأيينا الصديق العظيم أنبا مقار فيما بين القلاي، لم يقدروا أن يدخلوا به لوقتهم من أجل ازدحام الجمع، بل تركوه خارجًا حتى سجد عليه كل الجمع المجتمع هناك، ومن بعد هذا حملوه إلى داخل

الكنيسة ووضعوه على كرسي. حينئذ دخل النساء والرجال وتباركوا منه، ثم صنعوا قداسًا جامعًا ورفعوا القربان المقدس وتناولوا جميعهم من جسد ودم ربنا يسوع المسيح بتهليل عظيم، في الثامن عشر من مسرى. ولما كان في الساعة العاشرة من النهار الواحد، حملوه على جمل وابتدأوا يسيرون به في الجبل، وكانت جموع الرهبان يسيرون أمامه. وعندما وصلوا إلى نصف الطريق، قال أنبا خائيل لأنبا كيري: "أتختار يا أبي أن نقيم ههنا كيما نستريح نحن والدواب قليلاً؟" فقال أنبا كيري لأنبا خائيل: "لا نحن ولا البهائم نستريح حتى نصل إلى الموضع الذي خاطب فيه الشاروييم أبانا النبي هناك". وحينئذ ساروا من غير أن يعوقهم شيء البتة مترجين أنهم إذا وصلوا الموضع يريهم الله إياه بآية. وكانوا يجولون حول الجبل من هذه الجهة وهذه الجهة ويعيونهم محدة نحو جسد القديس وكأنهم من السمع ينظرونه مواجهة. ولما بلغوا رأس الصخرة فوق الجبل، الموضع الذي كتب عنه موسى الجديد، أعني العظيم أنبا مقاره أنه نظر أول رؤيا فيه؛ فللوقت وقف الجمل وجذب القود من يد الجمال ورجع بوجهه بهذا الجانب وهذا الجانب، وكان يلحس الكفن الطاهر الذي لأبيننا القديس وكان يحني رأسه على الجسد كمن يسجد له. فتعجب الجمال لذلك، ولما نظر الشيوخ هذه الآية تعجبوا وتحققوا بقلوبهم أن هذا هو الموضع الذي تكلم فيه الرب مع أبينا القديس من جهة الشاروييم، وحينئذ أنزلوا في ذلك الموضع وصنعوا إبصلمودية (تسبحة) عظيمة على جسد أبينا القديس بحدوء عظيم. ولما أشرق النور حملوه على جمل ونزلوا معه إلى أسفل الوادي. وفي هذا جميعه كان معه جسد اللابس الجهاد الشجاع القوي القديس أنبا أندونيئا شهيد ربنا يسوع المسيح. وكانوا قد سبقوا وأرسلوا قومًا من الرهبان إلى الدير لكيما يستعد الشعب بالناقوس، فاجتمعوا وخرجوا للقائه بكرامة عظيمة وتبجيل كثير بالقراءة والتسبيح قدامه، إلى أن أدخلوه إلى الدير ووضعوه بجانب المذبح.

وكان ذلك في زمن أبينا البطريك أنبا يؤنس الرابع الذي استحق هذه النعمة أن يكون جسد أبينا العظيم أنبا مقار في دير المقدس، بعد زمان كبير؛ واتفق أن يكون جسد أنبا مقار الإسكندراني عنده ليصيرا مثل حجر الماس بعضهما مع البعض. وبعد زمان كبير في زمان أبينا البطريك أنبا خائيل الثالث (٨٨٠ -

٩٠٧م) فاجتهد أن يكون جسد أبينا أنبا مقاره القديس الأسقف معهم فاتكثوا معًا في موضع واحد، وبهذا صار الثلاثة مقارات كمثل الثالوث المقدس. وهذه نعمة الموهبة التي أنعم الله بها في دير أبينا العظيم الالبس الروح أنبا مقاره أن يشبه جبل تابور عندما أخذ مخلصنا الصالح بطرس ويعقوب ويوحنا الذين صار هؤلاء الثلاث مقارات متشبهين بهم، فإن بطرس صار متقدم الرسل الأطهار؛ والعظيم أنبا مقاره أب الرهبان، بطرس أعطي مفاتيح ملكوت السموات وسلطان المغفرة؛ والعظيم أنبا مقاره سمع الصوت من السماء قائلاً: "قد صرت يا مقاره إلهًا على الأرض". بطرس كان صيادًا يصيد السمك فدعاه الرب إلى رسالة نعمته وجعله صيادًا يصيد الناس ويجمعهم إلى الملكوت؛ والعظيم أنبا مقاره دعا الرب إلى هذا الجبل المقدس وصار شبكة تجمع من كل جنس ويشدهم أجنادًا للرب الصباؤوت الملك الحقيقي. يعقوب أيضًا أخو الرب الذي يدعى بالصديق هو الذي أصعده الرب إلى الجبل لأجل ارتفاعه في الفضيلة والطهارة والعبادة؛ وأنبا مقاره الإسكندراني هو صار صديقًا مثله بتقشفاته الصعبة والفضيلة والصلوات الدائمة والأعمال العجيبة. يوحنا البتول أيضًا ابن الرعد صار موسى حادًا يقطع كل بدعة بكلام إنجيله المتسامي؛ وأنبا مقاره الأسقف صار يشبهه في ذهابه لمجمع خلقدونية النجس وكيف قطعه وحرّم كل من فيه ... وأصعدهم معه إلى جبل عال، هذا الذي هو جبل شيهات أعلى منه الآن في الفضيلة وتجلى قدامهم وأراهم مجده وظهر له موسى وإيليا، فقال بطرس لمخلصنا: «يا رب، لنصنع ههنا ثلاث مظال واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لإيليا» (مت ١٧: ٤)؛ فقد كمل الآن هذا على جبل شيهات في دير أبينا أنبا مقاره الذي أخذ شبه إيليا التشبتي في الصدق، في البتولية، في الفضيلة، في العفة، في السكن في البرية، لأننا قد عرفنا يقينًا بعدما فحصنا أن اليوم الذي أسلم فيه الصديق أنبا مقاره روحه بيدي الرب هو السابع والعشرين من برمهات ، وهذا اليوم نفسه هو الذي أسلم فيه ملك السماء والأرض المسيح إلهنا روحه فيه برأيه في يدي أبيه، وهو أيضًا يوم الجمعة وسادس ساعة من الجمعة، اليوم الذي خلق آدم فيه ولهذا سمّوه الجمعة، وهو أيضًا الذي تسامح مخلصنا الصالح أن يصلب فيه. وفي ثالث ساعة منه خلق آدم، وفيها

جُلد مخلصنا وجُعِل إكليل الشوك على رأسه ولُطِم في وجهه. وفي سادس ساعة أكل آدم من الشجرة وفيها أيضًا تسامح الله أن تصير ظلمة وهو معلق على الأرض. وفي تاسع ساعة أخرج آدم من الفردوس وفيها أيضًا أَرْضَى الله أن يسلم نفسه بيدي أبيه وفتح فيها باب الفردوس وأدخل اللص إليه بمجد - وكان ذلك جميعه في السابع والعشرين من برمهات كما قد سبقنا وذكرناه. وهو اليوم الذي أسلم فيه الصديق أنبا مقاره روحه بيدي الرب، لأن يوم وفاته وافق يوم موت الرب بالجسد. فإن أعماله كلها تشبه أعمال سيده حتى إلى موته أيضًا.

وقد وجدنا في الميمر الذي قاله أنبا يعقوب أسقف بوصير على الصديق أنبا مقاره أن اليوم الذي أقام فيه أبونا اللابس الروح الصديق أنبا مقاره الميت هو السادس والعشرون من شهر برمودة في سنة ٨٢ للشهداء.

ولهذا رأينا ويلزمنا ويجب علينا أن لا نتكاسل أن نكمل تذكاراته أعني رئيسنا والمحارب عنا أبينا أنبا مقاره العظيم اللابس الروح، ونقتفي آثاره وتواضعه ونرسم داخلنا شكل فضائله المختلفة الأنواع كيما نسمعه هو أيضًا يخاطبنا مشافهة، مثل تيموثاوس امام بولص قائلاً: «أنتم الذين تبعم تعليمي واقتفيتم آثارني وسرتم بشكلي وإيماني وأناي ومحبي وصبري وجميع التجارب والآلام التي صبرت عليها من الشياطين ومقدميهم الأشرار وخلصني الرب من جميعها» (٢ تي ٣: ١٠). هكذا نحن أولاده، فلنجاهد في الجهاد الصالح ونكمل سعيينا جيدًا ونحفظ إيماننا كيما نقتني معه إكليل الحياة الذي يهبه الرب لمحبيه. فلهذا ينبغي لنا ان نختم بهم ونكملهم بكل اجتهاد وكل عبادة ولا سيما تذكاره الذي نعيد له اليوم رئيسنا والمحارب عنا أبينا العظيم اللابس الروح أنبا مقاره، هذا الذي تبعنا آثاره ليسهل لنا طرق الحياة وهي العبادة ويكملنا في مخافته الإلهية، هذا يكون لنا أن نستحقه بطلبات أبينا الطوباوي اللابس الروح العظيم أنبا مقاره الذي اكملنا تذكاره الكريم اليوم كما يصنع هو أيضًا تذكارنا أمام الله الخالق باري الخليقة كلها، الرحيم المتأرف، ليتحنن علينا وينقذنا من فخاخ المضاد ويستترنا من حيله القوية ويطهرنا من كل دنس ويوجد لنا راحة ورأفة أمام منبره المخوف. ولنستحق ملكوته العالي بنعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا

الذي إياه نسأل أن يغفر خطايكم ويسامحكم بآثامكم ويجعلكم ممن يفوزون  
بصالح الأعمال قبل فروغ الآجال ويسمعكم الصوت الفرح القائل: تعالوا إليّ يا  
مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم بشفاعة ستنا السيدة  
العذراء الطاهرة مريم وكافة الملائكة والآباء والأنبياء والرسل والشهداء  
والقديسين وكل من أَرْضَى الرب بأعماله الصالحة الآن وكل أوان إلى دهر  
الدهرين آمين كيريا ليصون الليلويا].



## تقرير عن سيرة القديس مقاريوس السكندري

أنبا مقاريوس السكندري من أبناء مدينة الإسكندرية، ولذلك يدعى "بالمديني" أو "السكندري" تمييزًا له عن سميهِ القديس مقاريوس الكبير والذي لقب أيضًا "بالمصري"، أي من "منف". لم تذكر السيرة هنا شيئًا عن حياة أنبا مقار السكندري الأولى إلا فيما أشارت إليه أنه كان يعمل ممثلًا في الأعمال الهزلية، كما أنه بدأ حياته خبازًا، والتجارة بالحلويات.

### عماده وزيارته للقديس أنطونيوس

نال القديس صاحب السيرة سر المعمودية وهو في سن الأربعين من عمره، ولما اشتاق لحياة الرهبة انطلق إلى البرية الشرقية وتقابل مع القديس العظيم أنبا أنطونيوس وكان ذلك في سنة ٣٣٥ م، ولذلك يمكن استنتاج سنة ميلاده ما بين (٢٩٠-٢٩٥ م)، ثم تهرب في برية القلاي، وتلمذ على يد القديس بامو تلميذ القديس أمون الكبير، ونال سر الكهنوت بعد سنة ٣٥٥ م في عصر البابا أنثاسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣ م). كما كان القديس مقاريوس السكندري معاصرًا للقديس مقاريوس المصري (٣٠٠-٣٩٠ م)، وقد شاهده الرحالة بالليديوس كاتب التاريخ اللوزياكي في زيارته للبرية وتلمذ على يديه ثلاث سنوات، وكان وقتها قد ناهز المائة عام وكان قد امتد عمره بعد هذه الزيارة ثلاث سنوات أيضًا وقد تنيح سنة ٣٩٣ م وبالتقريب يكون قد ناهز المائة عام وقت نياحته، فيكون تقدير حياته الرهبانية قد زادت عن الستين عامًا.

## اختلاف حول شخصية الأب البطريك الذي استدعاه؟

وفي المعجزة التي صنعها القديس في مدينة الإسكندرية بعد أن استدعاه البابا البطريك ليصلي من أجل أن تمطر السماء (انظر المعجزة كما هي بالسيرة) نجد أنه في المخطوط يذكر أن البابا تيموثاؤس الـ (٢٢) (٣٧٩ - ٣٨٥ م) هو الذي طلب منه الحضور، في حين نجد أن الدفنار تحت يوم ٦ بشنس يُقص تلك السيرة [وفي هذا الزمان كان أنبا بطرس بطريركا... بصلوات أنبا مقاره وأنبا بطرس يا رب أنعم لنا بغفران خطايانا]، أنبا بطرس البطريك الـ (٢١) (٣٧٣ - ٣٧٩ م) كان القديس معاصراً له أيضاً كما نجد أن القديس أنبا مقاريوس السكندري نُفي مع أنبا مقاريوس الكبير في عصر الإمبراطور فالنس في بداية فترة بطريكية البابا بطرس الـ (٢٣) (انظر نفي المقارين في سيرة أنبا مقار الكبير). وقد روى بالليديوس أنه عاصر الثلاث سنوات الأخيرة من حياة مقاريوس السكندري والتي أجرى فيها ثلاث معجزات، وإن كان هناك رأي يقول أن معجزة صلاته من أجل أن تمطر السماء في الفترة التي قضها بالليديوس في تلمذته في عهد البابا ثاؤفيلس الـ (٢٣). لكن الرأي الأرجح هو في عصر البابا تيموثاؤس الـ (٢٢) <sup>٧٥</sup> حيث لم يرد ذكر للبابا ثاؤفيلس الـ (٢٣) في أحداث تلك المعجزة، كما نستبعد أن تكون تمت في عصر البابا بطرس الملىء بالمشاحنات من قبل لوكيوس الوالي الذي أمر بنفي المقارين، و تمت في أيامه مذابح للربان.

ومن ناحية نص السيرة، توجد وحدة في النص العربي بين كل المخطوطات التي اطلعنا عليها مما يعني أنها منقولة من أصل ومصدر واحد وتناقلته أيادي النساخ.

<sup>٧٥</sup> وهذا رأي الكاتب والذي من الممكن إظهار نقيضه إذا ما ظهرت أبحاث دقيقة من المتخصصين.

## جسد القديس أنبا مقاريوس السكندري

يوجد جسد القديس أنبا مقاريوس السكندري في دير القديس أنبا مقار الكبير بوادي النطرون، مع جسد القديس أنبا مقار الكبير وأنبا مقار الأسقف، وتعيد له الكنيسة بتذكار نياحته في السادس من شهر بشنس، وبعودته من المنفى مع القديس أنبا مقار الكبير في ١٣ برمهاث.

### مقدمة السيرة

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه بنسخ ميمر القديس الطاهر أبو مقار الاسكندراني القس ثالث أبو مقار الكبير وأكمل نسكه وجهاده وتنيح في اليوم السادس من شهر بشنس صلاته تكون معنا آمين. قال لوسيوس<sup>٧٦</sup> كاتب أخبار الآباء الأطهار: ”أنا أبتدأ الآن بتذكار القديس أبو مقار القس المحبوب الاسكندراني. لأنه زكي جدًا. لأني كنت قد اجتمعت به عدة دفعات لمشاورته بطيبة قلبه. لأنه كان قس البيعة التي لهذا الجبل المدعو جبل القلاي<sup>٧٧</sup>. وكنت أنا ساكنًا في هذا الجبل تسعة سنين. منها معه وهو حي ثلاثة سنين. وشاهدت من أفعاله شيئًا كثيرًا بعيني. وأفعال أخرى سمعت بها. وهذا القديس كان قد أحكم<sup>٧٨</sup> الفضائل الروحانية وحظى بكمال الحسنات كلها. وكانت له هذه الغيرة العظيمة.

---

<sup>٧٦</sup> يتضح أن السيرة منقولة إلى العربية من أصل ما كتبه بالليديوس عن سيرة القديس مقاريوس السكندري إلى لوسيوس من شرفاء القسطنطينية.

<sup>٧٧</sup> انظر خريطة رقم (١) ملزمة الصور والخرائط.

<sup>٧٨</sup> (أحكمكم): الشيء والأمر أي ”أنقنه“ - ”الوسيط“.

أي عبادة ونسك لم يكن قد فعلها هذا المجاهد.<sup>٧٩</sup>

حتى أن كل فضيلة يسمع بها أن قومًا اكملوها. لا يتوانى إلى أن يكملها. وكنا نحن الشباب نجلس عنده عدة دفع. وكان يذكر لنا أتعابه كلها وعباداته التي كان يصنعها. وقصده بذلك لكي نحسده ويجذبنا إلى الجهاد بتعزيتة. ويقوى قلوبنا ويجسرنا<sup>٨٠</sup> ويحذرنا من الكسل. ومرارًا كثيرة كان يمزح معنا مزح القديسين<sup>٨١</sup>.

### نسك أنبا مقار السكندري في الطعام والشراب

ويقول لنا هكذا: ”أني سمعت دفعة لأجل الدوناسيين. أعني أولاد القديس أنبا باخوم. فيهم من لا يأكل شيئًا مطبوخًا بالنار في مدة الأربعين يومًا. فأقمت سبعة سنين أنا أيضًا لا أكل شيئًا مطبوخًا بالنار ولم أكل شيئًا من فواكه الشجر. ولا شيئًا من الخضرة. بل البقوليات التي تؤكل نيئة. والحبوب التي تُبل بالماء حتى تبتدأ (تبتدي خ) أن تنبت. ولما رأيت أني قد قمت بهذه العبادة. سمعت عن آخر انه يأكل رطل خبز كل يوم عند غروب الشمس. فمضيت أنا أيضًا وكسرت خبزي كله وجعلته لقم ووضعته في جرة. ونويت في قلبي ان مهما استطاعت يدي اخراجه من الجرة فهو كفاف عشائي عند غروب الشمس. وكان يقول أيضًا وينشط معنا. ان مرارًا كثيرة اذ وقت أكلي أجعل يدي في الجرة واملاها بقوة على قدر ما يريني في نظر العين. فكان فم الجرة لا يخلي يدي تطلع بما قبضته لأنه ضيق. وكنت أغتاض. وأقمت أصنع هذه العبادة ثلاث سنين أكل كل يوم عند غروب الشمس مقدار أربعة أوقيات خبز أو خمسة. ودفعه أشرب الماء فكنت أشرب منه بتقتير. وقسط زيت كنت أستعمله في

<sup>٧٩</sup> (دفنار ٦ بشنس). كتاب ”الدفنار“ Antiphonarium: هو عبارة عن سنكسار ملحن أو مرتل. والاسم معناه اللحن المتبادل وفيه يقدم خوروس الكنيسة مديحًا تردده مجموعتان متبادلتان لتذكّار أحد القديسين وكل مرد عبارة عن أربعة سطور، وفي الدفنار يختص كل قديس أو عيد بلحنين واحد واطس والآخر آدم ودائما يسبق الواطس الآدام، وقد فقدت مكتبة دير أنبا مقار مجموعة كاملة من كتاب الدفنار محفوظة في مكتبات: جوتنجن بألمانيا، والفاتيكان بروما، ورايلاند بمانشستر بإنجلترا، والرابعة بمكتبة البطركية بالقاهرة. الرهبة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٥٥٨، ٥٥٩.

<sup>٨٠</sup> (يجسرنا): يشجعنا.

السنة كلها. ولما تأملت اني قد أكملت هذه العبادة كلها. اهتممت بأخرى وهي. اني أقمت سنة كاملة أكل بعد يومين بلا شرب ماء. وفي اليوم الذي أكل أشرب الماء. ولما أكملت هذا الأخرى. أقمت زماناً أصوم خمسة أيام الجمعة. وأكل في يومي السبت والأحد لا غير“.

### جهاد القديس ضد النوم

وقال أيضاً: ”اني لما علمت ان لا أدوم على هذا لأنه كان يمنعي ويبطني من شغل اليد وعبادتي. ففكرت أن ألزم عباده غير هذه“. وقال أيضاً: ”اني غلبت دفعة من النوم حتى اني نمت نوماً كثيراً. لأن شيطان النوم ثقل عليّ جداً. فجعلت في قلبي أن أغلب النوم. فأقمت عشرين يوماً ما أدخل في ظل قلاية حتى طاب قلبي بانني قويت على السهر وأقمت عشرة أيام أخرى وعشرة ليالي لم أطبق جفنًا على جفن. ولم أنعس نعاسًا. لكنني كنت جاس على ركبتيّ في البرية في الحر والندى أضفر الخوص. واذا أتاني النوم قمت وقفزت إلى فوق وأركض هكذا وهكذا وانا في برد الليل وحر النهار حتى غلبت النوم عشرة أيام وعشرة ليالي. ولو لم أدخل الظل وأستريح أخيراً لمكان قلبي يتلف لأن مخّي يس، ومن بعد هذا لأجل ضعف الطبيعة جعلت النوم بمقدار. ولما دخلت إلى الظل ووجد الجسد الراحة انتبه عليّ فكر الزنا وشهوة الجسد الزفرة فأخذت وعاءً يسع خمسة أقساط وقفة خوص وعشرة خبزات. ومضيت الى البرية الجوانية وجلست على ركبتيّ في البرية في الحر والندى أضفر الخوص وأنا عريان في برد الليل وحر النهار عشرين يوماً بليليتها لم أنام البتة. وأنا جالس على ركبتيّ حتى خرج من جسدي شيطان الشهوة“.

### ضمير القديس يبكته من أجل قتل بعوضة

وقال لنا: ”انه كان في زمان النيل<sup>٨١</sup> جالس في القلاية فجاءت ناموسة<sup>٨٢</sup> قعدت على يدي اكلتها. فلما آلمتني مددت يدي وقتلتها. ولما تمهلّت ساعة

<sup>٨١</sup> وقت الفيضان.

<sup>٨٢</sup> بعوضة.

بكتني نيتي هكذا قائلة. لي لماذا قتلت وأفسدت خلقة الله لأجل هذا الجسد المنافق وهذا الذي كان أمس عند راحته يقاتلك بشهوة الزنا. وقال اني اتفقت مع ضميري وقلت ماذا يكون ماهي ناموسة قتلتها. هب أن إنسان نخسك بأصبعه فما كنت تحتل وجع الجسد لكنك تقوم فتقتله. ولما وبخني قلبي هكذا حكمت على نفسي ودنتها. ومضيت الى البهلس الذي في شيهات وعريت نفسي ستة أشهر وأنا جالس عريان لذلك الناموس الرديء الذي في ذلك البهلس. الذي للخنازير التي في ذلك الجبل. وأنا لم أحتمل ألم ذلك الناموس وكثرته وكبره. لأنه كان في قدر الجراد اللطيف. وصنعت لي هناك خُصًا من قصب البهلس. وأقمت هناك ستة أشهر وأنا مقيم عريان حتى جرحوا جسدي كله وصار متألمًا حتى ظن كل الناس اني تجمدت. لأن ما بقى في جسمي موضعًا سليمًا إلا حدقتي ومن بعد الستة أشهر رجعت إلى قلايتي. فلم يعرفني احداً إلا القديس ابو مقار الكبير الذي في البرية.

#### أنبا مقار السكندري في مقبرة نينس ويمبريس سحرة مصر

وقال أيضًا: إني قد اشتهيت أن ادخل إلى جنان بيس وأفرش<sup>٨٣</sup> لأنظر موضع قبورهم. وذلك الطافوس الذي بناه السحرة في أيام فرعون. لأنهم كانوا اقوياء بالملك. فبنوه بالحجارة الرفيعة في أيام فرعون وصنعوا لهم مسكنًا قويًا هناك. وجعلوا قبورهم فيه. وزرعوا هناك أشجارًا وحفروا بئرًا عظيمة. وكان القديس لا يعرف الطريق بل كان يتأمل نجوم السماء ويمشي عليها إلى أن دخل تلك البرية. وهي كانت مثل البحيرة التي يقلعون فيها. وكان لا ينظر شيئًا سوى السماء والجبال المفرقة فيها. وقد حمل معه حملة حطب في مسيه في البرية وكان يغرس قصيه في كل موضع. لكيما اذا أراد الرجوع يمشي على أثر القصب الذي غرسه كل يوم حتى يجيء إلى القلاية التي يسكنها. فلما مشى تسعة أيام وقرب من المكان رقد قليلاً. لأنه تعب من المشي. فجاء الشيطان الجرب وقلع القصب الذي في الطريق جميعه وربطه حزمة وجعله عند رأس الشيخ وهو نائم. وكان قد

<sup>٨٣</sup> «و كما قاوم نينس و ويمبريس موسى كذلك هؤلاء أيضًا يقاومون الحق» (٣: ٨).

بقيَّ بينه وبين المقبرة تقدير ميل واحد. فلما استيقظ القديس من النوم وجد حزمة القصب التي غرسها في الطريق. وسمع صوتًا يقول له يا مقاره إذا كانت لك أمانة فلا تتكل على القصب. بل آمن أن عمود الغمام الذي كان يهدي بني إسرائيل أربعين سنة في البرية هو يهديك. ولما وصل إلى ذلك الجنان خرج إليه منه عدة شياطين كشبه الغربان السود طائرين. وكانوا يضربون بأجنحتهم في وجهه ويصرخون قائلين: ”ماذا تريد عندنا ههنا يا مقاره الراهب. لماذا وافيت إلى موضعنا ما تقدر أن تقيم ههنا ولا تستطيع أن تحمل ثقلنا. لأننا نحن كثيرون مقيمون ههنا“. فأما هو فقال لهم: ”أنا قد قلت لكم أن هذا غير ممكن أن أرجع من ههنا حتى أدخل هذا الموضع وأنظر جميعه من قبل أن أرجع. وفيما هو يريد أن يدخل ذلك الجنان خرج إليه منه شيطان وفي يده سيف مجرد وهو بغضب عظيم ليخيفه“. فقال له القديس: ”أنا لست أخاف من سيفك لكن أنا القاك باسم الرب ضابط الكل رب الدهور كلها معين إسرائيل“، فغاب عنه. فلما دخل وجد قادوس نحاس معلقًا على تلك البئر وقد صدا فلما لمسه بيده انحل وصار مثل التراب. وكانت فيه سلسلة حديد معلق بها القادوس فصارت الأخرى من الصدا مفتتة مهريّة من طول الزمان ووجد أيضًا رمان معلق على أشجارًا يابسًا ناشفًا قد أتلّفه حر الشمس. ووجد هناك ذهب كثير في مخزن مغلق. فلما شاهد هذا كله عاد خارجًا وهو يقول: ”أصرف عيناى لئلا تعانينا الباطل“<sup>٨٤</sup>. ووجد أيضًا بئرًا ناشفه ليس فيها ماء.

### نفاذ الخبز والماء

#### من القديس مكاريوس السكندري ونجاته بأعجوبة

وفرغ الماء الذي كان معه في الوعاء. فخاف قلبه وقال: ”إن تخلّى الرب عني فأني أموت عطشًا قبل أن أصل إلى قلايتي“. ونفذ خبزه أيضًا. وما كان في هذا الجبل عشب ولا على الأرض حضره يعيش بها. فلما قرب أن يتخلا (يضعُف) وهو راجع يمشي الى الريف. فظهرت له امرأة بالبعد منه قليلاً مقدار نصف

<sup>٨٤</sup> «حول عيني عن النظر الى الباطل في طريقك احيني» (مز ١١٩ : ٣٧).

ميل. وهي تمشي مقبلة اليه وعليها ثياب فاخرة مزينة جداً ومعها جرة ماء. وصار ينظرها قدامه. فأقام ثلاثة أيام وثلاثة ليالي وهو ينظرها قدامه ولم يلحقها. لأنها كانت خيالاً. والله أظهر هذا الفعل أمامه. وكان ينظر المرأة ويتعزى ويعاين الجرة تنقط الماء فيتقوى. ويقول اذا لحقتها شربت ماء. ولما جازت خمسة أيام لا يأكل ولا يشرب غابت عنه المرأة ولم يرجع ينظرها فلما خفيت عنه فرغت قوته ووقع على الأرض وتخلا (ضعف). وفيما هو مطروح اذا بقطيع بقر وحش قدامه يمشي في تلك البرية وواحدة من بقر ذلك القطيع كانت مرضعة وكانت ابنها معها. فجاءت ووقفت فوقه. فلما نظر الأمر بقي باهتاً وقال: "ماذا ترى هذه البقرة مني؟! وبسرعة رقدت وقلبت بطنها على فوق وأرتني ثدييها وهما يقطران لبناً فعلمت للوقت أن الله أراد حياتي وجاعي صوتاً يقول يا مقاره اقرب من البقرة واشرب من لبنها لتتقوى وتمضي إلى قلايتك. فلما مضيت إليها رضعت اللبن من ثدييها ونمت قليلاً ومضت البقرة. ولم أعلم إن كانت هي أو غيرها التي تأتي إليّ في كل يوم وتسقيني اللبن. ولما قربت من قلايتي انقطع عني البقر. فوصلت إلى قلايتي بعد عشرين يوماً.

### ضبعة تحضر جروها الأعمى إلى القديس ليشفيه

وقال أيضاً بعد هذا بزمان قليل: "وأنا جالس في قلايتي واذا بضبعة جاءت إليّ وجروها في فمها وهي تحمله فوضعت الجرو على باب قلايتي وقرعت برأسها الباب. فسمعت الدق فتوهمت أنه أخ جاءني فخرجت. ولما فتحت الباب نظرت الضبعة. فبهت قليلاً ثم قلت: "ماذا تطلب هذه ههنا؟!"، أما هي فحملت جروها وقدمته إليّ وهو كمثل الكلب وكانت تبكي. والشيخ أخبرنا انه لما نظر الى الجرو وفتشه بيده بسداجة مهتدياً وفتش جسده كله وهو يقول: "ترى هل شيء يوجعه؟" ولما تأمله وجده أعمى العينين لا يبصر شيئاً فرفعه على يده وتنهّد وبصق في عينيه ثم رشّهما بإصبعه بعلامة الصليب. فأبصر للوقت وجرى لأمه ورضع ثدييها وتبعها ودخلت إلى جحرها وهو معها.



## الضبعة تهدي القديس مكاريوس السكندري فروة كبش

وكان أهل مريوط ينزلون بأغنامهم الضأن دفعة في السنة إلى الوادي لترعى العشب وغنمهم الشعاري من النواحي إلى جبل برنوج. وإن تلك الضبعة جاءت إلى الشيخ يوماً كالعادة وفي فمها فروة كبش كبير وفيها صوف كثير وهي تحملها بفمها. وطرقت برأسها الباب وكان الشيخ في الكيبه<sup>٨٥</sup> جالساً فلما سمع الدق قام وفتح الباب. فوجد الضبعة وهي حاملة الجلد فقال لها: ”من أين وجدت هذا؟ العلك اكلت خروفاً حياً وهذا الذي أتيتي به لي ظلماً أنا لا آخذ هذا منك أبداً“ فضربت الضبعة برأسها الأرض وسجدت وجعلت تلحس قدميه وتطلب منه مثل إنسان بأن يأخذه منها أما هو فقال لها قد فرغت مما أقول إني لا آخذه حتى تقولي لي أنك لا توجعي قلب الصعاليك (الفقراء) بعد. ولا تأكلي لأحد خروفاً فأكثر مما تحرك رأسها إلى فوق وأسفل كمثل من تعاهده. وقال لها أيضاً: ”اذ لم تقولي لي انك لا تأكلي بعد لأحد بهيمة حية لكن ميتة. وإلا فلا أقبل منك وإذا تعبت مما تدوري ولا تجدي شيئاً فتعالى إلى عندي ههنا وأنا أعطيك الخبز ولا تظلمي أحداً من الآن“. والضبعة كانت تدق برأسها إلى الأرض وتجتو على ركبتيها أمام رجله وتحرك رأسها فوق وأسفل كمثل من تعاهده ففهم الشيخ بقلبه أن هذا تدبير من الله الذي عرف الوحوش لكي يوبخونا ومجد الله المعطي الفهم للوحوش“ وقال: ”أعظمك يا الله الممجد الكائن مع دانيال في الجب وفهم السباع أيضاً أن يخضعوا له هكذا الآن فهّمت هذه الضبعة ولم تنساني وجعلتني أفهم أن هذا الفعل لك“. وأن الشيخ أخذ الجلد الفروة من الضبعة. ومضت عنه إلى موضعها. وكانت في كل قليل تجيء إليه دفعات. وإذا طافت ولم تجد ما تأكل فتأتيه ويعطيها الخبز. وكانت تفعل هذا دفعات كثيرة. وكان الشيخ ينام على هذا الجلد إلى يوم نياحته. وأنا رأيت بعيني ذلك الجلد. ولما قربت نياحته حضرت إليه القديسة ملانه<sup>٨٦</sup> لتزوره

<sup>٨٥</sup> محرفة عن كلمة كيليّا “κελλίον” وتعني حلية، وأخذت معنى قلاية = cell of a monk.

<sup>٨٦</sup> ميلانية: كانت هذه المرأة الفاضلة من أصل أسباني ولكنها تربت في روما، وكان أبوها قسلاً عاملاً ويدعى مارسلينوس، وكان زوجها في مركز حكومي كبير في الدولة، وقد ترملت وهي في الثانية والعشرين من عمرها (٣٧١ - ٣٧٢ م)، وأودعت ابنها في

وتفتقده فدفع لها هذا الجلد ميراثاً. وبقيَ عندها وهي تحفظه بأمانة وتذكر  
لأنبا مقاره العظيم إلى آخرتها.

### القديس يشع ثعبان من صدغيه إلى نصفان

وكان أيضاً دفعة أخرى يحفر بئراً في وسط الحلفاء. وكان ثعبان راقداً في  
الحلفاء ولم يعلم به أحداً. وكان ذلك الثعبان رديئاً جداً قتالاً وهو مخفي في  
الحلفاء لا يقدر يسعى من كثرة البرد. ولما طلعت الشمس ودفي وطئ الشيخ  
عليه برجله ولم يعلم. فلسعه في رجله وهرب فلحقه الشيخ وقبضه بيده وهو حي  
وقال له: "ما الظلم الذي فعلته بك حتى جسرت ونهشتني. والله تبارك اسمه لم  
يعطيك سلطاناً عليّ ولكن أنت في طبعك رديء. فطبيعتك رديئة شريرة وأنا  
أفعل معك كقدر استحقاقك"، وأخذ الشيخ شذقيه بيديه الاثنين وشقه من  
نصفه وجعله قطعتين وهكذا لم يناله منه مكروه لكنه كان كمن تنخسه شوكة  
حلفاء.

### مغائر القديس مكاريوس السكندري

تشهد عنك بالحقيقة المغاير المظلمة التي سكنت فيها يا أنبا مقار القس  
(ذوكصولجية أنبا مقار السكندري)

وهذا القديس كانت له مغاير كثيرة في البرية؛ واحدة داخل جبل شيهات،  
وواحدة داخل بناط. وواحدة في جبل الريان. وواحدة في جبل برنوج ومنهم  
شيء بغير باب لأنهم في البرية الداخلية بحيث لا يصل اليهم أحد، وهذه  
الداخلية في البرية كان يقيم فيها الأربعين يوم صوم لأنها كانت مظلمة وهي مثل  
أبحار الضباغ وضاغطة (ضغطة خ) جداً حتى انه لا يستطيع أحداً أن يمد  
رجليه فيها. والقلاية القريبة من الناس التي تجتمع اليه فيها الاخوة كانت رحبة  
واسعة. وهذا الشيخ القديس أشفى أناس كثيرين من الذين بهم الأرواح النجسة

---

رعاية البريتر أوربانوس وكان ذلك في عصر الإمبراطور فالنس. وقد زارت ميلانيا الإسقيط المقدس ومكنت أكثر من ستة شهور  
وتقابلت مع كثيرين من آباء الإسقيط القديسين. إيفلين وايت، تعريب بولا ساويرس البراموسي، تاريخ الرهبنة القبطية في  
الصحراء الغربية، الناشر أبناء الأنبا موسى الاسود، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، الجزء الأول ص ١٢٠.

ليس لهم عدد. حتى. أتوه بعذراء مفلوجة مريضة جدًا فصلى على زيت ودهن به جسدها كله بيده الطاهرة دفعات كثيرة. وفي عشرين يوم ابرأها الله بصلواته. ومضت إلى بيتها صحيحة معافية. ولما وصلت إلى كورتها واستقرت في بيتها. أقامت ثلاثة أيام وتنيحت وعند نياحتها خلفت ثلاثمائة دينار وأوصت أهلها ان يوصلوها إلى القديس أنبا مقاره. وبسبب تلك العذراء وشفائها شاع خبره في تلك الأرض كلها.

**عذراء تسالونيكي تستقر سنة في البرية**

**حتى تستريح من حرب الأفكار**

وسمعت أيضًا عذراء أخرى فجاءت اليه من تسالونيكيه اسمها لانديا. وكانت ناسخة تكتب مصاحف القراءة. وهذه كانت زاهدة جدًا في أفكارها مثل الرجل القوي. وأقامت سنة كاملة ساكنة في مغارة عظيمة منفردة وحدها في البرية وهي تخرج مع الشيخ دفعة كل يوم. ولم يراها أحد في الجبل كله ولا علم بها الا من بعد خروجها من الجسد. ومضت إلى كورتها وفكرها الذي كان يقاتلها به الشيطان المخفي الذي جاء إلى الشيخ لأجله. أزاله عنها واستراحت منه بصلاة الشيخ. وبعد شفائها مضت إلى كورتها شاكرة الله لأنه أعطاها الراحة من قبل الشيخ القديس أبو مقار.

**القديس مكاريوس السكندري**

**في أديرة أنبا باخوميوس "طبانسين"**

وهذا الطوباني أيضًا سمع عن الدوناسيين. أعني أولاد القديس أنبا باخوم أنهم يصنعون عبادات عظيمة جدًا فقام وغير حليته (ملابسه) ولبس شكل مزارع وشبه فاعل ومضى إلى الصعيد يمشي في البرية خمسة عشر يومًا حتى وصل إلى الرجل العظيم المصطفي الجرب أنبا باخوم. وهذا الأب كان قد نال نعمة النبوة ولم يعلمه الله أن هذا هو القديس أبو مقار القس. وانما كان يسمع بخبره. وكان يشتهي أن ينظره. فلما أوصلوه اليه واجتمع به أحاب أنبا مقاره وقال له: "أنا أطلب اليك يا أبي أن تقبلني اليك وتسكني عندك في ديرك ولعلي أن اصير أنا

أيضاً راهباً“. فقال له أنبا باخوم: ”ما حاجتك إلى هذا يا أخي وأنت قد صرت شيخاً ولا تستطيع أن تتنسك. والإخوة هم نساك ولا تتقدر على تشدهم وربما تضجر وتكسل فتخرج من عندهم وتتكلم فيهم. لكن امض إلى موضع الغرباء الفلاحين واجلس عندهم. وأنا مع الله اهتم بك و أقوتك حتى تريد المضي بإرادتك“.

### أنبا باخوميوس يسمح له بالانضمام لأديرة الشركة

ولم يدعه يدخل عنده أول يوم ولا ثانيه إلى سبعة أيام. فلما أكثر عليه الطلبة واجتمع به دفعة أخرى. قال له: ”أقبلني يا أبي وإذا لم اصبر ولا اتنسك ولا أعمل شغل اليد مثل الإخوة الرهبان. وإلا فاطردني من ديرك“. حينئذٍ أمر الإخوة أن يدخلوا به. وكان عددهم في ذلك الوقت ألف وأربعمئة راهب مجتمعين.

### ظهور التدبير المرتفع لنسكيات مكاريوس السكندري

ولما أقام عندهم زماناً سيراً حينئذٍ دخل صوم الأربعين. فنظر أنبا مقاره الإخوة كل واحداً منهم يصنع عبادة بمفرده؛ قومًا يصومون إلى الليل وقومًا يصومون يومين يومين، وقومًا يصومون خمسة أيام، وقومًا يقفون الليل كله ويجلسون النهار. فمضى أنبا مقار وبل خوصه وجعله على مصطبة عالية بقدر ما يقف ويعتدل معه ووقف في ركن الكيبية يضر الخوص حتى فرغت الأربعين يومًا ولم يجلس البتة ولا أكل خبزًا ولا شرب ماء ولا أثنى ركبته بل كان كل يوم أحد يأخذ ورق الشجر يأكله قدامهم حتى ينظروا أنه يفطر وإذا خرج ليهرق ماءً أو يبل خوصًا يجري بسرعة ويدخل ولا يكلم أحدًا ولا يفتح فاه البتة بل كان يقف ساكنًا يصلي بقلبه وهو يضر الخوص ولما نظره الإخوة النساك كلهم وهو ملازم هذا العمل. قاموا على رئيسهم وقالوا له: ”أجزت هذا الرجل الشيخ عندنا من أين؟ لعل ما لهذا جسدًا هل أحضرته ليديننا؟ إذ لم تخرجه عنا من ههنا، والأخرجنا كلنا وتركناك“.

## الرب يكشف للقديس باخوميوس حقيقة الشيخ

فلما سمع القديس أنبا باخوم بكثرة عبادته صلى إلى الله لكيما يظهر له أمره وفعله ومن هو فأظهر الله له أن هذا مقاره القس الاسكندراني الذي في جبل شيهات فجاء اليه القديس أنبا باخوم ومسك يد الشيخ القديس أبو مقار. وجاء به في وسط الكنيسة عند فراغهم من الصلاة قريباً من الهيكل لكيما يشاهده جماعة الإخوة كلهم وقال تعال بالسلام الى ههنا أيها الشيخ السيد الفاضل انت أبو مقار القس الإسكندراني واحتفيت عني. وكم لي أسمع عنك وأشتهي ان أنظرك، لكنني أنا أشكرك لأنك رجحتنا كلنا وعلمت الإخوة النساك لكيلا يتعظموا بنفوسهم من أجل العبادات التي يصنعونها ولكي يعلموا أنهم اذا اجتهدوا بقوتهم فأنهم ما يبلغون صوم الأربعين يوماً التي لسيدنا والهنا وملصنا يسوع المسيح ابن الله الحي، ولا عبادتك أنت الذي انسان مثلنا على انك قد صرت شيخاً فاذهب إلى قلايتك بسلام. فقد علمتنا كلنا بكفاف وصلي علينا حينئذ مضى وهم يقبلونه جميعهم ويطلبون اليه أن يصلي عليهم.

### القديس يقف خمسة أيام مُصلياً

ارتفع عقله إلى العلاء، وصار يسبح مع الملائكة، خمسة أيام وخمسة ليالي (دفنار ٦ بشنس)

وقال أيضاً لنا هذا القديس أنبا مقاره: ”إن كل عبادة سمعت بها أكملتها فجاء على قلبي شهوة عبادة أخرى ان أقيم خمسة أيام وفكري ملتصقاً بالله ولا التفت إلى شيء من أشغال هذا الدهر فعاهدت قلبي ودخلت الى قلايتي تلك التي في البرية الجوانية التي ليس لها طاقة البتة ولا فيها شيء من النور لكيما لا يجديني إنسان ولا يحييء إليَّ ووقفت على الحصير في الخزانة وقررت هكذا مع أفكاري قائلاً: ”أحرص أن لا تنزل من السماء لك هناك البطارقة والأنبياء والرسل والتلاميذ وطغمت الملائكة والقوات العلوية والشاروبيم والسارافيم. والاب والأبن والروح القدس الثالوث المساوي اله الإلهة وملك الملوك وتعلق على الصليب والتصق بالله الأبن الذي في السماء ولا تنزل من الفكر القوي، ولما أكملت هكذا يومين وليلتين جعل الشياطين يختبطون ويخدشون بأظافرهم في رجلي، وتارة يصيرون مثل الثعابين ويلتفون على رجلي وآخر هذا صاروا مثل

لهيب النار وأحرقوا كل ما في القلاية حتى الحصيرة التي تحت رجلي أحرقوها إلا موضع قدمي فقط وظنوا اني أحترق أنا أيضاً وآخر ذلك مضت النار والخيالات وفي اليوم الخامس لم اقوم أن أضبط الفكر بغير تشاغل وبغير اهتمام أهل العالم، فعلمت أيضاً أن لو أتفق لي أن أكمل الخمسة أيام لكان قلبي يتعظم فلاجل هذا استرحت على اهتمام العالم بفكري لئلا أسقط من كبرياء القلب“. وقال هكذا: ”اني تعبت في النسك خمسين سنة ولم تكن مثل هذه الخمسة أيام“.

## صلاة القديس مكاريوس السكندري

### تبرئ قس من مرض خطير

وأيضاً دفعة كنا عنده أنا والقديس أليينوس<sup>٨٧</sup> (ابواني خ) جالسين. فجاء رجل قسيس وهو كله مقشور مسوس من مرض يعرف بالأكلة قد أكلت رأسه كلها ووجهه وهو مقشر لا يُنظر عليه لحم البتة ما خلا عظم يفزع من يشاهده وأنفق كل ماله للأطباء ولم يقدرُوا أن يبرئوه. فلما انقطع رجاءه وافي إلى شيهات الى القديس أبو مقار لكيما يشفيه الله بصلاته وسجد على قدميه وطلب اليه بسؤال كثير. فلم يعني الشيخ به لكنه مد رجله قليلاً قليلاً ولكزه حتى يقوم من

---

<sup>٨٧</sup> روي لنا القديس بالاديوس سيرة أليينوس الطوباوي الذي بسبب عدم الإفراز والحكمة سقط من علو شامخ وكاد أن يهلك لولا عناية الله التي ترفقت به وأنقذته ليرجع إلى السيرة المقدسة خلال الضيق، إذ قال: ”الآن أنا نفسي تقبلت خبرة عن الطوباوي أليينوس Albinus عندما مضينا إلى الإسقيط، وكان بيننا وبين الإسقيط أربعون ميلاً، أكلنا فيها دفتين وشربنا ماءً ثلاث مرات (في الطريق)، أما هو فلم يذق شيئاً طوال الرحلة معنا. كان يسير علي قدميه وهو يردد عبارات من الكتاب المقدس عن ظهر قلبه، ويرم ١٥ مزموراً مع التطويات والرسالة إلى العبرانيين وسفر إشعياء النبي، وجزءاً من سفر إرميا ثم إنجيل لوقا والأمثال، ومع هذا لم تكن نقدر أن نلحق به. هذا الرجل جرب بالشهوة كما بنار، ولم يعد قادراً علي السكني في قلايته، بل ذهب إلى الإسكندرية، وقد حدث له ذلك بسبب كبريائه، وتبدير إلهي كما قيل: ”دُفع مسمار بمسمار“، لأنه أسلم ذاته باختياره لعدم الإفراز، فوجد فيما بعد خلاصاً غير طوعي، فصار يحضر المسارح والألعاب، ولم يكف عن الشرب في الخانات، واز صار في حياة الضلال والسكر سقط في محبة النساء. أخيراً ذهب إلى إحدى الزانيات المشهورات ودخل معها في حوار، لكنه (بعناية إلهية) أصيب في أعضائه بمرض دام ستة شهور... وفيما بعد برئ، فأنبه وذكر السيرة الإلهية، واعترف بكل هذه الأمور للآباء، ومع أنه لم يدم طويلاً لكنه عاد إلى السيرة النسكية دون أن يكف عن البكاء علي ما حدث له مقدماً توبة. ولم يبق سوى أياماً ورحل من العالم“.

على الأرض. فطلبنا إليه وقلنا يا أبينا من جهة الرب ارحم هذا الرجل والتفت إليه وعزبه في شدته. أما هو فقال أتركوه فانه غير مستحق بأن يُبرأ لأنه كان غداً فرغ من زناه يمضي إلى الهيكل يخدم فيه. وأما الشيخ فأقام ثلاثة أيام يصلي عنه قبل أن ردّ وجهه إليه، وأخيراً ترأف عليه بدموع وصلاة واستدعاه وقال له: "أفهم من أي سبب جاب الله عليك هذا الانتقام" قال: "نعم يا سيدي" قال: "أضمرت ونويت أن تستهزأ بي" فقال: "لا يا سيدي الأب" قال له الشيخ: "اذ كنت قد عرفت خطيتك ورجعت عنها فأنت تُشفى وتصح" حينئذٍ أظهر الرجل خطيته. فقال له الشيخ: "ان كان الأمر هكذا فلماذا لم تترك القسيسية لتخلص من هذا العذاب". أما نحن فقلنا له: "يا ضعيف مسكين امض الى الشيخ وعاهده انك لا ترجع تدخل الهيكل ولا تخدم فيه قسيس لكي يخلصك الله به" فعاهد الشيخ انه لا يرجع يدخل الهيكل بعد، فصلى الشيخ علي زيت ودهن به رأسه ووجهه. فشفاه الله ونبت الجلد والشعر على رأسه دفعة أخرى وأطلقه فمضى وهو يمجّد الله ويقول: "أنا أبقي بقية حياتي وأنا علماني حتى أموت" وكان له هذا الفعل والدالة امام الرب.

### صلاة القديس تخرج روح شرير من صبي

ودفعة قدم اليه صبي به شيطان. فجعل الشيخ يده الواحدة على رأسه، ويده الأخرى على قلبه وصلى إلى الله الذي له القوة أن يخلص الذين يترجونه في البرية، وفيما هو يصلي عليه بحرقه قلب وتنهد مقار ساعة من النهار، فعلق الشيطان والصبي في الجو بقوة الله، فعند ذلك صرخ قائلاً: "ارحمي يا رجل الله"، وكان الصبي قد انتفخ حتى صار مثل الزق وهو يصرخ بصوت عظيم، وكانت عيناه وأنفه وفمه وجميع منافسه السفلى تسبب ماء مثل اناء الماء المشقوق، فلما انقطع سيلان هذه المياه كلها صار كما كان أولاً وشفى، فرفع الشيخ حينئذٍ يده عنه، وقال هكذا: "لك الحمد يا سيدي يسوع المسيح مخلص الذين يترجونه"، وصب عليه قصرية ماء ثم دهنه بدهن مقدس وخلاه قليلاً، وأوصاه أن لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً اربعين يوماً، ولما بُرئ سلمه إلى أبيه صحيحاً.

## أبا مقار يساعد اللصوص

### في تحميل أغراضه المسروقة على الناقة!!

وكان في ذلك الوقت قد جاء غلاءً عظيماً على الأرض كلها. وارتبط المرايطه (أهل مريوط) الذين كانوا في ذلك الجبل بعضهم ببعض، فاجتمع أيضاً جماعة لصوص وجاءوا ليسرقوا المرايطه، فعبروا على قلاية أنبا مقاره. وكانت معهم ناقة يحملون عليها زادهم وآلاتهم والماء الذي يشربونه في البرية. فدخلوا إلى مغارة الشيخ فلم يجدوه فيها وأخذوا كل ما وجدوه فيها، أعني كل حوائج الجسد وشغل يديه الخوص الذي كان يعمل منه، وأخرجوها وحملوها على الناقة، فلما أرادوا أن يقوموها ليمضوا، فلم تقم فضربوها وكانت تصيح ولا تستطيع أن تقف ولا تقوم، فأصبح الصبح عليهم. فجاء الشيخ من الموضع الذي كان فيه، فنظر أولئك اللصوص والناقة. فظن أنهم أناساً جاءوا إليه من الريف بشيء وبأخذوا شغل يديه ليمضوا به إلى الريف كما جرت العادة. فلما قرب منهم عرف قففه وضافائه الخوص وبقية الحوائج التي في قلايته، فسكت ولم ينطق وعلم أنهم لصوص وأما هم لما نظروا الشيخ القديس احتشموا وخروا له ساجدين وضربوا له مطانيات وسألوه سؤالاً عظيماً أن يغفر لهم. فلم يغضب الشيخ البتة ولم ينتهرهم، ثم دخل قلايته فوجدهم قد أخذوا كل ما فيها إلا جرة فيها قليل زيتون وهي موضوعة خلف الباب لم يعلموا بها، فحملها الشيخ وأخرجها لهم وقال: ”تعرفوا وتعلموا لماذا لم تقوم الناقة؟“ فقالوا: ”لماذا يا أبونا؟“ قال لهم: ”لأجل جرة الزيتون هذه لم تقوم الناقة“، ودفعها لهم فوضعوها على الناقة ولكرّها هو برجله فللوقت قامت وودعهم وشيعهم بسلام.

### تشجيع أنبا مقار السكندري للرهبان لعمل الفضائل

ولما كان الغد جاء إخوة إلى عنده من المغاير يطلبون تعزية ويسمعون كلامه ليربح نفوسهم فعزاهم وتكلم معهم إلى أن جاء وقت الإفطار، فصار أولئك الإخوة يشتهون أن يفطروا، ولم يحضر لهم الشيخ شيئاً واحتشموا أن يقولوا للشيخ شيئاً، فعلم الشيخ أفكارهم، فقال لهم: ”إن كان في مزادكم خبزاً فجيئوا لناكل كلنا فأنا الحوائج الجسدانية التي كانت عندنا دفعها الله لقوم



علمانيين لهم أولاد ونساء وهم فقراء محتاجين إليها في هذا الغلاء العظيم.“ وقال هذا الكلام بحضور أولئك الإخوة الرهبان الشباب لكيما يغيرهم أن يحسدوه في فعل الفضائل. وقال: ”إني منذ ترهبت إلى الآن ما أكلت قط خبزًا حتى أشبع ولم أشرب حتى أروى، ولم أنام حتى أشبع ولم أمرض إلى يومي هذا.“ وقال أيضًا: ”أن الآباء الأقبياء كلهم كانوا لا يمرضون لأنهم كانوا يدبرون أجسادهم جيدًا بجد الكفاف.“ وقال هذا الكلام الآخر أنه في زمان شبابه لم يلبس ثوبًا إلا قطعة كساء مربوطة على وسطه وأعضائه، وكانت له ثلاثة مغاير في الجبل؛ واحد في البرية الجوانية، وواحدة في وسط شيهات وأخرى قريبة من الناس قليلًا.

### حروب المجد الباطل

وكان دفعة أخرى فكر السبح الباطل وكبرياء القلب يقاثلانه وأتعبته أفكار محبة السبح الباطل لتطرده من قلايته، وكان الفكر يقول له: ”أن هو ذا اسمك قد كبر وذاع في الدنيا كلها، قم الآن وانطلق إلى رومية مدينة الملك لكيما تشفي مرضاهم ولا يتعبون ويأتون إليك من ذلك البعد العظيم، فالروم متفقون مع المصريين جيدًا في عبادتهم ونسكهم وسننهم وإيمانهم“، وبهذه الأسباب الحقانية أراد الشياطين بهذه الأفكار أن يضلوه ليخرجوه من قلايته. وقالوا له أيضًا: ”أن الله قد دفع لك نعمة عظيمة التي هي نعمة الشفاء، فقم وامض لأن هذه مشيئة الله أن تكملها“. فلما رأى أن الفكر قد حمله ثقلاً وأتعبه ولا يمكنه أن يكمله قام وجلس من داخل عتبة الباب في مغارته وأخرج رجليه من داخل العتبة إلى الخارج (براخ) وقال لأفكاره: ”إن كنتم تقوون ولكم قدرة واستطاعة أن تخرجوني خارج العتبة مترًا واحدًا أو ذراعًا، فأنا أعلم أنكم تستطيعون أن تمضوا بي إلى ذلك البعد العظيم“، وكانت الأفكار تراجعته في المعنى أيضًا، فقال لها بصوت عالي وغضب: ”قد فرغت مما أقول لكم إني أنا لست لي رجلين آخرين أمشي بهما، إن كنتم أنتم تقدرون أن تحملوني إلى رومية فاحملوني وإلا فأنا عارف بضعفكم في هذا الأمر، وهو ذا أنا قاعد اليوم إلى

غياب الشمس فإذا لم تقدرُوا أن تحملوني، وإلا فما أسمع بعد منكم“. ولما أعيَا من القعاد قام وتصرف في حاله.

### القديس يشقي جسده بأتعاب حتى يقوى على أفكاره

وإذ جاء الليل أنه الأفكار أيضًا وأتعبته جدًا، فقام وأخذ قفة ومأها رملاً وحملها على كتفه وجعل يدور بها في البرية الليل أجمع. واتفق أن صادفه قوْمًا من الإخوة فقالوا له: ”لماذا تصنع هكذا يا أبانا أعطينا نحن نحملها ولا تتعب روحك أنت“. فأجابهم: ”أنا أتعب الذي يتعبني؛ لأني إذا أرحته دخلت عليّ الأفكار منه ويقولوا لي هكذا: ”قوم وانطلق إلى روميه وغيرها“. فلما أطال المشي في الجبل عاد ودخل قلايته وجسده كله قد تحطم من التعب، وبهذا ضرب المسمار بالمسمار. وغلب.

### تلميذه الأمين يشهد له بفصائله

وكان تلميذه الأمين الذي خدمه في شيخوخته خائفًا من الله وعابدًا جدًا وهو الذي أودع عنده ابن الأمير الذي آمن بالمسيح ورفض الدنيا وجاء إلى الشيوخ وسكن الجبل إلى الآن وكان يعمل عمل يديه ويأكل منه، وكان محبًا لقبول الضيوف والغرباء إلى حين وفاته، وهذا التلميذ الأمين الذي لأبنا مقاره قال لي دفعة: ”رأيت الجسد لم أناوله أنا بل لما جاء مقاره ليتقرب رأيت الملاك دفع له من يده، وأنا مقاره منذ كان شابًا قد حفظ العتيقة والحديثة وكان وديعًا محبًا للإخوة جدًا، ولما شاخ جدًا مضيت إليه وطلبت منه صلاة“. وكنت أعتقد أنه مثل الأولين الآباء الروحانيين، فجلست عند بابهِ أسمع ما يقول أو ما يفعل فإذا هو يتكلم داخليًا وحده مع ذاته، وكان عمره يومئذٍ مائة سنة وقد تقلعت أسنانه فسمعته يتحدث مع ذاته أولاً، وبعد مع الشيطان وهو يقول له: ”ماذا تطلب مني يا من تأمرني بفعل الرديء، هو ذا قد أكلت الزيت وشربت النبيذ، وأيضًا ماذا تريد مني يا من يقصد لي كل شر ويؤذيني“، وكان يفترى على نفسه، ثم تكلم مع الشيطان وقال له: ”لم يبق لك عندي شيء امضي عني“. وكان دفعة يشتم نفسه ودفعة جسده ويقول: ”أيها الفرس الفاشل ما أفلحت قط حتى متى أكون معك“.

## وصف للقديس مكاريوس السكندري

وقال الأب أنبا بينوده تلميذ أنبا مقار الكبير: ”أن الشيخ قال لي أعني أبو مقار القس أن لي ستون سنة اليوم منذ ترهنت لم أبصق على الأرض“. وكانت صفة شخصه قصير القامة وشعر قليل على شفتيه أعني شواربه، خفيف العوارض لكنه كان مملوءً نعمة في كل صفاته.

### سؤال القديس عن التنقل من موضع لموضع

وكننت مضيت اليه دفعة وقلت له: ”ماذا تريد أن أصنع يا أبي لأن الشياطين تضغطني (أي تزعجني) وتقول لي: ”لماذا أنت جالس في القلاية ولا تصنع شيئاً وليس لك أعمالاً صالحة تخلصك قم أخرج من ههنا“. فقال لي الشيخ: ”قل لهم أنا مقيم في هذا المسكن باسم المسيح أحرس حيطان هذه المغارة لئلا تهرب مني“.

### من العجائب التي رآها القديس

وأيضاً قال لي تلميذ القديس أبو مقار أن الشيخ قال لي: ”أنه لا يوم سبت ولا يوم أحد يجوز إلا وأنظر الكنيسة مملوءة ملائكة قياماً داخل الهيكل في الموضع الذي قبالي اذا وقفت على المذبح وأنا أقدر جسد ابن الله الكلمة“، وسمعت أيضاً هذا الكلام الآخر منه وهو عجيب جداً قال: ”كنت في أحد الأيام والشماس داخل الهيكل بعد القداس وفراغه فسقط منه الكأس وتكسر قطعاً حيث كان زجاجاً لأنها برية، وسمعت أنا أيضاً صوت الكأس لما تكسر من الشماس، فدخلت إلى الهيكل والشعب قياماً يرتلون فقلت للشماس: ”لا تقلق ولا يصغر قلبك، لكن اجمع القطع كلها ولا تخلي منها شيئاً وضعها فوق الهيكل واخرج“، ولما صنع ما قلت له وخرجنا الاثنان وتمهلنا قليلاً ونحن قياماً. فقال الشيخ للشماس: ”امض والذي تبصره لا تعلم به احداً“ فلما دخل الشماس وجد الكأس صحيحاً قد التصقت قطعه بعضها ببعض، وكانت الأباركة لما نسكبها فيه لم يسقط منها نقطة وهذا الكأس حاضر إلى الآن“. ولما بلغني خبر هذه الأعجوبة مضيت إلى مكان الشماس الذي صار قساً وطلبت منه أن

يربني الكأس فأراني إياها وشاهدتها بعيني وقبلتها ومجدت الله، وأيضاً كان رئيس على دير صاعان جاء دفعة إلى هذا الجبل وأحضر معه دكنونية (فاكهة) كثيرة ففرقها على الشيوخ، وطلب من الشيخ أن يعطيه الكأس تذكّاراً. فدعها إليه وهو في ذلك الدير الى الآن.

### «وصلى صلاة أن لا تُمطر فلم تُمطر» (يع ٥ : ١٧)

وذكروا أيضاً عنه أعني أنبا مقاره أن المطر امتنع في وقت ولم تُمطر على الأرض، وكان جرّاداً كثيراً أيضاً وعطب في الغيط (الحقول). وأن أنبا تيموثاوس البطريك أرسل تلميذه وأناساً آخر إلى أنبا مقاره وسأله أن يجيء إلى الإسكندرية ويصلي إلى الله معه لينزل المطر ويهلك الجرّاد. واستمالوا قلبه كثير. فمضى معهم ولما قرب من المدينة تلقاه شعباً عظيماً بسعف النخل، ولما بلغ الباب الذي في وسط المدينة صلى إلى الله بقلبه سرّاً بطلبة عظيمة فابتدأ المطر أن ينقط، ولما دخل الكنيسة جاء مطر عظيم واستمرت تمطر يومين وليلتين حتى أن الناس ظنوا أن الأرض تفسد من كثرة المطر. وإن الشيخ قال للبطريك: ”لماذا أحضرتني إلى ههنا ولأني أمر جعلتموني أن أخلى مغارتي“، فأجاب الشعب قائلاً: ”أحضرناك إلى ههنا لتصلي إلى الله أن يرفع المطر عنا لئلا نهلك كلنا“. وللوقت صلى فامتسك المطر وهدأت السماء بقوة الله. حينئذ صاح الصابئة قائلين: ”ان ساحراً دخل المدينة من باب الشمس ولم يعلم الحاكم“. فأما القديس أبو مقار فأقام ثلاثة أيام وأشفى أعلاء كثيرين من كل الأمراض باسم المسيح. ورجع إلى مغارته وكل احداً يمجده، فلما وصل اجتمع إليه الإخوة وجعلوا يمازحونه قائلين: ”يا أبانا أمضيت أنت إلى الإسكندرية وتفرجت“، أما هو فقال لهم: ”صدقوني يا اخوتي اني أقول لكم الحق لم أنظر عموداً ولا سوقاً ولا وجه انسان سوى وجه البطريك وحده، وكان الجمع يضغطني وبحوط بي، وأما أنا فجعلت في قلبي اني لا أرفع عيني لأنظر احداً لكيما لا أسبب لعيني أن تخسرني“.

والآن إلى ههنا فليكفي ما ذكرته من أعمال أبينا القديس أبو مقار الإسكندراني وهو جزء يسير من فضائله الكثيرة لأنني لست أقوى ولا أقدر أن أقول جميعها لئلا أكون كثير الكلام من أجل هذا الرجل المغبوط الكامل في البر أبو مقار المحبوب، الذي تواضع مثل موسى وتشبه باجتهاد كثير، لأنه أعطى غيرة للشبان ليثبتوا في الفضائل. وقال لهم: "أني ما تركت أتعاب في النسك حتى تعبت فيها"، وكان محبوبًا من الكل ورحومًا جدًّا، وقيل أيضًا من أجله أن كل فضيلة حسنة كان ينظرها أو يسمع بها كان يصنها، وأنا أردت يا أحبابي أن أقول لكم كثيرًا من أجل هذا القديس، فهذا الذي استطعت عليه وقلته عنه كفاية، وهذا الطوباني كمل أيام حياته بشيخوخة مباركة حسنة وأعمال كاملة في نسكه وجميع تدبيره. وتنيح في اليوم السادس من شهر بشنس، وبالأكثر أنه صار من أهل أورشليم السماوية مدينة جميع الفرحين، بنعمة ورأفة محبة البشر اللواتي لربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذي ينبغي له المجد والكرامة والسجود مع أبيه الصالح والروح القدس المحي المساوي في الجوهر. الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

تم وكمل ميمر القديس أبو مقار الإسكندراني القس وهو كمال الثلاثة مقارات القديسين صلاتهم تكون معنا آمين. اذكروا حقارة وعدم طهارة الناقل المسكين الرب يسوع المسيح يذكركم في ملكوته السماوية آمين.<sup>٨٨</sup>

<sup>٨٨</sup> عن مخطوط القمص متياس البراموسي.



## تقرير عن سيرة القديس أنبا مقار الأسقف

من خلال قراءة السيرة لا يمكننا تحديد محل وتاريخ ميلاد أنبا مقار الأسقف. كذلك لم يُعطنا المخطوط معلومات عن فترة رهبنته أو نمط حياته الروحية، فهو يمجّد في المعجزات التي تمت على يديه وبالأخص في الفترة التي سافر فيها مع البابا ديسقورس (٤٤٤ - ٤٥٥ م) إلى خلقيدون لحضور مجمع خيلقيدونية، وفي مقارنة بين مخطوط سيرة أنبا مقار الأسقف والتي نسخها القمص شنودة الصوامعي عن مخطوط أقدم منها وهي نساخة حديثة في أوائل القرن العشرين، وبين مخطوط ٣٨١١ بالمتحف القبطي وهو مكتوب بالقبطي الصعيدي وقام بترجمته الدكتور صموئيل القس قزمان، ولذا وضعنا النصين في مقارنة وتقسيمهم لفقرات حتى يتمكن القارئ من متابعة النصين وتحديد الاختلافات وإن كانت ليست بالكثير إلا أن الترجمة الحديثة للنص أوضحت المعنى وسهّلت قراءة السيرة ونشير هنا إلى أن القوس [ ] يشير إلى الفقرات المتشابهة، كما أشرنا إلى الأخطاء التاريخية في موضعها.

### شخصية كاتب السيرة

يشير المخطوط إلى أن السيرة من وضع الأب القديس البابا أنبا ديسقورس ال (٢٥) وإن كان في الحقيقة أنه لم يثبت صحة نسب هذا العمل إلى البابا ديسقورس ولم يذكر ضمن أعماله بل من الواضح أن كاتب سيرة أنبا مقار الأسقف هو تلميذه نفسه. ولكن ما السبب في أن ينسب السيرة إلى البابا ديسقورس؟! نجيب على هذا السؤال من محاضرة ألقاها الدكتور مارك سوانسون في دير أنبا مقار بتاريخ ٤-٢-٢٠١٤ م. فيقول: "أحياناً ينسب شخص مخطوط كتبه إلى شخصاً غيره، والدافع إلى ذلك أمران:

**الأول:** أن يأخذ سنداً قوياً يعتمد فيه على أحد الآباء القديسين العظام ليعطي كتابه المصداقية. وقد أشار إلى سهولة اكتشاف مثل هذه المخطوطات نظراً لأنها خالية من روح الأب المنسوبة إليه، كما أنها قد تعطي فكراً بعيداً عن الإيمان، وقد أعطى مثلاً على ذلك لمخطوط منسوب إلى أنبا شنودة رئيس

المتوحدين وهو عبارة عن مقتطفات من عظة للأحد الخامس للصوم الكبير (مخطوط باريس، المكتبة الوطنية، عربي ٤٧٦١، ورقات ٤٥ - ٥٣) منسوبة خطأ للقديس أنبا شنودة. وهنا يُضفي كاتب السيرة (سيرة أنبا مقار الأسقف) بنسبها إلى البابا ديسقورس لوثًا من الإكرام والهيبة.

**الثاني :** تكريم لشخصية صاحب السيرة أن يكون كاتبها شخصية في مكانة هامة وذات شأن كنسي لإظهار أهمية صاحب السيرة.

ولكن لماذا توجهت الأنظار إلى تلميذ أنبا مقار الأسقف وترجيح أن يكون هو كاتب السيرة بنسبة كبيرة؟

توجد عظة للقديس أنبا مكاريوس الأسقف عن رئيس الملائكة ميخائيل يعلق عليها الدكتور صموئيل القس قرمان فيقول: "هناك تشابه في بعض العبارات الواردة في العظة وبعض ما جاء عن القديس في نص مديح لمكاريوس أسقف إتكو مما يجعلنا نعتقد أن كاتب المديح كان على معرفة بهذه العظة، واقتبس منها واستخدمها في رسم شخصية القديس مكاريوس الأسقف كما يقدمها في نص المديح"<sup>٨٩</sup>. ومما سبق يزيد من نسبة تأكيدنا على أن كاتب المديح هو تلميذه "بينوتيون الشماس" حيث أن المديح والعظة مكتوبين باللغة القبطية الصعيدية، فكيف يتمكن البابا ديسقورس من أن يستشهد بفقرات من العظة في حين أنه لم يتمكن من التحاور مع أنبا مكاريوس الأسقف خلال فترة سفرهم لحضور مجمع خلقدونية إلا عن طريق بطرس الشماس المترجم. ويطرح السؤال نفسه عن عدم إمكانية البابا ديسقورس في التكلم بالقبطية وهو بطريك الأقباط؟!

حتى بداية القرن الثامن كان البطريك القبطي يكتب باللغة اليونانية الرسالة الفصحية التي يرسلها إلى الصعيد، ولدينا برديات من القرن الثامن من بطريك الإسكندرية التي كان ينشرها للقطر المصري باللغة اليونانية، إذاً كان يوجد من يعرف اليونانية في كل إيارشية لترجمة تلك الرسائل. كما أشار إلى وجود لهجات

<sup>٨٩</sup> د/ صموئيل القس قرمان، إطلالات على تراث الأدب القبطي، الناشر مدرسة الإسكندرية، الطبعة الأولى، القاهرة، سبتمبر



مختلفة من اللغة القبطية (بُحيري، صعيدى، بهنسى، فيومى، أخيمى، ليكوبولى، بشمورى "خاص بالشُموريين فى الدلتا"...). وهناك بعض اللهجات المتشابهة مثلما هو الحال الآن فى لهجات أهل الصعيد حالياً، لكنه كان هناك اختلاف واضح بين اللهجتين البُحرية والصعيدية ليس من جهة النطق بل من جهة الكلمات وتركيب الجمل والإعراب، فأصبح لا يمكن أن يفهم المتكلمين بمما لغة بعضهم البعض. (الأب د/فيليب لويـزيه أستاذ القبطيات فى معهد الدراسات الشرقية بروما، محاضرة بعنوان اللغة القبطية ولهجاتها، أُلقيت بدير القديس أنبا مقار ببرية شيهيت، بتاريخ الخميس ١١-٩-٢٠١٤م) وجدير بالذكر أنه أشار إلى أن دير القديس أنبا مقار هو الذى حفظ لنا النصوص القبطية البُحرية منذ القرن التاسع.

سيرة القديس أنبا مقار أسقف إدكو  
(مخطوط ٣٨١١ بالمتحف القبطى)<sup>٩٠</sup>

سيرة القديس أنبا مقار أسقف إدكو  
(مخطوط نساخة القمص شنوده  
الصوامعى البراموسى).

[١] مديح للبطريرك القديس أنبا ديسقورس رئيس أساقفة مدينة الإسكندرية، قاله على القديس أنبا مكاريوس أسقف مدينة إتكو، فى الزمن الذى نفاه فيه الملك مرقيان إلى جزيرة غنغرا. ولما ذهب إليه أنبا بنوده ليفتقده، أخبر أنبا ديسقورس أن أنبا مكاريوس قد تسيح فى الإسكندرية معترفاً. وقد قال هذا المديح حيث كان جالساً عنده جمعٌ من الإكليروس

[١] نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقه بنسخ ميمر. وضعه الأب القديس أنبا ديسقورس بطريرك مدينة الإسكندرية يشرح فيها جهاد الأب القديس أبو مقار أسقف ادكو الذى صار شهيداً على اسم ربنا يسوع المسيح. وكانت شهادته فى اليوم السابع والعشرون من شهر بابه بمدينة الإسكندرية بركة صلاته وشفاعته تكون معنا إلى النفس الاخير. آمين.

<sup>٩٠</sup> عن كتاب: إطلالات على تراث الأدب القبطى، ترجمة الدكتور صموئيل القس قزمان قسم القبطيات - جامعة مونستر

أنا أأخذ بدء المثل عليّ من المرتل  
المهدي العميان. عليّ من القديس أب  
المسيح بالجسد النبي داود

وحشدّ من الرهبان قد أتوا إليه ليزوروه  
في المنفى، وكان الشماسان بطرس  
وثيؤبستوس يكتبان عليه، بسلام الله.  
آمين. أنا أقتبس بدء المقدمة من  
المداح، والملحن الحلو، والمؤلف  
الموسيقي، وأب المسيح بالجسد، النبي  
القديس داود،

[٢] يصرخ قائلاً: «كنت صبيّاً  
وشخت ولم أرى صديقاً رفض ولا تركه  
الرب عنه»<sup>٩١</sup>. وأنا أقول أيضاً عندما  
أردت الكلام قليلاً بمثله: "أن منذ  
صغر أنبا مقاره كان يتولاً بغير دنس.  
وفي زمان شيخوخته أعد من جملة  
الشهداء. فكيف يتركه الرب عنه لكنه  
كمقدمي الجند في المعسكر. اذا ما  
نظروا شاباً قوياً جميلاً في منظره فهم  
يلتفتون اليه بحكمة. وتميز ما يصلح  
من آلات الحرب والسلاح فيسلحونه  
ويجربون شجاعته في الحرب فيقدمونه  
قدام العسكر. فإن ظهر جبائناً وذليل  
القلب فهم يؤخرونه في آخر العسكر.  
فأما الشجاع فإنه ينظرونه قوي القلب  
مبارزاً لا يخاف من الحرب والموت  
ولكنه مهتم متحذر عندما يرمي  
بقوسه فيحصل السهم في القوس.

[٢] صارخاً قائلاً: "منذ حدثني  
وحتى مشيبي لم أر قط صديقاً تخلّى  
الرب عنه." أما أنا فسوف أغير  
الكلام قليلاً وأقول: "منذ حدثت أنبا  
مكاروريوس وهو بتول بغير دنس. وفي  
شيخوخته أيضاً حُسب مع الشهداء  
فكيف يتخلّى الرب عنه؟" لأنه مثل  
أولئك الجنود العظماء ذوي المناصب  
العلّيا، إذا رأوا فتى قوياً شجاعاً لأي  
قتال. فإن كان ذلك الجندي الشاب  
من حاملي الرُمح الأقوياء، وضعوه  
أمام المحاربين حيث لا أحد أمامه في  
المعركة. أما إذا كان من الرماة، فإنك  
تجده خلف المحاربين، مصوباً سهمه  
بيده اليمنى، بينما عينه اليمنى تميل نحو  
يده اليسرى من أجل شد القوس، لئلا  
يقذف السهم

<sup>٩١</sup> (مز ٣٧: ٢٥).

وتكون عينه اليمين ناظرة ليد اليمين  
في جذب القوس. لئلا يرمي نشابه في  
اصحابه لا في اعدائه فيكون رميه  
بالقوس

[٣] باطلاً. وهكذا القديس أنبا مقاره  
لم يكن جباًناً. ولا مرتاعاً من الموت  
بل شجاعاً. وقد كان لا يعرف أن  
يتكلم بلغة الخلقدونيين. ومع هذا لم  
يتوان أن يذهب معنا جهاد  
الخلقدونيين. وعلى الجملة أنه كان من  
جملة الستمائة ستة وثلاثون أسقفًا  
اعلمكم يا أحبائي أنه في الوقت الذي  
خرجنا فيه من الإسكندرية تكلمت  
مع جماعة الأساقفة الذين بمصر وقلت  
لهم: "كل من اراد منكم فليطلق  
معنا إلى المجمع". وإن الأساقفة  
خافوا واعطوا ذهباً رشوة للقائد الذي  
أرسله الملك لإحضارنا وطلبوا اليه أن  
لا يجبرهم على الذهاب معنا وذلك  
القائد أمر بركوبهم مركباً بمفردهم. ولم  
يدعهم يركبون مركبنا الذي ركبناه.  
وايضاً نظر إلى أنبا مقاره الأسقف  
فقال له: "تعالى أنت أيضاً اركب مع  
رفقتك الأساقفة. وأنا اتركك من  
جملتهم. واخلى أنساناً يخدمك".

[٤] فقال له أنبا مقاره: "أنا لم آتي

[٣] بلا جدوى، فلا يقتل أحداً من  
العدو الذي يحاربه. هكذا أيضاً الحال  
مع أنبا مكاريوس. فبالرغم من أنه لم  
يكن من حاملي الرمح، أي لم يكن  
يعرف لغة اليونانيين، إلا أنه لم يهدأ  
عن الرغبة في المضى معنا إلى محاربة  
الخلقدونيين، وحُسِب هو أيضاً من  
الستمائة وأربعة وثلاثين أسقفًا. ألا  
تذكرون عندما خرجنا من  
الإسكندرية، وتكلمت مع جماعة  
الأساقفة المصريين (قائلاً): "من يحب  
الله منكم، فليأت معنا إلى المجمع؟"  
أما الأساقفة فأعطوا ذهباً للحاجب  
الشاب الذي أرسله الملك إلينا لئلا  
يجبرهم (على السفر). أما هو فلم  
يجعلهم يركبون معنا، بل أصردهم إلى  
سفينة بمفردهم. وفي الحال قال لأنبا  
مكاريوس: "أعطني أنت أيضاً ذهباً،  
وأنا أجعلك تركب مع زملائك  
الأساقفة لتستفيد من صحتهم،  
ويعتنى بك رجالهم في شيخوختك."  
[٤] أما أنبا مكاريوس فقال له: "هل

أتيت أنا إلى هنا باحثًا عن راحة جسدي؟ كلا. حيّ هو الرب، ليس فقط أن تدعني أركب في سفينة من أجل راحة الجسد، بل أنا أستحق أن أمشي على قدميّ وأذهب إلى حيث سيجتمع الجمع، لأسمع الإهانات التي يوجهها المراطقة الكافرون لربي. وأيضًا يا ولدي، هذا الأمر الآخر: حيّ هو الرب، وروحك، ليس معي ذهب سوى نصف قطعة نقدية“. فلما سمع الحاجب هذا، قال: ”إن كان لا، فاركب مع رئيس الأساقفة“. ففرح جدًا كما لو [...] راكبًا مع ال [...] وهكذا ركب معنا. (٦) أما الأساقفة فأحبوا البقاء على كراسيهم، وأعطوا ذهبًا للحاجب الشاب، كما قلتُ أنفأ. فتركهم في الخلف، وأمر البحارة أن يبحروا خارج نطاق الرؤية إلى أن يتعدوا عن سفينتنا، وقال: ”إذا ابتعدتم عنهم،

إلى هذا الموضع طالبًا راحتي يا ابني. لكن حيّ هو الرب أي لو كنت مستطیعًا لم اركب مركبًا لأجد راحة جسدي. بل أنه واجب عليّ أن أمشي على رجليّ وأمضي لذلك الجمع المخالف. لأنظر وأسمع التجديف الذي يجدفونه أولئك المراطقة الأنجاس على ربي يسوع المسيح. وأنا أقول لك أيضًا وحياة روحك يا ابني. ليس معي ذهب سوى دينار ونصف فقط“. وهذا الكلام لما سمعه القائد قال له: ”إذا كان الأمر هكذا امضي اركب مع رئيس الأساقفة“. وانه للوقت فرح قائلاً: ”ليتني استحق أن اركب مع رجل الله أبي رئيس الأساقفة“. وان الأساقفة اختاروا الإقامة في بيوتهم وأعطوا رشوة للقائد كما ذكرنا أولاً. وركبهم مركبًا وحدهم وجعلهم يتأخروا خلفنا. وبدأ ذلك القائد يقلق الملاحين بالغداة ويقبلعوا بالمركب بسرعة. وقال لهم: ”اتركوا الأساقفة بعيدًا من مركبنا. ولا تدعوا مركبهم تقترب من مركبنا البتة. وإذا ابتعدتم منا

[٥] أحضروا السفينة إلى الشاطئ، واتركوهم يمشون إلى كراسيهم. لأن الملك أرسلني في طلب رئيس الأساقفة

[٥] ادخلوا البر واتركوهم. يطلعوا ويذهبوا إلى مواضعهم. فإن الملك لم يرسل خلف أولئك الأساقفة بل أنفذ

لإحضار رئيس الأساقفة وحده“. وأن  
النوتية صنعوا كما قال لهم المقدم. وأما  
أنبا مقاره لما طلع المركب التي أنا فيها  
مضى إلى جانب منه. وجلس معه  
تلميذ له اسمه بنوتيون كما قد سمعناه  
يدعوه بهذا الاسم. فأشرت نحوه عندما  
رأيته متأخراً في مؤخر المركب. وقلت  
له: ”تعالى إلى ههنا لتجلس“. فأما  
هو فلم يفهم كلامي لكنه تقدم إليّ  
عندما لحني أشير إليه بيدي. وقال:  
”هو ذا أنا قد جئت لأنك دعوتني يا  
أبي“. وأنا لم أفهم كلامه. بل أن  
بطرس ابني الشمس كان يعبر لي  
كلامه. لأنه كان يفهم اللغتين القبطية  
واليونانية. فقال لي تاويسطس  
الشمس ابني: ”يا أبي ماذا تعمل بهذا  
الشيخ الذي ماله فهم لماذا يجيء معنا.  
أترى أنه يذهب معنا ليجاب أعدائنا  
هل المهرطقة هم أقباط حتى يجابهم“.  
فقلت: ”لا يا ابني لا تنطق عن هذا  
القديس الصديق بهذا الكلام. صدقني  
يا ابني

[٦] لو أن الأرض كلها مملوءة هراطقة  
وشياطين. فإن صلوات هذا الأسقف

وحده“. أما البحارة ففعلوا كما قال  
لهم. أما أنبا مكاروريوس فمضى إلى  
جنب من السفينة، وجلس مع رجل  
من خاصته (اسمه) بينوتيون، كما  
سمعناه يناديه بهذا الاسم. فقلت له:  
”تعالى، أيها الأب، واجلس معنا“.  
أما هو فلم يفهم لغتي، بل مشى  
نحوي عندما أشرت له بيدي، وقال  
لي: ”ها قد أتيتُ، لأنك تناديني“.  
وأنا أيضاً لم أفهم لغته، لولا أن بطرس  
الشمس ترجم لي حديثه، لأنه كان  
يعرف اللغة القبطية. فقال لي الشمس  
ثيؤيستوس: ”يا أبي، ماذا تفعل بهذا  
الأخرس<sup>٩٢</sup> الراكب معنا؟ ومع مَنْ قد  
أتى هذا ليجادل؟“ أما أنا فقلت له:  
”حاشا، يا ولدي. لا تتكلم على  
البار. صدقني يا ابني.

[٦] لو كان العالم كله مملوءاً بالهراطقة  
والشياطين، فصلوات هذا سوف

<sup>٩٢</sup> كناية عن عدم معرفته باللغة اليونانية.

تجعلهم يتبددون وينحلون مثل الدخان. وإذا كان العالم بأسره مملوءً سيوفًا ورماحًا فإن هذا الأسقف لا يخافهم وأنا أكون كمثال يشوع ابن نون اخرج إلى الحرب واكاشف<sup>٩٣</sup> واحارب. وهذا الشيخ يكون كمثال موسى النبي الناموسي يصلي عني ويرفع يديه حتى يبذل الله جميع أعدائنا الهراطقة. وكن أنت كمثال حور. وبطرس أيضًا كمثال هرون قائمين معه على الجبل الذي لا يتزعزع الذي هو المسيح الإله وترفعون يديه إلى فوق إذا عيا وأنا المسكين أخذ مثال يشوع ابن نون وأحارب مع عماليق الجديدين الذين هم الهراطقة“ فالتفتوا إليه وعبروا له الكلام الذي قُلته. وانت يا ابني تاويستس تقدم إليه واضرب له ميطنيه واستغفر منه ليغفر لك. وبارك عليك. فإن لم يغفر لك فليس لك توبة. وفي تلك الساعة تقدم إليه تاويستس وسجد عند قدميه قائلاً:

[٧] ”اغفر لي يا أبي فإنني أخطأت إليك أيها القديس العظيم. قال له الرب يغفر جميع خطاياك يا ولدي.“ وكان القديس من قبل أن يقلع من

تجعلهم يتبددون مثل دُخان. ولو اجتمع عليه العالم كله، مدحجًا بالسيوف والحرب، فلن يُقهر منهم أبدًا. أما أنا فأكون مثل يشوع بن نون. ونخرج للحرب. أما هذا الشيخ القديس فيكون مثل موسى، ويصلي علينا أن نقهر أعدائنا، الذين هم الهراطقة. وأنت أيضًا، يا ثيؤيستوس كُن مثل حور، وليكن بطرس مثل هارون، ثابتين على الإيمان الذي لا يتزعزع، المسيح، ويكون أنبا مكاريوس مثل موسى، وترفعان يديه. أما أنا المسكين فأخذ مثال يشوع بن نون، وأحاربُ ضد عماليق الجديدين، أي الهراطقة الذين بلا إله. والآن، يا ابني ثيؤيستوس، تعال ونلِّ المغفرة منه، وهو يغفر لك. لأنه أن لم يغفر لك، فسوف أحرملك“. وفي الحال أنطرح عند رجلي (أنبا مكاريوس)، باكياً وقائلاً:

[٧] ”اغفر لي، يا أبي. لقد أخطأتُ إلى قداستك“. فلما ترجم له بطرسُ هذا، قال له القديس بعظيم اتضاعه الجهم: ”أنا الذي أخطأت، يا

<sup>٩٣</sup> (اكاشف): ابتداءً واجاهر. ”الوسيط“، ويقصد هنا يبدأ الحرب على الهراطقة.

الإسكندرية نظر رؤية بذخ وفنطسه  
لأنسان شماس وهو قائم بافتخار  
وعجب. فقال لبطرس الشماس:  
”ماذا يكون هذا الانسان البذخ؟“  
فقال له: ”هو شماس من بعض  
الكهنة“. فقال القديس: ”هل هو  
يمضي معنا إلى المجمع؟“. فأجابه  
بطرس: ”لست أعلم“. فقال له  
القديس: ”صدقني يا ابني إن كان  
اعدائنا عشرين رجلاً فهذا يكون  
الحادي والعشرين لهم ومساعدًا لهم.  
وموافقهم في مخالفتهم“.

[٨] فأعلمني بطرس الشماس بما قاله  
الشيخ. فعلمت أن الشيخ لابس  
الروح. من أجل أنه كان يعرف ذلك  
الشماس بوجهه قط. وإني أوصيت  
تاويسطس أن يحفظ نفسه منه. ولما  
أقلعنا من مدينة الإسكندرية في وقت  
العشاء أنضجع ونام هو وتلميذه في  
ناحية. وانضجعت أنا وأولادي أيضًا  
وحدنا في موضع آخر فقام في بعض  
الليل بانزعاج وصاح إلى قائلاً: ”يا

ولدي“. فقلت أنا له: ”صدقني، يا  
أبتي. أن لم تغفر له، فسوف أحرمه“.  
أما هذا القديس فقال له: ”يا بُني  
ليغفر لك خطاياك“. وكان القديس  
أنبا مكاريوس، قبل أن نقلع من  
الإسكندرية، قد رأي أيضًا شماسًا  
متكبرًا، واقفًا في زهو. فقال لبطرس  
الشماس: ”من يكون هذا الواقف؟“  
فقال له: ”إنه شماس من  
الإكليروس“. فقال: ”هو أيضًا قادم  
معنا إلى المجمع“ فقال له بطرس  
الشماس: ”لا أعرف، يا أبي“. فقال  
له أنبا مكاريوس: ”صدقني، يا ابني.  
أن كان معهم عشرون هرطوقيًا، فهذا  
سيكون الواحد والعشرين، ومنضمًا  
لهم في معتقدهم“.

[٨] فأخبرنا بطرس بهذا. أما أنا  
فأدركت في الحال أنه لابس الروح؛  
لأنه لم يكن يعرف ذلك الشماس قبل  
أمس وأول أمس. وأمرت ابني  
تيموثاوس أن يتجنب ذلك الشماس.  
وليلًا، قبل أن نقلع من الإسكندرية،  
كان القديس قد نام في جنب من  
السفينة مع تلميذه. وأنا أيضًا نمت في  
الجنب الآخر من السفينة مع ابني.  
وعند منتصف الليل، وثب أنبا

أبي البطريك أنت متنبه؟". فأيقظت بطرس الشماس وقلت له: "اسمع ماذا يقول الشيخ". قال له بطرس: "ما الذي تقوله يا أبي؟". فقال له: "إن الأساقفة كلهم المستعدين للانطلاق معنا قد رجعوا إلى بيوتهم" فقال له: "من أين علمت هذا يا أبي؟". فأجابني قائلاً: "نظرت روحي في هذه الليلة. وكأن القديس أنبا بساده أسقف ابشويه

مكاربيوس وقال: "يا أبي رئيس الأساقفة، هل أنت مستيقظ؟" أما أنا فأيقظت بطرس قائلاً: "انظر ماذا يقول هذا الشيخ". فقال له بطرس الشماس: "ماذا تقول، يا أبي؟". فقال: "كل الأساقفة الذين أتوا معنا قد رجعوا". فقلت له: "من أين عرفت؟". فقال لي: "لقد أبصرتُ الآن في رؤيا كما لو أن الشهيد القديس أنبا بسوتي<sup>٩٤</sup> أسقف مدينة بسوي

[٩] قائم وجميع الأساقفة قيام أمامه. وأنا وأنت يا أبي قيام معه ونظرت أكايليل موضوعه على رؤوس الجميع. ورأيت أثناسيوس بطريك الإسكندرية. يقول لشهيد السيد المسيح أنبا بساده الأسقف: "أن أساقفه الكراسي

[٩] واقف، وكل الأساقفة واقفون، وأنا وانت أيضاً واقفون. وأبصرت في الرؤيا أكايليل لامة<sup>٩٥</sup> على رأسنا كلنا. ورأيت رئيس الأساقفة، أنبا أثناسيوس، يقول للشهيد القديس أنبا بسوتي أسقف بسوي: "آباء الكراسي

<sup>٩٤</sup> إستشهاد القديس أنبا بساده (وتعني الذليل) أسقف إيصاي (كانت تعرف في العهد البطلمي باسم بتولومايس، وحاليًا قرية الأحابوة شرق مدينة المنشأة من أعمال محافظة سوهاج).

في مثل هذا اليوم إستشهد القديس العظيم الأنبا بسادي أسقف إيصاي ، وذلك لما بلغ الملك دقلديانوس أن بسادي وغللييكوس الأسقفين يثبتان المسيحيين على الإيمان ، ويعطلان عبادة الاوثان ، أرسل يستحضرهما ، فطلب الأنبا بسادي من الرسول إمهاله ليلة واحدة ، فأمهله فذهب إلى الكنيسة ، ودعا الشعب ، وأقام القداس الإلهي ، وقرحهم من الأسرار المقدسة ، وأوصاهم بالثبات على الإيمان المستقيم ، ثم ودعهم وسلم نفسه للرب ، ومضى به الرسول إلى أريانوس والي أنصنا ، فلما رأى وجهه المنير وما هو عليه من الهيبة ، عطف عليه وقال " أنت رجل موقر ، فأشفق على نفسك وأطع أمر الملك " ، فأجابه " يستحيل أن استبدل ملكوت السموات بحياة زائلة " ، وبعد مفاوضات كثيرة بينهما أمر الوالي بتعذيبه بالهنازين ، وإلقائه في مستودع حمام ، وكان الرب يحفظه ويقبضه سالماً بغير ألم ، وبعد هذا أمر الوالي بقطع رأسه ، فنال إكليل الحياة في ملكوت السموات . صلاته تكون معنا ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين .



يقولون لك يا شهيد المسيح. امتحن وجرب الأساقفة. إن كانوا يجاهدون عن الامانة جيداً أم لا. ونظرته أيضاً قد فتح باباً مظلماً ودعا قائلاً: "أيها التنين الأول اظهر". وفي تلك الساعة نظرت تنيناً عظيماً وفي فمه قرطاس مكتوب وسمعت صوتاً من الظلمة خارجاً خلف التنين. قائلاً: "بلخاريه. بلخاريه. خُذي هذا الطوموس واعطيه لمرقيان إن كان قد كملت الستة أيام". - من يقرأ فليفهم - وفي تلك الساعة نظرت المرأة

[١٠] التي دعا باسمها وقد مدَّت يدها وأخذته إليها. ونظرتها أيضاً قد ناولته لآخر امامها. وعانيت تنانين أخر قد خرجوا من فم التنين الأول. ومضوا إلى الإنسان الذي أخذ الطوموس اليه. وملاؤه قساوة قلب. فأمر أن يجتمع مجمع أساقفه من جميع الكورّ وهكذا نظرت الأساقفة. جميعهم الذين ركبوا المركب. الأخر قد طرحوا أكاليهم عن رؤوسهم وهربوا.

يقولون لك، أيها الشهيد القديس: امتحن الأساقفة، أن كانوا سيحاربون جيداً عن الإيمان أم لا. ورأيتُه يفتح باباً مظلماً، ونادى قائلاً: "أيها الحية القديمة، اخرجي". وفي الحال أبصرت تنيناً أسود عظيمًا خارجًا وفي فمه طوموس<sup>٩٥</sup> (رسالة) من البردي. وسمعت صوتاً آتياً من داخل التنين يقول: "بلخاريه، بلخاريه، خذي هذا لك وأعطه لمريقيان؛ لأن اليوم السادس قد تمَّ". فليفهم القارئ. وفي الحال رأيتُ المرأة

[١٠] التي نوديت، وقد بسطت ثوبها الأرجواني، وأخذت (الطوموس) لنفسها، ورأيتها وهي تعطيه لآخر بجوارها. ثم أبصرت حيّاتٍ صغيرةً خارجةً من فم التنين، ومضت إلى حيث الرجل الذي بيده ورقة البردي، وأخذت تُقسّيه. فأمر أن يجتمع الأساقفة من كل بلدة. ورأيت كل الأساقفة من كل مكان، الذين ركبوا السفينة، كيف ألقوا أكاليهم وهربوا.

<sup>٩٥</sup> طوموس: من الكلمة اليونانية τομός وتعني جزء من كتاب، أو مجلد volume، كما تعني مختصر جلسة أو ملخص حقيقة عامة كما أنّها تعني خطاب lettre. واستخدمت الكلمة لتشير إلى الخطابات المتبادلة بين أساقفة الكنائس بخصوص الإيمان أو قوانين المجمع الأساقفة. (الراهب القس أنثاسيوس المقاري، معجم المصطلحات الكنسية، الجزء الثالث "ط - ي"

وكان الشهيد أنبا ايساده يصرخ لأولئك الأساقفة الهارين: ”ارجعوا إلى ورائكم لتأخذوا أكاليلكم“. فلم يرجعوا اليه. وفي تلك الساعة دعانا أنا وأنت يا أبي. وقال لنا: ”كونا أنما عوض هؤلاء كلهم الذين رجعوا وجاهدوا لكي تأخذوا إكليلكم“. والتفت إلى القديس أنبا اثناسيوس البطريك. وقلت له: ”يا أبي البطريك. ماذا تريد أن اصنعه بأكاليل هؤلاء؟“ فقال: ”أعطيهم لديسقورس ولهذا الأسقف المصري““. وعندما سمعت هذا طاب قلبي جدًا فقلت كل شيء يجلبونه عليّ حتى ولو

[١١] سفكوا دمي على الأمانة. فلست أخاف. ولست أنا بمستحق عظم هذه الكرامة التي قلتها لي. فقال لي أيضًا يا أبي ما هو مكتوب: ”أن الموضع الذي تكثر فيه الخطيئة هناك تتضاعف النعمة. وإلى هذا الحد كملت الرؤيا. صدقني يا أبي البطريك أني لم أقدر اضبط روحي من البكاء في ذلك الوقت. عندما رأيت قلبك متألمًا. لأجل الأساقفة الذين رجعوا إلى ورائهم وهربوا. لكن قلت مع النبي

فصرخ الشهيد القديس أنبا بسوتي على الأساقفة الهارين قائلاً: ”أيها الرجال، عودوا أدراجكم، وخذوا أكاليلكم“. ثم التفت أنبا بسوتي إلى رئيس الأساقفة، أنبا اثناسيوس، وقال له: ”يا أبي رئيس الأساقفة، ماذا تريد أن نفعل بأكاليل الذين هربوا؟“ أما هو فقال: ”أعطيهم لديسقورس وهذا الشيخ الإتكاي“. أما أنا، فلما سمعت هذا، تشدد قلبي جدًا، وقلت: ”حتى ولو

[١١] سفك دمي مراتٍ ومراتٍ من أجل الإيمان، فلن أقهر؛ لأنني لست مستحقًا لهذه الكرامات الجليلة التي قيلت لي“. وقال لي أيضًا: ”حيث كثرت الخطيئة، ازدادت النعمة جدًا“. وإلى ها هنا يا أبي انتهت الرؤيا التي شاهدتها“. فلما سمعت هذا منه، تعجبت مما أعلن لهذا القديس. صدقوني، يا إخوتي، أنني في تلك اللحظة لم أستطع أن أمنع نفسي من البكاء، وقد ألم بي كرب شديد بسبب

داود: أَنْ أَصْدِقَائِي بَعَدُوا عَنِّي. ومعارفي شنوني<sup>٩٦</sup>. والشيخ أنبا مقاره كان يقوي قلبي. قائلاً: "لا يخاف قلبك يا أبي. فإن الذين معنا أكثر من الذين علينا".

الأساقفة الذين تخلوا عنا وعادوا أدراجهم، قلتُ أيضاً مثل داود، باكياً: "أصدقائي بعدوا عني، ومعارفي نسيوني". أما أنبا مكاريوس فأخذ يشدد قلبي قائلاً: "لا تخف، يا أبي فالذين يحاربون معنا أكثر من الذين علينا. فالذين علينا هم شياطين، والذين يحاربون عنا هم ملائكة". وهكذا تعزيتُ بكلامه للغاية.

[١٢] فمن أجل هذا أنا ابتداءً وأقول لكم الآيات والعجائب التي كانت منه في ركوبه المركب معنا. كان مع رئيس المركب غلام أحول. بعين واحدة. والتي كان يبصر بها لحقه فيها وجع قرحة. لاتزال تضرب عليه. حتى أنه يقيم الليل كله مستغيثاً من ضرباتها. ويداه مشتبكتان على رأسه. وفيما القديس أنبا مقاره قائماً يصلي ليلاً. اتفق عبور ذلك الأخ بالمكان الذي القديس قائم فيه. من غير أن يعلم ذلك النوتي. حتى لمس يد القديس. وإنَّ القديس مسك يده. وقال له: "هو ذا الطريق هكذا". فقال له النوتي: "اعذرني يا سيدي الأب. فإنه

[١٢] سوف أقصُّ عليكم أيضاً القوات والعجائب التي صارت بواسطة هذا القديس أثناء ركوبه معنا في السفينة. كان هناك بحارٌ ركبٌ معنا السفينة، وربما كان أحماً لملك السفينة، وكانت له عينٌ واحدة. أما العين الأخرى التي كان يتعزى بالنور الذي فيها فكانت تؤلمه. وكان يقضي الليل كله ويداه موضوعتان على رأسه ويتوجع بشدة. بينما كان هذا القديس واقفاً بالليل يصلي، مر به البحار، ولم يكن يعرف إلى أين هو ذاهب؛ لأنه كان بعينٍ واحدة، وكانت مغلقة من الوجع. فلما رأى القديس أنبا مكاريوس معاناة الرجل، تحنن عليه،

<sup>٩٦</sup> شنوني من (شناه) - شتأ، شتأناً: أبغضه وتجنبه. "الوسيط". والقصد هنا: معارفي أبغضوني.

قد ذهب نور عيني. وصرت أنا مسكيناً أتصدق أنا وأولادي“.

وقال له: ”تعال، يا ولدي. هو ذا الطريق“، ثم جذبه نحوه. فكلمه بالقبطية؛ لأن ذلك البحار كان هو أيضاً قبطياً، وقال له: ”يا سيدي الأب، أنظر شدتي. لأنه هو ذا نور (عيني) يفارقني، وسوف أقبل الصدقة، أنا وأولادي“.

[١٣] فصلب الأسقف القديس على عينيه الاثنتين ظناً منه أنهما يؤمانه وقال له يشفيك الرب. ولما لمست يده العين العمياء بغير معرفة للوقت أبصر الرجل بها فصرخ النوتي قائلاً: ”ما هذه العين التي فيها الضربان بل هي كانت عمياء. ولما لمستها يدك المقدسة هو ذا قد ابصرت بها“. وإنَّ الشيخ لما شاهد تلك الأعجوبة العظيمة التي صارت صلب على الأخرى التي بها الوجع باسم الرب. ففي تلك الساعة بطل منها الضربان واستراحت. وعاد منظره إلى كماله. فصرخ في تلك الساعة قائلاً: ”واحد هو الله اله هذا الشيخ القديس الأسقف الراكب معنا“. ونحن لما سمعنا هذا الكلام ظننا أنه عاصف قد ثار على المركب من أجل أني سمعتهم يذكرون اسم الشيخ. ثم رجعنا وتحققنا الأعجوبة التي كانت منه ثم أني أقول

[١٣] فقال له أنبا مكاريوس: ”اسمح لي، يا ولدي، أن أرشم عليها الصليب“. وكان يعتقد أن الاثنتين مُصابتان. فلما رشم الصليب على العين العمياء، بدون أن يعرف صرخ (البحار) في الحال: ”يا سيدي الأب، ليست هذه هي المصابة، بل هي عمياء. ولما لمستها يدك أبصرت“. فلما رأى الشيخ القديس المعجزة العظيمة التي حدثت، رشم الصليب على الأخرى المصابة باسم المسيح وفي الحال توقف عنها الوجع. فصرخ الرجل قائلاً: ”واحد هو إله هذا الشيخ القبطي الراكب معنا“. أما نحن، فلما سمعنا هذا، ظننا أن عاصفة قد قامت على السفينة، لولا أننا سمعنا اسم الشيخ. وهكذا مجدنا الله. سأحكي لكم أيضاً معجزة عظيمة أخرى حدثت على السفينة. كان هناك تاجرٌ راكبٌ معنا. وكان واحد

أعجوبة أخرى حدثت له بالركب: ”كان معنا أنسان تاجر راكب من جملة الركاب. وكان له غلام. وإن ذلك الغلام سرق ثوب تلميذ أنبا مقاره. والاخ التلميذ لما طلب ثوبه فلم يجده. فقال للشيخ يا أبي أنهم سرقوا

[١٤] ثوبي. فقال له: ’لا تخاف يا ولدي فإن الثوب هو معنا في المركب‘. وإن ذلك الغلام الذي سرق الثوب. لما سمع الشيخ يقول الثوب هو معنا في المركب. خاف منه. من أجل أنه يعرف أن الشيخ روحاني وانه سوف يظهر قدام كل أحد. فقام في خفيه ورماه في البحر. وأقمنا نقلع يومنا إلى عشيهِ. وإن التلميذ لما أراد أن يفرش للشيخ ما يرقد عليه وجد الثوب مطروح على القماش. فصرخ قائلاً: ’يا أبي قد وجدت الثوب‘. فقال له القديس: ’مجد الله يا ابني الذي جمعه اليك‘. وإن الملاحين قاموا على الاخ ليضربوه. وبالأكثر غلام التاجر الذي سرقها كان معهم يشتمه. ويقول: ”أن القبط كلهم كذابين“. وكان يبصق في وجهه. فلما شاهداهم القديس وهم يشتمون الأخ ويكتمونه

من خدامه قد سرق ثوب الأخ المرافق لأنبا مكاريوس. فقال لأنبا مكاريوس: ”يا أبي قد سرق

[١٤] ردائي“. فقال له: ”لا تحزن يا ولدي. سيعود الرداء إلى موضعه“. فلما سمع الخادم الذي سرق الرداء الشيخ وهو يقول أن الرداء سيعود إلى موضعه، خاف؛ لأنه كان يعلم أنه لا بس الروح، لئلا يُظهره فيفضح. فأخذه في الحال، وألقاه في البحر. ولم يعلم أحد. أما نحن فقضينا اليوم مبحرين حتى وقت المساء. فذهب الأخ المرافق لأنبا مكاريوس ليفرش وقت المساء، فوجد الرداء فوق الثياب فصرخ: ”يا أبي، قد وجدت الرداء الذي ضاع“. فقال له الشيخ: ”مجد الله، يا ابني لأنك وجدته“. أما الخادم الذي سرق الرداء فاحتلط بالبحارة، واعتدى على الأخ بضربٍ شديدٍ، قائلاً: ”كل الأقباط كذابون“. وكان يبصق على وجهه. فلما رآه القديس أنبا مكاريوس وهو يضرب الأخ المرافق

[١٥] بدون حيّاء مفرط، وثب بالروح القدس الساكن فيه، وأمسك بالخادم الذي يقول هذا قائلاً: "حيّ هو الرب، لن أتركك ما لم تخبرني مَنْ مِنْ وسطنا الذي سرق رداء الأخ. وإذا لم تخبرني، سأجعل ناراً تأتي من السماء وتحرقك". فخاف ذلك عالماً أنه لا لبس الروح، وقال له: "استحلفك بالله ألا تهلكني، وأنا سأخبرك ماذا فعلت بهذا الرداء. لأنني أنا الذي سرقت خلسة. ولما سمعتك تقول أن الرداء سيأتي إلى موضعه، خفت أن تتهمني فيه. فأخذته وألقيته في البحر في الساعة الأولى من النهار" فلما سمع كل ركاب السفينة، تعجبوا قائلين: "بالحقيقة، هذا الرجل هو قديس الله". ولما أحضروا الرداء في الوسط، سألو الخادم: "هل هو هذا الذي ألقيته في البحر؟"

[١٦] أما هو فاعترف بخطيئته: "بالحقيقة هذا هو". ماذا أقول وماذا أترك من المعجزات التي صنعها أنبا مكاريوس؟ طوباوي هو بالحقيقة مثل اسمه، وقد كمل عليه هذا الصوت.

[١٥] بغير حشمة. حمي بالروح وقام ومسك غلام التاجر الذي كان يشتبه. وقال: "صدقني أنني لأطلقك حتى تعلمني من الذي سرق ثوب الأخ من بين هؤلاء الركاب. وإذا لم تقول لي وإلا أنا أقول كلمه تنزل نار من السماء وتحرقك". وإن ذلك الغلام خاف واضطرب. لأنه عرف أن الشيخ يفعل ما يقول. فقال له: "أنا استحلفك بالله يا سيدي الأب أن لا تهلكني. وأنا اعلمك الذي عملته بالثوب بالحقيقة أنا الذي سرقت. وعندما سمعتك تقول هو معنا في المركب وسوف يجيء موضعه. فاختشيت أن ابقيه عندي فتظهره أنت. وقمت سرّاً رميته في البحر من الساعة الأولى من النهار. ولما سمع الركاب هذا تعجبوا وأحضروا الثوب في وسطهم". وقالوا للغلام: "هذا الثوب الذي سرقت وطرحته في البحر أم غيره فحلف لهم

[١٦] واعترف بخطيئته أنه هو بالحقيقة". ماذا أقول وماذا اسكت عنه من ذكر العجائب التي صنعتها أيها الطوباني أنبا مقاره. بالحقيقة أنك طوباني. كمثل اسمك وقد سبق النبي

لأنك، يا أنبا مكاريوس، لم تسلك في مشورة الأشرار. وهل توجد كلمة سوء أشرُّ من طوموس لاون؟ فيقول ذلك الكافر، في رسالته التي أرسلها إلى مدينة القسطنطينية، أن لاهوت الرب لم يشترك (يتحد) مع ناسوته في الآلام التي قبلها بإرادته عنا. وبقية الكلام الذي قاله، هذا الذي لا يليق أن يسمعه المؤمنون، لكي لا تتنجس أذاخهم. وهذا

داود تنبأ عنك. وعلى من كان مثلك في أول مزاميره قائلاً: «طوبى للرجل الذي لم يتبع رأي المنافقين. ولم يجالس الخطأة. وقال: «طوبى للرجل الذي يتلو في ناموس الرب ليلاً ونهاراً. ولم يجلس على كرسي المستهزين لكن مشيئته كائنة في ناموس الرب»<sup>٩٧</sup>. بالحقيقة إن ذلك الصوت قد كمل عليك يا أنبا مقاره. لأنك لم تدخل في رأي المنافقين. فليس يكون رأي ومشورة شريرة مثل طوموس لاوون. قال ذلك المخالف الذي بغير إله في رسالته التي أرسلها إلى مدينة القسطنطينية: "أن لاهوت الرب لم يشترك مع ناسوته في الآلام". وباقي الكلام الرديء الذي لا يجب سماعه للمؤمنين. لئلا تتنجس مسامعهم وأما هذا

[١٧] الأمر الآخر أيضاً، أنه لم يجلس في مجلس المستهزين، يعني أنه لم يحب البقاء على كرسيه في هُزء مثل بقية الأساقفة الذين أحبوا البقاء على كراسيهم، ووقعوا على طوموس لاون الشرير. لم يحب أنبا مكاريوس البقاء

[١٧] أنه لا يجلس على منبر المستهزين. فهذا معناه أنه لم يشأ أن يجلس على كرسي معهم في الهُزء مثل بقية الأساقفة الذين جلسوا على كراسيهم بالمخالفة. وكتبوا في الطوموس المملوء من كل المخالفات. لم يحب

الجلوس على الكرسي بل من أجل محبة الذي أجلسه على الكرسي حسر وعدم كرسي قاو المدينة الحقيمة. وكانت شهوته الطوبانية. كائنة في ناموس الرب الذي هو الجلوس في مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا المجتمعين بمدينه نيقية وكتب خطه فيه أولئك الذين افتتحت عيونهم. وعايينوا المخلص جالسًا في وسطهم. أولئك الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا القديسين اجتمعوا ووضعوا من فمهم المقدس جميع قوانين الكنيسة وتثبيت الثالوث المقدس لهؤلاء كانت شهوة أنبا مقاره فيهم ثم نرجع الآن إلى شرح ما نحن واضعوه

[١٨] من أجل العجائب التي فعلها كما ذكرنا لكم أولاً. فبينما نحن في المركب حرك الرب قلبي أن استقصي من تلميذه بنوتيون. وقلت له بمفردي: ”يا ابني قل العجائب التي صنعها أبوك في كرسيه“. فابتدأ وقال لي: ”يا أي ما أنا أعرف شيئاً غير هذا وحده. أنه إنسان قديس ومحب للإله. والجمع كلهم يشهدون له بهذا“. واني قلت له: ”أنا أقسم عليك باسم الرب يا ابني أن تقول لي ما نظرت به عينيك وسمعت من قوم آخرين“. وأن التلميذ

على كرسيه، بل خسر كرسي إتكو المدينة البسيطة، ووهب كرسي السماء، كانت إرادة أنبا مكاريوس في ناموس الله، أي كانت إرادة أنبا مكاريوس في مجمع نيقية، هذا الذي اجتمع من أجله الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا، وقد انفتحت أعينهم ورأوا المخلص جالسًا في وسطهم كواحدٍ منهم، ممجدًا الأساقفة القديسين، والقوانين التي أرسوها، وقانون الإيمان بالثالوث القدوس. هؤلاء هم الذين كانت إرادة أنبا مكاريوس فيهم. فلنرجع إذًا الآن

[١٨] إلى القوات والعجائب التي صنعها، وتحدث عنها، كما وعدناكم في بداية المديح. بينما كنا راكبين السفينة، حرك الله قلبي لكي أسأل شماسه بينوتيون، فقلت له على أنفراد: ”يا بُني، قُصْ عليَّ القوات والعجائب التي صنعها أبوك في إقليمك“. أما هو فرفض قائلاً: ”أنا لا أعرف شيئاً سوى هذا الأمر وحده، أنه رجل الله القديس، ويشهد له كثيرون“. فقلت له: ”يا ولدي، أنت مربوط حتى تحكى لي ما رأيته بعينيك،



ارتاع عندما اقسمت عليه بالرب. فقال لي: ”يا أبونا بدء عجائبه هذا هو أنه يظهر له كل شيء. وكل خطيئة يصنعها الإنسان يعلم بها.

وما سمعته من آخرين“. فخاف الشماس من القسم بالرب، وقال: ”الفضيلة الأولى لأبي هي أنه لم يخف عليه شيء أبداً، بل كل خطيئة يفعلها الناس هو يعرفها، إذ أنه يراها في الحال“.

[١٩] ولا سيما أنه في يوم كان قائماً على المنبر يعظ الشعب فتطلع اليهم وبكى بكاءً مرّاً جداً. فقالوا له الكهنة والشعب: ”يا أبينا كيف كل دفعة تصعد على المنبر نبصرك دائماً تبكي. وهو باتضاعه الكثير كان يُغير الكلام ويُصرفه على نوع آخر ولا يريد يعلمهم بحقيقته“. لكنه كان يقول لهم أنني إذا تذكرت خطاياي أبكي وانهم سجدوا عند رجليه حتى ابتدأ أن يعرفهم بالحق. فقاموا من سجودهم فقال لهم: ”أنا اعلمكم صدقوني أني في الوقت الذي أضع فيه على المنبر أنظر الخطاة في الكنيسة وملائكة الله هارين منهم من أجل رائحتهم. وأنظر أيضاً الأبرار ملتحفين بالنور قائمين في الصلاة. و وجوههم تلمع بالنور كمثل الشمس. اذ يشرق نورها. والملائكة مسرعين اليهم يقبلونهم بفرح من أجل طيب رائحتهم وسيرتهم. فإذا

[١٩] فمثلاً، حدث ذات يوم أنه كان واقفاً عند الكرسي يعلم الشعب. فنظر إلى الجمع وبكى بشدة. فقال له الشعب والإكليروس: ”ما السبب في أنك في كل مرة تصعد إلى المذبح تبكي؟“ أما هو، في شدة تواضعه الجم، فلم يكن يغير مجرى الحديث، ولم يرغب في أن يخبرهم، فقال لهم: ”أنا أتذكر خطاياي فأبكي“. أما هم فظلوا جاثين عند قدميه، حتى يقول لهم الحقيقة. أما هو فقال لهم: ”عندما أضع إلى الكرسي، وأنظر الجمع، وابصر الخطاة على شاكلي وملائكتهم يهربون منهم بسبب نتانتهم، وأبصر كذلك الأبرار يضيئون بأعمالهم كمثل النور، ووجوههم تلمع مثل الشمس، وملائكتهم مندفعين نحوهم، ويحيونهم بفرح - عندما أرى هذا هكذا، أبكي وأتهد على الفارق بين هؤلاء وأولئك الآخرين. صدقني،

شاهدت هذا الاختلاف فيكم أبكي من افتراق بعضكم من بعض. واتنهذ بمرارة. وصدقوني أيها الشعب المحب لله. أنني كنت يومًا قائمًا على الهيكل

أيها الشعب المحب لله، أنني كنت واقفًا ذات يوم عند المذبح،

[٢٠] فلاحظت الخطأة وهم مقبلين إلى الهيكل و وجوهم مُعبسة ظلمة. وملائكتهم تابعين لهم. وهم يكون. وبأيدي الملائكة أوراق كمثل الشهادات. وهم يقدمونهم للمخلص الرحوم على الهيكل. قائلين له: "أن هؤلاء خطايا بني البشر التي صنعوها أمس وفي هذه الليلة. ولم يتطهروا. لكي ينالوا من جسدك ودمك الكريم". وسمعت صوتًا من الهيكل ينتهري جدًا قائلاً: "يا مقاراه لماذا لم تعظ شعبك. وتعلمهم أن يتوبوا عن خطاياهم قبل الموت". فقلت له يا رب هم لا يسمعون مني ولكن يعدوني كمثل نبي كذاب". فقال لي الصوت ثانية: "إذا ما وعظ الأسقف شعبه فلا تبقى عليه خطية. لأنني هو ذا أقمتك مخلصًا لهذا الشعب كله. وأنت فكن لهم راعيًا. فإذا سمعوا منك وتابوا فهم يحيون بالتوبة. وكل من أراد أن يبقى

[٢٠] فأبصرت الخطاة ووجوهم مكفهرة، وملائكتهم تتبعهم باكية. وبأيدي الملائكة أشياء تشبه ألواحًا مكتوب عليها خطايا البشر، وقد قدموها لله على المذبح قائلين: "هذه هي الخطايا التي اقترفوها البارحة وبالليل، ولم يتطهروا قبل أن يتناولوا من جسدك ودمك". وسمعت صوتًا من داخل المذبح ينذري، قائلاً لي: "يا مكاري، لماذا لم تعلم شعبك لتجعلهم يكفون عن خطاياهم، ويتوبون قبل أن يموتوا؟" فقلت: "يا رب، هم لن يسمعوا لي، بل سيعتبروني مثل نبي كذاب". فقال لي الصوت ثانية: "إذا وعظ الأسقف، فلا خطية عليه. هو ذا قد أقمتك رقيبًا<sup>٩٨</sup> على هذا الشعب قبل أن يسقط. وأنت أيضًا إذا وعظت الشعب فلا خطية عليك. من يريد أن يتوب عن خطاياهم فليتب قبل أن

<sup>٩٨</sup> أسقف: ὁ ἐπίσκοπος تعني الناظر - الرقيب من أعلى - وهي أعلى درجة كهنوتية في الكنيسة المسيحية.

في خطاياهم فيبقى أو يموت فيموت. وأما أنت فخلص نفسك وتكون بريئاً [٢١] من دمهم من أجل انذارك لهم. وأما الأوراق التي بأيدي الملائكة. فكان مكتوب فيها كل خطايا كل واحد منهم سحر كثير. وقتل كثير. وزنا كثير. ونسوه زانيات قد حبلت سرقة. وسقطن نفوسهن خشية من الفضيحة. وقوم آخرون يخلفون كذباً وآخرون غامين. وآخرون ماكرين. يتكلمون بالشر خلف بعضهم بعضاً. وقوم آخرون حقودين على بعضهم بعضاً. والله عدواً لهم وقوم آخرون يمشون إلى بيوت السحرة ويطلبون منهم شفاء أمراضهم ويتعرون من المعمودية التي نالوها. وعلى الجملة كل خطيئة لا تُعرف مكتوبة فيهم. فمن أجل هذا كله أنا أبكي على هذا الكلام الذي سمعته من أبي. وهو يقول لشعب المدينة. وأنا أيضاً لزممت التلميذ ومسكته وقبلت رأسه. وقلت له: "هل تعرف شيئاً آخر من فضائل أبيك؟". فأجابني قائلاً: "سمعت شيئاً آخر من قوم آخرين صادقين الله [٢٢] هو وحده الذي يعرفهم". وأنا قلت له: "قل لي واحذر القسم الذي

يموت. ومن يريد أن يبقى في خطاياهم، فليبق. أما أنت فخلص نفسك، وتبرأ [٢١] من دمهم. اقرأ خطايا كل واحد المكتوبة على هذه الألواح". أما أنا فنظرت إلى الألواح التي بأيدي الملائكة، وقرأت فيها، ووجدت خطايا كل واحد مكتوبة فيها: البعض سحرة، وآخرون قتلة، والبعض زناة وزانيات، وآخرون مضاجعو ذكور، والبعض سارقون، والبعض يخلفون كذباً، والبعض يفترون بعضهم على البعض، والبعض مستهزؤون، والبعض يبغيض أحدهم الآخر، والله أيضاً يبغيضهم، والبعض يمشون إلى العرافين والمنجمين، ويتعرون من المعمودية التي نالوها. وباختصار، كل خطيئة وجدت في مكتوبة على الألواح. فمن أجل هذا السبب أنا أبكي". هذا سمعته من أبي وهو يقوله للإكليروس. أما أنا فمسكت الشمس وقبلت رأسه، قائلاً: "يا بني، ألا تعرف شيئاً آخر يخص هذا القديس؟". أما هو فقال لي: "هذا ما سمعته منه، أما الباقي فالله [٢٢] هو الذي يعلمه". فقلت له: "يا ابني، لا تبقى تحت حكم القسم،

حلفتك به يا ابني أن تخالفه لكن الذي نظرته وسمعته قوله لي“. فقال: ”يا سيدي الأب هو ذا أنا أنظر وجه أبي مُعْبِسًا عليّ لا يريدني أن أحبرك بشيء“. فأجبتة: ”لا تخاف أنا الذي أمرك بهذا. وأما أنت يا ولدي لا تترك الوزنة التي لأبيك مخفية في الأرض ولا أعماله العالية. بل اعمل فيها حتى تتضاعف وزناته“. حيثُذ لما سمع هذا مني ابتداءً يتكلم قائلاً: ”أنا أقول لك يا أبونا أعجوبة تذكرتها الآن. أنها كانت منه. كان دير في كرسي مدينة أخميم قرب قرية تدعى أدريه وكان القديس العظيم أنبا شنوده رئيس المتوحدين الذي مضى إلى المجمع. الذي اجتمع بمدينة أفسس مع القديس كيرلس البطيرك العظيم. وعندما شاخ ذلك القديس النبي. رسم واحدًا من أولاده رئيسًا على الإخوة مكانه اسمه القديس ويصا. وعندما قرب القديس أنبا شنوده ينتهي جلس واستدعى الإخوة أولاده. وقال لهم: ”نظرتُم يا أولادي أني أقمت أيامًا كثيرة في المجمع مع القديس كيرلس الأول البطيرك أجاهد

بل قُل لي ما رأيته وما سمعته“. فقال لي: ”أنا أرى وجه سيدي الأب عابسًا وأنا أقول هذا“. فقلت له: ”أنا الذي أمرك، فلا تترك أباك يُحْبَأ وزنته تحت الأرض، بل اعمل بها لكي تتضاعف لك ثلاث مرات“. وهكذا، لما سمع هذا مني، بدأ يتحدث معي قائلاً: ”يا أبتى، سأقص عليك معجزة باهرة حدثت بواسطته قد تذكرتها“. كان هناك ديرًا في مقاطعة شمين مقابل قرية تدعى أتريره، التي للقديس الأرشمندريت أنبا شنوده، الذي ذهب مع القديس كيرلس إلى المجمع<sup>٩٩</sup>، وكان قد شاخ، فعين مكانه واحدًا اسمه ويصا. وذات مرة، بينما القديس أنبا شنوده نائمًا بالليل، نُهَض وقال للإخوة: ”أنا أرى الآن رؤيا. لأني قضيت عامًا في المجمع مع رئيس الأساقفة كيرلس ونحن نحارب

<sup>٩٩</sup> مجمع أفسس.

[٢٣] على الأمانة. وهو ذا مقاره أسقف قاو قد أتى في الساعة الأخيرة وأخذ أجرة النهار جميعه لأنني في هذه الليلة نظرت في الرؤيا السيد المخلص جالساً على مرقدى كمثل من يفتقدني وكأني قلت له: "يا ربي والهي. ليس لك الاستطاعة والقدرة أن تقويني كما كنت". فقال لي المخلص: "يا شنوده قد كبرت في العمر وأنت في هذه الشيخوخة الكبيرة التي هي مائة تسعة وستين سنه<sup>١٠٠</sup>. وأنت ملازم هذه الخدمة العظيمة. فالآن اترك عنك هذا العالم لكي تأتي إليّ. فإنه سوف يجتمع مجمع على الأرض بعد مجيئك إليّ. ويجدف على اسمي فيه. كتجديف أريوس. في ذلك الزمان عندما ظهرت لبطرس البطريرك الشهيد. ولباسي

[٢٣] عن الإيمان، وسوف يأتي أنبا مكاريوس أسقف إتكو في الساعة الأخيرة، ويأخذ أجرة اليوم كله. وأبصرتُ أيضاً المخلص يفتقدني، فقلت له: "يا ربي، ألا تقدر أن تقويني مثل الأول، لكي أمضي إلى المجمع<sup>١٠١</sup> وأحارب الهراطقة؟" فقال لي (له) المخلص: "يا صفي شنوده، هل تريد أن تمضي عُمرًا آخر بعد هذا العُمر الطويل، حيث أنك تبلغ مائة وتسع سنين، وتحيا في هذه الممارسات النسكية العظيمة؟ والآن، يا مختاري، أترك هذا الجسد، وتعال عندي؛ لأنه سينعقد مجمع بعد أن تأتي إليّ، وسوف يجدف عليّ فيه، مثل أريوس في ذلك الزمان الذي ظهرت فيه للقديس بطرس<sup>١٠٢</sup>، الشهيد ورئيس

<sup>١٠٠</sup> بالطبع ومن غير المعقول أن يكون عُمر أنبا شنوده امتد إلى ١٦٩ عامًا ولكنها هنا خطأ من ناسخ السيرة بالعربية. وفي الفقرة المقابلة للنص العربي من النص القبطي الصعيدي نجد أن عمر القديس أنبا شنوده رئيس المتوحدين بلغ إلى ١٠٩ سنة. وللذكور صموئيل القس قزمان بحث كبير متخصص في سيرة أنبا شنوده فيقول: "إن آخر الأبحاث العلمية قد توصلت لحقائق مغايرة بشأن حياة الأنبا شنوده، وقد أصبحت مقبولة من جبهة علماء القبطيات، ومفادها أن الأنبا شنوده عُمر حتى عام ٤٦٥م، أما سنة ميلاده فربما تكون حوالي ٣٤٧م، أن سلما بأنه عاش مئة وثمانية عشر عامًا كما ورد في سيرة حياته بالقبطية البحرية". (د/ صموئيل القس قزمان، الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، الناشر مكتبة باناريون، الطبعة الأولى ديسمبر ٢٠٠٩م، الجزء الأول ص ١٤٠).

<sup>١٠١</sup> مجمع خلقدونية.

<sup>١٠٢</sup> البابا بطرس الشهيد (٣٠٠ - ٣١١م).

مشقوق وأنا ماسك جنبي الشق  
احدهما مع الآخر لئلا ينكشف  
جسدي". وقال لي القديس بطرس في  
ذلك الوقت: "يا سيدي من شق  
لباسك؟". فقلت له: "أريوس هو  
الذي شق لباسي". والآن يا شنوده  
هو ذا أريوس أيضًا مسك

[٢٤] الجنب الواحد الذي للباسي.  
ونسطور قد مسك الجنب الآخر  
وجذب الاثنان وشقا أيضًا لباسي مرة  
أخرى وفصلايني من أبي والروح  
القدس. وجعلنا لي أربعة وجوه. فالآن  
ارسل ويصا تلميذك إلى عند أنبا مقاره  
أسقف قاو. وقل له هذا الكلام يقوله  
لك. فإن ذلك الأسقف القديس  
سينال الشهادة على اسمي في جهاد  
أمانتي. وأيضًا ارسله اليه بسرعة. فإن  
عبدة الاصنام قد قاموا عليه في  
كرسيه". ولما كمل مخلصنا هذا  
الكلام معي صعد إلى السموات بمجد  
عظيم وكانت قريه غربي قاو أهلها  
يعبدون الأصنام. وفيها صنم اسمه  
قوطس. وكان ذلك الصنم في طاقة  
بيت فيها. وعند دخولهم من باب  
البيت يحنون اعناقهم ويسجدون له  
إلى اسفل. وإن قسوس ذلك المكان  
اخبروا أبي بكل ما يعملونه اولئك

الأساقفة وكان ثوبي مزرقًا عليّ، وأنا  
ممسك بطرفي ثوبي لأجمعهما على  
بعضهما البعض لئلا ينكشف  
جسدي. وقد ناداني القديس بطرس:  
"يا ربي، من الذي مزق ثوبك؟"  
فقلت له: "أريوس هو الذي مزقه".  
والآن، هو ذا أريوس قد أمسك

[٢٤] بطرف ثوبي، وأمسك نسطور  
بالطرف الآخر، وشدا سوياً، ومزقا  
ثوبي، وفصلايني عن أبي والروح  
القدس، وجعلنا أربعة أشخاص.  
والآن أرسل ويصا إلى عند أنبا  
مكاروريوس أسقف إتكو؛ لأنه هو ذا  
عبدة الأوثان قد قاموا عليه في  
مقاطعته، وذلك سينال الشهادة من  
أجل الإيمان الأرذوذكسي". ولما قال  
المخلص هذا صعد إلى السموات.  
لكني سأقص عليكم معجزة قد  
حدثت. كانت هناك قرية غرب [...]   
يعبدون فيها وثناً اسمه كوتوس،  
موضوعاً على طاقة في بيتهم. فإذا  
دخلوا، أحنوا رؤوسهم، وسجدوا له،  
وقربوا له القرابين. فأتى كهنة القرية،  
وقالوا لأبي عن كل ما يفعله الوثنيون،  
وكيف يقتلون أولاد المسيحيين،  
ويذبحونهم للصنم كوتوس. وذات يوم،  
كمنوا لهم وهم يقتربون هذه المعصية،

ويذبحون الأطفال، ويريقون

[٢٥] دمهم على مذبح إلههم  
كوتوس. وقبض على بعض منهم  
وسلموا للقضاء، واستجوبوا شفاهةً،  
واعترفوا بدون تعذيب، قائلين: "نحن  
نقتل أولاد المسيحيين، ونغويهم،  
ونمنحهم قليلاً من الأطعمة، ونأخذهم  
إلى أماكن خفية، ونحرق دمهم على  
المذبح، ونخرج أمعاءهم، ونشدها أوتاراً  
لقيثاراتنا، ونغني بها لأهتنا. أما  
أجسادهم فنحرقها، ونجعلها رماداً،  
ونحمل قليلاً منه لكل مكان نعلم أن  
به كنزاً، ونضعه عليه، ونغني بقيثارتنا  
التي أوتارها هي أمعاء الأطفال. وفي  
الحال تظهر الكنوز، ونحمل ما نريد".  
وأولئك أعطوا أموالاً طائلة للذين  
قبض عليهم حتى يطلقوا سراحهم؛  
لأن حكام تلك المقاطعة كانوا محبين  
للمال. فلما سمع أنبا مكاريوس هذا  
من الكهنة، قام، ومشى الكهنة،

الكفرة. فإيهم يأخذون الأطفال  
الصغار أولاد النصرى فيذبجونهم  
ويهرقون

[٢٥] دماءهم في بركة. ويقدمونهم  
قرباناً لإلههم قوطس. وإيهم رصدوهم  
ذات يوم فوجدوهم يصنعون هذا  
الاثم العظيم. فقبضوا على قوماً  
والقوهم في السجن وأخافوهم  
بالعذاب. فأقروا أنهم يدعون الأطفال  
الصغار أولاد النصرى ويخدعونهم  
بالخبز وأطعمة الجسد اللذيذة.  
ويقبضون عليهم ويدخلونهم إلى أماكن  
مخفية ويذبجونهم ويصفوا دمهم في هذه  
الفسقية. ويخرجون مصارينهم  
ويصنعون منها أوتار لقيثاراتهم التي  
يمجدون بها الهتهم وأما الأجساد التي  
للأطفال فيحرقونها بالنار حتى تصير  
رماداً. وكل الأماكن التي يعرفون أن  
فيها كنوز المال يأخذون من رمادهم  
ويلقونه فيها ويضربون بالقيثارات التي  
أوتارها من مصارين الصغار. ففي  
تلك الساعة ينكشف لهم المال.  
ويأخذون منه ما يريدون. وبعد هذا  
فإن المتولين الذين امسكوهم ارتشوا

مالاً كثيراً منهم واطلقوهم لأن ولاية ذلك الصقع<sup>١٠٣</sup> كانوا محبين للمال جداً. فلما سمع أبينا الأسقف هذا من اولئك القسوس قام وانطلق معهم [٢٦] وكنت أنا معه وأيضاً كان معنا رجلان عظيمان. وكان القسوس ماشيين قدامنا. ولما غربنا في البلاد خمسة أميال. وصلنا الموضع الذي فيه البربا<sup>١٠٤</sup> وكان أبي مسرعاً في المشي أماننا إلى موضع البربا فقالوا له القسوس: ”يا أبانا هلم بنا نقف ههنا ولا ندخل لئلا يقتلونا“. فقال لهم: ”حي هو الرب أنهم لو قتلوني ما أقف حتى أعبر هذه البربا النجسة“. وعندما تقدم إلى باب البربا صرخ في تلك الساعة الروح النجس الحال في الصنم قوطس وقال: ”أخرجوا اطرءوا مقاره القاوي من ههنا فياني قد قلقتم لما سمعت صوته وإن هو أقام ههنا ساعة أخرى لا أرجع اقيم في هذا المكان. لكني أخرج منه ولا اعود اليه. ولا ترجعون تعابوني فيه دفعة أخرى“. فلما سمعوا الكهنة ذلك خرجوا إلينا مسرعين بالسلاح والسيوف والحرا

<sup>١٠٣</sup> (الصَّقْعُ): الناحية. (ج) أصقاع. ”الوسط“

<sup>١٠٤</sup> هياكل الاوثان

[٢٦] ومشيت أنا معهم. وكان معنا أيضاً اثنان من الأراخنة. فأتينا شمالاً من الجبل بنحو خمسة أميال، فرأينا معبداً من معابدهم على طريق المزارع، فدخل أبي إلى المعبد. فقال له الكهنة: ”يا أبانا، لا تجعل هؤلاء الكافرين يخرجون إلينا، ويقتلوننا، ويدفعون ديتنا“. أما هو فقال: ”وهل سيدفعون ديتنا لله؟ حي هو الرب، حتى لو سيقتلونني، فلن أهدأ دون أن أدخل“. وفيما هو داخل، وصرخ الشيطان يصل إلى باب المعبد، صرخ الشيطان الساكن في الوثن كوتوس بصوت عظيم: ”أذهبوا واطرءوا مكاريوس أسقف إتكوا؛ لأن الرعدة قد أخذتني عند سماعي صوته. وإذا ظل هنا ساعة أخرى، فسوف أخرج وأمضي، ولن تجدونني أبداً“. فلما سمع الوثنيون هذا، خرجوا وبأيديهم عصي وسيوف وحرا



وطلعت نساءهم أيضاً على سطوح  
البريا

[٢٧] وصاروا يرموننا بالحجارة وقالوا  
للأسقف: "أنت مقاره القاوي الذي  
أتيت لتهلكنا. لماذا حضرت إلى ههنا  
والهتنا قد علمونا ببغضتك فيهم"  
فأجابهم القديس: "إن كنت مالي  
عندكم عمل فماذا لكم أنتم عند  
أولاد النصارى حتى تذبجوهم  
للأصنام". فأجابوه قائلين: "ليس  
هذا القول حقاً". فقال لهم القديس:  
"إن كان ليس هو صحيحاً فدعوني  
أدخل البريا اقتشها". فقالوا له بمكر:  
"أدخل" فخاف القسوس ولم  
يدخلوا. وأما الأب الأسقف فدخل  
ودخلت أنا معه والرجلان العظيمان.  
فلما حصلنا داخل البريا وقف عشرون  
رجلاً منهم واغلاقوا الباب علينا وارادوا  
قتلنا. وكنا اربعة أنفار. فصاحوا علينا  
في تلك الساعة. وقالوا لنا: "قد فرغ  
اليوم عمركم. وهذا اليوم نقلكم في  
هذا الموضع". حينئذ وثبوا على أبي  
أولاً ومسكوه مثل خروف بغير عيب.

[٢٨] ومن بعده مسكونا نحن الثلاثة  
وكتفونا جميعاً. ثم رفعوا ذبيحتهم على  
هيكل صنمهم قوطس. وكانت

صعدن إلى سطح المعبد،

[٢٧] يُرَدَّنْ أَنْ يَقْذِفْنَا بِالْحِجَارَةِ.  
فَقَالُوا لِأَبِي: "أَنْتَ مَكَارِيُوسُ  
الْإِتْكَاوِي صَانِعُ الشَّرُورِ؟ لِمَاذَا أَتَيْتَ  
إِلَى هُنَا؟ أَنْ إِلَهُنَا أَعْلَمُنَا بِالْفِعْلِ عَنْ  
بَغْضِكَ لَنَا. ابْتَعدْ عَنَّا. مَا شَأْنُكَ  
بُنَا؟" فَقَالَ لَهُمُ الْقَدِيسُ: "إِنْ كَانَ لَا  
شَأْنَ لِي بِكُمْ، فَمَا شَأْنُكُمْ أَنْتَ بِأَبْنَاءِ  
الْمَسِيحِيِّينَ الَّذِينَ تَذْبِجُونَهُمْ لِلْأَوْثَانِ؟"  
فَقَالُوا: "هَذَا لَيْسَ صَحِيحًا". فَقَالَ  
الْقَدِيسُ: "إِنْ كَانَ لَيْسَ صَحِيحًا،  
فَدْعُونِي أَدْخُلُ الْمَعْبَدَ وَأَقْتِشُهُ". أَمَّا هُمْ  
فَقَالُوا: "ادْخُلْ". فَخَافَ الْكَاهَنَانِ  
وَلَمْ يَدْخُلَا مَعَنَا. وَلَمَّا دَخَلْنَا، أَسْرَعُوا  
وَأَغْلَقُوا الْبَابَ عَلَيْنَا، وَوَثَبُوا عَلَيْنَا.  
وَكَانُوا عَشْرِينَ. أَمَّا نَحْنُ فَكُنَّا أَرْبَعَةً.  
فَقَالُوا لَنَا: "الْيَوْمَ يَنْتَهِي عَمْرُكُمْ. هُوَ  
ذَا مَكَانُ ذَبْحِكُمْ". وَفِي الْحَالِ وَثَبُوا  
عَلَى أَبِي أَوَّلًا، وَقَيَدُوهُ مِثْلَ حِمْلٍ وَدَيِعَ  
بِلَا عَيْبٍ،

[٢٨] وَبَعْدَ ذَلِكَ نَحْنُ الثَّلَاثَةُ،  
وَاسْتَعَدُّوا أَنْ يَصْعَدُونَا عَلَى مَذْبَحِ  
إِلَهُهُمْ، وَيَذْبِجُونَنَا. وَكَانَتْ نِسَاؤُهُمْ

نسائهم تغنين وتفرحن قائلات: ”نحن اليوم نعيد لإلهنا بمقدم النصارى“. فقال لهم العظيم فيهم: ”أنه ليس بواجب أن نعمل شراً حتى نعلم رئيس كهنتنا من قبل أن نقتلهم. وأيضاً ندعوه حتى يحضر لضحية الهنا قوطس“. فأطاعه البقية ووافقوه على ذلك وكان اسم مقدمهم هومارس. فلما ذهب رسولهم اليه. قلت لأبي وأنا مربوط معه: ”لماذا أنت ساكت عن الصلاة قدم الطلبة لكي يخلصنا الرب. هو ذا ساعة موتنا قد دنت منا“ فأجاب القديس قائلاً: ”لا تخاف يا ابني بنوتيون فإن السيد المسيح سوف يعيننا“. وبينما نحن نتكلم وإذا القديس ويصا تلميذ القديس أنبا شنوده قد طرق الباب فلم يجيبه أحدًا فصرخ قائلاً: ”أيها الرب الإله ضابط الكل الذي اخرجت تلميذك بطرس من السجن وهو مربوط اليدين والرجلين بسلاسل من حديد [٢٩] وفتحت له الأبواب الحديد بغير مفتاح. والبوابين والجند نيام يحرسون

أيضاً ينشدن هذا بفرح: ”عيدوا لإلهنا بفعله الشر المسيحيين هؤلاء“. فقال كبيرهم: ”الأليق أن نعلم رئيس كهنتنا أولاً قبل أن نقتلهم، وندعوه لقربان إلهنا كوتوس“. فوافقوه الباقون على هذا. وكان رئيس كهنتهم هوميروس. فلما مضى إليه الذي [أرسلوه] إليه، قلت لأبي ونحن مقيدون: ”هل ستظل تتحمل بدون صلاة؟ ها قد حلت ساعة ذبحنا“. فقال لي: ”لا تجزع. المسيح الإله سيعيننا“. وبينما نحن نتكلم، هو ذا القديس أنبا ويصا قد طرق الباب. أما هم فلم يفتحوا له. وفي الحال صرخ القديس أنبا ويصا قائلاً: ”أيها المسيح الإله، الذي أخرج بطرس من السجن وهو مقيّد فيه بالسلاسل الحديدية،

[٢٩] وانفتحت له البوابة في الحال بدون مفتاح، افتح لي باب هذا

الباب. وملاكك اهداه وكان يمشي قدامه إلى أن اجازاه إلى باب المدينة الحديد الذي هو مخرج المدينة. تأمر هذا الباب أن يفتح وحده. وفي تلك الساعة بسرعة أنفتح باب البريا. ودخل القديس ويصا ومعه أربعة عشر راهبًا وعندما شاهدتهم أولئك الكفرة اضطربوا وصاروا كالخجارة التي لا نفس فيها وفي تلك الساعة حلّونا من كتافنا. ثم قال القديس ويصا لأبي القديس أنبا مقاره: "اصنع أحد هذين الأمرين إما أنت تصلي. وأنا اطلب أن تنزل نار من السماء. أو أنا أصلي وأنت تطلب أن تنزل نار من السماء". فقال له أبي: "نقوم نصلي كلانا مرة واحدة لكي تنزل نار من السماء تحرق هذه البريا". ولما وقفوا

المعبد". وفي تلك اللحظة أنفتح باب المعبد، ودخل أنبا ويصا<sup>١٠٠</sup> ومعه خمسة عشر راهبًا آخرين. فلما رآهم الوثنيون، خافوا وصاروا كالأموات. فمشى أنبا ويصا والإخوة الذين معه نحونا، وحلّونا من القيود. فقال أنبا ويصا لأنبا مكاريوس: "إفعلْ واحدًا من هذين الأمرين: إما أن تصلي وأنا أشعل النار، أو أشعل أنت النار وأنا أصلي". فقال أبي: "لا، بل لنقف ونصلي معًا، وستأتي النار من السماء، وتلتهم هذا المعبد". ولما وقفوا للصلاة مع الإخوة، صار إليهم صوت: "خلصوا أنفسكم من هذا المعبد". وهكذا، قبل أن نلتفت بوجوهنا إلى الخلف، أحاط به سورٌ نارٍ عظيمٌ، وسقطت جدران المعبد، وعوارضه

<sup>١٠٠</sup> "نقص علينا سيرة الأنبا شنودة أمثلة حيّة لصراعه ضد الوثنية؛ ففي سيرته القبطية البحرية جاء أنه [في وقت آخر قام أبونا القديس الأنبا شنودة ليمضي إلى قرية "بلويت"، لكي يحطم الأصنام الموجودة في ذلك المكان ... أما أبي فاقترّب من المعبد (الوثني) وكسر الأوثان فوق بعضها البعض وحطّمها]. كذلك تذكر سيرته باللغة العربية أنه ذات يوم ذهب إلى مدينة أخميم مع بعض الرهبان "لينزع الأوثان من بيت رجل اسمه كاسيوس"، فلما وصلوا هناك ليلاً، فتحوا أبواب بيته "وكسروا الأوثان وكسروهم قطعة قطعة ورموهم في البحر" ... نمدنا المصادر الأخرى عن قصص مشابهة عن أحداث هذا الصراع الديني. فالمديح المنسوب للبابا ديسقورس على الأنبا مكاريوس أسقف إتكو يحكي عن تدمير أحد معابد الوثنيين (كوتوس) ... واللافت للنظر في هذه القصة مساعدة الأنبا ويصا، تلميذ الأنبا شنودة، للقديس الأنبا مكاريوس من قبضة الوثنيين، وذلك بناءً على تعليمات من الأنبا شنودة نفسه. (د/ صموئيل القس قزمان، الأنبا شنودة رئيس المتوحدين، الناشر مكتبة باناريون، الطبعة الأولى ديسمبر ٢٠٠٩م، الجزء الأول ص ٨١).

الخشبية، وحجارتها، والتهمته النار حتى  
أساساته. فالتفت أبي بوجهه نحو  
الخلف،

[٣٠] ولعن تلك الأرض قائلاً: "لا  
يكون فيك شجرة مُظلة على الأبد،  
بل تصيري قِطْطاً وتولد فيك الوحوش  
والحيات". (٢٥) وفي الحال دخل  
شيطانٌ في رجل، فدخل القرية  
والشيطان يصرخ فيه: "لا تجعلوا أحداً  
يبقى هنا، فها مكاربوس أسقف إتكو  
قد أتى مع أنبا ويصا، تلميذ أنبا  
شنوده". فلما قابل أبي هوميروس في  
الطريق، عرف في الحال أنه هو رئيس  
كهنتهم الذي أرسلوا في طلبه. فقال  
له أبي: "لماذا لم تأت وتعيد عيدنا  
وهم يذبحوننا لإلهك كوتوس؟" فقال  
له: "أنت شيخٌ ولا تصلح كقربان  
لإلهنا". وفي الحال أوعز أبي للإخوة  
أن "امسكوه وقيدوه". فصرخ ذلك  
الكاهن النجس: "أيها الإله العظيم  
كوتوس، رئيس سلطان

[٣١] الهواء، أخا أبوللو، خلصني.  
لأني أنا رئيس كهنتك الـ [...]  
النجيب". فقال له أبي: "سأحرقك

وصلوا وإذا صوت قد صار اليهم  
قائلاً: "اخلصوا بأنفسكم واخرجوا  
من باب البربا ولا تلتفتوا بوجوهكم  
إلى خلف". وفي تلك الساعة أحاط.  
بالبربا حصن نار وهدم حيطانها إلى  
أسفل وأكلتها النار إلى أساسها.

[٣٠] ولعن أبي البربا قائلاً: "لا ينبت  
فيك شجرة تظل ولا يطلع فيك زرع  
إلى الأبد. لكن تكوني مأوى للوحوش  
وزحافات الأرض"، وفي تلك الساعة  
وإذا شيطان قد دخل في إنسان  
وذهب يجري إلى البلد صارخاً قائلاً:  
"اهربوا يا جميع عبدة الأصنام فإن  
ويصا ومقاره القاوي قد أتيا اليكم"  
وإن أبي القديس في الرجوع وجد  
هومارس عظيم كهنتهم الذي أرسلوا  
خلفه. فقال له أبي: لماذا لم تسرع  
بمجيئك لتعيد في قتلنا عندما يضحو  
بنا لألهك قوطس؟". فأجابه قائلاً:  
"أنت لا يجب أن نرفعك لإلهنا لأنك  
شيخ" فأشار أبي للإخوة وقال لهم:  
"امسكوه واربطوه" وإن ذلك الكاهن  
النجس صرخ قائلاً: "يا إلهي قوطس  
عظيم الأرواح الذين في

[٣١] الجو خلصني فلاني في  
خدمتك" فقال له أبي: "أنا الآن في  
هذا اليوم أحرقك وانت حي مع الهك

قوٲس“. ولما رجعنا وأتينا قريتهم خرج إلنا جمیع الأرثوذكسین. فأمر أبی أن یشعلوا نارًا ویلقوا فیها مارس الكاهن. ففعلوا واحرقوه هو وأصنامہ التي وجدوها فی بیته. وأما بقية عباد الاصنام فتعمد منهم كثیرون وصاروا نصاری. وقوم أخر منهم لم یريدوا أن یؤمنوا. واخذوا كل شيء لهم وطرحوه فی الآبار واخفوه ومضوا وحدهم وأصنامهم معهم إلى موضع برية. وأحصینا فی ذلك الیوم عدة الأصنام التي كسرناها فكان عددهم ثلاثمائة وستة أصنام. وسكنت النصاری فی بیوت الذین هربوا فهذا الذی نظرته أنا وحضرته قتلته لك یا أبی القديس البطریك أنبا دیسقورس

هذا ما  
[٣٢] قاله لی شماسه. ولما رسونا فی مدينة القسطنطينية، رأیت رؤیا، وقتلتها لابني بطرس وثوبیستوس. رأیت كما لو أن رجلین جالسان أمامي فی غاية الجمال: واحد أقرع، والآخر شعر رأسه كثیف، طویل اللحية جملها. فقال لی ذلك: ”یا دیسقورس. ألم تعرفني من أنا؟“ فقلت: ”لا. یا سیدی. لم أعرفك“. فقال لی: ”أنا

[٣٢] ولما وصلنا إلى مدينة القسطنطينية وارسينا فی المینا نظرت أنا رؤیا وقتلتها لبطرس وتاویسطس لأني رأیت روحي. وكان رجلین قائمان أمامي بلباس مضيء جدًا أحدهما أصلع الرأس. والآخر شعره كثیر ولحيته عظيمة. فقالا لی: ”أتعرفنا یا دیسقورس من نحن“. فقلت لهما: ”لا“ فأجابني أحدهما قائلاً: ”أنا

١٦٧

يوحنا بن زكريا، وأمي أليصابات نسيبة  
 مريم أم المسيح. وأخي الذي تراه هو  
 أليشع النبي، الذي كان يصب الماء  
 على يد إيليا، الذي تضاعفت عليه  
 الروح. أنا من العهد الجديد، وأخي  
 من العهد القديم. وقد أرسلنا المخلص  
 لكي نعزيك وندعوا هذا الشيخ  
 الإتكائي؛ لأن جسده سيستقر عند  
 جسدينا“. ولما نهضت من الرؤيا  
 ايقظت أنبا مكاريوس وأخبرته بالرؤيا.  
 أما هو فقال لي: ”من أنا لكي يأتي  
 جسدي

[٣٣] الضعيف من مدينتي ويستقر  
 عند جسد السابق للمسيح وجسد  
 النبي أليشع؟ ولم أسمع مطلقاً أن رؤساء  
 اساقفتنا يُدفنون عندهما“. (٢٧) ولما  
 أتينا إلى الشاطئ، كان أنبا مكاريوس  
 يتبعنا، وكان يرتدي ثياباً متسخة.  
 فقال له الشماس بطرس: ”أيها  
 الأب، ارتد ملابسك المهندمة؛ لأننا  
 سندخل إلى الملك“. أما هو فقال:  
 ”بالحقيقة، أن قلب الملك أوسخ من  
 ثوبي عشرة آلاف مرة. صدقي، يا ابني  
 لو كنت أملك ثياباً أخرى رثة أكثر  
 من هذه، لكنت ارتديتها وأنا داخل“  
 إلى ملك هذه الدنيا، وأرتدي ملابس  
 الأنيقة عندما ألقى ملكي غير المائت،

يوحنا بن زكريا، وأمي أليصابات نسيبة  
 مريم أم المسيح وأخي هذا الذي  
 تشاهده معي هو أليشع النبي الذي  
 كان يسكب الماء على أيدي إيليا  
 النبي. فتضاعفت روحه عليه. أرسلنا  
 المخلص اليك لكي نعزيك وندعو هذا  
 الأسقف الطوباني الينا لأنه. سوف  
 يكون جسده مع جسدين“. ولما  
 استيقظت من الرؤيا ايقظته وعرفته  
 بالحلم الذي رأيته. فأجاب قائلاً:  
 ”من أنا يا سيدي الأب حتى تكون  
 عظامي

[٣٣] مع عظام معمد السيد المسيح.  
 والذي استراحت عليه روح ايليا النبي  
 وتضاعفت“. ولما أشرق النور سعدنا  
 من المركب إلى البر. وكان القديس أنبا  
 مقاره يتبعنا وعليه ثياب وسخه. فقال  
 له بطرس الشماس لماذا يا أبي لم تلبس  
 ثياباً مبهجة لأنك ماضٍ لتلقي بالملك.  
 فقال له صدقي يا ابني إن قلب الملك  
 أوسخ من ثيابي هذه التي عليّ أضعافاً  
 كثيرة. صدقي يا ابني لو كانت عندي  
 ثياب أوسخ من هذه التي عليّ كنت  
 قد لبستها. ولا يجب لي أن البس  
 ثياباً بهية إلا في الوقت الذي امضي  
 فيه والتقي بملكي الحقيقي السيد  
 المسيح. لأن الخدام والبطارقة القيام

قدام ملك هذا العالم يهتمون بلباس فاخر بهي حتى يتجملوا به أكثر من القيام أمامه جميعهم. وهذا هو مثلي أن أسرع احفظ لباسي بهيًّا نظيفًا حتى أمضي به واجتمع بالذين تحبهم نفسي الذين هم يوحنا

[٣٤] المعمدان وأليشع النبي. فلما قال هذا بقيت متعجبًا من كلامه المملوء نعمة. ومن بعد هذا دخلوا بنا إلى الملك ومنعوا القديس مقاره عن الدخول معنا إلى المجلس. فقال للحاجب الذي أعاقه هذه الكلمة في ذلك الوقت: "أن الحبل المثلث لا ينقطع بسرعة. إن كنتم أعقتموني ولم تتركوني أدخل. فقد دخل ثلاثة وتقدموني ومعهم ثياب الأمانة أكثر من كل الأساقفة وهم عظيمي الفحص والمعرفة جدًا". وأنا لما التفت وتطلعت ولم أنظر الشيخ يتبعني صرت كمن ترك لسانه برا الباب بل رأسه. فالتفت إلى حاجب من الحجاب كان جالسًا بالباب وقلت له: "اصنع محبة واتيبي بهذا الأسقف إلى داخل فإن كُتبي معه" ثم أسرع وأدخله. ولما سمع تجديف الهرطقة حسّن برأيه أن يسب

المسيح. لأن الخصيان الواقفين لدى الملك يجتهدون أن يرتدوا ملابسهم الحسنة، لكي يظهروا أكثر ملاحاة من أي أحد. هكذا أيضًا حالي، حيث أجتهد أن احفظ ثوبي الأنيق وردائي البهي للوقت الذي سألتقي فيه بمن تحبهما نفسي، أي يوحنا

[٣٤] المعمدان وأليشع النبي". ولما قال هذا تعجبنا من كلامه الحلو. وبعد هذا، لما أدخلونا إلى الملك، أعاق الحجاب أنبا مكاريوس، ولم يسمحوا له بالدخول معنا إلى بهو الملك. هذا هو الدفاع الذي قاله في ذلك الوقت: "الخيط المثلث لا ينقطع سريعًا. أن كنتم لم تدعوني أدخل، هو ذا ثلاثة من إيارشيتي قد دخلوا ومعهم يقين الإيمان بثبات أكثر من كل الأساقفة". أما أنا، فلما تلفت ولم أجد أنبا مكاريوس يتبعني، صرت كما لو أن لساني قد ترك عند الباب، بل رأسي. وفي الحال عُدت ورأيت أحد الكتبة واقفًا، فقلت له: "اصنع معروفًا، ودع هذا الأسقف من أتباعي يدخل؛ لأن معه كُتبي تخصني". وهكذا تركوه يدخل. ولما سمع التجاديف التي يقولها نسطور،

أراد في تلك اللحظة أن يوبخ الملك  
وأن يحرمه،

[٣٥] لكنه لم يجد أحداً يترجم له،  
حيث كان الموت عنده شهياً، مثل  
واحد يُدعى إلى وليمة عرس. لأنه كان قد وضع في قلبه أنه إذا مات  
من أجل الإيمان بابن الله، فهو له  
بالخري استشهاد. اسمعوا، وأنا أعلمكم  
بقصة ما حدث بالتمام بعد أن نُفينا  
إلى هذه الجزيرة. لقد أخبرنا رجالاً من  
خاصتنا، ممن يوثق بهم من جهة الحق،  
بما حدث قائلين: ”في الوقت الذي  
أنفض فيه مجمع محاربي الروح، أي  
الخلقدونيين، وقف مجمع الأرثوذكسيين  
في كل مدينة ومجمع الأديرة في كل  
مكان ضد الأساقفة الذين وقعوا على  
الطومس الحقيق، ولم يدعوهم يدخلون  
إلى مدنتهم مرة أخرى“. أما أهل  
المدينة المقدسة فوقفوا مقابل  
يوبيناليوس الحقيق، ولم يدعوه يدخل  
إلى صهيون؛ لأنه لم تكن له دالة،

[٣٦] ولم يكن له فيها نصيب،  
ووجهوا له إهانات شديدة قائلين:  
”أيها المخالف يوبيناليوس، لقد  
ذهبت ملائناً وأتيت خاوياً. اطرّدوا  
يهوداً، فليس له نصيب مع المسيح ولا  
مع تلاميذه. لقد ذهب كراع، وأتيت

[٣٥] لكنه لم يتهيأ له إنسان يفسر  
له. لأن الموت كان حلواً عنده كإنسان  
يُدعى إلى وليمة عرس. لأنه كان يؤمن  
بقلبه مفكراً إذا قُتلت على أمانة ابن  
الله فهي لي شهادة وأنتم إن كنتم  
ناصتين فاسمعوا ما أقوله لكم من جميع  
القضايا وما قد كان: ”لأنه بعد أن  
نفينا إلى هذه الجزيرة حضر إلينا اقوام  
ثقة جداً وأعلمونا أنه في الوقت الذي  
اطلق الملك المجمع المرذول الذي هو  
مجمع خلقدونيه منعوا مجامع ديارات  
الرهبان الأرثوذكسيين والمؤمنين بكل  
مدينة ولكل أسقف أن يكتب خطه  
في الطومس النجس. ولا يدخل  
مدينته. وأما شعب مدينة أورشليم  
المقدسة فإنهم خرجوا وتلقوا يوناليوس  
أسقفهم المرذول. وحجزوه ولم يتركوه  
يدخل إلى صهيون. ولا يكون له زرع.

[٣٦] فشتموه وقالوا له: ”أيها  
المخالف انطلقت مملوء وعدت فارغاً.  
اطرّدوا يوداس الجديد فليس له شركة  
مع المخلص ولا تلاميذه. ذهب  
راعياً. وأتيت ذئباً. مضيت صياد سمك  
طاهر. وأتيت صياد سمك نجس.



كذُئِب. ذهبت كصيادٍ للناس، وأُتيت كبجعة تصطاد سمكًا ننتا. اطرَدوا هذه البجعة النجسة، لئلا تصطاد السمك الجيد الذي تَطَهَّر في جرن المسيح. اطرَدوا هذا الثعلب الشرير، لئلا يُفسد كرم رب الصابأوت“. فلما سمع يوبيناليوس الشرير هذا، غضب جدًا، وقال لهم: ”ما الذي فعلته لكم حتى تقولوا عليّ كل هذا، وتطرَدوني من كرسي؟“ فقالوا له بواسطة محام اسمه بولس: ”حسنًا تكلمت. قل لنا الحقيقة: بماذا تؤمن؟ هل مثلما كنت معنا قبل أن تمضي إلى المجمع، ام لا؟ هل أفسدت الإيمان وقبلت إيمانًا آخر غريبًا عن المسيح؟ اعترف لنا بالحقيقة. هل أنت مِنَّا أم

[٣٧] من أعدائنا؟“ فقال يوبيناليوس: ”أنا أوّمن مثل آبائي“. فقال له بولس المحامي: ”إذا كان إيمانك مستقيمًا، فلماذا حرمكم ديسقورس؟“ فقال يوبيناليوس: ”لقد دنس ديسقورس الإيمان، فطرَدناه من المجمع، فغضب وحرمنّا“. فقال له بولس: ”حسنًا، إذا كان إيمانكم مستقيمًا، فلماذا لم تحرموه أولاً قبل أن يحرمكم هو؟ لكن تبعًا لما تقولون، فقد

اطرَدوا هذا الصياد الشرير لئلا يصطاد سمك الله الطاهر بالمعمودية المقدسة. ابعَدوا هذا الثعلب الخبيث لئلا يفسد كرم رب الصابأوت“ فلما سمع يوبيناليوس النجس هذا غضب جدًا وقال: ”ماذا أصنع بكم تطرَدوني من كرسي؟!“ فقالوا له برسول: ”حسن قولك لنا عرفنا أمانتك. وما أنت عليه. هل أنت على الأمانة التي كنت عليها قبل مضيك إلى المجمع أم

[٣٧] لا. لأنك وجهت مملوء حياة وحيث مملوء موتًا اعترف لنا أنت من جملتنا أم من جملة أعدائنا الذين يحاربونا؟“ فقال لهم يوبيناليوس: ”أنا أوّمن كأمانة آبائي“. فقال له القائد: ”إن كانت أمانتك مستقيمة فكيف حرمك ديسقورس بطريرك الإسكندرية؟“ فقال يوبيناليوس: ”إن ديسقورس دنس الأمانة فقاومناه في المجمع فغضب علينا وحرمنّا“. فقال له

بولس المقدم: ”حسناً فإن كانت أمانة  
ديسقورس غير موافقة. فلماذا لم  
تحرّموه أنتم أولاً قبل أن يحرمكم هو  
وتنزلوه من على كرسيه. ولكن كما  
دنستم الأمانة هكذا أنتم صرتم عبيداً  
للخطيئة، وأيضاً قال له: ’قل لي شرح  
أمانتك‘. فقال يونايليوس: ’أنا أوّمن  
مثل آبائي‘. فأجابه بولس وقال:  
’حيّ هو الرب المسيح ابن الله ما تجوز  
رجليك من عتبة هذه المدينة البتة. ولا  
تجلس على كرسيك البتة حتى تعرفنا  
شرح أمانتك كيف هي بخط يدك،  
وتقسم بالله ضابط الكل وبحياة الملوك  
من قبل أن تكتب‘.

[٣٨] فقال لهم يونايليوس: ”أنا أوّمن  
بالآب والابن والروح القدس وناسوت  
الرب“. فقال بولس: ”يا أهل  
أورشليم، أغيثوني. قد جدّف هذا  
الكلب، وجعل الثالوث رابعاً،  
جاعلين، جسده أربعة أقسام، مبعثرين  
إياها في أربعة رياح السماء. اطرّدوا  
يهوداً من مدينتنا. لا تدعوا السامري  
يدخل مدينتنا. لا تدعوا الموت يدخل  
من نوافذكم“. وبينما بولس يقول  
هذا، جروا خلف يونايليوس، وتعقبوه،  
ولم يسمحوا له بالدخول إلى المدينة،  
بل لعنوه قائلين: ”اذهب ولا تعد،

بولس المقدم: ”حسناً فإن كانت أمانة  
ديسقورس غير موافقة. فلماذا لم  
تحرّموه أنتم أولاً قبل أن يحرمكم هو  
وتنزلوه من على كرسيه. ولكن كما  
دنستم الأمانة هكذا أنتم صرتم عبيداً  
للخطيئة، وأيضاً قال له: ’قل لي شرح  
أمانتك‘. فقال يونايليوس: ’أنا أوّمن  
مثل آبائي‘. فأجابه بولس وقال:  
’حيّ هو الرب المسيح ابن الله ما تجوز  
رجليك من عتبة هذه المدينة البتة. ولا  
تجلس على كرسيك البتة حتى تعرفنا  
شرح أمانتك كيف هي بخط يدك،  
وتقسم بالله ضابط الكل وبحياة الملوك  
من قبل أن تكتب‘.

[٣٨] فقال لهم يونايليوس: ”أنا أوّمن  
بالآب والابن والروح القدس وإنسانية (تجسد)  
الرب“. فقال له بولس: ’الآن أنا أوّمن  
بالآب والابن والروح القدس ثالوث  
بوحداية‘“. وإن يونايليوس خالف  
وصار خارجاً عن هذا الإقرار. فمن  
أجل هذا اتفق أهل أورشليم وطرّدوا  
هذا الكلب الذي تفلسف. وجعل  
للالوث رابعاً. الرب يجعل جسده  
أربعة اجزاء. ويذريه في أربع رياح  
السماء. أنا العنك يا يونايليوس.  
وصاح جميع أهل المدينة عليه قائلين:

”اطردوا من مدينتنا يوداس ولا تدعوا هذا إلاّ الإسخريوطي يدخل أبوابها“.

ولما قال هذا بولس المقدم وجماعة المؤمنين طردوا يونايليوس من المدينة وابعدوه من الكنيسة. ولم يتركوه بالجملة يتقدم إلى عتبة باب المدينة. ولعنوه قائلين: ”الرب يجعلك تمضي ولا تعود إلينا دفعة أخرى“. وإن ذلك المرذول أكثر من كل إنسان يونايليوس رجع إلى عند الملك بمجرد عظيم واعلمه بالأمر. فأرسل الملك معه قائداً وقال له: ”كل ما يأمر بك به هذا الأسقف يونايليوس افعله“، وأخذ القائد من عند الملك ومعه عسكر عظيم من الجند فلما وصلوا قرب المدينة جلس مع العسكر حتى غابت الشمس فسار الليل جميعه هو والعسكر. وكان ذلك اليوم يوم الأحد. واحد وعشرون طوبه.

[٣٩] ووصلوا إلى المدينة قبل شروق النور ولم يعلم بهم أحداً. وكان الجمع مجتمعاً في بيعة الست السيدة العذراء القديسة مريم التي في حقل يوشافاط. وإن الجند احاطوا بالبيعة. وأما يونايليوس الذي سوف تحرق شيبته في نار جهنم. ثم دخل البيعة بسرعة

أيها النجس“. أما ذلك المخالف يوبيناليوس فمضى على الملك غاضباً. فأرسل الملك معه قائداً للجند (قائلاً له): ”افعل ما يقوله لك الأسقف يوبيناليوس“. أما هو فخرج من عند الملك مع قائد الجند، واتى إلى عند نهر الأردن قبل أن تغرب الشمس، فساروا الليل كله إلى أن وصلوا أورشليم في نهار الحادي والعشرين من طوبه

[٣٩] قبل أن يعرف أحداً. أما المدينة قاطبة فكانوا مجتمعين في (كنيسة) القديسة مريم في وادي يهوشافاط، يحتفلون بالقدس. فحاصر الجنود الكنيسة. أما يوبيناليوس، الذي ستُحرق شيبته في جهنم، فوثب على الكرسي، وصرخ بصوت عظيم:

وجلس على الكرسي. وصرخ قائلاً: "أتتوني ببولس المقدم الذي سبني". وكان الجمع يقولون في تلك الساعة اوشية الثلاث الاقدس التي هي قدوس الله. قدوس القوي. قدوس الذي لا يموت. الذي صلب من أجلنا ارحمنا. وإن بولس المقدم كان معهم في ذلك الوقت. لما سمع المخالف اذ دعاه باسمه وثب في وسط الجمع وجاء إلى قدمه وقال له: "هانذا". فقال ذلك المخالف للجند: "خذوه واقتلوه لأنه شتم راعيه". فأجابه بولس: "من قبل اليوم كنت لي راعياً ومعلماً. والآن صرت لي ذنباً مشقق النفوس ولست الآن معلماً. لكنك محتاجاً لتعليمي وتعليم آخرين". وفيما هو يقول هذا

"أحضروا لي الآن بولس، هذا المذنب الذي أهانني". وكانوا في ذلك الوقت يرتلون الثلاث تقديسات: أجيوس أوثيؤس، أجيوس إسشيروس، أجيوس أثاناطوس، أوإستفروتيس ديماس، إيليسون إيماس، أي: قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الذي لا يموت، الذي صلب عنا، ارحمنا. وكان القديس بولس يرتل هو أيضاً معهم الثلاث تقديسات. فلما سمع الشرير ينطق اسمه، تقدم في الحال. فقال الشرير للجنود: "احملوا هذا واقتلوه؛ لأنه هجا راعيه". فأجاب بولس: "إلى اليوم كنت راعياً، أما الآن فقد صرت ذنباً ممزقاً للنفوس. إلى اليوم كنت معلماً، أما الآن فأنت تحتاج إلى تعليمي وتعليم آخرين". وبينما هو يقول هذا،

[٤٠] طرحوه الجند وجذبوه خارج الكنيسة. وهو يصرخ قائلاً: "أيتها السيدة العذراء أم الحياة لا تتركييني غريباً منك لأنهم يسفكون دمي في وسط بيعتك اليوم. ليكون دمي كدم هابيل على رأس يونايليوس لأنهم يقتلونني ظلماً". وفيما هو يقول هذا قطع الجند رأسه. فصرخ الجمع ولعنوا يونايليوس والملك المخالف مرقيان.

[٤٠] والجنود يلقون به إلى الخارج، صرخ قائلاً: "أيتها العذراء القديسة مريم أم ملك الحياة، لا تتخلي اليوم عني؛ لأنهم سيسفكون دمي امامك. ليصرخ دمي، كدم هابيل، ضد يوبينايليوس؛ لأنهم مزعمون أن يسفكوا دمي ظلماً". وبينما هو يقول هذا، قطع الجنود رأسه. وكان الجمع الذي في الكنيسة يلعن يوبينايليوس والملك

وقالوا: "الرّب يهلكك بروح فيه وبرجز غضبه". فلما سمع يونايلوس هذا من المجمع أمر أن تغلق أبواب البيعة. وتقتل جماعة المؤمنين الأرثوذكسيين فلما ابتدأ أولاً بقتلهم جعلوا يصرخون قائلين: "أيها المتجسد من السيدة العذراء القديسة مريم ارحمنا واقبل نفوسنا إليك وأعينا إلى النفس الأخير يا سيدنا يسوع المسيح لا نزال بك معترفين. وبأيك الصالح وروحك القدوس المحي المساوي. نستشفع بوالدتك العذراء. التي ولدتك وأنت الإله المتأنس.

[٤١] ولم يفترق لاهوتك من ناسوتك طرفة عين، ونحن نحرم يونايلوس وكل من يؤمن بأمانته ونجّده لجحوده". ولما سمع ذلك المخالف المردول هذا غضب جداً وصرخ على الجند قائلاً: "لماذا لم تقتلوا هؤلاء الرجال الذين يسبوني" فيا لعظم جهاد الأرثوذكسيين في تلك الساعة لأنه كان الرجل منهم وأولاده يسبقون أولاً ينالوا جسد ودم ربنا يسوع المسيح، ويقدم أولاده إلى الجند وهو يشجعهم ويقوي قلوبهم فيقتلوهم. ويقول لهم: "يا أولادي الاحباء استعدوا للقتل

المخالف قائلين: "ليهلكك الله بروح غضبه وبلهيب سخطه". فلما سمع يوبينايلوس الشرير هذا والجمع يتفوه به، أمر في الحال أن يغلق الجنود باب الكنيسة ويقتلوا الأرثوذكسيين. فلما بدأوا يقتلوهم، كانوا يصرخون: "يا من اتخذ جسداً في العذراء القديسة مريم، ارحمنا، واقبل إليك نفوسنا، يا رب، ونحن لن نكف عن الاعتراف بك وبأيك الصالح والروح القدس المحيي، ثالث مساوٍ مع امك العذراء التي ولدتك إلهاً وإنساناً،

[٤١] ولاهوتك لم ينفصل عن ناسوتك لحظة واحدة. محروم يوبينايلوس وكل من يعتقد اعتقاده". وفيما كان يوبينايلوس يسمع هذا، توعّد الجنود: "أسرعوا واقتلوهم". يا لكثرة جهاد الأرثوذكسيين في تلك اللحظة: رجل كان قد أحضر أولاده غلي العيد المقدس في الكنيسة، فسلمهم للجنود، فقتلوهم. وكان يشجعهم قائلاً: "يا أبنائي الاحباء، الاحباء استعدوا لتقتلوا قبلنا، وبعد هذا نحن أيضاً، مرسلين إياكم قرباناً أماناً". الرجل وأولاده، الأم وبناتها،

الصديق وصديقه. وباختصار، كانوا كلهم يهرولون نحو الجنود، ويتدافعون بعضهم فوق البعض، راغبين في الاشتراك. وكان الجنود لا يريدون قتلهم. وفي ذلك الوقت كان هناك كاهن (اسمه) سيلاس واقفاً عند المذبح يكمل الصعيذة المقدسة. هذا انفتحت عيناه، ورأى المخلص فوق المذبح المقدس، مع مريم امه وجيشاً من الملائكة، والمخلص

قبلنا. ومن بعدكم نحن أيضاً لأننا إذا أرسلناكم قدامنا قرباناً لله تطيب قلوبنا“. وكانوا الجنود يقتلونهم أولاً. وهم من بعدهم الإنسان وابنه. الرفيق ورفيقه، والأخ وأخيه وعلى الجملة كانوا يسرعون إلى الجنود كلهم وهم متزاحمين ليتقربوا أولاً. وكان الجنود يشفقون عليهم ويتعجبون منهم وهم يسرعون إلى القتل. وكان قس على باب الهيكل في ذلك الوقت اسمه سيلاس هذا انفتحت عيناه العقلتان فرأى الرب يسوع المسيح داخل الهيكل ووالدته السيدة العذراء القديسة. وجمعاً من الملائكة والمخلص

[٤٢] يقول للملائكة: ”خذوا نفوس الشهداء، وأحضروهم إلى المذبح، لكي اعطيهم من جسدي ودمي قبل أن آخذهم معي إلى السموات؛ لأنهم قد اجتمعوا اليوم هنا لأجل هذا الأمر. ها أنا سأعود إلى السموات، إلى عند أبي، مع الذين أحبوني، وأترك مدينتي أورشليم التي قبلت فيها كل آلامي، وأترك لهم بيوتهم خراباً، لأنهم جددوا على لاهوتي. وانت أيضاً، أيها الكاهن القديس، أكمل صعيدتك؛ لأنك أنت ستكون آخر كل هؤلاء. بعدها أنت أيضاً ستموت“. أما

[٤٢] يقول لهم: ”خذوا نفوس هؤلاء القديسين الذين لم يأخذوا جسدي ودمي وقدموهم إلى الهيكل حتى أعطيهم من جسدي ودمي وأصعدهم إلى السموات لأنهم اجتمعوا اليوم لكمال هذا الامر لأني صاعد إلى أبي بالذين أحبوني، وأنا اترك هذه المدينة اورشليم التي قبلت الآلام فيها، وأترك بيوتهم لهم خراباً لأنهم أنكروا لاهوتي. وأما أنت أيها القس كمل صعيدتك لأنك أنت تصعد معي امامهم“. وكان الجنود يقتلون القديسين والذي تكمل شهادته منهم في الأول تقدمه

الملائكة إلى الهيكل أمام الرب فيضع عليه الإكليل كمثل طقوسهم أولاً بأول. حينئذ السيد المخلص يقبلهم. وكانت السيدة العذراء القديسة والدته تقول له: "يا ربي وابني والهي هو ذا قد رفعت لك بخورًا زكيًا على هيكلك في هذا اليوم. المجد

[٤٣] لك ولأبيك الصالح والروح القدس إلى الأبد. آمين". وإن الأب القديس القس سيلاس لما أبصر هذا المنظر سقط على وجهه في تلك الساعة. فأقامه الرب الرحوم محب البشر وأزال الخوف عنه. ولما أكمل الصعيذة كما أمره الرب. تقرَّب هو وباقي الكهنة الذين كانوا معه من السرائر المقدسة. ومن بعد هذا نظروا بعيونهم إلى الهيكل فلم يروا شيئًا باقي من الجسد والدم. فبكوا على باب الهيكل وقالوا: "لعل هذا لأجل عدم استحقاقنا يا رب أخفيت عنا جسدك ودمك لأجل أننا ما أخذنا الشهادة مع إخوتنا أيها الرب لا تخف عنا هذا السر لأننا حزانا من أجل هذا الأمر. أظهره يا رب لنا مادام الجهاد

الجنود فكانوا يقتلون القديسين. والذين ماتوا أولاً، كانت الملائكة تأخذهم إلى أمام المذبح، وتضع الأكاليل على رؤوسهم حسب درجتهم، وكان المخلص يُقبلهم. وكانت العذراء القديسة تقول لابنها: "يا ربي وإلهي وابني، ها ذبحتي قد أصدعتها إليك على مذبحك المقدس في يوم تذكاري الذي رقدت فيه. المجد [٤٣] لك مع أبيك الصالح والروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين" ولما رأى الكاهن هذه (الأمر)، سقط إلى الأرض شبه ميت. وفي الحال أرسل الله الصالح ملاكه، فأقامه، ونزع الخوف منه. ولما أكمل الصعيذة المقدسة كأمر الرب، اجتمع هو أيضًا مع بقية الإكليروس الذي كان يخدم معه، والتفتوا نحو المذبح، فلم يروا شيئًا من جسد الرب فوق المذبح، ولم يجدوا الدم في الكأس، (فقالوا): "من أجل عدم استحقاقنا قد أخفيت عنا جسدك ودمك المقدسين؛ لأننا لم نستشهد مع إخوتنا المعترفين. أيها الإله الصالح، لا تخف عنا هذا الأمر، بل أخبرنا، لأن الجهاد موضوع والميدان مُعد". وبينما هم يقولون

موضوعاً“. وبينما هم يقولون هذا. وإذا ملاك الرب قد ظهر داخل الهيكل من بعد ظهوره للقس سيلاس. فقال له بصوت مملوء مخافة ”لماذا

[٤٤] لكم أفكار كثيرة في قلوبكم؟ فصلاته مقبولة فلا تخافوا. أليس الذي قسمته من الجسد المقدس هو حد الكفاف للشعب المؤمن الذي اجتمع اليوم لينالوا منه. وقد قُتلوا قبل أن ينالوا الجسد. وقد كانت نفوسهم تخرج وهي باكية بسبب أنهم لم ينالوا أولاً من الرب ورائحة الطيب. أعني جسده ودمه المقدس في افواههم. فلا يتركهم المخلص من أجل هذا الأمر بل قد أعطاهم جسده ودمه المقدس من قبل أن يصعدوا معه إلى السماء. ومن أجل هذا أنتم لم تجدوا جسد الرب على المذبح ولا دمه الكريم في الكاسات لأن الشهداء القديسين قد تناولوه بعد قتلهم“. فلما سمعوا هذا طابت قلوبهم أن المقتولين قد نالوا إكليل الشهادة وتناولوا جسد ربنا يسوع المسيح ودمه الكريم. وإن ذلك المنافق لما سمعهم يقولون تمام القداس أعني القس والكهنة نزل من على الكرسي ودخل الهيكل بغضب عظيم. وقال: ”لماذا لم تعلموني حتى أحيى

هذا، هو ذا قد ظهر لهم ملاك الرب على المذبح، وقال لهم بصوت مفعٍ بالوعيد: ”ما بالكم تلحّون في صلاتكم؟ ألم

[٤٤] تكسروا خبزاً لجموع الأرثوذكسين الواثقين ليتناولوا قبل أن يمضوا إلى الرب، وقد قُتلوا قبل أن ينالوا من هذه (الذبيحة) في الجسد؟ وبينما كانت نفوسهم خارجة من الجسد، كانوا ييكون؛ لأنهم لم يتناولوا من جسد المسيح. لكن المخلص لم يتركهم يحزون لهذا السبب، بل أعطاهم من جسده ودمه المقدسين قبل أن يؤخذوا عنده إلى السماء. لهذا لم تجدوا الجسد على المائدة ولا الدم في الكأس؛ لأن الذين قُتلوا قد تناولوا كلهم“. فلما سمعوا هذا، تيقنوا من جهة الذين قُتلوا أنهم نالوا إكليلاً مكرماً، لأنهم قتلوا في ذلك اليوم خمسة آلاف نفس. وهكذا رتلوا التمجيد. أما يوبينا يوس، فلما سمع الإكليروس يرتلون التمجيد، وثب من على الكرسي، وأتى إلى المذبح بكرباء عظيم، وقال للإكليروس: ”لماذا لم تخبروني، لكي آتي وأناولكم؟ لكنكم تناولتم بدون أسقفكم“. فقال له القديس سيلاس:



وأرفع القربان وأنا أبوكم الأسقف كالقسطس“. فقال له القس سيلاس القديس:

[٤٥] ”من أجل أنك لم تكن متفرغاً أنت تسفك في دماء الصديقين وتريد تقربنا أنت محروم أيها المخالف الشرير، ومحروم كل من يتقرب منك، ومحروم كل من يقول لك سلام في هذا الدهر وفي الآتي“. فقال له يونايليوس: ”يا سيلاس أنت المستحق هذا الحرم لأنك تجاسرت أن تهيج الكهنة على أسقفك، وأنت تحرمي لأنه مكتوب لا تقول شراً على رئيس شعبك“. فقال له القس سيلاس: ”أيها المخالف ما اتقيت الله، ولا أكرمت الذين أنت أسقف عليهم بل خالفت الأمانة، وأنت كنت منادياً لها من قبل هذا الزمان. أما تذكر ذلك الوقت عندما حبسكما قائد الملك أنت والقديس كيرلس

[٤٥] ”لقد كنت مشغولاً للتو بسفك دم القديسين، ثم تقول: أنا أناولكم؟ محروم أنت، أيها المخالف، ومحروم من سيُسلم عليك، ومحروم من سيحتفل معك بالقداس في هذا الدهر وفي الآتي“. فقال له يونايليوس: ”أيها السيد سيلاس، أنت هو من يستحق أن يبقى تحت كل حرم؛ لأنك أقلقت أسقفك، وأنت الذي تحرمي؟ لأنه مكتوب: رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً“. فقال له القديس سيلاس: ”مكتوب أيضاً: أكرم الله والملك. ألم تستح من الله وتحشه؟ لكنك حدثت عن إيمانه. ألم أعرف تعديك وقت أن أتيت معك إلى أفسس؟ لولا القديس كيرلس، رئيس أساقفة الإسكندرية، لكنت حينها خالفت الإيمان بالفعل. وهل أنسى عندما هددكم

[٤٦] وكان الموضع مظلماً و القديس كيرلس إلى جانبك جالس، ولم تعلم به من أجل ظلمة المكان. فأخذت أن تتكلم مع ذاتك لوهمك أن ليس هناك

[٤٦] القائد كانديدانوس، وقد حُيستم داخل المخزن وقد افرغوه من القمح، وكان ذلك المخزن معتمًا. وكان البطريك كيرلس نفسه جالساً

أحدًا سواك. وقلت ما هو هذا الامر العظيم؛ حتى يجسوني ويفضحوا غبطة البطريك نسطور؟! وأنا اعرفه أكثر من كل أحد“. فجاوبك القديس كيرلس بطريك مدينة الإسكندرية اذ كان جالسًا عن يمينك. وقال لك: ”أن الشيطان قد وجد فيك مكان راحة أيها الأسقف لماذا تشك وتضجر من أجل حبسنا وتعظم ذلك المردول نسطور هذا، ولم تحضر في مجلس حكم الأمانة ولا حضرت قدام الملوك مثل آبائنا الرسل، ولا القونا في المقدس ليطرحونا إلى أسفل مثل

جوارك، ولم تعرف بسبب الظلمة. ولكنك شككت، واعتقدت أن البطريك كيرلس لا يسمعك وأنت تقول: ”ماذا أفعل الآن وهم يجسوني ويهينون فكري؟ حتى لو أيدتني ربة من البشر، فالبطريك نسطور يعرف أشياء كثيرة حسنة أكثر من أي أحد“. وفي الحال وثب القديس كيرلس إلى جوارك وقال لك: ”أيها الأب يوبيناليوس [...] قد وجد الشيطان فيك مسكنًا. لماذا شككت؟ لأنهم حبسوك ولم تقاسي بعد لظمة واحدة من أجل الإيمان. لو كنت أخذت لساعة القضاء مثل آبائنا الرسل، لو مشوا بك ليلقوك من على جناح الهيكل مثل

[٤٧] أينما يعقوب أخو الرب؛ أنا أقول لك لو أنك عاينت العصي بأيدي اليهود في الوقت الذي كانوا يطردونه لكنك تقول أنني لست اعرف المسيح قط. ما حملوك صليبه مثل سمعان ابن كلوبا ولا رأيت مسامير يضربون في جسدك مثل ذاك فلو فعل بعض هذا بك كنت تقول لاتريانونس الملك أنا احمل وية لبنان لأصنامك. ولو عذبوك كمثلي يهوذا الذي هو قرياقوس لكنك تمسك الأصنام وتقبلها

[٤٧] يعقوب أخو الرب، لو كنت رأيت الهراوة في يد القصار وهي تنزل على رأسك مثل ذاك، لكن تقول: لم أر يسوع قط. لو كانوا ثبتوا عليك صليبا مثل يعقوب بن كلوبا، لو كنت رأيت المسامير التي سمروها فيه مثل ذاك، لكنك تقول: سوف أبخر لأوثانك. لو كانوا عذبوك مثل يهوذا المدعو كريكوس، لكنك بالتأكيد أمسكت الأوثان وقبلت فمها“. أليست هذه هي التوبيخات التي

بسرعة“، أليس هذا الكلام المبكت لك ما قاله القديس كيرلس الطوباني بطريرك مدينة الإسكندرية قدام الأساقفة. ولم تحفظ حرفًا واحدًا منه. ولولا أن القديس كلستينوس أرسلك إلى المجمع كرهًا لكنت قد قُطعت مثل نسطور. ألم يكن القديس أنبا شنوده رئيس المتوحدين بمصر ولمدينتنا كلها أراد أن يقطعك في المجمع.

[٤٨] حتى سأله القديس كيرلس أن لا يفعل هذا. وقال القديس أنبا شنوده في المجمع علانية: ”أيها الآباء الأرثوذكسيين إن مكرًا عظيمًا مخفيًا في قلب هذا الأسقف فافتروا منه؛ لأنه ليس بمستقيم في أفكاره“. فلما سمع يوناليوس المخالف غضب جدًا. وقال للقس سيلاس القديس بغضب عظيم: ”كلمتك كلمة واحدة وهي لم لا تمهلتم لي قليلًا حتى أحضر أرفع القربان وأقربكم. قلت لي هذا الكلام كله في وجهي الذي لا يقدر العالم أن يحتمله. وحق الكرسي الذي أنا جالس عليه أي سوف أصنع بك كقدر استحقاقك لأنك اهنت أسقفك“. ثم أمر ذلك المخالف للأجناد يأتون بجبل ويربطوه في رجليه. ويوثقوه في رؤوس

وبخك بها المثلث الطوبى، رئيس الأساقفة كيرلس، أمام الأساقفة التابعين لكركسيك؟ لم تشابه واحدًا منهم. ولولا أن القديس كلستينوس هو الذي أرسلك إلى المجمع نيابة عنه، لكنت بالفعل قد نلت حرملك منذ ذلك الحين مثل نسطور الشرير. ألم يأت القديس أنبا شنوده من المقاطعة البرية بمصر ليحرملك،

[٤٨] لولا أن القديس كيرلس منعه؟ ألم يصرخ لكل الأساقفة قائلاً: ”أيها الآباء القديسون، هناك مرارة في قلب هذا الأخ الأسقف، فافتروا منه؛ لأنه ليس مستقيمًا في أفكاره؟“ فلما سمع يوناليوس هذا، غضب جدًا، وقال للقديس سيلاس: ”كلمة واحدة قلتها لك، وهي: لماذا لم تتعوقوا ريثما آتي وأحتفل معكم بالقداس؟ وها أنت قد قلت لي كلامًا كثيرًا لا يقدر العالم كله أن يحتمله. هو ذا قد صرت مثل كيس حداد من جراء ثقل كلماتك. وحق كرسي الذي أنا جالس عليه، سأصنع بك حسب جرأتك، وأعلمك ما (عاقبة) احتقار أسقفك“. وفي الحال أمر أن يقبضوا على القديس سيلاس ويقيدوه من إحدى رجليه في

عمود الهيكل والأخرى في آخر،  
ويتركوه معلّقًا من رأسه. أما القديس  
فاستحلف الجنود بسلامة الملك  
(قائلاً): ”لا تعروني من ثياب خدمتي  
الكهنوتية، بل اتركوها، لكي يسيل  
عليها دمي“.

[٤٩] [...] ولما قال هذا صرخ قائلاً:  
”يا ربي يسوع المسيح ابن العذراء  
القديسة مريم التي نعيد لها اليوم، اقبل  
إليك نفسي، لنهم سيقتلونني ظلمًا“.  
وفي الحال ضربه الجنود على رأسه حتى  
أنقسم من وسطه، وجعلوه جزأين. أما  
بقية الإكليروس فجعل الجنود تحيط  
بهم بالسيوف والفؤوس ويذبحونهم حتى  
يسيل دمهم في الكنيسة مثل ماء إلى  
أن يصل إلى ركب الجنود، لأنهم قتلوا  
في ذلك اليوم خمسة آلاف شخص،  
بالإضافة لبولس الحامي، وسيلاس  
الكاهن، وكل الإكليروس الذي كان  
معه. وحكوا أيضًا أن بعد كل هذا لم  
يتوقف يوبيناليوس الشرير عن جنونه،  
بل ظل على شره

[٥٠] وحدث بعد أن ابتعد الجنود أن  
النساء أتين ليحملن أجساد رجالهن،  
وعذارى جبل الزيتون ليرفعن أجساد  
القديسين. وكانت كل واحدة تقيم  
جسد رجلها، باحثات عن أبنائهن

الأعمدة التي تحت الاراديون ويجعلونه  
معلّقًا. فاستحلف القديس القس  
سيلاس الجند بحياة الملك قائلاً لهم:  
”أنا أسألكم لا تعروني ثياب كهنوتي  
بل اتركوها عليّ. لكي يُسفك دمي  
فيها“.

[٤٩] فتركوه. وصلى هكذا قائلاً:  
”يا سيدي يسوع المسيح ابن الله الحي  
وابن القديسة السيدة العذراء مريم اقبل  
نفسي اليك لأنهم هو ذا يسفكون  
دمي ظلمًا“. وإن الجند ضربوه  
بالسيوف وقسموه نصفين. وبقية  
الكهنة قتلوهم بالسيوف. وفاضت  
دماءهم على الأرض في الكنيسة.  
حتى بلغ إلى حد الركبة. وكان عدد  
الأنفس المقتولين في ذلك اليوم خمسة  
آلاف نفس وبولس المقدم والقس  
سيلاس مقدم القسوس ومن بعد هذا  
لم يتغير المخالف عن قساوته

[٥٠] لأنه لما أراد النساء أن يأخذوا  
اجساد رجالهن الشهداء المقتولين  
القديسين من الكنيسة. وأيضًا جاءت  
العذارى اللواتي في جبل الزيتون لكي  
يصنعن رحمة كل واحدة منهن تحمل

جسد شهيد. وقوم آخرون منهم كانوا يفتشون بين الأجساد عن أجساد آبائهم وأخوتهم. وقوم عن أولادهم لكي يمشوا بهم إلى بيوتهم ويكفونهم. وقوم آخرون عن رجالهن. وإن ذلك المخالف يوناليوس عندما شاهد النساء يصنعن هكذا استحلف الجند. قائلاً: ”خذوا هؤلاء النساء وافعلوا بهم الخطيئة“. وإن الجند فعلوا بهم كما قال. وأما زوجة القس سيلاس مضت مع بنتيها الاثنتين لأنهما كانتا قد كبرتتا وهما العذراءتين. وكن مفكرات كيف نستطيع أن ننزل جسده من التعليق. وكانوا الجند يمسكوا واحدة واحدة من النساء ويصنعوا بهم الخطيئة في المكان الذي تمسك فيه، وإن امرأة القس سيلاس وابنتيها الاثنتين كنَّ يلتفتن هكذا وهكذا ويطلبن موضعاً يختفين فيه. وكانا الاثنان

[٥١] يعتنقان أمهما باكيتين بمرارة. لأجل نظرهما ما يصنع من الجند في الكنيسة. وأنَّ والدتهما رفعت نظرهما إلى السماء وتنهدت لمشاهدتهما هلاك بعلمها. وصرخت قائلة: ”أيها القس القديس سيلاس الذي صار شهيداً على الأمانة الأرثوذكسية المقدسة.

وأزواجهن، وأخذنهم إلى بيوتهن ليدفنهم. أما يوناليوس الذي بلا إله، فلما علم بذلك، أرسل الجنود (قائلاً): ”قوموا تعالوا، اقبضوا على النساء، واضجعوا معهن“. فابتدأ الجنود يمسكون النساء. أما زوجة القديس سيلاس الكاهن فقد مضت هي أيضاً مع ابنتيها العذراءين تريد أن تحمل جسد زوجها، وكن يفكرن كيف سيُنزل جسد القديس. وكان الجنود يقبضون على النساء اللاتي أتين أولاً ويغتصبوهن. فتطلعت زوجة القديس سيلاس الكاهن إلى هذه الناحية وتلك، أين تختبأ مع ابنتيها العذراءتين اللتين بلغتا مرحلة الأنوثة. وكانت الصبيتان الحكيمتان

[٥١] تعانقان أمهما وتحضناها لكي لا تنظرا الظلم الذي يفعلونه بالنساء. أما الأم فرفعت بصرها ورأت هلاك أعضاء زوجها فبكت بمرارة قائلة: ”يا سيدي الكاهن الذي استشهد من أجل الإيمان بالمسيح، ليكن لي هذا علامة أنك أخصيت مع طغمة

لتكون تجعل هذا في بداية صلواتك أن كنت قد أحصيت في مجمع الشهداء والقديسين. ووجدت نعمة أمام الرب وأنا عارفة أنك قد وجدت يا سيدي النعمة لأنهم لم يقتلوك من أجل خطيئة، ولا في حرب؛ بل قتلوك في وسط البيعة على الحق. فاطلب من السيد المسيح الرب فيّ وفي ابنتيك الاثنين ألا يترك هؤلاء المخالين ينجسوننا. ولا يحلوا بتولية ابنتيك. فإنني وحق هذه الشدة المحيطة بي.

الشهداء، وليصر لي هذا باكورة تضمراتك، أن كنت قد وجدت نعمة عند الله. أنا أعرف، يا سيدي، أنك وجدت (نعمة). فأنت لم يوجد فيك نقص، وقد فعلوا بك هذا. ولم تمض إلى الحرب ثم صُرعْتَ، بل قد جاهدت عن الإيمان بآبَن الله. والآن، نجني اليوم، أنا وابنتيك العذراءتين، ولا تتركهم يندسون عفتي، أو أن يصعد آخرون إلى المضجع الذي أنت صعدت عليه. وحق شدي التي تحيط بي الآن، يا سيدي، أني

[٥٢] لم أعرف رجلاً غيرك لصق جسده بجسدي. ولم أنظر إلى أحد أصحابك الكهنة. ولا أنسان البته منذ سُلمت إليك. اذ كنت اغنسطسًا وكنت طائعة لك كمثل الله. وكنت ادعوك يا سيدي. فلا تدع العهد الذي بيني وبينك ينحل. حيّ هو الرب سيدي يسوع المسيح أني اذا ما خلصني الرب اليوم فيّني سأحفظ نفسي طاهرة إلى يوم وفاقي. فلا تترك اعدائي يفرحون بي ويقولون أنهم قد قتلوا القس سيلاس وزنوا الأجناد بزوجه وابنتيه الاثنين. لا يا سيدي لا تدع هذا يكون بي“. فبينما هي تقول هذا اذ نظرت ملاك الرب في شبه

[٥٢] منذ أن خرجت من بطن أُمي، لم يعرفني رجلٌ سواك، ولم أتقطع قط لأحدٍ من زملائك من الإكليروس وأقول أنهم أفضل منك. ومنذ أن رُؤِجتُ لك وأنت قارئ، كنت أهالك وأدعوك يا سيدي، وأطيعك مثل الله. لا تجعل العهد الذي قطعته معك ينحل. حيّ هو المسيح الإله الذي قبلت كل هذه الآلام من أجله، أن نجيتني من هذه الشدة المحيطة بي، سأثبت لك العهد الذي قطعته معك إلى يوم مماتي. لا تجعل الذين يفرحون بسقوطي يقولون: ها هم الجنود قد قتلوا سيلاس واغتصبوا زوجته وابنتيه. حاشا، يا سيدي. لا تجعل هذا

القس سيلاس قد مسك بيديها وايدي  
ابنتيها الاثنتين.

يحدث“. وبينما زوجة سيلاس تتفوه  
بهذا، نظرت بجانب المذبح، ورات  
ملاكين في هيئة جنديين، فأمسكا  
يدها وابنتيها

[٥٣] واخرجهن من وسط الجند. ولم  
يلحقهن شر البتة. ولما جاءت إلى  
بيتها. فصابت جسد زوجها القس  
سيلاس على مضجعه فمجدت الله  
الذي يصنع العجائب مع المؤمنين به.  
ها هو قد شرحنا لكم أيها الاحباء ما  
كان بأورشليم. ونحن نشرح لكم  
أعظم من هذا ما صنعه الله مع  
خائفيه والمؤمنين به. فأما الملك  
المخالف مرقيان أرسل قائد إلى جميع  
الأديرة بمصر ومعه طومس لأؤن  
النجس.

[٥٣] العذراءين، وأخرجاهن من  
وسط الجنود، ولم يصبهن مكروه. ولما  
أتت إلى بيتها، وجدت جسد القديس  
على مضجعه، فمجدت الله الذي  
يُتَوَكَّل عليه. هو ذا قد قصصنا هذا  
بشأن ما حدث في أورشليم، ولنحكي  
بقية القصة ثم نعود إلى تذكارات أنبا  
مكاروريوس، الأسقف القديس، المملوء  
بالفائدة، ونكملة لكم. قال الذين  
الحق في أفواههم حلّو مثل الشهد:  
بعدما حدث هذا في أورشليم، أرسل  
يوبيناليوس، الذي بلا إله والمخالف  
للناموس، ذلك القائد إلى الأديرة  
الموجودة في تخوم أورشليم ومعه طومس  
لاون الشرير، وقد أمره (قائلاً):  
”الدير الذي يخالفك لا تترك فيه  
أنساناً واحداً حياً“. فتفقّدوا تلك  
الأديرة ومعهم الطومس النجس،

[٥٤] وقال له: ”كل رهبان دير لا  
يكتبون بموافقة هذا المجمع. لا تترك فيه  
أنسان حيّ بالجملة“. فلما خرج من  
قدامه جاء إلى تخوم المشرق فوجد دير

[٥٤] بعد ذلك أتوا بأمر الملك  
المخالف غلى مدينة الإسكندرية،  
وذهبوا إلى الأديرة التي في أيناتون،  
وكان المترأس عليهم إغومينوس اسمه

هناك. وكان فيه إيغومانس اسمه لنكينيون فقصده. ونزل على الدير فخرج اليهم الشيخ الايغومانس والإخوة يتبعونه. فلما نظرهم المقدم قال لهم: "مَنْ هو أبوكم؟". فقال لهم الشيخ: "أبونا كلنا هو الله. وأنت اخونا لأنني أنظر النعمة قد حلت عليك أنت والعشرين جنديًا اصحابك". فقال القائد للشيخ: "لا تخدعني بكلامك، الملك مرقيان قد كتب لي هذا الطوموس لكي يكتب كل واحد فيه خطه. (٥٢) ويوافق على الأمانة المكتوبة فيه". فقال له الشيخ القديس لنكينيوس: أي أمانة هي؟

[٥٥] هي أمانة مجمع نيقية الأولى أم الثانية التي لأفسس، إن كان هو طوموس أحد هاتين الاثنتين. فسلمه لي لأكتب فيه بغير تقمقم". فقال له: "ليس هو لهذين المجمعين بل هو المجمع المجتمع في خلقدونيه. المجتمع فيه ستمائة اربعة وثلاثين أسقفًا وأربع بطاركة وكتبوا فيه". فأجابه الشيخ القديس وقال له: "فكرسي الإسكندرية أيضًا كتب فيه فإن كان قد كتب فيه فأعطني حتى أكتب فيه أنا يا ابني بالحقيقة، أن الذي قد ظهر

أنبا لونيغينوس. فأقام الجنود في الأديرة، وأرسلوا إلى الأخوة، فأتوا، وعلى رأسهم الشيخ أنبا لونيغينوس. فلما وصلوا إليهم، قال لهم القائد: "مَنْ هو أبوكم؟" فقال الشيخ أنبا لونيغينوس: "أبونا كلنا هو الله، وأنت أيضًا أخونا وابننا؛ لأنني أرى نعمة الله وقد أشرقت عليك وعلى جنودك". فأجاب القائد: "أيها الشيخ، لا تخدعنا بكلامك التمهيدي، فالملك مرقيان هو الذي أرسلني بعماد الأرثوذكسية الذي وقع عليه العالم كله". فقال القديس أنبا لونيغينوس: "وما هو عماد الأرثوذكسية؟"

[٥٥] هل هو الذي وضع في نيقية أم الذي وضع في أفسس في المرة الثانية؟ أن كانا هذين، فأحضرهما، وأنا أوقع عليهما بدون تذر". فقال القائد: "ليسا هما هذين، بل المجمع المقدس الذي وقع عليه ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفًا". فقال القديس: "وهل وقع كرسي الإسكندرية أيضًا؟ أن كان نعم، فأحضره لأوقع أنا أيضًا". ثم قال له الشيخ: "يا ابني، حي هو الرب أنني لن أخفي عنك شيئًا مما أعلن لأخ منا. هو قال: في وقت قرع



الأخ عندنا فأبني لست أخفيه عنك". فأجابه القائد: "وما هو؟". فقال له الشيخ: "أنه قد نظر عند اجتماعنا إلى الصلاة وإذا أنسان عليه اسكيم بطريك ومعه مفاتيح، وهو يبكي جداً". فقال له الأخ: "لماذا تبكي هكذا يا أبي"، فقال له: "كيف لا أبكي وقد اسموني عظيم الرسل، والذي قد بنيته أنا هُدم بأسره.

[٥٦] والذي غرسه مرقس ابني هو ذا قد ثبت وهو يعطي ثمره إلى هذه الساعة". وفيما هو مفكر في هذه الرؤيا. وأنتم قد أتيتم بهذا الطوموس لتريدوا أن تجعلونا زواناً لكي نلقى في النار. وكان الجنند يقلقون الإخوة الرهبان ويهددونهم أن يكتبوا خطوطهم في الطوموس. وأن الايغومانس القديس قال للقائد: "تمهل بقية هذه الليلة وتبيتوا إلى الغد لتكون ارادة الله". فباتوا خارج الدير. والأب القديس والإخوة قاموا في الصلاة كل الليل بتضرع عظيم للرب أن يرشدهم كما رادته فلما كان الغد خرج اليهم الشيخ والإخوة تابعون له. وقال القائد والأجناد: "حتى متى أنتم تعجلونا أن نكتب؟ تعالوا معنا نشاور

(الأجراس) للاجتماع، رأيت رجلاً مجيئاً، عليه ثياب أسقف، وييده مفاتيح، وهو يبكي. فقال له الأخ: "لماذا تبكي، يا أبي؟ فقال له ذلك: 'وكيف لن أبكي وهم يدعونني هامة الرسل، وهو ذا ما غرسته في العالم كله قد إقتلعت،

[٥٦] وما غرسه مرقس ابني قد تأصل إلى الآن؟" وقال (الأخ): وبعد أن قال هذا، لم اعد أراه. وبينما نحن متفكرون في الرؤيا، دعوتنا أنت فأتينا. وبعد أن سلّمتي الوثيقة، فكرنا أننا إذا وقّعنا عليها، فسوف نصير ممسوكين في الخطيئة ونُلْقَى في جهنم". فقال القائد للجنود: "تحفظوا على هؤلاء الرجال في مساكنهم حتى نرى أن كانوا سيوقعون أم لا". ففضى القديس أنبا لونيخيوس تلك الليلة كلها واقفاً يصلي إلى الله. وفي صباح الغد تكلم القديس مع (القائد): "إلى متى تتحفظون علينا في القلاي. قم، ولنسأل الإخوة كبار الدير. فإذا وقعوا، وقعنا نحن أيضاً. وإن لم يوقعوا، فلن نوقع نحن أيضاً، بل سنخرج ونظل في الحبس

كما نحن“.

أبھات الدير شیوخنا فی هذا الأمر فإن  
كتبوا كتبنا نحن أيضًا، وإذا لم يكتبوا  
فنحن أيضًا لا نكتب ومهما أردتم  
فافعلوه“. فأجاب القائد قائلاً:  
”حسنًا قلت“.

[٥٧] فذهب القائد وتبع القديس  
ومعه جنوده. أما الإخوة فحذروا  
الشيخ قائلين: ”يا أبانا، لا يوجد  
أحد من الإخوة في الدير سوانا. لا  
تكذب على الجنود فيقتلوننا“. أما  
الشيخ القديس، الذي خيوط شعر  
رأسه تشبه أشجار الفردوس، فقال  
لهم: ”اصمتوا واتبعوني، والله قادر أن  
يصنع عجائب كثيرة“. وكان كثير من  
الإخوة يلومونه قائلين: ”قد غاب  
عقل هذا الشيخ“. ولما وصلوا إلى  
المقابر التي فيها عظام الذين رقدوا،  
قال الشيخ للقائد: ”هات الوثيقة التي  
قلت بشأنها: وقعوا عليها“. أما هو  
فأعطاهما له، معتقداً أنه يوجد أناس  
آخرون داخل المقابر. فصرخ القديس  
داخل المقابر قائلاً: ”يا آبائي محبي الله  
الذين رقدوا في الإيمان الأرثوذكسي،  
هل تأمروني لأوقع

[٥٧] فذهب القائد والجند مع ذلك  
القديس. فقال الإخوة للشيخ: ”من  
في الدير سوانا فلا تسخر بالقوم لئلا  
يقتلوننا“. فقال الشيخ الذي شيبته  
شبية شجر الفردوس للإخوة: ”امشوا  
واسكتوا فإن الله له القدرة أن يصنع  
هذه الأعجوبة العظيمة“. فقال قوم  
منهم: ”الشيخ قد ضل عقله“. فأما  
الشيخ كان عارفاً ما فكروا فيه وما الله  
عتيد أن يصنعه فلما دخل القائد  
والأجناد إلى الدير والشيخ مضى بهم  
إلى مقبرة أجساد الآباء الشيوخ أبھات  
الدير، وفتح باب الطافوس<sup>١٠٦</sup>. وقال  
للقائد: ”أعطني هذا الطوموس الذي  
معلك حتى ابصر إن كان هؤلاء  
الشيوخ يكتبوا أم لا“، فسلمه القائد  
له وكان القائد يظن أن داخل ذلك  
المكان أناس أحياء فبسط القديس  
الإيغومانس أنبا لنكينوس يده  
بالتوموس إلى داخل الطافوس وصرخ

<sup>١٠٦</sup> كلمة يونانية تعني مقبرة وهي خاصة بالآباء الرهبان.

بصوت عظيم وقال: ”يا ساداتي الآباء القديسين الذين رقدوا في الأمانة المستقيمة بالرب هل أنتم تريدون أن تكتبوا في هذا الطوموس الذي خلقدونيهِ؟

[٥٨] إن كنتم تريدون أن تكتبوا فاكتبوا أنتم أولاً وازيلوا عنا اللائمة، ولا تقولوا أنكم قد رقدتم واسترحتم حيّ هو الرب اذ لم تجاوبوني بلا أو نعم فإني آخذ عظامكم واطرحها خارجاً عن هذا الدير. بل قولوا اليّ بإيجاز، وهكذا بسرعة صرخت العظام من داخل الطافوس بصوت عظيم مخوف جداً قائلين: ”محروم هو جمع خلقدونيهِ، ومحروم كل مَنْ يقبله ويتقرب منهم ومحروم كل من يقول لهم سلام. ومحروم كل من يقسم عمانوئيل إلى طبيعتين ومشيئتين من بعد الاتحاد، ومحروم كل من يقول أن السيدة العذراء ولدت إنساناً، وكل إنسان لا يقيم في الأمانة المستقيمة يكون في الهلاك دائماً.

[٥٩] يا قديس لنكينوس اطرح هذا الطوموس من يدك لئلا ينحسك واخرجه عنا لئلا ينحسنا“. فلما سمع القائد والجند هذا تعجبوا ونالهم خوفاً

[٥٨] على طوموس لاون؟ عن كان نعم، فخذوه أنتم أولاً ووقعوا عليه، وارفعوا عنا الدينونة. لا تقولوا: ”قد رقدنا وارتحنا“. صدقوني، أن لم تجاوبنا عظامكم، فسوف آخذ عظامكم، وألقي بها من هنا، وأتركها في مكان قفر. أن كنتم تريدون أن تبقوا في أماكنكم، فأخبرونا بالأمر علانية“. وفي الحال صرخت عظام القديسين، كما من فم واحد، قائلين: ”محروم جمع خلقدونيهِ. محروم من يجتمع معهم. محروم من يقول لهم سلام. محروم من يقسم عمانوئيل إلى طبيعتين أو شكلين. محرومة كل هرطقة كفرية. محروم من يقول أن مريم ليست والدة الإله. كل شخص يؤمن هكذا يكون مسكنه بئر الهاوية.

[٥٩] لونجينوس، لونجينوس، ألق تلك الوثيقة التي بيدك، ولا تنحس نفسك وتنحسنا“. فلما سمع القائد والجند هذا، خافوا جداً. فقال لهم أنبا

وفزع عظيم. فقال القديس للجند: "اسمعهم هذه الاصوات التي تصرخ عليّ فالآن اصنعوا بنا كما تريدون". وانهم خافوا خوفاً عظيماً قائلين: "حيّ هو الرب يا سيدنا الأب أنه ليس بقي واحداً منا يخرج من باب هذا الدير بل نموت كلنا ههنا فالآن يا أبانا أعنّا وريحنا وصيرنا رهباناً حيّ هو الرب أنه لا يبقى شعر واحد منا إلى وقت نصف هذا النهار". وكان اسم القائد نسطوريوس الذي تأويله إطراكيندس وهذا بدأ وتناول سيفه وقطع به شعر رأسه. فلما نظر الشيخ محبة قلبه ورغبته في الرهبنة احضر

المقص

[٦٠] وقص شعر باقي الإخوة الأجناد الذين معه وجعلهم رهباناً وصاروا في الدير إلى يوم وفاتهم. وإن هذا القائد نسطوريوس الذي يدعى اطرابيندس كما ابتدأت وقلت أظن أنه كان في الزمان الذي فيه مضى أبي كيرلس وأبينا بقطر رئيس المتوحدين إلى مدينة القسطنطينية لكي يشاور الملك في أمر ويباركوا عليه. وكنت أنا معهما إذ كنت كاتباً لأبي في ذلك الزمان من قبل أن يكرزوني شماساً وأن اطرابيندس هذا الذي تكلمنا عنه كان

لونجينوس بجسارة عظيمة: "ألم تسمعوا هذه الأصوات الصارخة؟" أما هم فقالوا له: "يا أبانا، حيّ هو الله الذي تعبد، لن يغادر أحد منا العشرين باب هذا الدير، بل سنموت هنا عندك. أسرع، يا أبانا واجعلنا رهباناً حيّ هو الله، لن تبقى شعرة واحدة على رؤوسنا للحظة أخرى". ثم اخرج نسطور، الذي يدعى أندراجيتس، سلاحه من غمده، وحلق به شعر رأسه. فلما رأهم أنبا لونجينوس هكذا، جعلهم يحضرون لهم مقصاً،

[٦٠] ووقع على رؤوس الآخرين، وصيرهم رهباناً. وظلوا في الدير، متيقظين لنفوسهم حتى يوم موتهم. أما نسطور، الذي - كما سبق وقلت - يدعى أندراجيتس، فحدث في ذلك الزمان أن دعي أبي كيرلس وأنبا بقطر الأرشمندريت، بواسطة الملك المحب للإله ثيودوسيوس الصغير. ليذهبا إلى مدينة القسطنطينية وبياركاه. وكنت أنا أيضاً معهما، أنا وبطرس. وكنت في ذلك الوقت كاتباً صغيراً، ولم أكن قد رسمت بعد شماساً. والآن، أندراجاتيس

حاجبًا للملك تاوضوسيوس الصغير: وكان عند قيام البربر على الملك خرج لمحاربتهم. وكان في البربر رجل شجاع جبار عظيم الخلقة. وهذا المذكور لما استضعف العسكر برز ذلك الجبار البربري وجعل قصده الملك وحمل عليه ليطعنه ويقتله. فرماه بسهم نشاب

هذا كان سايسًا عند ثيودوسيوس الصغير. وحدث لما قام البربر، الذين يسموهم العرب، على الملك، أن الملك تمنطق وخرج للحرب ضدهم. وكان هناك واحد قويّ جدًا من البربر. هذا أنفصل من وسط حشود البربر كلها، وتبع الملك ليسقطه، ورشقه بسهم،

[٦١] فوثب هذا الحاجب نسطوريوس ومد طارقه والتقى فيها السهم عن الملك. فلما ابصر الملك ذلك البربري طالبًا له وأتيًا عليه عمدًا. ارتاع منه وهرب من قدمه. وشهد أناس ثقات عنه أنه شق جميع عسكر الروم. وهو يجري خلف الملك لكل موضع يتجه اليه. من أجل غلاظة طبعه وقساوة قلبه. وكان اتكال الملك تاوضوسيوس على الله. وإن نسطوريوس الحاجب هذا لم يكن يفارق الملك في تلك الشدة عندما شاهد أن ذلك البربري لا يرجع عنه. لكنه يركض وراءه بشدة باسه فمسك قنطارته بشجاعة والتفت إلى البربري وابعده عن الملك وطعنه في جنبه. وأخرج القنطارته من ظهره. وشهد مَنْ أبصر هذا أنه عندما كانت القنطارته

[٦١] أي بالرمح الذي يُلقى مثل السهام. حينئذ مد ذلك السايس ترسه ليساعد الملك. أما الملك فلما رأى البربري آتيًا نحوه متسلحًا، تراجع نحو الحشود. وشهد لنا أن ذلك البربري اخترق كل حشود الروم، ساعيًا خلف الملك في حنق. أما ثيودوسيوس فكان رجاؤه في الله القادر أن ينجيه في القتال. وكان نسطور السايس لصيقًا بالملك. فما أن رأى الملك والبربري قادمًا نحوه في عنفٍ حتى أمسك رحمه بقوة فائقة، وسدده نحو البربري بقوة عظيمة، فأصابه في الطحال في بطنه. والذين رأوا، شهدوا لنا أن الرمح التصق ببطن البربري، ولم يكف عن مطاردة الملك لمدة نصف ساعة، إلى أن سقط ومات في الحال. وهكذا أنتصر في الحرب ببسالة، وهكذا

في جنبه أقام ساعتين وهو يجري خلف الملك. فبعد هذا وقع ومات. حيثئذ تقوى عسكر الروم على البربر وكسروهم. ولما رجع الملك من الحرب رفع شأن هذا الحاجب نسطوريوس في المملكة وفي القصر.

[٦٢] وقال: "أن هذا نسطور يوس الحاجب مستحق أن يلقب باطراكيندس". وأيضاً من بعد نفى المخالف نسطور ارذل اكالينوس الذي من قيسارية ولم يرذل على أنه هرطوقي بل لأنه لم يسمع لهم لأن السنودس كان قد أرسل خلفه لكي يأتي هو وستة أساقفة معه فلم يسمع لهم. أن يحضر ولا اجتمع معهم لمحاربة نسطور. لأنه كان من قسمته ومن جملة كرسية. وفي تلك الساعة كتبوا اليه قائلين: "قل لنا أمانتك"، لئلا يكون نسطور قد جذبك معه إلى الهلاك. وانه كتب لهم شرح أمانته فلم يجدوا فيها نقص ولا تجديد. فكتبوا اليه وهم يفرزونه عن كرسية. وقالوا له هكذا: "أن المائتان أسقف يكتبون بأمر بطركنا المغبوط أنبا كيرلس بطريك كرسى الإسكندرية اكالينوس القيساري لم نفرزك كمثّل هرطوقي. بل مثل غير سامع.

[٦٢] عند باب القصر: "هذا هو نسطوريوس أندراجاتيس (الشجاع)" وبعد هذا عندما حلّ مجمع (أفسس)، وحرّم نسطور الشرير، وحرّم أكاكينوس (أسقف) قيصرية الجديدة. ولم يحرم كهرطوقي، بل كعاص؛ لأنه دعي لجمع المائتين وستة عشر أسقفًا بواسطة رسائلهم، ولم يرد أن يذهب، لئلا يقاوم نسطور، لأنه كان تابعًا لكُرسية. أما هم فكتبوا إليه: "هل تؤمن هكذا؟ هل جذبك نسطور حقًا معه كلية إلى الهلاك" وفي الحال كتب لنا قانون الإيمان كاملاً، فلم نجد فيه خطأً واحداً، بل كان مثل الذي لنا تماماً. وفي الحال كتبوا لنا حرمه هكذا: "المائتان والستة عشر أسقفًا يكتبون بواسطة رئيس الأساقفة كيرلس إلى أكاكينوس صاحب قيصرية الجديدة: لقد حرّمناك، ولكن ليس كهرطوقي بل كعاص".

[٦٣] فلا تضع يدك على أحد لترسمه كاهنًا ولا تلبس كمثّل أسقف ولا تركز شيء كمثّل أسقف فإن كان الله يريدك وليس فيك شيء من الغش. فإنه لا يبقى بروس الذي كرزناه مكانك فيموت وتبقى أنت كما أنت على كرسيك“. فلما كان بعد قليل سمع الله دعا اكالينوس وتنيح بروس من قبل أن تنقضي أربع سنين. ودعا اكالينوس شعبه كما كان أولاً. ولنبتدئ الآن بذكر ماضيينا إلى القسطنطينية المدينة من أجل الملك المحب لله تاوضوسيوس. ظهر ملاك الرب لأبي كيرلس وقال له: ”لا تدخل من باب القصر لأن اسم عدو الله مكتوب على هذه الصورة الممثلة عليه الذي هو نسطور

[٦٣] ورسموا آخر، وأرسلوه. وكان اسمه فيرموس. ثم كتبوا: ”ليس لك أن ترسم أحدًا من الناس ما دام فيرموس الذي رسمناه على قيد الحياة، وليس لك أن تعظ الشعب كأسقف. وإن كان الله يريدك، وليس فيك شر، فسوف يفتقد الله فيرموس ويموت، وتبقى أنت على كرسيك كسابق عهدك“ وبدون إبطاء استجاب الله لدموع أكاكيوس، فمات فيرموس قبل أن يكمل عامًا، وعاد أكاكيوس على مكانه، وجلس على كرسيه. وبعد هذا، فلنعاود الحديث عن الوقت الذي دُعينا فيه إلى الجمع في مدينة القسطنطينية بواسطة الملك المحب للإله ثيودوسيوس. ولما كنا عائدین إلى الجمع، هو ذا قد ظهر ملاك من عند الرب لأبي كيرلس في الطريق قائلاً له: ”لا تدخل القصر واسم عدو الله نسطوريوس على هذه الصورة. لكن

[٦٤] وإذا ما ازالوها أدخل وبارك على الملك وامنع هذا الأسم أن لا يذكر إلى الأبد“. وصعد الملاك عنه إلى السماء. ولما اعلّموا الملك بوصول أبي البطريك كيرلس خرج من المدينة ليتلقاه وعند اجتماعه به بدأ يُقبل

[٦٤] إذا مُحي، فادخل وبارك الملك، وامنع أن يسمى أحد بهذا الأسم إلى الأبد“. ثم ذهب عنه الملاك. ولما أعلّم الملك من الأساقفة (عن وصولنا)، قام وخرج من المدينة بفرح، وحيا أبي كيرلس وبقية الأساقفة الذين

يديه هو وبقية الأساقفة الذين معه. وإن أصحاب نسطور هربوا واختفوا ولم يظهروا البتة في المدينة. وكان أهل المملكة خواص الملك من الامراء واصحاب الرتب واهل المدينة لم يكفوا من تقبيل يدي أبي كيرلس بطريك الإسكندرية ويسجدون له. حتى قرب إلى باب القصر. فحركه الروح القدس قائلاً: "أرفع نظرك إلى علو الباب وتميز هذه الصورة وما المكتوب عليها" فرفع نظره فرأى اسم هذا الحاجب نسطوريوس الذي هو اطراكيندس. وفي تلك الساعة وقف أبي ولم يمشي فقال له: "الملك امش بنا يا أبنينا

لندخل القصر

[٦٥] لأن بيت المملكة مشتهية لبركتك" وإن أبنينا بقطر رئيس المتوحدين وأبنا دلماديوس كانا يسألان أبي البطريك أن يدخل إلى القصر وهو حلف قائلاً: "حي هو الرب يسوع المسيح سيدي أبي لا أدخل حتى تنزعوا اسم نسطوريوس من على الارض". والتفت إلى الملك وقال له: "انتظر هذه الصورة ماذا مكتوب عليها". فأمر الملك أن يمحي اسم نسطور ويكتب اطراكيندس. ثم أمر أن يُنادى في المدينة كل من يسمى ابنه

معه باتضاع عظيم. أما أتباع نسطور فهربوا واختبأوا، ولم يقدروا أن يظهروا في المدينة. وكان اهل المدينة كلها يتباركون من أبي إلى أن أتوا إلى باب القصر. حينئذ حرك روح الله أبي كيرلس قائلاً: "يا رئيس الأساقفة، أنظر هذه الصورة، وأبصر ما المكتوب عليها". فلما نظر ورأى السائس مرسومًا، ومكتوبًا فوقه: "هذا هو نسطور الشجاع"، وقف أبي في الحال، ولم يسر إلى للأمام مثل من بلغ دم عزازيل. فقال له الملك: "ادخل، يا أبي،

[٦٥] إلى القصر حتى يتمتع بيت مملكتي ببركتك". وكان أبنا بقطر الأرشمندريت وأبنا دلماتيوس يسيران مع الملك، وكانا يستحثان أبي ويجذبانه نحو القصر. أما هو فأقسم قائلاً: "حي هو الرب أنني لن أدخل هذا المكان ما لم يُمحي ذلك الاسم، أي نسطور، من على الأرض". وقال للملك: "انظر وأبصر ما المكتوب على هذه الصورة". فجعلهم الملك يمحون اسم نسطور، ودعاه أندراجاتيس (الشجاع)، وأمر ألا



من الآن باسم نسطور يكون مستحق الموت. ومن ذلك اليوم كانوا يسموا هذا الحاجب بذلك.

[٦٦] الأسم لأنه كان معروفًا بالشجاعة. وهو ذا قد اعلمناكم لأي سبب اسموه أنطراكيدس. وكنت أحب اعلمكم من أجل كمال القديس الايغومانس أنبا لنكينيوس إلا أن الأمر يصعب عليّ. لأن تذكّار القديس العظيم أنبا مقاره الأسقف كمثل النار المشتعلة داخلي. وهؤلاء الجميع الذين قد ذكرتهم صاروا شهداء على اسم السيد المسيح والأمانة الأرثوذكسية. وأيضًا أنبا مقاره الذي نتكلم نحن من أجله صار هو أيضًا شهيدًا. فلنبتدئ الآن ونذكر الوقت الذي دخلوا بنا فيه إلى الملك مرقيان. أنه عندما دخلنا جلسنا. وكان هناك مرسيلاووس الذي من افسس. ويوناليوس

[٦٧] الذي من اورشليم. وانبا دوليوس الذي من القسطنطينية. وأنا

يُسمى أحدٌ من المسيحيين ابنه بهذا الأسم. ومنذ ذلك اليوم أصبح السائس يُنادى باسم أندراجاتيس. ولم يتمكنوا من أن يرقوه في رُتب القصر؛ لانه كان عنيقًا، ودعوه

[٦٦] قائّدًا، لكنه كان ذا سلطة أكبر من رتبته؛ لأنه كان باسلاً. هو ذا قد اخبرتكم لأي سبب كان يُدعى بهذا الاسم. لأن ذلك قد استبسل أيضًا في السماء عندما قتل من أجل الإيمان الأرثوذكسي. وكنت أريد أن أخبركم كيف جاهد ذلك (الإنسان) مع أنبا لونجينوس، ولكن تذكّار أنبا مكاريوس المفعم بالفائدة ألزمني الآن وهو كنارٍ تشتعل في عظامي وتنهش أحشائي. وهذا كله قد اخبرتكم به، يا إخوتي، واعلمتكم أن كل الذين ماتوا من أجل الإيمان الأرثوذكسي هم أيضًا شهداء. كذلك أنبا مكاريوس الذي تكلمنا عنه هو بار ومختار في الشهداء. فلنعد الآن إلى الوقت الذي أخذونا فيه إلى الملك مرقيان. وحدث لما أدخلونا، أننا جلسنا. وكان هناك مرقس رئيس أساقفة أفسس، ويوبيناليوس رئيس

[٦٧] أساقفة اورشليم، وأناطوليوس رئيس أساقفة مدينة القسطنطينية،

المسكين ديسقورس. والملكة الغير المستحقة أن تسمى اسمها بلخاريه. وأنبأ مقاره وبنوتيون تلميذه كانا جالسين خلف الأساقفة. محتفين لكنهما كانا يسمعان ما نتكلم به مع الملك. فقال الملك: "رتبوا لنا الأمانة وامضوا إلى كراسيكم". فأجبت أنا قائلاً: "ما الذي تعوزه أمانة آبائنا حتى نزيد عليها كقولك أيها الملك أو ليس آباؤنا الأرثوذكسيين الذين وضعوا الأمانة الذين هم الكسندروس وأثناسيوس وثاؤفيلس وكيرلس بطاركة مدينة الإسكندرية. ويوليوس بطريك رومية وكندينوس وكلستينوس وهؤلاء جميعهم الذين ذكرتهم". أردت أن أقيم كلامهم من فمه. فإذا ما قبلهم عندما يسمع اسمائهم علمت أنا أن امانتهم مستقيمة. فأجاب أنبا نياووس وتكلم قبل الملك وقال: "يا ديسقورس امسك

[٦٨] فإن الاولين مضوا. وهو ذا آخرون قد صاروا جددًا الذين نحن هم" فأجبت قائلاً: "أن الذي ثبته آباؤنا في مجامعهم لا أقدر أنا أفسخه

وإسطفانوس رئيس أساقفة أنطاكية، وحقارتي، أنا ديسقورس، والملك، والتي لا تستحق أن ينطق اسمها، بلخارية. ثم دخا أنبا مكاروريوس مع ابنه بينوتيون، فجلس في ناحية، لكنهما كانا قرييين منا ومن الملك. وكانا يسمعان ما نقوله. فقال الملك: "حددوا لنا الإيمان لكي تمضوا إلى مدنكم". فقلت له، أنا ديسقورس: "ما الذي يعوزه إيمان آبائنا لكي نضيف نحن إليه حسبما تقول؟ أليس آبائنا الذين وضعوا الإيمان أرثوذكسيين، أي ألكسندروس وأثناسيوس وثاؤفيلس وكيرلس وإينوسنت وكيليستينوس؟" هذا قلته وأنا أرغب أن أمسكه من فمه، لأنه أن هو قبلهم، فلن يخالف الإيمان. فأجاب فلابيانوس<sup>١٠٧</sup> وقاطع الملك (قائلاً): "كفاك، يا ديسقورس.

[٦٨] قد مضى الأولون. هو ذا قد صار جددًا الذين هم نحن". فأجبت، أنا ديسقورس، قائلاً: "إن كنت قد بنيت على ما وضعه آبائي في المجامع

<sup>١٠٧</sup> هناك خطأ في النص سواء العربي أو المترجم عن الأصل القبطي فقد حُرم فلابيانوس أو (فلافيان) في مجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م، ومات في نفس العام، وجلس مكانه أناطوليوس.

لئلا يدعوني مخالفاً". فأشار الملك  
كبلاوباييس أن يقرأ طومس لاوون.  
وأمر الملك أن يأتوا بالكتاب. فقلت  
لهم: "ما هو هذا الذي تريدون أن  
تحضروه وتضعونه في وسطنا اليوم؟".  
فقالوا: "هذه رسالة لاوون البطريك".  
فخطفت الكتاب من القارئ وطرحته  
إلى الأرض. وقلت لهم: "لا تضعوا  
في وسطنا اليوم تحديف ذلك المخالف  
لئلا أجعل هذه المدينة كلها تحت الحرم  
وأَمْضِي". فأجابته بلخارية قائلة:  
"كيف جسرت أن تعمل هذا وتقوله  
أُمِّي أسقطت واحداً متكبر القلب  
مثلك

التي ذهبوا إليها ثم أنقضه، فإننا، أيها  
الملك، أقيم نفسي كمتعداً". فحرض  
إيباس الملك لكي يطلقنا ويقرأ طومس  
لاون. فلما أمر (الملك) ناظر المكتبة،  
ابتدأ يُقْض الطومس ليقرأه. فأجبت  
أنا ديسقورس: "ما هذه الوثيقة التي  
تفوضونها في وسطنا؟" فقال الكاتب:  
"إنها رسالة لاون البطريك". وفي  
الحال وثبت في وسط المجمع، وأخذت  
الوثيقة، وألقيتها على الأرض قائلاً:  
"لا تتفوهوا بتجاديف ذلك ها هنا،  
لئلا أترك المدينة بأسرها تحت المنع  
وأَمْضِي لحالي". فأجابت الملكة  
بلخارية: "ما هذا الهراء الفاحش  
الذي تظهره تجاه الملوك؟ ألم تذل أُمِّي  
متكبراً آخر على شاكلتك،

[٦٩] ونفته ومات في النفي. الذي  
هو يوحنا بطريك هذه المدينة أليس لي  
السلطان الآن أن أنفيك مثل ذلك؟"  
فأجابها قائلاً: "أما رأيت ما صنع الله  
بأملك كيف تدودت مقاعدها ونزل  
كل ما في بطنها حتى ذهب إلى  
عظام ذلك القديس يوحنا وتشفعت  
به وإلا ما كان الدود يبطل من

[٦٩] أي يوحنا بطريك هذه المدينة،  
وقد مات في المنفى؟ أليس في قدرتي  
الآن أن أنفيك مثل ذاك؟" أما أنا  
فقلت لها: "وكيف ضرب الله أملك؟  
ألم تصب بقرحة في مؤخرتها وتدودت؟  
ولولا أنها التحأت إلى رفات القديس  
يوحنا، لكان الدود قد نهش  
جسدها<sup>١٠٨</sup>. وإن كنت لم تخافي من

<sup>١٠٨</sup> توفيت الملكة إندوكسيا أم بلخارية عام ٤٠٤ م، أي قبل نياحة القديس يوحنا ذهبي الفم بثلاث سنوات. ولذلك فمن  
المستحيل أن تكون قد زارت قبره.

جسدها حتى يرعاه كله فخافي الآن أنت أيتها الملكة لأنك قد شاهدتي ما حلّ بأمك وإن كان لا فمهما أردتية افعليه بي فمئذ صنعت أمك الشر بذلك القديس يوحنا ونفته لم يكن شيء من الخير في العالم إلى الآن لكن عرفيني خطيئة أمانتي ولا تصنعي شرًا امام الله أيتها الملكة لأن نفسك بيده، وأنا ابن أناس أورثوذكسيين أقوياء.

أن ترى هلاك أمك، فافعلي بي أنا أيضًا ما تشائين. ومئذ تحكمتم أمك في المملكة، وفعلت كل تلك الشرور بالقديس يوحنا ونفته، لم يحل بالعالم شيء واحد صالح. أن كنتم تؤمنون مثلي، فاجتمعوا معي. وإن كنتم لا تؤمنون مثلي، وترفضون حديثي وإيماني كهرطوقي، فإن أورثوذكسي، وإلا فليخبرني مجلسكم الموقر بالخطأ في عقيدتي. لا تفتري على الله، أيها الملك، لأنه هو الذي نسمتك بيديه، وبالتأكيد ستمضي إليه بدون إبطاء. أيها الملك، لا تشتك على الله،

[٧٠] فابعدا عني هذا الطوموس خارجًا لئلا يندسوا المكان الذي الله حالاً فيه. ويسقط بسرعة وأنا لا استحي أن اقول وابكت لو قُتلت على الامانة. لأني اطلب ما فوق حيث المسيح جالسًا. فأجاب تاودريطس وقال: "نحن نصارى نؤمن كآمانة أنبا لاوون لأنه قال: 'إن اللاهوت افترق من حين لئلا يقبل الآلام مثلنا ومن بعد حين يملأ الجسد ويصنع القوات والعجائب كلها'" فأجبتة أنا وقلت: "أن أبي أنبا كيرلس

[٧٠] لأني أنا ابن أناس أقوياء أورثوذكسيين، ومنهم قد فهمت الإيمان. أيها العلماني ابتعد عن الله<sup>١٩</sup>. ولا تلمس المكان الذي فيه الله، لئلا تحترق دون أن تدري. وأنا لن أكف عن أن أوبخ وأنتهر، حتى لو قُتلت مع المسيح، فإننا أطلب السماء حيث المسيح موجود". فقال ثيودريت: "نحن لا نقبل دحض أبينا لاون، حيث يقول: "لقد أنفصل اللاهوت عنه لفترّة من الزمن وقبل آلام الأتعاب مثلنا. بعد ذلك ملأ

<sup>١٩</sup> يقصد ابتعد عن الكلام الأمور الاهوتية. مادام ليست لديه الدراسة الوافية للبحث فيه.

اللاهوت كل جسده بالنور، وصنع كل هذه القوات“. أما أنا ديسقورس، فقلت له: “وأنا أيضًا أقبل أبي كيرلس حيث يقول: أنه مثل الحديد عندما يخرج من النار وهو مُحْمى، ويُطرق عليه بالمطرقة، فتشارك النار الحديد في كل ضربات المطرقة. هكذا أيضًا لاهوت ربي وهو مشترك مع ناسوته في الآلام التي قبلها والعجائب التي يصنعها“. ولما قلت هذا، قام رؤساء الأساقفة والأساقفة، وصرخ كل

[٧١] المجلس قائلاً: “حسن هو إيمان ديسقورس، وليس فيه نقیصة، بل هو أرثوذكسي، وكذلك إيمانه. وإيمان فلايانوس منحرف. ونحن نؤمن مثل ديسقورس“. أما أنا فأشرت إليهم بيدي: “اصمت، يا اسرائيل، واسمع“. فلما سكتوا، استأنفت أيضًا وقلت: “هل تقبلون الأناجيل الأربعة؟“ (فأجابوا): “من لا يقبل الأناجيل الأربعة فليس بمسيحي“. فقلت لهم أيضًا: “حسنًا قلتم. حينما دُعي ربنا إلى العرس، دُعي كإله أم كإنسان؟“ فقالوا: “كإنسان“. فقلت لهم: “حسنًا. وحينما جعل الماء خمرًا، حدثت هذه الأعجوبة

قال: “أنه كمثل الحديد إذا أخرجوه من النار مُحْميًا ويضربونه بالمطرقة فإن النار لا تتألم بشيء عندما يُضرب بالمطرقة والحديد فهو الذي يمتد ويتألم فهذا مثال لاهوت المسيح وناسوته. متحدًا معه في الآلام والتعب. بوحداية غير مفترقة“ فلما نطقت بهذا. قاموا الأساقفة ورؤساء الأساقفة وبقية البطارقة.

[٧١] وصرخوا قائلين: “بالحقيقة أمانة ديسقورس هي الأمانة المستقيمة وليس فيها شيء من العيب والمكر والغش في أمانة ابلاياليوس. ونحن بأسرنا نؤمن بأمانة ديسقورس فأشرت بيدي إليهم ليسكتوا قليلاً وقلت: “اسمع يا اسرائيل“ ولما سكتوا قلت لهم: “أما تؤمنون بالأربعة أناجيل؟“ فقالوا لي: “نعم نحن نؤمن وكل من لا يؤمن بالأربعة أناجيل ليس هو نصراني“. فأجبتهم قائلاً: “حسنًا قلتم، ففي الوقت الذي دعوا فيه سيدنا يسوع المسيح إلى عرس قانا الجليل دعوه أنه إنسان ام إله“. فقالوا: “دعوه أنه إنسان“ فقلت لهم:

كإنسان أم كإله؟“ فقالوا: ”الأمر واضح أن هذه الأعجوبة حدثت كإله“. فقلت: ”إذا لم ينفصل اللاهوت عن الناسوت لحظة واحدة. هو ذا قد أمسكتكم من أفواهكم“. فلما رأوا أنني قد أحرستهم، لم يجدوا وسيلة للكلام معي؛

[٧٢] لأنهم لم يكن لديهم ما يقولونه. حينئذ ضباط الحرس الملكي والحراس والمستشارين والبطارقة والقواد، وباختصار، كل المجلس، وصاحوا، حتى صعد صوتهم إلى السماء قائلين: ”ليحيا الملك إلى الأبد. ليس مثل إيمان ديسقورس، وليس فيه عيب“. أن الله موجودٌ في هذا الإيمان، وهو يريد هذه الأرض ثابتةً بسببه. ألقى عنك هذه الضلالات المانية. قد سقط نسطور، وهو يريد أن يأخذنا معه للهلاك. أنجو، أيها الملك. من فسخ هؤلاء الكلاب“. وبينما هم يقولون هذا، أشار إليهم الملك بيده لكي يسكتوا. حينئذ التفت نحوي، وقال لي: ”يا ديسقورس لماذا تتكلم وحدك أكثر من بقية الأساقفة؟ هل أنت وحدك الذي تحدد لنا الإيمان؟“ فأجابه بقية الأساقفة: ”ما يقوله ديسقورس، نحن

”حسنًا ففي الوقت الذي حول الماء خمرًا كان على أنه إله أم إنسان“ قالوا: ”الأمر ظاهر أنه إله“. فقلت لهم: ”الآن لاهوته لم يفترق قط من ناسوته لحظة ولا طرفة عين، وهو ذا أنا اقدر احدثكم من أفواهكم. لأنكم شهدتم الحق“ فلما سمعوا هؤلاء صمتوا ولم يقدروا يجابوني بحرف واحد

[٧٢] لأنهم لم تكن لهم حجة يحتجون بها. ففي تلك الساعة قال جميع من حضر من البطارقة والقواد والحجاب والوزراء بصوت عظيم: ”يعيش الملك إلى الأبد ليس أمانة مستقيمة مثل أمانة ديسقورس التي ليس فيها عيب، والعالم بأسره ثابت لأجل هذه الأمانة فابعد عنا هؤلاء المارقين المنايين، ولا تدع نسطور يضلك لئلا تسقط لأنه يقصد أن يجذبنا معه إلى الهلاك تخلص أيها الملك من فخاخ هذه الكلاب الكلية“. فلما قالوا هذا أشار الملك بيده للجمع أن يسكت ويسمعوا ثم قال لي الملك: ”أنت وحدك بالغ في المعرفة وتتكلم قبل أن تسأل ولا تترك بقية الأساقفة يتكلمون أنت وحدك ثبت الأمانة“ فأجابه الأساقفة جميعهم وقالوا: ”مهما يقول البطريك

ديسقورس نحن نقوله

[٧٣] ونقبله لأننا جميعنا قد جعلناه لساننا وكل ما يقوله هو حق ليس فيه غش ولا عيب“ ولما نظر اقادس الذي سبق تكلمنا من أجله. وهذا كان هرطوقي فوثب في تلك الساعة وأخذ كتب الهراطقة ليناولهم للملك ظاهراً وقال له سرّاً: ”متى لم يذهب ديسقورس من بيننا لا نستطيع نظهر طومس لاوون البطريك وإن مضى ديسقورس من بيننا فنحن نصنع كل ما نريد، وإذا أنطلق عنا كتب الأساقفة خطوطهم وينصرفون بعد مضينا كلنا تأمر لنجتمع وحدنا لنعرفك القضية التي تحب“. فقام الملك فقمنا وانصرفنا في ذلك اليوم. وإن محب الإله الحاجب نقيطه مضى بنا إلى بيته ولوقا القس. وأما الهراطقة فعادوا ودخلوا إلى القصر بعد خروجنا وكان نقيطه له ابن واحد يسمّى ميصائيل وكان استاذاً في القصر.

[٧٤] وكان واقفاً لما دخل الهراطقة إلى الملك وسمع جميع ما كانوا يقولونه للملك والملكة فأمر الملك أن يلصقوا طومس لاوون مع مدرج مجمع نقيبه لكي المجمع يمتزج كلامه بكلامه. وأمر

أيضاً نقوله. وقد جعلنا ديسقورس

[٧٣] فمّا لنا، ونحن بمثابة الأعضاء لأن هذه (الأمور) راسخة هكذا وليس بها أي خطأ“. أما أندراجاتيس الذي تكلمنا عنه سابقاً، وكان هو أيضاً في ذلك الوقت هرطوقي، فتكلم بالنيابة عن الهراطقة قائلاً: ”ما دام ديسقورس في وسطنا، فمن غير الممكن أن ننشر طومس البطريك لاون. أما إذا أنصرف عنا، فعندها تفعل جلالتك حسب مشيئتك. افعل هذا، واحسبه خسارة، واجعله ينصرف عنا، وسوف يسري أمرك كتابةً. اصرفنا، وبعد أن نخرج، مر أن ندخل عليك نحن فقط، ونحن سوف نشير عليك بما تفعل“. وهكذا انصرفنا نحن في ذلك اليوم. اما نيكيتيس المحب للإله فأخذنا إلى بيته، هو والقس لوقا. أما الهراطقة فدخلوا القصر بعدما خرجنا نحن. وكان للمحب لله نيكيتيس ابنٌ صغيرٌ اسمه ميصائيل، وكان في القصر

[٧٤] خصياً، وكان واقفاً عندما دخل الهراطقة، وكان يسمع ما يقولونه للملك والملكة. وقد تحدثوا مع الملك بشأن أنبا مكاربوس لكي يقتلوه؛ لأنه كان يصنع عجائب كثيرة بنعمة الله

التي معه. فأمر الملك بوساطة  
مستشاريه الأردباء أن يُلصق طومس  
لاون مع ما يخص نيقيه، وأن ينفذوا  
ذلك. وأمر أن يؤخذ إلى خلقدونية،  
وأن يُعقد الجمع هناك، لكي لا يبقى  
في المدينة فيمنع من نفينا. وقد فعل  
ذلك ليأخذنا إلى تلك المدينة، ويصنع  
بنا كما يشاء؛ لأنها كانت مدينة  
خربة. فأتى الصبي ميصائل مهرولاً،  
وقال لأبيه: "ليت هذا الشيخ  
القبطي، الذي فتح عيني سيلفيلوس  
الكاتب، يختفي، فقد أمر الملك أن  
يُقتل دون أن يعرف أحد". وقد  
اخبرنا أيضاً بما قاله الهراطقة للملك  
فلما سمعت

[٧٥] هذا، حزنت جداً من أجل  
أنبا مكاربوس، إلا أنني تذكرت الرؤيا  
التي رأيتهما عندما قال لي القديسان  
يوحنا المعمدان وأليشع النبي أن  
"جسده سيستقر عند جسدنا".  
سأخبركم أيضاً عن أعجوبة عظيمة  
أخرى كانت قد حدثت بواسطته لا  
يجب أن تغفل. كان هناك محام اسمه  
بطرس، واقفاً في ذلك الوقت الذي كنا  
نتجادل فيه بشأن العقيدة، لأنه كان  
أرثوذكسياً في عبادته. أما زوجته  
فكانت مصابة بأثر برص في جبهتها

الجمع أن يجتمع بخلقدونية لأنها كانت  
مدينة خراب. ولكي ينفونا من ذلك  
المكان فجاء إلينا الغلام ميصائل وهو  
يجري فأعلم أبيه بالأمر، وقال أيضاً:  
"أترك هذا الشيخ الأسقف القبطي  
الذي جعل عيني غلامنا ناظرتين أن  
يختفي ولا يظهر لأن الملك قد أمر في  
السر بقتله من أجل ما قالته الهراطقة  
عنه وثبتوه معه". ولما سمعت

[٧٥] أنا المسكين ديسقورس عن  
أنبا مقاره تألم قلبي لأجله جداً وذكرت  
الرؤيا التي رأيتهما بالمركب والقديسين  
يوحنا المعمدان وأليشع النبي قائلين لي:  
"أن جسده يكون مع جسديهما"  
أنا أريد اعلّمكم هذه الأعجوبة  
العظيمة التي كانت من القديس أنبا  
مقاره كان اسفهلار عظيم قائم معنا  
في الجمع اسمه بطرس وكان أرثوذكسياً  
هو وجميع بيته وكانت له امرأة على  
وجهها أثر برص ظاهر قد أنفرش على  
عينيها فلما مضى ذلك القائد إلى



منزله التقت زوجته كمثّل طقس النساء جميعهن اللواتي يحبن أزواجهن وقالت له: "حسناً مجيئك يا سيدي وأخي" وقدمت له ماءً وغسلت رجله. وهو لما نظر البرص على وجهها

وسرح إلى عينيها. ولما أنصرف الحامي، دخل إلى بيته في موعد العودة. فأتت زوجته أمامه، مثل كل النساء المحبات لرجالهن، فعانقته قائلة: "حسن أنك أتيت، يا سيدي وأخي". ثم أحضرت ماءً وغسلت يديه وقدميه. أما هو فنظر إلى البرص الذي في جبهتها،

[٧٦] تنهد بوجع قلب وقال لها: "هَلُمِّي لنمضي إلى هذا الأسقف القبطي الذي من مصر ونسأله لكي يصلي عليك لكي يزيل الله هذا الاثر من وجهك لأنه جعل عيني غلام القائد نقيطه انفتححت وأبصر من بعد عماه" فقالت له زوجته بعظم إيمان: "يا سيدي ما التصق عضوًا لك بجسده قط". قال لها: "أنا أمسكت يده ووضعتها على رأسي". فأخذت يده بعظم أمانة ورفعتها على رأسها وقالت: "باسم الله إله الشيخ الأسقف المصري الذي لمسته يد بعلي الذي صير عيني الغلام الأعمى يبصران يظهر هذا الأثر من وجهي وجميع جسدي". ولوقت طهر البرص وصارت لون بقية جسدها فذهب القائد وزوجته إلى بيت لوقا القس.

[٧٦] وتنهد قائلاً: "ليتني، يا אחتي، طلبت من هذا الشيخ القبطي، فيأتي ويصلي عليك، لعل هذا البرص يزول منك، لأنه جعل عيني سيلفيلوس تبصران". فأجابت المرأة بإيمانٍ عظيم قائلةً: "يا سيدي، ألم تلمس أي عضو (منه) مطلقاً؟" فقال لها: "بلى، يا אחتي. لقد أمسكت يده، ووضعتها على رأسي". أما هي فبعظم إيمانها أمسكت يد زوجها، ووضعتها على جبهتها قائلة: "باسم هذا الشيخ القبطي الذي لمسته يد أخي، والذي جعل أعين العميان تبصر، وطهر البرص، تجعل هذا البرص يزول مني". وفي الحال أنطوى البرص الذي فيها مثل غطاء، وصار لوناً مثل كل جسمها. فأتى الحامي مع زوجته مهرولاً إلى بيت القس لوقا. وخرّاً عند

وسجدوا عند رجلى القديس أبو مقار [٧٧] وكانا يقبلانها. ومن بعد ذلك قالوا له: "لا تقدر مدينة تخفى وهي موضوعة على جبل ولا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال لكن على منارة ككلام مخلصنا المسيح أتيت يا أبانا القديس إلى هذه المدينة بثياب حقيرة ومضيت منها مجملًا بلباس الملائكة، ولم يشأ الرب أن يجعلك مخفيًا بل أظهرك لكل أحد". فلما قالوا هذا قام أبنا مقاره وقال لهم بمجرد وانتهار: "ماذا لكم معي ولي معكم أنا ما دخلت قط بيتكم ولا أعرفكم". فقال له القائد: "أنت لم تدخل بيتنا بالجسد لكن نعمة الله التي فيك ادركتنا وشفقت زوجتي فلا تضجر يا سيدي علينا فلإني مؤمن بأمانتك". فقال أبنا مقاره: "مجد الله أنت وزوجتك من أجل الشفاء الذي صار لها وأما أنا فلإني رجل مسكين". فذاع هذا الخبر في المدينة كلها فجاءت إليه جموع كثيرة كمثّل من جاء إلى الرسل القديسين.

[٧٨] وكان قد أرسل بطريرك القسطنطينية خلفنا في بعض الأيام لنحضر إلى الكنيسة الجامعة وقت الصلاة. فسألت القديس أبنا مقاره أن

قدمي القديس أبنا مكاربوس، [٧٧] وسجدا له قائلين: "يا سيدنا الأب، لا يمكن لمدينة كائنة على جبل أن تخفى، ولا يوقدون سراجًا ويضعونه تحت المكيال، ككلام مخلصنا. أتيت مدينتنا في ثوب حقير، فوجدناك بهيًا ومختارًا مثل ملاك من عند الله. لكن لم يتركك الله مخفيًا، بل أظهرك". ولما قالوا هذا، غضب أبنا مكاربوس وقال لهما: "ما شأنكما بي؟ هل دخلت بيتكما مطلقًا" فقال له المحامي: "يا سيدي الأب، أن كنت لم تدخل بيتي بالجسد، لكن نعمة بركتك دخلت بيتي، وأبرأت زوجتي. كلا، يا سيدي، لا تغضب عليّ، فإننا معتنق عقيدتك". فقال له الشيخ: "اذهب ومجد الله، فإننا مجرد أنسان خاطئ". وبعد ما حدث هذا، ذاع صيت (أبنا مكاربوس) في المدينة قاطبة، وكانوا يحرسونه مثل ملاك من عند الله. وحدث ذات يوم

[٧٨] أن دعانا رئيس الأساقفة للقداس. فطلبت من أبنا مكاربوس أن يأتي معنا، وألححت عليه بشدة. فأرسل لنا (رئيس الأساقفة) محفة

يحضر معنا فلم يؤثر الحضور معنا. فأكثر سؤالي اليه. وبالجهد استطعت أن أطيب قلبه لذلك. وكان الأب البطريك قد أنفذ إلينا دواب لنركبها. فقلت له: "يا أبي اركب أنت هذه الدابة الجيدة" فقال لي: "إذا مُت احملوني عليها وما دمت حيًّا ما أركبها". ففهمت خطابه الذي قاله لي. فأجبت قائلاً ونحن ماشيان في الطريق: "أنت أيها الشيخ القديس الذي تقربنا اليوم"، فقال لي: "لا يا سيدي الأب ليس أنا لكن أنت لأني رأيت في هذه الليلة وكأن إنسان يقول لي يا مقاره لا تتقرب من أحد من البشر قبل أن تتقرب من أنبا ديسقورس"، ولما سرحوا الصلاة ورجعنا إلى المكان الذي كنا فيه. وإن الفتى ميصائيل أتى إلينا وأخبرنا قائلاً: "أن هذه أربعة أيام

[٧٩] من حين أرسل الملك لإحضار نسطور من المكان الذي نُفي اليه ولا أعلم ما كان من أمره وقد علمتكم بهذا". فقال له الشيخ أنبا مقاره: "قد علمت أنا أيضًا يا ابني لكن الرسول الذي مضى خلفه ما يجده حيًّا. لأن هذا له أربعة أيام مات ذلك

لنركبها. فقلت له: "أيها الأب أركب هذه الحفة، لأنها أرسلت لنا". فقال لي: "عندما أموت، احملوني على هذه، لأن العظام تحمل عادة عليها. وما دمت أنا حيًّا فلا أركبها". أما أنا فقد نفذت إلى كلماته مثل سهم، ولم أركبها أنا أيضًا، بل أرسلناها خاوية، ومشيتُ على رجلَيَّ. ثم قلت له وأنا ماشٍ في الطريق: "أيها الأب، أنت الذي ستناولنا اليوم". فقال لي: "كلا، يا سيدي الأب. ليس أنا، لأني رأيت هذه الليلة رجلًا مضيًّا يقول لي: "يا مكاريوس، لا تتناول من أحدٍ، سوى من ديسقورس وحده". وبعد أن تناولنا، أتينا إلى حيث كنا مقيمين. ثم أتى الصبي ميصائيل وأخبرنا (قائلاً): "قد مرت إلى اليوم خمسة أيام

[٧٩] منذ أن أرسلت الرسائل ليُستدعى نسطور الشرير من المنفى، ولم أعرف إلا اليوم، فأتيت، لأخبركم". فقال أنبا مكاريوس: "وأنا أيضًا أعرف يا ولدي ولكنها لن تصل ذلك الآثم حيًّا؛ لأن اليوم هو اليوم الرابع منذ أن مات ذلك البائس بميتة

المخالف. بموت شرير أكثر من كل أحد“. فقلت له: ”من أين علمت يا أبي هذا“. فقال لي: ”هذه رابع ليلة منذ ابصرت هذا، لأني نظرت في المنام كأني في قصر دلجه أنا وابني أنبا شنوده الذي أرسلنا خلفه ليحضر إلى الجمع فوجدناه ضعيفاً في جسده فلم يقدر يجيء إلينا بالجسد لكنه كان حاضراً معنا بالروح ورأيت كأني نسطور يتكلم معه قائلاً: ’خذ هذا المال مني وفرقه على المساكين‘، فقال له القديس النبي أنبا شنوده: ’اعترف أن السيدة العذراء مريم والدة الله وأنا اخذ منك‘، وإن ذلك المخالف نسطور أجابه بلسانه المستحق القطع:

[٨٠] ’ما قدرت مائتي أسقف يطيبون قلبي أن أقول هذه الكلمة، (فهل) تقدر أنت تطيب قلبي أن أقولها أن أمراه ولدت الله‘. وهذا لما قاله قال له القديس أنبا شنوده: ’أنت محروم ومالك محروم‘. وإن أنبا شنوده أشار بيده إلى الملاك فللوقت اهلكه بضربة غضب. وبقي في عذاب شديد ثلاث ساعات. ولسانه خارج من فمه وتددود ومات بموته مخوفه. ولما كمل هذا الأمر التفت إلى الانبا شنوده. وقال لي: ’سلم على أبونا البطريك ديسقورس،

أسوأ من أي أنسان“. فقلت أنا، ديسقورس، له: ”وكيف عرفت، يا أبي؟“ فقال لي: ”منذ أربعة أيام رأيت في الليل، حيث، حيث كنت في قلعة سينيلجة مع أنبا شنوده من جبل أتربيه، الذي دعونه إلى الجمع، فوجدنا جسده معتلاً، ولم يقدر أن يأتي معنا بالجسد، ولكنه أتى معنا بالروح. ورأيت كيف يقول له نسطور: ’خذ أموالي وأعطها عني صدقة‘. فقال له القديس أنبا شنوده: ’اعترف أن مريم هي والدة الإله وأنا أخذها‘. فأجاب ذلك الشرير، بلسانه الذي يستحق القطع وفمه الذي يستحق أن ينسد:

[٨٠] ”لقد اجتمع عليّ مائتا أسقف، ولم يستطيعوا أن يقنعوني أن أقول هذا، وأنت الذي ستقنعني أن أقوله؟ أنا لن أقول أبداً – والكلام له – أن امرأة ولدت الله“. ولما قال هذا، قال له القديس أنبا شنوده: ”محروم أنت ومالك“. وفي الحال أشار القديس أنبا شنوده إلى ملاك واقف بجانبه، وقال له: ”استل سيفك، واقتل هذا الجحدف“. وفي الحال قتله الملاك، وتركه يتعذب ثلاث ساعات. لأن لسانه كان معلقاً خارج فمه، وتددود، ومات ميتة

وأيضاً أنا اودعك يا أنبا مقاره لأننا ما بقينا ننظر بعضنا بعض في الجسد. بل نحن نجتمع عند الرب مخلصنا يسوع المسيح. وودع اخوتي في الرب. وفي تلك الساعة استيقظت يا أبي من الرؤيا“

مرعبةً. وبعد أن حدث هذا، قال لي القديس أنبا شنوده: ”سلم على أبينا رئيس الأساقفة، أبي الإيمان. وأنا أسلم عليك أنت أيضاً؛ لأننا لن يرى أحدنا الآخر في الجسد ثانية، لكن سننال هذا عند الرب مخلصنا. سلم على كل الذين معكم في الرب“. وفي الحال تخضت من الرؤيا.

[٨١] وهو ذا الكتب قد اقتربت وصولها. ولما سمعت هذا من القديس ابو مقار تحققت أنه لابس الروح وان معه روح النبوة. ومن بعد قليل وصل الرسول بالكتب. بخبر موت نسطور. وكتب نسطور أيضاً إلى الملك. وهي مملوءة من كل تجديف. هذه التي يجب أن اسكت عن اعادة المکتوب فيها ولا اذكره لئلا يتنجس فمي بالكلام القبيح قلت هذا إلى ههنا من أجل العجائب والقوات التي لرجل الله الصديق بالحقيقة أبو مقار الأسقف. وفي ذلك الوقت وجدت مركباً وفيها إخوة من أهل ديوناسه. ففي تلك الساعة علمت أنها مشيئة الله. لكي يركب القديس أبو مقار معهم. فاستدعيت واحداً منهم اسمه ابنتوتان. وتكلمت معه من أجل أنبا مقاره لكي

[٨١] وأنا أعتقد أن الرسائل التي وضعها نسطور الشرير قد وصلت إلينا“. ولما سمعت هذا، أنا ديسقورس، علمت في الحال أنه لابس الروح، وأن روح النبوة هو المتكلم فيه. وقبل أن تمر عشرون يوماً، أحضرت رسائل نسطور، وسُلمت للملك، وهي مملوءة من كل تجديف، هذه التي سأصمت عنها ولن أقولها حتى لا يتنجس فمي وأذان السامعين. والآن، لنعد إلى التذكار المملوء نفعا الذي لأنبا مكاروريوس، ونتكلم عنه. ولما وجدت سفينة راكباً فيها إخوة من تابينيسي، علمت في الحال أنه ترتيب من الله أن يركب (أنبا مكاروريوس) معهم. فناديت واحداً منهم وقلت له: ”يا ابني، دع هذا الرجل العجوز يركب معكم، لأن الملك يريد أن يقتله“. أما

يَحْمِلُهُ مَعَهُ. وَعَرَفْتُهُ أَيْضًا بِالْأَمْرِ أَنْ  
الْمَلِكُ يَرِيدُ قَتْلَهُ. وَانْهَمُ فَرَحُوا. وَقَالُوا:  
”إِذَا مَا تَجَهَّزْنَا لِلْسَفَرِ وَحَمَلْنَا بَضَائِعَنَا  
بِالْمَرْكَبِ نَحْنُ نَأْتِي وَنَحْمِلُهُ مَعَنَا“.  
فَجَلَسْتُ اتَّحَدَّثُ مَعَهُ وَأَنَا أَبْكِي. لِأَنِّي  
عَلِمْتُ أَنَّنَا مَا نَعُودُ أَنْ نَعَايِنَ بَعْضُنَا  
بَعْضًا فِي الْجَسَدِ. وَانْهَ قَالَ لِي: ”لَا  
تَبْكِي يَا أَبِي

[٨٢] لِأَنِّي أَمُوتُ عَلَى اسْمِ الْمَسِيحِ. فَلَيسَ بَقِيَ يَدْرِكُ الْعَالَمَ رَاحَةً إِلَى الْيَوْمِ  
الْآخِرِ“. فَقُلْتُ لَهُ: ”لَيْسَ بِكَائِي  
عَلَى سَفْكَ دَمِكَ بَلْ مِنْ أَجْلِ افْتِرَاقِ  
أَجْسَادِنَا مِنْ بَعْضُنَا بَعْضًا“. ثُمَّ  
ضَرَبْتُ يَدِي عَلَى يَدِهِ. وَقُلْتُ: ”لَتَكُنْ  
إِرَادَةُ اللَّهِ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ“.  
فَلَمَّا كَانَ بِالْغَدَاةِ أَتَى الْإِخْوَةَ الَّذِينَ مِنْ  
دِيُونَاسَةِ الْيَ. وَقَالُوا: ”يَا أَبِينَا تَأْمُرُ  
الْأَبَ الْأَسْقَفَ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى الْمَرْكَبِ  
كَمَا أَمَرْتَ أَيُّهَا الْآبُ“. فَلَمَّا خَرَجْنَا  
إِلَى الْبَحْرِ لِنُودِعَهُ بِكَيْنَا بِكَاءٍ كَثِيرًا  
جَدًّا. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَنَا أَوْدَعُكَ بِالرَّبِّ.  
يَا مِقَارَهُ الصَّدِيقِ. فَلَا تَنْسَ مَسْكِنَتِي  
فِي صَلَوَاتِكَ الْمَقْدَسَةِ. لِأَنِّي مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا  
فِي كُلِّ حِينٍ. وَلَا سِيمَا الْيَوْمَ قَدْ بَقِيتُ  
خَرُوفًا وَحِيدًا فِي وَسْطِ ذُنَابٍ كَثِيرَةٍ.  
وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تَقْضِي إِلَى الرَّبِّ قَبْلِي.  
فَتَقُولُ لِأَبِي كِيرِلْسُ: ”أَنْ ابْنُكَ

هَمْ فَاقْتَنَعُوا أَنْ يَدْعُوهُ يَرْكَبُ مَعَهُمْ.  
وَفِي الْحَالِ مَشِيَتْ مَعَهُ بَاكِيًا، عَالِمًا أَنَّنَا  
لَنْ يَرَى أَحَدُنَا الْآخَرَ بِالْجَسَدِ مَرَّةً  
أُخْرَى. فَقَالَ لِي: ”مَنْ الْآنَ لَا تَبْكُ،  
يَا أَبِي،

[٨٢] عَلَى الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الرَّبِّ.  
لأنه لن يحل على الأرض شيء آخر  
صالح إلى اليوم الذي فيه سيدين الله  
كل نفس“. فَقُلْتُ لَهُ: ”أَنَا لَا أَبْكِي  
عَلَى انْتِقَالِكَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بَلْ عَلَى  
افْتِرَاقِ جَسَدِنَا الَّذِي سَيُفَرِّقُ بِهِ أَحَدُنَا  
عَنِ الْآخَرِ“. إِلَّا أَنَّنِي ضَرَبْتُ يَدًا عَلَى  
يَدِهِ قَائِلًا: ”لَتَكُنْ إِرَادَةُ اللَّهِ“. وَفِي الْغَدِ  
أَتَى الْإِخْوَةَ التَّائِيْنِيسِيُونَ وَقَالُوا لِي:  
”يَا أَبَا، لَيْتَ الْأَسْقَفَ الَّذِي أَمَرْتَ أَنْ  
يَرْكَبَ مَعَنَا، يَأْتِي“. فَقَمْنَا وَخَرَجْنَا إِلَى  
السَّفِينَةِ وَنَحْنُ بَاكِينَ بِوَجْعِ قُلُوبِ.  
وَكُنْتُ أَقُولُ: ”أَنَا شَدِيدُ بَقْوَةٍ، يَا  
مَكَارِيُوسَ، الرَّجُلَ الْكَامِلَ، أَلَا تَنْسَى  
حَقَارَتِي فِي صَلَوَاتِكَ الْمَقْدَسَةِ؛ لِأَنَّنِي  
أَحْتَاجُ دَائِمًا لصلواتك، وَلَا سِيمَا  
الْآنَ. لِأَنَّنِي مِثْلَ خُرُوفٍ وَحِيدٍ وَسْطِ  
ذُنَابٍ. أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَقْضِي عَلَيَّ  
الرَّبِّ قَبْلِي قَبْلَ رَجُلِي أَبِي كِيرِلْسَ

ديسقورس المسكين كائنًا في هذا الزمان في وسط سباع كثيرة.

[٨٣] وقل له هذا الزمان الذي احتاج فيه اليك. وقل لآبائي القديسين كلهم أن ابنكم ديسقورس لم يندس شيء من الأمانة، بل هو يبني على الأساس الذي اسستم وبنيتم عليه. ومجاهدًا عنه إلى الموت. وقل لأبي أناسيوس فيلسوف اسرائيل الحكيم بالله لتتضاعف روحك عليّ لأن هذا الزمان الذي أنا محتاج فيه إلى صلواتكم. وإلى تذكّار فم الشيخ بطرس والكسندروس. وقل لأبي كيرلس أني محتاج اليك يا شبل الاسد الذي من قبيلة داود الذي غلبت حرب المخالف الكافر نسطور. ونفيته إلى إخميم بصعيد مصر. وقل لآبائي المعترفين كلهم لا ينسوني في صلواتهم المقدسة. وهو ذا أنا اسكب دموعي تحت ارجلهم. وها أنت تنظر يا مقاره هذا الجمع الهرطوقي الذين ليس فيهم من يقاتل معي غير الله وحده. وأنا أعلم يا مقاره أنك قبل أن تلقى الله ويخرج جميع القديسين لاستقبالك ويقبلوك بالروح. فاكتب هذا الكلام على لوح قلبك اذا ما استقصوا منك.

وأنت تقول: "ابنك الحقير ديسقورس موجود وسط أشبال أسود".

[٨٣] قل لكل آبائي القديسين أن ديسقورس لم يفسد شيئًا من الإيمان، بل أني ابني عليه إلى الآن. قل لأناسيوس: "يا أبي، يا أبي، يا مركبة اسرائيل وفارسها، لتتضاعف عليّ روحك". لأن هذا هو الوقت الذي أنا محتاج فيه للسان الشيخ ألكسندروس. قل لأبي كيرلس: "أنا محتاج لك اليوم، يا شبل الأسد الذي من سبط يهوذا، أصل داود، الذي قهر نسطور الشرير في الحرب، وجعله ينفى إلى صعيد مصر البربري". قل لكل آبائي المعترفين: "أنا أذرف الدموع عند أقدامكم. لا تنسوني من إيمانكم". ها أنت ترى تلك الجمهرة من الهرطقة، وليس هناك أنسان واحد يشد أزرى سوى الله وحده. وقبل أن تدنو، يا مكاريوس، من الله، تأتي إليك الملائكة. اكتب هذا الكلام على ألواح قلبك. وإن سألوك

[٨٤] فعرفهم ظلمنا وتحريرهم علينا. وهو ذا أنا أرسلك قريباً قبلي فيكون ذكر القديسين بي. وأنا اعلم أن جميع طغمت السموات يخرجون للقائك. الملائكة ورؤساء الملائكة يحضرون لالتقائك لأنك صرت شريكهم في الطهارة. الانبياء يتلقونك لأن روح نبوتهم قد حلت فيك. إيليا الغيور النبي يتلقيانك لأنك غرت للرب مثله. واهلكت طقوس الصنم الذي كان في كرسيك. أليشع النبي يلتقيك لأنك طهرت البرص مثله. التلاميذ يخرجون للقائك. لأنك تعبت على الأمانة مثلهم. الشهداء يخرجون للقائك لأنك تقتل على الأمانة مثلهم. العذارى يتلقونك لأنك أنت بتول مثلهم. المعترفون يتلقونك لأنك أنت اعترفت قدام مرقيان الملك ولم تحف. الآباء القديسين الرهبان الذين تركوا العالم يتلقونك لأنك لم تقتني قط ثوباً ثالثاً

[٨٤] عن حقارتي، اخبرهم بكل شيء قلته لك. ها أنا أرسلك أمامي. سلم على كل القديسين، لأني أعرف أن كل طغمت السموات خارجة للقائك. الملائكة ورؤساء الملائكة خارجة للقائك؛ لأنك أنت أيضاً ضاهيت طهارتهم. الأنبياء خارجون للقائك؛ لأن روح النبوة ساكنة فيك. إيليا النبي خارج للقائك؛ لأنك غرت لله مثله، وأسقطت الصنم كوتوس في مقاطعتك. أليشع خارج للقائك؛ لأنك طهرت البرص مثله. الرسل خارجون للقائك؛ لأنك قبلت الآلام مثلهم بأوجاع رسولية. الشهداء خارجون للقائك؛ لأنك أنت أيضاً ستشهد مثلهم. البتوليون خارجون للقائك؛ لأنك أنت أيضاً بتول. المعترفون خارجون للقائك؛ لأنك اعترفت بالإيمان أمام الملك مرقيان ولم تحف. النساك خارجون للقائك، يا مكاريوس؛ لأنك - مثلهم - لا تملك الثوب الثالث.

[٨٥] هؤلاء كلهم يخرجون يتلقونك ويكونون أمامك ويفرحون بك. فأجابني أنبا مقاره باتضاع قائلاً: "حل عنك يا سيدي الأب هذا الذي تقوله لإنسان مسكين أرضى

[٨٥] كل هؤلاء الذين ذكرتهم خارجون للقائك يا مكاريوس". فأجاب أنبا مكاريوس: "كفاك يا أبي، وأنت تقول هذا لإنسان مسكين في السماء وعلى الأرض. سيسمع



تراي. ليس هو سمائي. لئلا يسمعك هؤلاء الناس فيقولوا أن هذا غير مستطاع. لأني أنا أو من يا سيدي أن فمك غير كاذب. لكني أنا المسكين ما بلغت لهذا الحد. وإني دعوت بنوتيون تلميذه وقلت له كن ملازمًا أليك يا ابني. فلما قلت له صلينا واطلقتهم. ثم تكلمت مع أصحاب المركب قائلاً لهم: "لقد استحققتكم كنزًا عظيمًا وبركة جسيمه. لأن هذا الراكب معكم هو تلميذ للرب". وإنه قال لي: "أنا اودعك يا أبي القديس للرب فلتكن صلواتك تصحبي حتى اترك عني هذا العالم". ولم يزل يصرخ بهذا إلى أن فرغت أن لا اسمع صوته من صوت امواج البحر. فرجعت إلى بيت القس لوقا أجد الله على افتراقنا من بعضنا بعض. ها هو ذا قد قلت لكم يا إخوتي جزءًا قليل من العجائب التي نظرتها وسمعتها من أجل أنبا مقاره

[٨٦] الأسقف الطاهر الكاهن الكريم. ولم اشاهده في الجسد مرة أخرى منذ ذلك اليوم. وبينما أنا في قلق وضيق لأجل مفارقتي إياه طيب السيد المسيح قلبي. فنظرته دفعة يخدم

الناس ويقولون أنني سأنال هذا. أنا أعلم أن فمك غير كاذب، لكنني لم أبلغ بعد إلى هذا القياس بهذا المقدار". أما أنا فدعوت بينوتيون وقلت له: "يا ابني، كن مكان أليك". ولما قلنا هذا، صلينا وتركناهم. ثم نادينا بحارة المركب: "حقًا، يا أبنائي، لقد استحققتكم نعمة عظيمة، حيث أن ذلك الرسول راكب معكم". حينئذ قال أنبا مكاريوس: "أسلم عليك يا سيدي الأب القديس. لتكن صلواتك المقدسة معي إلى أن أفارق هذه الحياة المليئة بالأتعاب". ولم يتوقف عن الصراخ نحوي حتى لم أعد اسمع صوته في البحر. أما أنا فعدت إلى بيت القس لوقا وأنا أجد الله على افتراقنا، أحدنا عن الآخر. هو ذا قد قلت لكم جزءًا مما رأيته سمعته بشأن أنبا مكاريوس،

[٨٦] الأسقف القديس. أما أنا، فمنذ ذلك اليوم لم أعد أراه في الجسد. ولما ظلمت حزينا على فراقنا، أراضاني الله، وأورى لحقارتي إياه وهو يخدم على المذبح. أن لساني البشري

لن يقدر أن يصف الكرامة التي كان فيها. ولما قلت هذا للقديس أنبا بنبودة الأرشيمندريت، الذي كان قد أتى ليزوره في المنفى، جاوبني قائلاً: ”نعم، يا أبي. لقد رفضوه في أعضائه التناسلية، ومات في الإسكندرية“. حقاً، أن أنبا مكاروريوس صار مطوياً جداً كاسمه. لأنه حيث تزايدت الخطية في جنس آدم، ازدادت النعمة جداً في جنس آدم، أي مكاروريوس. لقد أخطأ جنس آدم في طبيعته، وتزايد الشر في الإنسان. لقد رُفس أنبا مكاروريوس أيضاً في طبيعته ومات، وتزايدت فيه النعمة جداً. لأن الشيطان قد تعب من التردد له بواسطة شهواته،

[٨٧] ولم يقدر أن يسقطه؛ لأنه بتول منذ ولادته. لماذا أقول أنه طوباوي؟ هو لم يموت، لأن الميتة التي مات بها ليست موتاً، بل هي حياة أبدية. ليتني كنت أقدر، أنا ديسقورس الحقيق، أن أركض في ميدان مكاروريوس. لقد جاهد مكاروريوس حسناً، ومضى إلى الرب وقد هزم الشيطان، وإيمانه بيده، يقدمه إلى ربه قائلاً: ”كل هؤلاء الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً“. هو ذا قد قلنا إلى ههنا عن كرامة أنبا

معي على الهيكل في القديس. بصفه ليس يستطيع لساني الجسداني أن يصف عظم المجد الذي نظرته فيه. ولما سمع هذا أنبا بنبودة رئيس المتوحدين أتى إلى الموضوع الذي نفونا إليه. وعرفني أنهم رفضوه في مذاكره وتنيح في مدينة الإسكندرية. بالحقيقة يا أحبائي أن مقاره قد تعالى جداً. وكمل عليه كلام الرسول. القائل أن المكان الذي قد كثرة فيه الخطيئة. فيه تضاعفت النعمة. لأن جنس آدم بهذه الاعضاء يخطئون إلى الله. وصار الزنا في البشر بهذه الأعضاء. فصارت نعمة الله لأنبا مقاره في الاعضاء. تعب الشيطان مما يقاتله فيها بالشهوة وينصب له الفخاخ.

[٨٧] فما استطاع أن يوقعه قط. لأنه كان بتولاً من صغره. وموت أنبا مقاره ليس هو موت بل حياه. ليتني أنا المسكين ديسقورس اتخلص من هذا العالم كمثّل أنبا مقاره؛ مضى إلى الرب وهو ثابت في الأمانة المستقيمة. قائلاً عند اجتماعه بالرب: ”هو ذا الذين اعطيتهم لي لم يلف منهم شيء“. وهذا قلته بكماله من أجل كرامة القديس أنبا مقاره الأسقف. وأنا أوتر اعرفكم أيها البنون الاحياء.

ومحيي الاله. من أجل التعب الذي  
 نلناه ههنا. لأني لا افتخر حتى يكمل  
 سعيي وخدمتي التي قبلتها من الرب  
 يسوع المسيح. الذي جعلني مستحقاً  
 أن أرفع كرسي مارمرقس الانجيلي ولكي  
 لا اغضب محبتكم من أجل صاونيس  
 أسقف هذه المدينة بسبب الشرور التي  
 صنعها بي بقلة معرفته.

مكاروريوس. وأنا أريد أيضاً، يا إخوتي  
 الأحباء، أن أخبركم عن الأتعاب  
 الجسدية التي قبلتها أنا ههنا، لكني  
 لست أبرر نفسي في أي شيء مثل  
 تميم سعي والخدمة التي أوثمت عليها  
 من المسيح ومرقس الانجيلي، هذا  
 الذي صرت مستحقاً لكرسيه، حيث  
 أنكم، يا محيي الله، قد سمعتم عن  
 ساينوس، أسقف هذا المكان، بشأن  
 الشرور التي فعلها بي في جهالة،

[٨٨] وتقولون أيضاً: "إنه لا يستحق  
 أن تغفر له". لأن نسطور هو الذي  
 رسمه أسقفاً. وبالرغم من أن القديس  
 يوحنا ذهبي الفم هو الذي كان قد  
 رسمه كاهناً، إلا أن نسطور رسمه  
 أسقفاً، معتقداً أن نسطور تقيٌّ مثل  
 يوحنا. لكن الله جازاه خيراً عوض  
 الشرور التي فعلها بي، أنا والذين معي،  
 ولم نتركه يُخسرنا، بل ربح نفسه. فلا بد  
 أنه قال ما قاله أيمالك ملك جرار:  
 "لا تُهلك أمة جاهلة"، وقال أيضاً:  
 "بقلب طاهر ويد بارة فعلت هذا"،  
 "وأنا أمسكتك عن أن تخطئ لي".  
 ألم تسمعوا عن الأعجوبة التي بينها لنا  
 ساينوس الأسقف وهو يمجّد الثالوث  
 القدوس علي ما حدث؟ قال: "كان

[٨٨] وتقولوا أن هذا الآخر أن لا  
 تغفر له لأن نسطور هو الذي رسمه  
 أسقفاً. لأنه كان يظن بفكره أن  
 نسطور قديس وبار. لكن الشرور التي  
 صنعها. ولم يتركه يخسر من قبلنا لكن  
 ربح نفسه. وبحق أنه كمل ما قيل عليه  
 لملك حازيران أن شعباً غير عارف لا  
 تهلكه يا رب. وايضاً قال اصنعت  
 هذا. بل أني لم اتركك تخطئ. اسمعوا  
 هذه الأعجوبة التي قالها لنا صاونيس  
 وهو يمجّد الله من أجل الذي كان.  
 وأنا أخبركم. كان اغنسطس في هذه  
 المدينة ابن رجل قس.

يوجد شماس قارئ في المدينة، ابن  
لكاهن محب لله،

[٨٩] وغالبًا ما كان هو وأبوه وأحد  
الشمامسة يقيمون القداس في كنيسة  
صغيرة خارج المدينة. وكانوا معتادين  
على وضع القربان عند القارئ،  
ويرسلونه، فيعمل ما ينبغي عليه عمله  
حسب رتبته. وحدث، حسب عادته  
المقررة له، أن أخذ القربان والأباركة  
وهي موضوعة في غناء زجاجي. ولما  
كان على مقربة من المكان، أتى إلى  
مكان كفر لا يوجد فيه بشرٌ. فصادف  
جنديًا راكبًا فرسًا، فقال للقارئ: ”ما  
هذا الذي بيدك؟“ فقال له: ”أنه  
القربان، نأخذه إلى مكان القداس“.  
وكان الشره متسلطًا على الجندي،  
فقال له: ”أعطني إياها لأكلها“.  
فقال له القارئ: ”أيها المخالف،  
أتأكل قربان الله؟“ فركض الجندي  
نحوه في غضبٍ، أخذًا الإناء  
الزجاجي، وشرب الأباركة. فامسك  
القارئ الأباركة وأخذ كل

[٩٠] واحدٍ من الاثنين يجذب  
(الإناء) ناحيته. فتحطم الإناء،  
وانسكبت الأباركة على الجندي. وكل  
موضع لحقته الأباركة، صار أبرصًا مثل  
الثلج. هو ذا بينت لكم، أيها الشعب

[٨٩] وعلى الجملة هو وابوه وشماس  
آخر كانوا خدام البيعة. ويقدسون  
فيها. وكانوا يعطون القربان والخمر  
للأغنسطس لكي يمضي يسبقهم ويعد  
لهم الخدمة. وأنه مضى دفعه كعادته  
ومعه القربان. وبينما هو يمشي اجتاز  
بموضع لم يكن فيه أحدًا. فوجد أحد  
الأجناد وهو راكب فرس. وكان الشره  
يقاتله. فقال للأغنسطس: ”ما هذا  
الذي معك؟“. فقال له: ”معي  
جسد ودم“، فقال له: ”أعطني منه  
لأكل“ فقال الأغنسطس: ”أيها  
المخالف تأكل جسد المسيح“. فجذب الجندي وعاء الخمر

[٩٠] فكسره فكان كل عضو لحقه  
شيء من سيلان الخمر في جسد  
الجندي صار ابرص أبيض كالثلج.  
وهو ذا قد عرفتكم كثرة تحن الله الذي  
أدركه. وعرفتكم الأعجوبة التي اظهرها

الحب لله، الأعجوبة التي قصها على الأسقف ساينوس. وأنا أخبركم بتحننات الله التي أدركته، ومجد الثالوث القدوس على الأعجوبة التي حدثت. وأنا أذكركم أيضًا بالطوباوي نيكيتس، لأنني أخبرت منذ مجيئي إلى هنا أنا الملك أغرقه في البحر. كذلك اضطهد القس لوقا، ففر إلى رودس. أما ميصائيل، ابن القديس نيكيتيس، ومعه أوييراكسيس، ابن ثيؤغنستوس، الذي قتلته الملكة زوجة أركاديوس، فكتبا لي وأعلماني بهذا. فكتبت لهما، معزيًا إياهما، داعيًا كلاهما ابنا الشهداء. وأنا أيضًا أطلب إلى أبوتك، أيها الأرشيمندريت القديس:

[٩١] أعلمنا نحن أيضًا عن كمال (نياحة) أنبا مكاريوس، لكي نمجد معًا الذي كمل في الإيمان بالثالوث القدوس في وحدانية، ووحداية في ثالوث: الآب والأبن والروح القدس، إلى أبد الآبدين. آمين. فقال لي أنبا ببنودة الأرشيمندريت: "نعم، يا أبتى. لقد كمل أنبا مكاريوس معترفًا في الإسكندرية. وأنا أخاف، يا أبي رئيس الأساقفة، أن أفتح فمي وأتكلم أما من يهب الروح القدس حيث يشاء

الله. وأنا أخبركم أيضًا من أجل الطوباني نقيطه الحاجب أنه أعلموني أن الملك القاه في البحر وغرقه. وطرده القس لوقا فهرب إلى الجبال وسكن فيها. وأما ابن نقيطه الطفل ميصائيل. وابن القديس تاوغسطس الذي قتلت الملكة امرأة ارغاديوس أباه الذي اسمه ابركسيوس. فإنهما الاثنان اللذان كتبا إليّ وعرفاني بهذا. وأنا كتبت لهما وعزيتهما لأنهما صاروا أولاد الشهداء. وأنا أسألك يا ابني رئيس المتوحدين

[٩١] أن تعرفني كيف كانت نياحة أنبا مقاره. وإن القديس أنبا ببنوده رئيس المتوحدين الذي لديوناسه. عرفنا بما شاهده وسمعه بالإسكندرية من أجل أنبا مقاره. وكيف كمل جهاده بشجاعة عظيمة. وقال: "إني أخاف أن اتكلم مع أبي القديس بل إني أقول مع المزمرد داود روحًا مستقيمًا جده في أحشائي حتى أستطيع أن اتكلم مع أبي وسيدي".

متكلماً في فمك، معلماً إياك كل شيء. ساقوا أيضاً مع المرنم داود: ”روحاً مقدساً ومستقيماً جددته في أحشائي“، وكذلك: ”بروح رئاسي عضدني“، لأجد الوسيلة لأتكلم مع سيدي الأب. وإذا أعطيتني من روحك، فإننا أيضاً أعطيك عهدتي التي نطقت بها شفاتي، أي الذكرى المفعمة بالنفع

[٩٢] التي لأنبا مكاربوس. حدث، بينما كنت أنا الحفير ببودة مسافراً نحو الشمال مع الإخوة الذين يتبعونني، أننا وصلنا إلى ساحة دير القديس أنبا شنوده. فقال لي هذا الأخ: ”لندخل وننال بركة القديس أنبا شنوده قبل أن نمضي نحو الشمال“. قال هذا لأنه كان مصاباً بالنقرس، ملتصقاً أن ينال الشفاء على يده ولما ذهبنا إلى الدير، وجدنا البار يتوجع من المرض. فأخذنا بركات الشيخ، وصلينا، ثم جلسنا. فقال القديس أنبا شنوده: ”حسنٌ أنك أتيت، يا أخي إسحق. ألم تتألم طويلاً وقد أتيت وصليت في اجتماع الإخوة؟ إلا أن رجلك لن تكف عن التألم حتى تصل إلى البطريك ديسقورس، وتلبس حذاءه في قدميك. وعندما تلبسه، ستصبح قدماك كما لو

[٩٢] قال: ”إني عندما كنت منحدراً مع الإخوة إلى بحري وعندما وصلنا قبال دير القديس أنبا شنوده كان معي أخ روحاني. فلما دخلنا الدير وجدنا القديس متوجع القلب جداً. ولما سلمنا عليه وجلسنا. قال الاخ الذي معي لأنه هو الذي سبق وقال لي: ’قم بنا يا أبي نطلع ونأخذ بركة الشيخ القديس أنبا شنوده‘. حسناً مجيئك يا أخي اسحق اذ حضرت لتصلي بكنيسة الإخوة. وكان ذلك الاخ يتألم من وجع نقرس في رجله. ثم قال له القديس أنبا شنوده: ”أن رجلك لا تتعافى حتى تمضي في الطريق التي أنت ماض فيها، وتجتمع بأبينا البطريك أنبا ديسقورس. وإذا أنت جعلت نعليه في رجلك فأنت تستريح“. وللوقت ودعناه

أنهما لم يصبهما المرض أبدًا“. وهكذا سلمنا عليه وخرجنا من عنده. وهو ذا قد كملت كلمته على أخي إسحق كما قال.

[٩٣] وهكذا انحدرنا إلى الإسكندرية، وسكنا في كانوبوس. وقضيت عامًا وأنا مقيم هناك وقلبي منفطرٌ على الإيمان؛ لأنكم كتبتم لنا تخبرونا عما آلت إليه أحوالكم. وبينما أنا متوجع القلب، زاد علينا همٌ آخر. فقد أرسل الملك يجمع الأساقفة إلى مدينة الإسكندرية. وقبل أن يمر شهرٌ منذ أن جمعهم نعى إلى علمنا أن هو ذا أنبا مكاريوس قد أتى من المجمع. فقمنا وخرجنا للقائه. كذلك حضر الأساقفة لكي يعرفوا خبر المجمع. فلما رآهم أنبا مكاريوس، قال لهم: ”لماذا ألقيتك أكاليلكم وهربتكم، وتركتم أباكم، رئيس الأساقفة، بمفرده؟“ أما هم فسكتوا. فسلمت أنا عليه، وأخذته إلى كانوبوس، إلى الدير عندي، وسألته عن حالكم. فاعلمني به، وكيف أن الملوك قد حادوا عن التقوى.

[٩٤] وبعد أيام دخل سرجيوس، رسول (الملك)، إلى الإسكندرية ومعه

[٩٣] وانحدرنا إلى بحري ونزلنا في بعض الأديرة القريبة من الإسكندرية. واقمنا أيامًا ونحن متألمو القلوب من أجل الأمانة وفيما نحن مجتمعون هناك واذ أمر الملك بكتاب قد حضر يأمر جميع أساقفة مدينة الإسكندرية. ومن قبل أن يكمل شهر زمان واذ أنبا مقاره أسقف قاو قد وصل من المجمع عندهم. فاجتمعت به هناك. وأيضًا اجتمعت به الأساقفة واستقصوا منه على ما جرى في المجمع. فقال لهم: ”لماذا طرحتكم أكاليلكم وهربتكم؟“. فصمتوا وإني ابتهجت به وقبلته إليّ وأخذته معي إلى مجمع الدير الذي كنت فيه. واستفهمت منه من أجل خلاف مرقيان الملك.

[٩٤] ومن بعد أيام قليلة. وصل الحاجب سرجيوس إلى مدينة

الإسكندرية. وعلى يده طومس لاوون. ومعه أيضاً جماعة من المهرطقة وآخر اسمه صالا فاعيا زري. فاجتمعت اليه جماعة الأساقفة في دير الزجاج. فقرأ كتاب الملك عليهم. وقال بأمر جزم: "أن من يكتب أولاً في الطومس من كهنة الإسكندرية فهو الذي يجلس بطريقاً على كرسي ديسقورس عوضاً عنه". وإن ابرتاري الذي كان تدير الكنيسة بيده مسك الطومس أولاً. وإن الإخوة الكتاب الذين كانوا يمشون معي اخفوا أقلامهم وادويتهم لئلا يشاركوه في خطيئته. وإن كاتباً اسمه صالا فاعيا زري الهرطوقي الذي قدمنا ذكره سلّم له الكتاب. فكتب في طومس لاوون. فقال له أنبا مقاره الأسقف: "يا ابرتاري كيف صرت تحت منعك وحدك. أليس ما قد قال لك ابونا ديسقورس البطريك يا ابرتاري أنك بغير حق تجلس على كرسيّ بعد نفى.

[٩٥] ألم تعترف بخط يدك وأحرمت على نفسك إن أنت جلست على كرسيه وهو حيّ. وها أنت قد صرت تحت منعك بفمك وحدك". فلما سمع سرجيوس الحاجب هذا غضب بحرد عظيم جداً. فأجاب ابرتاري

طومس لاون الشرير، هو وهرطوقي آخر اسمه سالوفاكاليوس. فقرأ عليهم الرسول رسالة الملك، أن أول من سيوقع على الطومس من إكليروس الإسكندرية هو الذي سيجلس على الكرسي ويصير رئيس أساقفة. وكان بروتيريوس مدبراً (لكنيسة) القيساريون، فوثب وأخذ الرسالة من سالوفاكاليوس، وصرخ نحو الكتبة أن اغمسوا لي (القلم في الدواة) لأوقع. أما الإخوة الكتبة المرافقون لي فأخفوا أقلامهم، لكي لا يصيروا مسؤولين عن الخطية. فأعطاه أحد الكتبة التابعين لسالوفاكاليوس قلمه، فوقع على طومس لاون الشرير فقال أنبا مكاريوس لبروتيريوس: "الآن قد صرت تحت حرم فمك. عندما قال لك القديس ديسقورس: "يا بروتيريوس، أنت هو الذي سيجلس على كرسيّ عندما أنفى، قلت في وسط الإكليروس:

[٩٥] أكون محروماً أن جلست على كرسيك وأنت حيّ. لكنه كان يكلم تيموثاوس. والآن، هو ذا قد صرت تحت حرم فمك، ويشهد عليك فمك". ولما سمع سرجيوس الرسول هذا، غضب جداً في صمت. فقال



وقال لأنبيا مقاره: ”أنا ما اكتب إلا على مجمع نيقية، وهو ذا أنا إلى الآن لم اخط“. فقال أنبا مقاره: ”ولماذا لم تقرأ المكتوب إلى آخره الذي في الكتاب حتى تعرف موتك مَنْ الذي يكتب قط في كتاب قبل أن يقرأه كله أولاً وبعد هذا يكتب خلفه. كتبت أنت وفضحت شيبتك عاجلاً بغير تأمل“. فقال الرسول للأساقفة: ”اكتبوا ولا تخالفوا أمر الملك“ فعندما خافوا كتبوا، ثم التفت الرسول إلى أنبا مقاره الأسقف.

[٩٦] وقال له: ”اكتب أنت أيضاً“. فقال له: ”لا يكون هذا البتة مني أن يكون لي خط في هذا الطومس. فلا تخاطبني من أجل كتابة فيه. فلست اكتب ولا أصير من هؤلاء البهائم القليلي الفهم الذين ليس لهم معرفة“. فقال له سرجيوس الرسول: ”جميع الأساقفة قد عرفوا أن هذا المجمع نيقية وكتبوا خطوطهم بغير تفتيش، وأنت تقول لا“ فقال له أنبا مقاره: ”أنا ما أعد مع كهنة البعل لكن مع كهنة ايليا النبي أحسب، لماذا اجعل روحي في

بروتيريوس لأنبا مكاريوس: ”في الواقع أنه مجمع نيقية الذي وقعت عليه، وإلى الآن أنا حقاً لم أرتكب إثماً“. فقال له المعترف الحقيقي: ”ولماذا لم تقرأ الوثيقة إلى النهاية، وأنت في الواقع تقرأ موتك؟ كل الناس العقلاء لا يوافقون أن يوقعوا على الوثيقة بالإمضاء، لكنهم يوقعون أسفلها عندما يقرأون من العنوان حتى نهايته. ها أنت وقعت صك عبوديتك، معتقداً أنه عتقك“. ولما قال هذا في وجه بروتيريوس، قال الرسول أمام الأساقفة: ”وقعوا ولا تموتوا ميتة بشعة قبل أوانكم“. فوقعوا من الخوف. ثم التفت إلى

[٩٦] القديس أنبا مكاريوس وقال له: ”وقع أنت أيضاً“. فقال أنبا مكاريوس: ”في الواقع أن ما تطلبه ليس هو تذييلاً بل عنواناً لأنها كانت معاملة تجارية بقطعتي عملة، وأنا لن أوقع عليها إلا لو قرأت المنشور أولاً، ولا سيما أن هذا الأمر يتعلق بالنفس. فإننا لو فعلت هذا، أكون كبهيمة عديمة المعرفة“. فقال له سرجيوس الرسول في غضب: ”كل هذا الحشد من الأساقفة عقلاء، وقد عرفوا أنه مجمع نيقية، ووقعوا بدون فحص. هل

عدد الذين تركوا عنهم الحق بل احسب روحي من جملة الذين ثبتوا على الحق“. فلما سمع الرسول المردول سرجيوس هذا. قام بغضب عظيم ورفضه في مذاكره فسقط ومات لوقته. وفي تلك الساعة استنشقنا روائح طيب فاخر فاح. من جسده المقدس.

أنت أحسن منهم جميعاً وأنت بهذا الخبل؟“ فقال له أنبا مكاروريوس: ”لماذا أحسب نفسي مع كهنة البعل، ولا أحسب نفسي مع إيليا؟ لماذا أحسب نفسي مع الذين سقطوا من الحق، ولا أحسب نفسي مع الذين صمدوا في الحق“ ولما سمع سرجيوس الرسول هذا، قام بغضب عظيم، وأمسك القديس أنبا مكاروريوس، وسدد له ضربة تحت أعضائه التناسيلة، فسقط ميتاً في الحال، وفاحت من جسده

[٩٧] رائحة طيبة وملأت المكان كله. وفي الحال خرج شعب الإسكندرايين، ولفوه كاستحقاقه في ثياب جليلة، ورفعوه، وأخذوه إلى مزار القديس يوحنا المعمدان وأليشع. أما سالوفاكياليوس فقال لأهل المدينة: ”ماذا تفعلون بهذا القبطي النجس فتدفنوه في مزار القديسين؟“ ولما قال هذا، خرج عليه فجأة برق من السماء، فالتوى وجهه للخلف، وانتقم الله منه في ذلك المكان، وملأ لسانه فمه، ولم يقدر أن يتنفس. وهكذا مات ميتة مخيفة أكثر من أي أحد. ولما سمعت الجموع، أتت لتنظر ما حدث. وكانوا يصرخون ويمجدون الله

حتى أن الموضوع جميعه امتلأ من تلك الروائح الطيبة التي لا تعرف. رائحتها. فاجتمع جماعة المؤمنين أهل الإسكندرية واتوا وكفنوا جسده المقدس بجلل جليله. ومضوا به إلى بيعة القديسين الذين هما يوحنا المعمدان وأليشع النبي. فقال ذلك الهرطوقي صالا فاغيا زري في تلك الساعة للجمع: ”ماذا تعملون بهذا القبطي المردول؟، تدفنوه في هذا المكان المقدس!“ فلما قال هكذا نزل عليه غضب الله من السماء فالتوى وجهه ودار خلف قفاه. وورم لسانه حتى ملأ فمه. ولم يستطيع يضبط نفسه. وبهذا الموت مات لوقته

بعذاب عظيم. وإن الشعب كله جاءوا إليه وشاهدوا ما حل به. وتمسك كل منهم بأمانته الأرثوذكسية. ولما رفعوا جسد القديس أنبا مقاره إلى البيعة. وضعوه على سرير القديسين.

[٩٨] وكان هناك طفل أخرس ابن اثنتي عشرة سنة. فانفتحت عيناه في تلك الساعة. فعان القديسين يوحنا المعمدان وأليشع النبي قد اعتنقا القديس أنبا مقاره وقبلاه كالإخوة. وانفتح فم الطفل في تلك الساعة وتكلم. ومسك يد أبيه وصرخ قائلاً: "ابصر يا أبي هذين الرجلين المنيرين كيف يعتنقان هذا الرجل الذي قُتل. وهما يقولان له: 'حسناً جيئك يا أخانا هلمّ بالسلام لتستريح معنا'. فلما سمع أبوه هذا منه صرخ قائلاً: 'واحد هو الله إله هذا الشيخ القبطي الذي صار شهيداً على اسم المسيح مخلصنا'، ولما سمع الجمع صراخه وما قاله اتوا إليه متزاحمين بعضهم على بعض ليشاهدوا الذي كان من الصبي الأخرس.

[٩٩] فقال لهم: "إني لاحظت رجلين مضيين أحدهما لحيته كبيرة

والذين يجاهدون عن إيمانه. ولما حملوا جسد أنبا مكاريوس إلى داخل المزار، وضعوه عند رفات القديسين.

[٩٨] وكان هناك طفل أخرس ذو اثني عشر عاماً تقريباً. فانفتحت عيناه في الحال، ورأى القديسين، يوحنا المعمدان وأليشع النبي، وهما يحضنانه ويقبلانه كأخوان أتيا من الغربية وسلموا على أخيهما. وفي الحال أنفتح فمه، ولم يعد أخرس. أما هو فأمسك بيد أبيه وصرخ: "يا أبي، أنا أرى رجلين يعانقان الرجل المنير الذي مات، في حين أن ثلاثتهم ينبرون ويقولون: 'حسناً أنك أتيت، أيها الأخ. تعال واسترح عندنا'. ولما قال هذا صرخ أبوه: "واحد هو إله هذا الشيخ القبطي". ولما سمعت الجموع أيضاً هذا، هرعت نحو الرفات، يدفع الواحد الآخر لتشاهد الأعجوبة التي حدثت أما هو فقص عليهم في خوفٍ ورعدة ما قاله الصبي. فمجدوا الله قائلين: "حقاً قد أرسل لنا الله

[٩٩] مخلصاً من الشفعاء الذين عندنا منذ البدء". حينئذ سألوا الصبي: "في

وشعره طويل نازل على كتفيه. والآخر قليل الشعر أصلع الراس طويل القامة“. وإثم علموا أن الرجل الكثير الشعر هو يوحنا المعمدان. والذي بلا شعر هو أليشع النبي. وحينئذ سجدوا على عظامهم ممجدين الرب. يسوع المسيح. وكان إنسان مقعد يمشي على يديه ورجليه في وسط الجمع. وإن الجمع لكثرة ازدحامهم رموا المقعد على عظام القديسين الشهداء كتدبير الله. ولوقت قام المقعد

أي هيئة كان الرجلان اللذان رأيتهما؟“ أما هو فقال: ”واحدٌ منهما كان شعر رأسه طويلاً وبلحية كثيفة حسنة، والآخر أصلع وضخماً“. فعلم الجمع أن ذا الشعر الطويل على رأسه هو يوحنا المعمدان، وأن هذا الأصلع هو أليشع النبي. وفي الحال هرعوا نحو رفاتهما المقدسة وتباركوا. وكان في وسط الجمع أحذب قد أتى هو أيضاً ليتبارك. وحسب تدبير الله دفعته الجموع. ونظراً لأنهم كانوا يتدافعون كأمواج البحر، طُرح بفعل تدافع الجموع. وبمجرد أن تلامس جسد الأحذب بجسد القديس أنبا مكاريوس، قام منتصباً مثل كل الناس.

[١٠٠] فصرخ قائلاً: ”واحد هو إله هذا الشيخ القبطي“. فلما رأت الجموع هذه الأعجوبة الأخرى، صرخت: ”حسنٌ أنك أتيت إلينا، يا أنطونيوس الحديد، شافياً كل مرضى مدينتنا. لم تستحق مدينتك جسدك المقدس؛ لأنهم يعبدون الأوثان في مقاطعتك. إتكوا الضعيفة أجنبتك، والمدينة العظمى الإسكندرية قبلتك إليها. ولدت اللؤلؤة في إتكوا ولم يعرفوها. ها قد أتيت إلى مدينة

[١٠٠] وصرخ قائلاً: ”واحد هو الله إله القديسين“. ولما نظر الشعب هذه الأعجوبة الثانية العظيمة صرخوا: ”حسنًا مجيئك إلى مدينتنا يا أنبا مقاره الأسقف. أنطونيوس الحديد الذي شفى جميع الامراض. لم تستحق مدينتك أن يكون جسدك فيها يعبدون الأصنام كرسيك الذي هو قاو المدينة الصغيرة هي التي اثمرتك، والمدينة العظمى الإسكندرية إليها قبلتك. الجوهرة الفاخرة النفيسة التي لا

تعرف قيمتها من قاو ظهرت. ولم نعلم بها البتة. وهو ذا هي انتظمت مع الحجرين الكريمين الآخرين في الإسكندرية في عقد واحد وثبتت. لأنهم قد علموا أنه مصطفى من الله ومن حسبهم حل الاثنان عندنا بأمر الله أولاً. والآن الثالث مقاره وافانا وحلَّ عندنا كمثل الثالث المقدس. فدفنوا حينئذٍ أنبا مقاره الشيخ الأسقف الطوباني بالحقيقة. وهو حافظ الأمانة الأرثوذكسية. وهم يسبحون الله بتسايح شجيه ومزامير وتماجيد. ونشيد روحاني. واني اخذت مع بنوتيون تلميذه وأتيت به إلى الدير الذي نحن فيه مجمع الإخوة. وصرت أعزيه وأقول له: "إن الشيخ لم يمُت بل أنه عاش ومضى إلى الحياة الدائمة في المنازل الطوبانية

[١٠١] والآن يا ابني تقوى بالرب وتشبه بابيك في الاعمال. والكلام والغيرة والحسد في اعمال الحق". صلوات القديس أنبا مقاره الأسقف تكون معنا جميعاً. من قبل نعمة وتحنن محبة البشر التي لربنا يسوع المسيح.

الإسكندرية، ووضعوك بجوار الأثنين. عرفوا [...] لأنهما كانا اثنين. هو ذا قد صاروا ثلاثة على مثال الثالث القدوس". وهكذا دفنوا القديس مكاريوس بتسايح وتماجيد. أما أنا فأخذت بينوتيون ولده إلى البيت في كانوبوس، وعزيتة قائلاً: "يا ولدي أن أباك لم يمُت، بل هو حيٌّ إلى الأبد". وبقية

[١٠١] [...] التعزيات (?) التي فعلتها له. هو ذا قد قلت لك، يا سيدي الأب، لما خرج أنبا مكاريوس مجاهداً في الحرب. لقد خططت الحرب، أيها الطوباوي والمطهر، وانتصر فيها أنبا مكاريوس، ونال الإكليل. لأنه لولاك، يا سيدي الأب القديس، لكانوا جذبونا كلنا إلى هوة

الهلاك، نحن الذين لا نعرف يمينا من شمالنا. والآن صلّ، يا سيدنا الأب القديس، لكي يكملنا الله في الإيمان بالثالوث القدوس، بالنعمة ومحبة البشر التي لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذي من قبله

[١٠٢] هذا الذي من قبله ينبغي كل مجد. وكل كرامة. وكل سجود. وتسبيح يليق للأب والابن والروح القدس. المحيي المساوي معه. الآن وكل أوان وإلى دهر الدهرين آمين وجسده الآن بدير القديس ابو مقار بيرية شيهات.

[١٠٢] يليق به كل مجد مع أبيه الصالح والروح القدس المحي لكل نفس والمساوي، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور كلها. آمين.

## كيف وصل جسد القديس أنبا مقار الأسقف

### لدير القديس أنبا مقار الكبير ببرية شيهيت؟

بعد استشهاد القديس أنبا مقار الأسقف ودفنه بجوار جسدي القديسين أليشع النبي ويوحنا المعمدان كالنبوة التي قرأناها في سيرته، لا بد أن نعلم أيضًا أن جسد النبيان أحضرا من أورشليم في عصر البابا أثناسيوس الرسولي وفرح بهما جدًا، واحتفظ بهما في بستان لحين بناء كنيسة على اسميهما ويدفنا فيها. ولم يتمكن البابا أثناسيوس الرسولي من بناء تلك الكنيسة بل أكملها البابا ثاوفيلس الـ (٢٣) على أطلال المعبد الوثني السرابيوم الذي حطمه البابا ثاوفيلس، وفي منتصف القرن الخامس وبالتحديد في ٢٧ بابه / ٦ نوفمبر ٤٥١ م تعيد الكنيسة باستشهاد أنبا مقار الأسقف والذي دفن مع أجساد القديسين أليشع النبي ويوحنا المعمدان، وفي أوائل القرن العاشر وصل جسد أنبا مقار الأسقف إلى دير أنبا مقار الكبير ببرية شيهيت، ويفهم من ذلك أن رفات يوحنا المعمدان وأليشع النبي قد نُقلت مع جسد أنبا مقار الأسقف من كنيسة يوحنا المعمدان بالإسكندرية في أوائل القرن العاشر لأسباب غير معلومة لدينا.<sup>١١٠</sup>

---

<sup>١١٠</sup> الكشف الأثري عن رفات يوحنا المعمدان وأليشع النبي، دار مجلة مرقس، الطبعة الرابعة ٢٠٠٩ م.





## **الباب الثاني**

### **القمامصة الكبار**



بسم الآب والأبن والروح القدس الإله الواحد له المجد.

## تقرير عن سيرة القديس يحنس القصير (٣٣٩ - ٤٠٩ م)

ولد القديس يحنس (يوحنا: الله حَنَّان) القصير حوالي سنة ٣٣٩ م في مدينة "بمجا"<sup>١١١</sup> من أعمال البهنسا بمحافظة بني سويف من أسرة فقيرة من غنى هذا العالم، غنية من النعم الروحية التي لربنا يسوع المسيح والتي تظهر في ابنيهما اللذان ترهبوا في برية شيهيت أنبا يحنس القصير وأخيه الأكبر، وتذكر المخطوطة أنه من إقليم طيبة (ثيبا) فهذا يرجع إلى أنه كان يطلق على كل ما هو غير الدلتا بطيبة، قصد يحنس القصير برية شيهيت في ٣٥٧ م وكان عمره آنذاك ١٨ سنة، تتلمذ على يد أنبا أموي وينطق (بامو، بموا) ثم انفرد وتوحد بجوار الشجرة التي أمره معلمه بزرعها (شجرة الطاعة)، وبعدها تمت هجمة البربر<sup>١١٢</sup> الأولى على برية شيهيت في ٤٠٧ م فترك البرية المقدسة واتجه إلى برية القديس أنطونيوس وعاش في منطقة القلزم ما يقرب من السنتين بعدها تنيح في ٢٠ بابه الموافق ١٧ أكتوبر ٤٠٩ م وله من العمر سبعين عامًا.

## كاتب السيرة

سيرة الضياء الكامل بكل الفضائل أبينا القديس إيغومانس دير ميزان القلوب ابو يحنس القصير: أخبر بها محبة في المنفعة اللابس الإله بالحقيقة معلم الديانة أنبا زخارياس الفاضل أسقف المدينة المحبة للمسيح سخا عندما حضر عنده أخوة اتقياء محبين للإله يسألونه بكثرة في هذا الأمر: قالها في يوم تذكاره

<sup>١١١</sup> دير القديس أنبا مقار، القديس يوانس القصير الملقب "كولوبوس"، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠ م، ص ٦.

<sup>١١٢</sup> يلقب هؤلاء الرابرة بالمازيك، ويبدو أن أصولهم ترجع إلى موزيتانيا من جهة جنوب بلاد المغرب، وأقامت هذه القبائل المحمية على الحدود المصرية الليبية، وبجوار واحة الداخلة والخارجة ومازال هؤلاء الرابرة أصول في الجزائر والمغرب وموزيتانيا ويطلق عليهم "الأمازيج". د/ منير شكري، أديرة وادي النطرون، دير السريان، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ٨٦.

المقدس المكرم الذي هو يوم العشرين من بابه بسلام من الرب الهنا آمين وأريح السامع والقارئ آمين.

### مقدمة

قال قصداً عاليًا يفوق الوصف ينفع نفوسنا جداً قصدتموه يا آبائي القديسين، وصورة صادقة للفضيلة ومنصباً للديانة سألتهم عنه، ولكي ما أقول كلام الرسول باستواء انسان كاملاً لكمال جميع قامه المسيح قد خُلق لصورة الله الحي. سألتهم مسكنتي أن أكلمكم بفضائله المقدسة ذلك الذي هزئ بجميع أباطيل هذه الدنيا، وعبر الأمواج الكثيرة التي هي مكر الأرواح الشريرة وخفف وسق سفينته العقلية قوةً، وأفعال ولادة هذا العالم المظلم الهوائية بغير عقوبة من شر مسكين الخطية عندما فتح عقله، وتشدد قبالة أولئك بمعرفة؛ فلذلك رد الفعال الرديئة التي لمناصب فكرهم ورفضها بقوة مثل إشيء بالية. وهو دائم بغير فتور باشتياق متزايد بطهارة ذاتية متدرّج بمحبة المسيح، مستعمل نور الطهارة بمعرفة حقيقية، وبهذا دبر نفسه بفعل ملائكي حتى نال المسلك الممتلئ هدوءاً الذي هو ميناء الروح القدس. وهذا الرجل هكذا يا احبائي كيف يحتاج لساني إلا لهذا الأمر أن يتكلم برواية فضائل الطيبة الرائحة المقدسة ليكون لنا جميعنا منفعة للحياة المؤبدة معشر السامعين والمتكلم. لكيما بحسد محمود يليق بالسيرة نتشبه نحن أيضاً بسيرته الملائكية وجميع اجتهاده وأعماله الفاضلة. وبتجارة عظم متجره الكثير الخير الكائن في كل قول من فضائله العالية، ننال نحن أيضاً ميراثه الأبدي، مع كون هذا القديس قد فرغ أن يُمدح قبلنا من القوات العقلية الروحانية المقدسة العلوية ومن جميع الطغمت وجميع الصديقين يُمدح أفضل من مديحنا ربوات مضاعفة عندما خلا عنه هذا الوادي الذي للبكاء هذا الذي جعله موضع أدب وتعليم وفلسفة حقيقية للحياة المؤبدة، وكما يليق الآن يصلح أن نتكلم ببسير عن كرامته وعظم فضيلته التي نالها من الله، التي لا يعرف مقدارها العظيم إلا يوم القيامة الجامعة المشتركة لجميع الخليقة فيأخذ عند ذلك باستحقاق وإعلان كمال كرامته الدائمة. والآن يفرح فعل الروح القدس هذا الذي يضئ لضعفنا بضياء معرفته المقدسة، ولا سيما في يوم تذكار عيد أبينا

القديس أبو يحنس هذا الذي بلغنا اليه الآن المسيح الهنا بدور السنة، وأفضل من ذلك يفرح قلب هذا الشعب المسيحي المحب للصالح. هذا الذي جمعته الينا صلاة القديس في يومه المقدس لنعيد له روحانيًا، وأفضل من ذلك أيضًا أن نستعين بالمسيح الهنا، وبصلاة أيينا القديس. فنبتدئ باجتهد بتهيئة طيبه المقدس الروحاني الذي كسبه طيب قد جُمع من أزهارًا كثيرة الرائحة الذكية، وصار طيبًا واحدًا كريمًا جدًا أعني فضائل ذلك القديس المقبولة قدام الله وملائكته هذه التي تذكى وتطيب طيبًا حقيقيًا لجميع النفوس المحبة للإله، ولكل من يريد أن يعيش بالرب نعمًا، لكيما تشتاقوا الشوق الروحاني وتطلبوا الروحانية والطوبانية الدائمة، وليس نحن نقصد التجارة العالمية بكلام الله وتحقيق العبادة كمثل قول الحكيم بولس الرسول، بل بطهارة ومن قبل الله نتكلم على المسيح قدام الله بأعمال ذلك الصديق، ولا سيما ان أثماره نافعة جدًا كما أن توق تحقيق الأعمال يظهر الأمر لنا، وبهذا الكلام نزين ميمرنا منفعةً وعزاءً حقيقيًا لاجتماعنا في الرب، ولا سيما ما حضرنا ووجدناه مسطورًا عن معلمي البيعة القديسين وعن آبائنا الأبرار لابسين الله هؤلاء الذين كانوا رأس واضعي أساس عبادة الله أولاً في البراري، وكانوا ناظرين لأعمال البر وأوصلوها الينا نحن بمسطور شفاهيًا من آبائنا القديسين الذين وجدناهم قبلنا في البيع المقدسة في الزمان القليل الذي أقمنا سُكناً فيه بينهم بغير استحقاقنا نتعلم منهم بمعرفة الله، نعلم من قبل فلسفة التعليم الصحيح، هؤلاء المحبين لحلاوة البر ويشبعون نفوسهم الروحانية من جمال فردوس الأعمال الفاضلة التي للفضلاء الأقوياء الذين كانوا قبلهم هم أيضًا هؤلاء الذين أخذوا الغلبة على الضد الكاذب بمعونة ترس وسلاح القوة العظيمة التي للصليب المخلص، هذا الذي يحملونه بالحقيقة، لأنه ترس اعمال القديسين، وتذكاراتهم المقدس نافع جدًا، ومن قال بمعرفة هذا يربح خيرًا عظيمًا متضاعفًا، ولا سيما أننا نتبع عادة فصل المرتل داود ونقول نحن أيضًا كقوله الذي سمعنا ورأينا وأخبرنا آباؤنا ولم يخفوا عن بنينهم الى جيل آخر ليخبروا بتساويح الرب وجبرؤوته والعجائب التي صنعها، لكي يعلم الجيل الآخر البنين الذين يولدون ليقوموا ويخبروا به بينهم لكيما يجعلوا توكلهم على الله، ولا

ينسوا أعمال الرب وليطلبوا وصاياه، وبالأكثر أننا نعرف ما نطلب من كتاب الشيوخ القديسين من أجل ما سطر فيه لأجل هذا القديس الذي نعيد له اليوم، أعني الكتاب الذي سموه بستانًا و فردوسًا بحق كما هو مكتوب ولانق نعمًا أُسمي بهذا الاسم وذلك أن تسمية القديسين المكتوبين في هذا البستان الفردوس النفساني امتلاءً فردوس النعيم، ثم وإلى الآن وإلى انقضاء الدهر لا يزال هذا الكتاب المسمى بستانًا يهيئ نفوسنا قربانًا لله الذين يشبعون نعمًا بمعرفة لينالوا منه يقظة حقيقية ليكونوا هياكل حقيقية للروح القدس ويظفروا بميراث بميراث الحياة المؤبدة لحسد السير والأعمال والتعب المخلص. المكتوب فيه عن القديسين المضيعين الذين هم هؤلاء أنبا بولا الكبير، وأنبا أنطونيوس، وأنبا بلامون، وأنبا باخوم، وأنبا أرسانيوس، وأنبا بطرانيوس، وأنبا تادوروس، وأنبا مونا، وأنبا أمون، وأنبا مادونه، وأنبا مقار الكبير، وأنبا مقار القس، وأنبا ايسيدارس القس، وأنبا بمويه، وأنبا شيشاي، وأنبا ماويه، وأبو موسى، وأبو دماون، وأنبا يوسف، وأنبا اكرونه، وأنبا سرايون، وأنبا ييمان، وأنبا ارسانه، وأنبا بنوده، وأنبا اشعيا، وأنبا بطرس تلميذه وأنبا لوقيوس، وأنبا لنجينوس، وأبونا القديس الإيغومانوس الذي نعيد له اليوم الطاهر ابويحنس القصير، فهو أيضًا واحد فاضل مختار محسوب في جماعة القديسين الذين ذكرنا اسمائهم، وبقية القديسين الآخر هو مساوي لهم في الكرامات وأجرة اكليل هذا الميراث الواحد الذي للفضيلة، ولا سيما من أجل كونه قصد النعمة الفاضلة التي لفضيلة كل واحد منهم بمحبة التعب لابس السلاح العظيم القوي الذي للمسيح الذي هو الاتضاع الحقاني في جميع اعماله حتى نال الجميع ما قصد اليه من كمال الفضيلة. إلى ههنا نوقف كلام العنوان ونكشف يسيرًا من الكنز الممتلئ خيرًا الذي لأبينا القديس منفعة للشعب كله.

### ميلاده ونشأته

وأبونا الطوباني الإيغومانوس أبو يحنس القصير كما وجدنا ذلك مكتوبًا يا احبائي، كان من بلدة من كرسي مدينة ثيبه المدينة المعروفة من الصعيد، وأما بلدة علو فضائله فهو من أهل مدينة السموات، وأما في غنى هذه الدنيا فكان

فقيراً محتاجاً، بل قد قيل أن مساكين هذا العالم اختارهم الله اغنياء بالمسيح ليغنون كثيراً في علو الروح القدس، ولا سيما أن الفضيلة لا تأتي لم له جنس ونسب أو لم هو مستكبر ومتنعم في غنى هذه الدنيا، وتتباعده ممن هو مسكين فقير، بل تأخذ الفضيلة في نفس محبة للإله هذه التي تختار لنفسها بهواها رأياً مستقيماً في علو الخير كل حين بنوع واحد، مسكينة كانت أم غنية، وهذا نعلمه من سيرة آبائنا الرسل، وجميع القديسين، لأن فيهم من نال الفضيلة بحرقه على طلبها اغنياء أو فقراء، وأبوي هذا الطوباني يا احبائي كما قيل عنهما انهما كانا تقيين جداً يخافان من الله، وهذان وهب الله لهما ذكزين الكبير منهما في العمر كان هو أيضاً قد صار راهباً مختاراً اخيراً كما سيظهر الكتاب لنا ذلك اذا تقدمنا فيما يستأنف، والصغير في العمر الجسداني هو أبونا القديس أبو يحنس القصير، وفي الجمال والفهم الجيد كان كبيراً في الفضيلة، وعندما شاخ في المعرفة الحقانية قبل الشيب كان ينمو كل يوم في الفكر العالي الإلهي، ونعمة الرب تعضده مثل تفسير اسمه لأن تفسير يحنس النعمة، وهذا بحق كما قيل عنه سُمي به كالموعد وكسابق علم الله هذا الذي يهب نعمته للخليفة كلها بغير حسد، قدسه وظهره منذ كان في صُلب أبيه، وأفرزه من حين وهو في بطن أمه وأختاره ولا سيما من حيث صار في ثامن عشر سنة تكلم الإله معه كلام عقلي بفعل حسن بالحس الروحاني قائلاً: ”أخرج من أرضك ومن جنسك وتعال إلى جبل النظرون وازن القلوب حيث يوزن فيه القلب والأفكار بقضية حقانية، كما سُمي وازن القلوب، وحيث الملمح الروحاني هناك الذي يملح النفوس، حيث جميع العيشة الملائكية هناك تسير في المحبة الكاملة والسلامة التامة، هناك الحكمة والمعرفة والقول الإلهي الذي للاعتقاد المستقيم بالأمانة الثالوثية الرسولية، حيث جميع النقاء الإنجيلي، حيث يقبل طيب الروائح المختارة التي هي أنفُس القديسين، هؤلاء المتقدسة أمامي ويكون لي من قبلك انت أيضاً طيب وذبيحة من قبل هذه الأشياء وما أشبهها من قبل الإله الذي دعاه وهداه الى البراري المقدسة“. قال حيث البركة والمحبة الكاملة التي للجبل المقدس المستقيم المبارك جبل آبائنا القديسين، أهل بيت أبو مقار الكبير الجبل الذي يطلبون فيه الرب،

الذين يطلبون وجهه اله يعقوب، مثل كلام داود النبي، وبهدوء نوعهم الملائكي<sup>١١٣</sup> هذا الكائن بدعة المسيح وبثمرة سيرتهم ذات الأنواع الكثيرة التي للروح القدس، ولكي نقول الكلام جملة كقول النبي أن ديارك بهمة يا يعقوب، وخيامك يا اسرائيل مثل فردوس الفرح<sup>١١٤</sup>

### لقاء أنبا يحنس القصير بالقدیس أنبا بامو (بموا)

ومن هؤلاء القديسين كما هو مكتوب انه صادق ووجد شيخًا ورجلاً مجربًا عظيمًا مجاهدًا جدًّا في أعمال عبادة الله، وهو مستوجب أن يريه في النواميس الإنجيلية، الذي هو أنبا بامويه من أهل بمجا، هو معلم الناموس أيضًا في آباءنا من أجل علو فضائله، ومن ابتداء يكتب سيرة هذا القديس يحتاج أيضًا أن يخبر بخبر واسع جدًّا، ولكن بفضيلتين أو ثلاثة نقولها، وإذا طال الكلام ليُعرف عند كل أحد أنه كامل وتام عند الله والناس، وهذا الماضي هكذا التجأ اليه القديس أبو يحنس القصير، فسأله أبونا أنبا بامويه قائلاً يا ابني ماهي حاجتك إلى هذا العناء وهذه المشقة العظيمة التي تعبتها أجاب القديس أبو يحنس باتضاع عظيم ودموع تجري على خديه قائلاً له ان كانت هي ارادة الله فأنا أريد أن أتربه واستحق أن اكون أنا أيضًا مع جماعة قدسكم لأنكم جنس مبارك في الرب دون الأرض كلها وإذا صليت عليّ فالرب يهبني لك وقلبك يستريح عليّ أجابه أنبا بامويه وقال له: ”هذا الأمر الذي تقول عنه يا ابني ليس هو هكذا نبدأ، بل ينبغي لمن يقول على هذا الخبر أول كل شيئًا يحتاج إلى همة مستقيمة بغير ميل البتة في اراده وينسى بالكمال جميع الأعمال الباطلة غير المثمرة التي للظلمة ويهدم كل علم ويقوم على علم الله الحقيقي وتكون جميع أعماله مضيئة كمضيئة الله بطقس يليق ويصلح لطقس القوات التي في العلا، وترفض النياحات الدنياوية الفانية ولذاها الزائلة من أجل شوق الخيرات المعدة الدهرية“.

<sup>١١٣</sup> يقصد طبيعتهم الملائكية.

<sup>١١٤</sup> «ما احسن خيامك يا يعقوب مساكنك يا اسرائيل» (عد٢٤: ٥).



## ملاك الرب يأمر أنبا بامويه بقبول أنبا يحنس ورهبنته

هذا لما قاله له أبونا القديس أنبا بامويه تركه وحده في موضع ومضى أنبا بامويه هو أيضاً إلى موضع آخر وبسط نفسه إلى الرب متضرعاً جميع تلك الليلة بسؤال كثير وصلوات من المساء إلى الصباح لكي يكشف الله له ما يرضيه من أجل القديس أبو يحنس ولا سيما أن هذه عادته كل حين لا يعمل شيئاً من الأعمال دون إرادة الله، وفيما هو يصلي بدموع كثيرة لكيما ينال سؤاله، فلما اقترب الليل من الفراغ واذا ملاك الله وقف أمامه وقال له: ”يا أنبا بامويه الرب الذي يأمرك أن تقبل هذا الأخ بفرح لأني الذي أرسلته اليك ولا سيما أن قرنه سيرتفع بمجد وثمرته تكون بخوراً مقبولاً أمامي إلى جميع الأجيال“. فلما قال له الملاك هذا توارى عنه فلما كان الصباح أتى الشيخ أنبا بامويه إلى أبو يحنس ووعظه بكلام الله لكيما يدعوه إلى الجهاد لكي يستعد باجتهد لمقاتلة الأعداء الغير المنظورة ليكون مستيقظاً مستفيظاً للأفكار الدقيقة الشريرة هؤلاء الذين يسرقون العقل بفعل مكرهم الرديء وبهذا علمه أن يشتد للحرب بقوة لكيما يغلب جميع حيل العدو الشرير الكاذب، وبعد هذا خلق رأسه أبوه القديس أنبا بامويه، وجعل ثياب الرهينة على الأرض وأقام ثلاثة أيام وثلاثة ليال بغير أكل ولا شرب هو وأبو يحنس قائمان يصليان كلاهما على الثياب وفي تمام الثلاثة أيام والثلاث ليال وقف ملاك الرب أمامهم وصلب على الثياب ثلاثة دفعات برشم الصليب المخلص، وتوارى عنهما ولما كان الصباح البسه الثياب أعني أبو يحنس وقبله بفرح روحاني وأمره بالسعي والملازمة على أعمال الفضيلة أعني أبونا أبو يحنس.

## أنبا يحنس يكتسب الفضائل في بداية طريقه الرهباني

حسناً ابتدأ يا أحبابي عندما صار في رتبة عبادة الإله ابتداءً أولاً أن يخدم في الطاعة الكاملة مثل تلميذ صالح يتاجر بصبر حقاني وهو لابس السلاح القوي الذي هو الاتضاع الحقاني الذي يهلك ويرض جميع أصول الخطية ومثل نفسه بمخلصنا يسوع المسيح له المجد كما اتضع بارادته من أجل انقاذنا ووافي إلينا في

صورة العبد وخدمنا اذ كنا في آلام وأوجاع الخطية وأنقضنا من الهلاك لما كنا موتى بموت الخطية والآلام السمجحة وفي هذا أيضاً عرفت نعمة الروح القدس هذا الذي يهدي أبانا القديس أن كل تعليم بغير تبكيت فهو مرذول وكل من ليس لهم مدبر فسيقعون مثل الورق فمن أجل هذا حسناً ابتداءً أبونا القديس أبو يحنس بالطاعة والإتضاع كما قد قلنا ولا سيما أن هذا من وصايا الإنجيل المقدس اذ يقول: "من أراد أن يكون فيكم كبيراً فيخدمكم ومن اتضع ارتفع". لأن بمثل هذا أخذ يشوع بن نون خلافة موسى وهكذا الإشع بمثل ذلك تضاعفت عليه روح ايلياس وكذلك باروخ مع إرمياء النبي وآبائنا الرسل المؤيدين انما استحقوا بنوة الإله بطاعتهم واتباعهم للإله الكلمة وهكذا أهل بيت إكليمنضس أعني التلاميذ الصغار لآبائنا الرسل كل منهم خلص بطاعته وخضوعه لغيره وكذلك أبونا أيضاً تبع آثارهم من أجل هذا أيضاً نال الطريق التي بغير ضلالة عندما أبحر جميع أنواع هوى قلبه وتبع سائر أوامر معلمه الحقيقي مثل تيموثاوس بين يدي بولس حتى أنه أيضاً يقول أمامه مثل ذلك الآخر: "أنك تابع تعليمي وأمانتي ومحبي وصبري وما يتلوا ذلك".

### شيخ مُختبر وتلميذ مجتهد

وأن أبونا أنبا بامويه اذ أوّتمن من قِبَل الله لخدمة هذا الأمر من اليوم الذي قبل فيه أبونا أبو يحنس لم يكن يفتّر من تأديبه بناموس الرب ويجتهد معه لكيما يعلمه التقوى والنسك وأنواع الفضيلة بمخافة الله من المزامير والسهر وطرق العبادة التعب المحرقة والانفراد والحبس والرقاد على الأرض وجحود الهوى الذي للنفس الذي هو أن لا يعد نفسه شيئاً بالجملة والسكوت والاتضاع والاستحياء والسداجة وكل ما يعلمه اياه يكمله بحفظ المشورة وهو طائع جداً ويعمل ولا سيما أن يحفظ حواسه بسلام وقلبه من وسخ الأوجاع ويحرس عقله وبخاصة من أجل خيال الأرواح والمناظر والأحلام لكيما يعمل بفطنة حقيقية ويعلمه المشي الى الكنيسة بحكمة وعقل لأنها كانت بعيدة منه قليلاً بهدوء وثبات ويجعل باله لا سيما عند قراءة الكتب التي هي أنفاس الله ويجتر مثل الحروف على الحفظ ظاهر قلبه في الصلاة بغير فتور مثل حمل ناطق ويجتذب اليه الروح من حلوة

كلام الله وكان يوصيه بحرص عظيم أن يفهم ما يسمع في الكنيسة ويحرص بحرقه ودموع بغير فكر أرضي ويفهمه أيضًا مقدار الحق بقضية حقانية وإذا سأله عن أمر ما فيضرب له مثلاً ويقول: "لئلا يطول الكلام يا ابني الزم الصمت لئلا يأتي في الوسط فكر غريب فنخسر نفوسنا وبخاصة بحفظ عظيم في البيعة حتى نستحق صعود السرائر المقدسة"، وفيما أبونا القديس أبويجنس في هذا المكتب الذي لأدب الفضيلة المقدسة ويُعلم ويُكرم كما تكرم الأرض من الفلاح يفلح من الجهتين من تفهيم معلمه ومن معونة نعمة الله وكان ينشئ ويشب ويزهر ويضيء بثمار الروح القدس حتى صار بالحقيقة مثل قول مخلصنا القائل يكفي التلميذ أن يكون مثل معلمه.

«واذ كنت مقبولاً أمام الله كان لابد ان تمتحن بتجربة»<sup>١١٥</sup>

ومن بعد هذا كان أبونا القديس انبا بامويه يمتحن ويجرب أبينا أبو يحنس ليشرق نوره ولا سيما امام الناس بتحقيق الأعمال منفعة للذين يكون لهم هادياً إلى الحياة المؤبدة كما هو مكتوب من اجل القديس أبو يحنس فأخرجه أبونا أنبا بامويه من المسكن قائلاً له ما أستطيع أن أسكن معك بعد اذهب إلى مكان آخر وأخرجه خارج الباب وأن أبو يحنس أقام صابراً بوجع قلب وبكاء وكان الشيخ الشديد الامتحان يخرج كل يوم غدوة ويضربه بحرية ويطرده قائلاً: "اذهب من ههنا"، وكان القديس يضرب الميطانية وهو ملقى على وجهه أمامه باتضاع عظيم وتضرع كثير يسأل أباه قائلاً اغفر لي يا أبي أخطيت اقبلني من أجل الرب من جهة الله يا أبي لا تطردني عنك وبقي كذلك سبعة أيام بلياليها لا يأكل ولا يشرب ولا مضى إلى موضع آخر وهو مقيم بطول روح خارج (براً خ<sup>١١٦</sup>) الباب وعندما كان يسمع أنبا بامويه يتلو الكتب التي هي أنفاس الله تعزية له فيقول لنفسه وحده: "اصبر للأب فأني ولد لا يؤدبه أبوه"، ويذكر أيضاً قول الرب أن بصيركم ترجون أنفسكم وقوله أيضاً من يصبر إلى المنتهى يخلص وأقام في هذه الأشياء بأمانة ثابتة وفهم قلب شامئاً مقاتلاً لأفكاره

<sup>١١٥</sup> (طوبيا ١٢: ١٣).

<sup>١١٦</sup> يشير حرف (خ) إلى الكلمة الأصلية حسب نص المخطوطة.

الشريرة إلى كمال سبعة أيام لبلياليها فخرج أبونا أنبا بامويه سحر يوم الأحد ليمضي إلى البيعة المقدسة فلما تأمل القديس أبو يحنس فإذا بسبعة من الملائكة لابسين مجملين بمجدٍ عظيم حاملين سبعة أكاليل تبرق بلميع نور فوق رأس أبونا أبو يحنس وهم يضعونها على رأسه واحدًا بعد واحد وقد ملأوه من كل نعمة فلما عاين أنبا بامويه هذا المنظر تعجب جدًا وللوقت أسرع إلى أبو يحنس وقبل رأسه بابتهاج عظيم ومحبة واعتنقه بسلام مقدس من نقاوة الروح القدس وقبله أيضًا وجعله عنده من ذلك اليوم وصار في منزل أنبا بامويه ولم يُطلعه على ما شاهده.

### مفهوم الرهينة عند أنبا يحنس القصير

ومن بعد ذلك جلس أنبا بامويه مع الإخوة فسألوه كيف تكون الرهينة فدعا أبو يحنس قائلًا له: ”يا يحنس ابني تعال عرف الإخوة كيف يصيرون رهبان“، فأجاب أبو يحنس باتضاع عظيم قائلًا: ”اغفر لي يا أبي القديس الله وملاكك يهدينا كلنا“، فقال له أنبا بامويه: ”نعم يا ابني أطعني“. فأسرع أبو يحنس للطاعة وكمال أمر معلمه وللوقت تعرى ثيابه عنه وطرحها تحت رجليه ووقف عريان فتعجب منه أبوه والإخوة فقال أنبا بامويه: ”يا ولدي يحنس ما هو هذا الذي فعلت؟“، فقال له: ”إذا لم يتعرى الإنسان من سائر مجد هذا العالم ويدوس جميع هوى قلبه هكذا وإلا فلا يستطيع ان يصير راهبًا مثل مشيئة الله“، فقال الشيخ والإخوة: ”بحق هذه طريق الخلاص وذلك أن وصية مخلصنا تقول لا يستطيع أحد أن يعبد رين ولا يؤمن بإلهين“. وأنهم رجحوا كثيرًا ومضوا.

### اختبارات الشيوخ

وفيما أنبا بامويه جالس يومًا آخر في الكنيسة أتى إليه إخوة يسألونه من أجل خلاص نفوسهم فأرسل أبو يحنس تلميذه ليكلمهم، وأن أنبا يحنس بنعمة الروح القدس الساكن فيه كان يجيب كل واحد منهم ويعظه بكلام يطيب القلوب وعزاء في الرب، فلما أحاط به الإخوة وإذا شيخٌ كبير مجرب جدًا قد جاء إليه وقال له في وسط الإخوة أنت الآن يا يحنس تشبه امرأة زانية تزين نفسها ليكثر فسقها، فأجابه أبو يحنس باتضاع قائلًا: ”الحق قلت يا أبي

القديس ليس هو شيئاً غير هذا الأمر“. ومن بعد هذا أتى إليه أنبا بامويه وقالوا له: ”أترى يا يحنس تألم قلبك من قبل الشيخ“، فقال له: ”وحقك يا أبي كما كان خارجي كذلك داخلي من قبل المسيح الذي يقويني“.

### صفعة قوية على وجه القديس يحنس القصير

سأل أنبا بامويه دفعة أخرى وقال لأبو يحنس عن قضية حاله وأفكاره، لكي يعلم هدوء حاله (حساباته خ) وضمير خواطر قلبه ويتحقق كيف هو فقال له أبو يحنس أنا يا أبي أشبه واحدًا تحت شجرة عالية جدًا فاذا نظر الوحوش والذئاب مقبلة إليه ولا يقدر أن يقف أمامهما فيهرب إلى الشجرة ويخلص. كذلك أنا أيضًا يا أبي القديس أكون جالسًا في فلايتي (كيبيتي خ) فاذا رأيت جميع أفكار العدو الشرير مقبلة إليّ فأهرب إلى ظل ورجاء معونة الله بالصلاة فأخلص من العدو وإلى المنتهى. وفيما هو يومًا ساهيًا في شوق الخيرات الدائمة أعني أبو يحنس سأله الإخوة بامتحان يريدون أن يعلموا أين أفكاره فقالوا له: ”يا يحنس مطرًا أمطرت السماء السنة وأفلحت لأجل البردي لكي يجد الإخوة شغل أيديهم“، فأجابهم أبو يحنس قائلاً: ”كذلك الروح القدس إذا حلَّ على النفس يبيضها وينورها بنور الفضيلة“ فقالوا له: ”أين فكرك؟“ فقال لهم: ”فكري فوق وفهمي تحت كل الخليقة“ وأبونا أبو يحنس كان يجري دائمًا إلى العلاء في سعي الفضيلة. وشاع خبره الصالح في جميع آباءنا أنه قد تعاضم في الفضائل أفضل من كثيرين منهم وكانوا يريدون أن يعلموا كمال تحقيق الأمر بنجاح الأعمال ليصيروا مبشرين بحسن ثمار الشجرة الصالحة و مخبرين بذلك، فتشاور (فاشطور خ) جميع الآباء متفقين مع أبينا أنبا بامويه أن يجربوا القديس أبو يحنس حتى يبصروا صبره وفيما هو يومًا ماضي إلى البيعة فوثب إليه شيخٌ عظيم مجرب متعالي في سيرته وضره ضربة عظيمة في وجهه حتى طرحه على الأرض وقال له: ”هذا وقت المجيء إلى الكنيسة يا قصير منحوس، اذهب من هاهنا“، فلما أخرجوه تبعه أبونا أنبا بامويه واثنان من كبار الشيوخ وأتوا إلى المسكن لكي ما يعاينوا ما يعمله ويكونوا إذا سألوه يعرفون فكره من كلامه لهم،

وكان آبائنا يقولون: "إن هو ذكر ما جرى أو غضب أو عتب فهو واحد مثلنا وإن هو نسي ذلك ولم يذكره فقد ارتفع أكثر منا وأفضل".

يا من علق شيهات جميعه بأصبعه المقدس مثل نقطة ماء من قبل تواضعه<sup>١١٧</sup> فلما وصل إلى القلاية أتى الشيوخ إلى مسكن أبو يحنس فتنسموا رائحة طيب مختار جداً ومع ذلك سمعوا جماعة ملائكة يسبحون ويرتلون للرب في مسكن أبو يحنس قائلين: "احفظ عدم المكر وأنت تنظر نور المستقيمين"، ويقولون أيضاً: "المجد والنعمة يعطيها للذين يسعون بغير مكر، ولا يدعهم الرب يعوزون شيئاً من الخيرات"، وكان أبو يحنس هو أيضاً يسبح في وسطهم، فبهت الشيوخ القديسين وقتاً عظيماً بخشية لحقيقة هذا المنظر، فلما استفاقوا أخيراً طرّقوا باب أبو يحنس فلما خرج فتح لهم، فنظروا وجهه يضيء مثل ملاك الرب بينما الشيوخ يكلمونه كأنهم يعزونه ويسلونهم من أجل الشيخ الذي ضربه قائلين له: "بحق لقد وجعت قلوبنا أجمعين لأجعل ما فعله بك ذلك الشيخ الفاعل التارك، ولا سيما أنك عندنا كريم جليل ولكن تعال معنا والأمر ينصلح"، وكان آبائنا يقولون هذا ووجه أبو يحنس مطرق إلى الأرض ولم يقل شيئاً فأجابه أبنا بامويه أبوه قائلاً: "لم لا تجيب هؤلاء الذين يكلمونك"، وأن أبو يحنس بموهبة الروح القدس والنعمة والطهارة الساكنة فيه قال: "اغفر لي يا أبي القديس فليس لي علم بشيء من الذي يقولونه لي انه جرى وان كان قد جرى كما يقولون فلعل ذلك كان بتدبير الله عمل لنفسي خلاصاً على يد قديسيه". فلما سمع هذا آبائنا من أبو يحنس تعجبوا وقالوا: "بحق أننا كما سمعنا كذلك رأينا!". فلما جاؤوا إلى الكنيسة وهم يمجّدون الله وبينما هم مجتمعين وآبائنا مُحركون من قبل الله سأل بعضهم بعضاً بحسب (بحسد؟) عبادة الله قائلين برأي واحد منهم كلهم: "ما هو مقدار أبو يحنس فوقف منهم شيخ عظيم قديس معلم وقال لهم أبو يحنس قد ارتفع أكثر منا كلنا ولا سيما انه بطهارته واتضاعه الحقاني قد علق جميع هذا الدير على اصبعه".

<sup>١١٧</sup> دفنار ٢٠ بابه.

## سؤال أنبا يحنس عن جلوس الراهب في القلاية

وان آباؤنا دفعة سألوا أبو يحنس من أجل جلوس الراهب في القلاية فقال لهم: ”من يكون خالياً من قنايا الدنيا وفيه فضيلة الله فهو جالس في القلاية بالبرية فانه لو لم يكن له شيئاً من قنايا العالم فهو غني بالفضيلة وصبره أيضاً على الوحدة فهو لأجل رجاء الخيرات المؤبدة فاذا لم تكون فضيلة الله في نفس الإنسان بل عنده آلات الدنيا فأن هذا الآخر يجلس في القلاية بالبرية لأجل منفعة الأمور الفانية واذا لم يكن للراهب اهتمام لا في امور الله ولا في أمور منافع الدنيا الفانية فانه يجلس في القلاية بالبرية بل هو يشبه سفينة بغير وسق في لجة البحر بغير ميناء ولا ملاحين ولا مدبر فهي من عظم الاضطهاد تغرق“.

### من هو الراهب؟

وسألوا أيضاً أبو يحنس قائلين: ”ما هو الراهب؟“، فقال: ”الراهب هو التعب ومن أظلم نفسه في كل شيء فيكون راهباً ومن لا يقدم هواه ولا كلمته الى قدام في أي عمل من الأعمال وأيضاً ينبغي للراهب أن لا يقول شيئاً من الكذب ولا يحلف كاذباً ولا ينصب ولا ينم ولا يتقمم ولا يعيب“. ومن بعد هذا أيضاً نظر سرّاً بعيني قلبه من قبل الروح القدس الساكن فيه إلى علو فضائل آباؤنا ونار الله التي صارت في جيلهم وكان ينظر ضعف ونقص الذين يأتون بعدهم فقال بوحى ونبوة وحكمة واتضاع قال: ”كان شيخ وهو يعني عن نفسه نظر إلى ثلاثة رهبان على عبر البحر قياماً فجاء اليهم صوت من البر الآخر قائللاً: ”خذوا لكم أجنحة من نار وعدّوا إلى البر الآخر وأنّ اثنان منهم أخذ لهما أجنحة وعديا الى البر الآخر الذي دعاهما والآخر بقي قائماً ييكي ويصرخ وأخيراً أعطيت له أجنحة ليست من نار بل أجنحة ضعيفة بغير قوة فبتعب عظيم صار يغرق ويطلع بشدة عظيمة وبالكد طلع هو ايضاً إلى البر الآخر“ قال كذلك هذا الجيل ليس ينالون أجنحة من نار مثل آباؤنا هؤلاء الذين قطعوا دنياهم بوصايا ناموس الإنجيل وطاروا إلى العلاء بعقلهم بحرارة النار

الإلهية حتى عبروا بحر هذا العالم وصاروا مع المسيح بل بالكذب ينال أهل جيلنا أجنحة ضعيفة بغير قوة من أجل توانيهم“ وأن أبان القديس أبو يحنس تناهى في غاية الفضيلة من أجل امتداد نسكه وكثرة عبادته وصار إلى الحرية وعدم المكر ولم يكن شيء من الأوجاع يؤلمه البتة كما طلب ذلك من الإله وصار بغير هم ومن بعد هذا شاور أباه أنبا بامويه وسأل الرب أن يعيد إليه الأوجاع حتى يجاهد ويأخذ الإكليل التام ويكثر أجره قال: ”أن أجل الحروب تنمو النفس وتشب بغنى نعمة الله“. ومن ذلك اليوم لم يعد أبونا يحنس يسأل الله مثل هذا السؤال بل كان يطلب من الرب قائلاً يا ربي والهي يسوع المسيح في كل ما تجلبه عليّ شددني بقوتك وصبرني الى المنتهى. وأرسل يوماً أنبا بامويه أبو يحنس إلى البئر ليملاً جرة ماء وكانت البئر بعيدة من قلايته وكانت عميقة جداً فلما وصل إلى البئر لم يعلم أن ليس معه حبل لأنه كان قد نسيه فامتلاً أبو يحنس من عظم الأمانة وقال بصوت عظيم: ”أيّتها البئر أبي أرسلني وقال لي: ”املاً هذه الجرة ماء““، وللوقت صعد الماء إلى حافة البئر. فلما ملأ الجرة عاد الماء أيضاً كما كان. وكان القديس أبو يحنس يقول للإخوة: ”أن الطاعة والخضوع من أجل الله للأبهاط بطاعة كاملة والمشورة لهم بأمانة ولا سيما الاتضاع والطهارة وخوف الله ومداومة ذكر الله بغير التفات وحضور حسن هؤلاء أعلى من الفضائل ويجعلون النفس تضيء في الله“. خير آباؤنا أيضاً وسطروا في كتاب من أجل أبينا أبو يحنس قائلين: ”كما أن الأرض لا تسقط كذلك أبو يحنس القصير ليس يستطيع أن يسقط من كثرة اتضاعه فهو أكمل طاعة عظيمة وهو تحت الخضوع لأبيه الروحاني وغلى بنار الروح القدس“.

### شجرة الطاعة

وفي يوم من الأيام أخذ أنبا بامويه خشبة يابسة ومضى إلى موضع بعيد من قلايته في البرية نحو اثني عشر ميلاً وغرسها هناك ودعا أبو يحنس تلميذه وقال له: ”يا يوحنا ابني املاً جرة ماء كل يوم لهذه الخشبة حتى تثمر“، وكان الماء بعيداً من الموضع الذي غرس فيه الخشبة وكان يمضي أبو يحنس بجرة الماء عشية كل يوم ويأتي بكره وفعل ذلك ثلاثة سنين فنمت الشجرة وطلعت وأثمرت



فأخذ الشيخ أنبا بامويه من ثمرة الشجرة وأتى به إلى الكنيسة وأعطى لجميع الشيوخ قائلاً خذوا كلوا من ثمرة الطاعة. فلما نظر الشيوخ إلى هذا الأمر الفائق المجد جعلوا يتعجبون ويمجدون الله قائلين: ”بالحقيقة لولا أن الله معطي الحياة الحقيقية حالاً في هذا الأخ لما جرى هذا الأمر على يديه مبارك الرب يسوع المسيح الإله محب البشر الذي يصنع العجائب في قديسيه لأنه قال: «إذا فعل أحد ارادتي أنا وأبي نجىء إليه ونسكن فيه وجميع ما يسأل باسمي يكون له»<sup>١١٨</sup>، وتلك الشجرة باقية إلى اليوم<sup>١١٩</sup> شهادة صادقة لأبينا القديس أبو يحنس الذي اضاء في الفضائل العالية ويومًا سأل الإخوة أبو يحنس قائلين له: ”جيد لنا أن نتمسك بالجهاد الصالح مع الناس“، فقال لهم: ”جيد أن نصنع الجهاد لأخينا هذا الذي مات الإله عنا وعنه جميعًا بهذه المساواة الواحدة وبدعة المسيح لنقتني لنا أحياناً بكل طهارة الروح القدس باولنصنع الجهاد بقوة قبالة العداوة التي تبعدنا من الله“. وكتب أيضاً من أجل القديس أبو يحنس القصير أنه لم يملأ بطنه قط لا من الخبز ولا من الماء ولا قال من فيه كلمة قط هزواً ومن أجل هذا لم يملكه فكر الجسد قط بل مثل الملائكة في طهارة القلب.

### مرض أنبا بامويه

### وأنبا يحنس يخدمه بطول روح حتى نياحته

وأبونا أنبا بامويه كان قد أقام سنيًا كثيرة ساكنًا في مسكن وازن القلوب أعني الدير وفي كيبية صغيرة ولم يخطر بقلبه يومًا أن ينزل فيميز الكيبية التي داخل منه أو يُبصر ما فيه وذلك لأمتداد فكره وعقله إلى الرب مع أن الرب كان يرسل إليه كثيرًا من نعمه ولا سيما انه قد صار راهبًا مجربًا مختارًا كاملاً تامًا وكان يغلق عينيه أن لا يرى ما الذي يعمل ومن بعد هذا مرض القديس أنبا بامويه وأقام زمانًا كبيرًا مطروحًا يطبخه الله مثل العطر المختار المحرب بالنار وكان الطوباني

<sup>١١٨</sup> (يو ١٤: ١٣).

<sup>١١٩</sup> هذه الشجرة نجرتنا عنها كثير من السباح الأروبيين منذ عام ١٦٥٧م، وكانت ما تزال موجودة حتى عام ١٩٢١م في مكان دير القديس يحنس القصير. د/ منير شكري، أديرة وادي النطرون، دير السريان، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م، ص ٦٨.

أبو يحنس يخدم شيخه أنبا بامويه اثني عشر سنة بطول روح عظيم ومن كثرة المرض كان أبينا أنبا بامويه يضجر ولم يقل قط لأبينا القديس أبو يحنس في يوم من الأيام كلمة تطيبه عوض خدمته له لأن أدبه كان قويًا شديدًا أكثر من كثيرين من آبائنا ودعا القديس أنبا بامويه أبو يحنس في يوم من الأيام وقال له يا يحنس ابني إذا أنا انتقلت من هذا العالم فامض واسكن في الموضع الذي غرست فيه الشجرة لأن لك في هذا الموضع ذبيحة دائمة مقدسة مقبولة أمام الله تكون على يديك لأن هذه الشجرة التي طلعت على يديك هي مقدمة ودليل دلت على نفوس كثيرة يخلصون على يدك ولك في ذلك الموضع تذكّار مؤبد بين يدي الرب ومن بعد هذا لما اقتربت وفاة القديس أنبا بامويه أحاط به جميع الشيوخ فدعا أبو يحنس فلما دنا منه أمسك يديه فقبلهما وبارك عليه كما بارك اسحق على يعقوب اسرائيل وقال له ثلاثة دفعوع طوباك طوباك طوباك يا شجاع الملك المسيح وبعد هذا أسلمه للشيوخ المحيطين به قائلاً لهم: ”أقبلوا هذا فانه ملاك الرب على الأرض وليس هو انساناً“، ولما قال أبونا انبا بامويه هذا فتح فاه وأسلم الروح بسلام الرب آمين.

### أنبا يحنس يتوحد في مغارة بجوار شجرة الطاعة

فلما بقى أبونا القديس أبو يحنس وحده مضى إلى موضع الشجرة كما أمره أبوه وصنع له مغارة صغيرة هناك وتفرد فيها وكان يتنسك جدًّا ويزيد في عبادته وتعبه لأنه كان قد صنع موضعًا خفيًا تحت الأرض في المغارة وكان ينزل اليه ولا سيما أنه كان مداوم لله بطلبية كثيرة وصلوات لا تنقطع وكان قد صنع له أيضًا ثوب ليف من النخل وكان يلبسه وينزل إلى هناك حتى أنه من عظم حرقة كان يقيم الأسبوع كله بغير أكل ولا شرب بقوة عناية الله وإذا طلع من ذلك الموضع كان الأخوة ينظرونه مثل خشبة محروقة في النار حتى أنه من كثرة ما شاع خبره وعبادته اجتمع اليه خلق كثير حسدوا سيرته الملائكية وسكنوا عنده وحوله وصار لهم كلهم سبب خلاص ومثالاً للحق حلّوا عندهم بمحبة وصلح وظاهر عند كل أحد بدعة وصار عزاء لمن يرى أو يسمع من بعيد وقريب حتى أن

الموضع القفر صار أرضاً معمورة ومدناً للمسيح والأرض الغير مثمرة صارت مثمرة ثلاثين وستين ومائة مجداً للثالوث المقدس.

### صلاة أبنا يحنس القصير من أجل بئر ماء

فلما كثر الإخوة عند ابينا أبو يحنس فكانوا يحتاجون إلى عين ماء لأنه كان يراهم متعبين في مضيقهم إلى موضع بعيد حتى يملأوا الماء وكان أبونا مثل من تحرك من الله قام وجمع الإخوة ليحفروا بئراً لهم فلما أقاموا خمسة أيام يحفرون نزل أبونا إلى البئر وأقام الليل كله يصلي إلى الرب من المساء إلى الصباح ففاضت عين الماء إلى فوق وهي حلوة طيبة للشرب وهذه النعمة وهبها الله لأبينا وجميع ديره دون بقية المواضع التي في البراري شهادة صادقة لفضيلة أبينا الصديق.

### درس من أخيه الكبير عن "أننا مازلنا بشر وللجسد احتياجاته"

ومن بعد هذا أيضاً كان أخوه الكبير قد ترهب كما قد قلت فيما تقدم من القول وكان أبونا أبو يحنس يعظه بمخافة الله ويجتذبه إلى نير الطاعة والاتضاع الحقيقي لكي يخضعه ويذكره بضعفه وفقره في العالم وكان يقول له: "اعلم يا أخي أننا مساكين ومُهانين في الناس فلنجتهد في عمل مشيئة الله في هذا العالم. لكيما نأخذ منزلة عند الله وقديسيه". وبهذا وما أشبه صار أخوه راهباً مختاراً وساعد أبونا أبو يحنس على عمل الخير، وكان أبينا القديس أبو يحنس مزيناً بجميع الفضائل وبخاصة أن هذه الثلاثة مخافات كائنة في قلبه كل وقت وهي مخافة وقت الخروج من الجسد ومخافة لقاء الله ومخافة يوم الدينونة فاذا ما ذكر هؤلاء قد هرب إلى البراري وكان أخوه يخرج يطلبه فاذا وجده كان يقول له: "لماذا يا أخي تتعب نفسك أما تحقق أنك إذا جلست في القلاية تحمد الله". أجابه أبو يحنس وقال له: "نعم أنا أوّمن أن الله في كل موضع لكني أريد أن أتعب كثيراً لكيما ينظر الله تعبي ويجعلني بغير خوف في يوم الدينونة، وبغير قلق من جهة الخطية وأستحق أنا أيضاً أن أعابن مجد الله وقديسيه". لأن أبونا القديس أبو يحنس كان قد غلى بنار الروح القدس وكان يجتهد أن يتشبه في كل حين بالروحانيين الذين ليس لهم أجساد، وقال لأخيه الكبير يوماً من الأيام

بحرارة محبة الإله: ”أريد أنا أيضًا يا أخي أن أصير بغير هم وأخدم الله مع جنس الملائكة بلا فتور مداومًا لجد بهاءه وأحيا بحياته“، فتعزى من ثيابه ومضى إلى البرية فلما أقام سبعة أيام لا يأكل ولا يشرب رجع إلى أخيه أيضًا بإطلاق من الله لخلاص نفوس كثيرة وهو موثق من ثمرات الاتضاع بتوبة حقانية فلما قرع باب أخيه الكبير فم يفتح له بل قال له: ”من أنت؟“، قال له: ”أنا يحنس“، فقال له أخيه: ”أنت يحنس! يحنس قد صار ملاكًا وليس هو مع الناس بعد“، ولم يفتح له بل خلاه (تركه) على الباب من المساء إلى الصباح فلما كان الصبح فتح له وقال له: ”يا يحنس أعلم أنك إنسان وأنت في الجسد ومحتاج أن تعمل حتى تقوت الجسد وهذا الفعل انما جعل للذين بغير جسد“. فضرب له أبو يحنس مطانية قائلاً: ”اغفر لي يا أخي“. ومن أجل هذه الفضائل الكثيرة التي لإتضاع أبينا القديس أبو يحنس صار اسرئيلي للمسيح.

**القديس أنبا يحنس يساعد اللصوص**

**في تحميل أغراض قلايته على الجمل**

وفيما هو جالس يومًا في القلاية جاءه أقوام لصوص أخذوا جميع ما في القلاية ولموا الجميع ربطة واحدة، وأبو يحنس لم يتكلم ثم قال له أولئك: ”قوم حمل علينا“ فقام أبو يحنس وحملهم ولما ودعهم جلس.

**ثلاثة حروب تقاتل الإنسان**

وعند دخول أخيه قال له: ”أين القماش؟“، فقال له: ”لست أدري، وضرب له ميطانية قائلاً: ”يا أخي اغفر لي، واسألك أن تتحقق في قلبك أن لك ثلاثة سنين من حين أتيت إليّ ولم تحتاج شيئاً“، وكان القديس أبو يحنس يقول: ”ثلاثة حروب تقاتل الإنسان الزنا، ومؤاخذه الصاحب، واقتراقه من الله، فاذا حفظ الإنسان نفسه من أخيه انحفظ من الآخرين وإذا وجد على أخيه ملكت الأوجاع الأخر على نفسه“، وقال أيضًا: ”الأخ هو أساس بيتنا فاذا حفظنا الأساس فنحن نبني بيتنا حتى نكمل سقفه“، من أجل هذا كان أبو يحنس يفرح إذا شتمه واحد وأهانته وكان يجري إليه بالأكثر ويكثر حبه له

زائداً، ويقول: "احتمال الشتيمة والإهانة بمعرفة هما اللذان يطهران القلب، ويأتیان بالاتضاع الحقيقي ويثبتا النفس في الله". فأما مديح العالم وكرامته فانه يهدم الفضيلة ومن أجل عظم اتضاعه وحشمته فلم ينظر عينيه قط لينظر وجه انسان، ويقال عنه أنه لم يغلط في أمر في فعل أو كلام ويعود يسقط فيه دفعة أخرى، وكان اذا نظر أو سمع عن واحد أنه سقط في الخطية يبكي ويتنهد بوجع قلب قائلاً: "هذا سقط اليوم وأنا أسقط غداً"، وكان يسأل الرب من أجله، وكان يفعل هذا كل حين. ودفعة سأل الإخوة أبانا أبو يحنس قائلين: "يا أبانا هو جيد أن نقول مزامير كثيرة؟"، فقال لهم: "غنى الروح القدس يكون في النفس من قبل حفظ العقل قرأ الإنسان قليلاً أو كثيراً ولا سيما أن جميع ما يصنعه الراهب اذا لم يكن معه الاتضاع والتحفظ فلا يُقبل قدام الله".

### أبا يحنس يهرب من كلام المزاح والهزء

وفي ذات يوم أيضاً عول أبونا القديس أبو يحنس أن يبيع قفف في الريف لأنه كان يضفر الخوص فسار في البرية ولم يمضي في طريق الريف وهو حامل قففه فوجد إنساناً جمالاً مع جماله فقال الجمال: "يا أبانا أعطيني هذه القفف معي لأني أراك متعباً"، فأعطاهما أبو يحنس للرجل يحملها وسارا فبدأ الجمال يقول كلام هزل وغناء من زي العالم. فنظر أبو يحنس جمع شياطين حول الرجل فللوقت خلا القفف وعاد إلى قلايته وهو يقول كلمة ربنا: «ماذا ينتفع الإنسان اذا ربح العالم كله وخسر نفسه»<sup>١٢٠</sup>.

### ينبغي كل حين أن نطلب ما فوق ونفكر فيما للعلاء

ودفعة أخرى كان قد مضى إلى السوق لبيع قففاً، فلما مضى إلى السوق وهو حامل القفف على عنقه وإخوة أخر رهبان كانوا هناك كثيرين كل واحد منهم في صناعته وشغله فأتى أقوام كثيرين ليشتروا القفف فقالوا لأبينا: "بكم هذه القفف؟"، وكان أبو يحنس ساهياً ينظر إلى السماء ساعة طويلة فأجابه

<sup>١٢٠</sup> (مت ١٦: ٢٦).

الإخوة قائلين: ”يا أبانا عرفنا ثمن القفف“، وقال لهم: ”عرفوني أيها الإخوة أيهما أكبر في السماء وأدل عند الله الكارويم أم السيرافيم“. فتعجبوا كلهم وقالوا له: ”أين فكرك يا أبونا؟!“. قال لهم: ”الكتب تامرنا كل حين أن نطلب ما فوق ونفكر فيما للعلاء حيث المسيح جالس عن يمين الله ولا نفكر فيما على الأرض“. فمجد أولئك الإخوة الله من أجله. وكان أبونا دفعة أخرى قد ضفر ضفيرة تحمي (تصنع) قفتين، فلما خيط الضفيرة خيطها قفة واحدة ولم يعلم حتى وصل إلى الحافة وعقله ساهي كما صح عليه كلام بولس الرسول القائل: «أن مدينتنا نحن في السماء ومن هناك ننتظر ربنا يسوع المسيح هذا الذي يغير جسد تواضعنا بمشاركة جسد مجده»<sup>١٢١</sup>.

### القفف، الجمال، القفف، الجمال...

وجاء أخ دفعة إلى أبونا من أجل شراء قفف فلما دق الباب واطال الدق ومن بعد وقت عظيم خرج أبونا أبو يحنس اليه وقال له: ”ماذا تحتاج يا أخي“، فقال له الأخ: ”أنا عييت وأنا أدق“، قال له: ”لم أعلم يا أخي“، فلما دخل الأخ قال لأبونا: ”أنا محتاج قليل قفف“، فسكت أبونا وأقام وقتاً طويلاً ساكناً فرد عليه الأخ ثاني كلام وقال له: ”يا أبي أعطيني قليل قفف“، فقال له أبو يحنس: ”ماذا تريد يا أخي؟“ فقال الأخ: ”ما قد فرغت أن أقول لك اني أريد قفف“ وفي ذلك أيضاً خطف عقل أبو يحنس ثالث دفعة إلى العلا وكان الأخ مداوم السؤال لأبينا، ثم بعد ساعة طويلة تقدم أبو يحنس وأمسك بيد الأخ ودخل به وأراه القفف قائلاً له: ”إن كنت تريد قفف خذ لك ما تحتاج فلاني لست متفرغ لذلك“، وكان شوق أبونا إلى ما لا يرى وكان يقول أيضاً مع داود المزمور: «واحدة سألت الرب وأنا لها طالب أن أسكن في بيت الرب جميع أيام حياتي لكيما أفرح بالرب وأنعاهد هيكله المقدس السمائي الغير مصنوع باليد»<sup>١٢٢</sup>.

<sup>١٢١</sup> (كو٣: ١).

<sup>١٢٢</sup> (مز٢٧: ٤).

## إن أرحمت أخى أراحنى الله

وكان القديس أبو يحنس يمضى إلى الحصاد وكان قدام الإخوة يشبه رئيس متحنن عظيم وكان يريحهم جميعهم في كل شيء وكان اذا تعب لا يرفع ظهره بالجملة حتى يصفق بيديه أولاً اشارة إلى الإخوة فاذا استراحوا كلهم استراح هو أيضاً من بعدهم، ويقول: ”قُرى علينا في الكتب أن نجعل رفيقنا مثلنا ولا سيما في الكرامة فاذا أنا أرحمت أخى أراحنى الله أيضاً“. وفيما هو في الحصاد أيضاً دعا واحداً من الإخوة ليصنع خدمة إلى الإخوة وأن ذلك الأخ أجاب أبانا بمجرد قائلاً: ”ايش لك أنت أيضاً“ أجاب أبانا قائلاً للأخ: ”اغفر لي“ وفي تلك الساعة طرح المنجل ومضى ضرب ميطانية للأخ قائلاً له: ”اغفر لي فقد أخطيت لله ولك يا أخى من أجل الله اغفر لي“. وعاد إلى البرية إلى قلايته وأقام تلك السنة جميعها يصوم ثلاثة أيام ثلاثة أيام ويأكل خبزاً وملحاً وكان يصرخ إلى الله بسؤال متصل قائلاً: ”اغفر لي يا رب فقد احزنت خليقتك“.

### من معجزات أبنا يحنس القصير

وكانت هذه عادة أبينا أبو يحنس يصوم ثلاثة أيام كما ذكرنا زمانه كله وبهذا كانت نفسه مضيفة بشعاع الروح القدس هذا الذي يعمل فيه آيات وعجائب كثيرة مجداً لمن يسمعه حتى أنه كما كتب من أجله أنهم أتوا اليه دفعة بواحد أبرص وهو في الحصاد ليشفيه فلما صلى أبونا على ماءٍ باسم المسيح وأفاضه على الرجل الأبرص فللوقت تعرى من جلده كالثعبان وعاد لونه كالأول وعوفيَّ ومجد الله.

وأيضاً كان أبونا يحنس جالساً في الحقل وقت الحر مع الإخوة ليتبردوا فصادف في الحقل عجوزاً ملقاة على الأرض وشيطاناً مارد يعذبها بغير رحمة فتحنن أبونا عليها ووقف في الحر يصلي فصرخ الشيطان بصوت عظيم قائلاً: ”مالى ولك يا قصير أنا خلّيت لك البرية فأتيتني إلى ههنا أيضاً خلّيت لي هذا الموضع لكي أستريح فيه“ وفي تلك الساعة خرج الشيطان وعوفيت لوقتها فلما نظر الإخوة ما جرى على يد أبونا القديس أبو يحنس مجدوا الله كثيراً.

وأيضاً لما جاء أبونا يوماً من الحقل الذي كان يحصد فيه مع الإخوة ووقف يغتسل بقليل ماء لكيما يستريح من التعب قليلاً فأتوا إليه بحدث وبه شيطان فلما نظر القديس قلة حشمة الشيطان وما يعذب به الحدث فنظر إلى السماء وتنهد وأخذ الماء الذي اغتسل به وصلب عليه باسم المسيح وسكبه على ذلك الحدث فخرج منه الروح النجس وعوفيَّ ومجد الله.

### الصدقة وعمل الرحمة

وكان جميع آبائنا اذا مضوا إلى الحصاد وأخذون أجره حصادهم فيعملونه جزئين الجزء الواحد للصدقة والجزء الآخر لحاجة اجسادهم وكذلك كانوا يفعلون في ثمن شغل أيديهم فأما أبونا أبو يحنس فكان يأتي بالجزئين إلى البرية قائلاً مساكيني أنا وضعفائي وأراملي وإيتامي هم في الدير وازن القلوب.

### أنبا يحنس يعظ الإخوة بكلامه الحلو

وإذا خرج من الحصاد ليس يعمل شيئاً غير الصلوات الكثيرة الدائمة والوعظ الحلو للإخوة وكان يهديهم بكلامه قائلاً: ”أكرموا الله الواحد وحده بكل رعدة ومحافة فأنا إذا توانينا عن محبته فهو يرفضنا وأيضاً جميع الخليقة ترفضنا فإنه لنا عون وقوة لا تُغلب فلنتبعه بمعرفة فهو يخلصنا لأنه صالح ومتحنن على كل الخليقة فلنهرب يا إخواني من الأباطيل وننظر إلى مجد الذين أرضوه وهم في ملكوته مثل الأشجار المثمرة الموسوقة أثماراً صالحة، وينبوعهم هو يسوع المسيح وهم متنعمين في الفردوس“.

### ملاك الرب يعزيه ويقويه ويكشف له طرق الخير

وكثيرة هي فضائل أبو يحنس ومن كثرة فضائله وسعيه المستقيم أرسل له الرب ملاكاً ليعزيه ويقويه ويكشف له طرق الخير التي تُرضي الله، وأسراراً عظيمة يعلمه بها كما يقول الكتاب: «أن ملاك الرب يحوط بكل خائفيه»<sup>١٢٣</sup> وبعد هذا مضى أخوه إلى الرب كاملاً بكل نقاوة. وفيما أبو يحنس ذات يوم من الأيام

<sup>١٢٣</sup> (مز ٣٣: ١٨).



كان راقداً واذا القديس أنبا بيشوي الرجل الكامل أتى إلى قلايته فرأى ملاك الرب قائماً بجانب أبو يحنس يحرسه فلما قام أبو يحنس من النوم جعل يسأل الإخوة قائلاً: "إن أحداً أتى ههنا وأنا راقداً" قالوا له: "نعم قد أتى الشيخ العظيم أنبا بيشوي" فعلم أنبا يحنس بالروح أنه قد رأى الملاك لعلمه أنه قد وصل لما وصل إليه أبو يحنس. وفيما الملاك جاء إليه دفعة وهو ممتلى فرحاً روحاني، فسأله ما سبب ذلك الفرح؟ فقال له الملاك: "نحن الآن قيام أمام الله لخدمتنا فصعد إلى الله دخان عظيم من صلوات القديسين وسُرَّ الرب بذلك وخرج صوت من كرسي الضابط الكل يوعد جميع خليقته بالرحمة والرأفة من أجل الصلوات والطلبات والجهاد بالطهارة، وإننا نحن تعجبنا وفرحنا جداً جداً من أجل الخيرات المعدة لكم وأرسلنا الخالق كل واح منا إلى صاحبه من القديسين ليعزيه بذلك"، فتنعم أبو يحنس بتلك التعزية التي من قبل الله واشتاق بزيادة وأسلم نفسه إلى عبادات عظيمة ذاكراً لقول الرسول بولس: «أن الجاهد يصبر في كل شيء»<sup>١٢٤</sup> وقوله أيضاً: «الذي هو فضيلة وكرامة هذه الأشياء اضمروها وهي التي تعلمتموها وسمعتموها ونظرتموها فاعملوا بها واله السلامة يكون معكم»<sup>١٢٥</sup> وأيضاً أن «أحزان هذه الدنيا لا توازي المجد المزمع أن يظهر فينا»<sup>١٢٦</sup>.

## موهبة النبوة

وفي هذا أيضاً كان يأخذ علم سابق ونبوة وينظر الشيء من بعيد ويتكلم مع الإخوة بما كان وبما يكون وبما هو كائن في علم الله، وكما ينبع منه كلام النعمة الفائضة ومن ذلك أن إخوة جاءوا إليه دفعة في وقت المساء لكي يسألوه من

<sup>١٢٤</sup> «لأجل ذلك انا اصبر على كل شيء لأجل المختارين لكي يحصلوا هم ايضا على الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجد أبدي» (٢ تي ٢ : ١٠).

<sup>١٢٥</sup> أخيراً أيها الإخوة كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افكروا (٤ : ٨).

<sup>١٢٦</sup> (رو ١١ : ٥).

أجل خلاص النفس فكلهم من أجل الفضيلة وذلك من وقت المساء إلى أن أشرق النور ولم يعلموا فلما كان الصباح خرج أبونا لكيما يودع الإخوة فوقف أيضًا يكلّمهم في توديعه لهم من الصباح إلى تاسع ساعة من النهار وهو يكلّمهم بالكلام الروحاني فلما نظر أن الساعة التاسعة قد جاءت فدخل بهم أيضًا وقدم لهم خبزًا بمحبة فأكلوا ثم ودعهم بالسلامة.

### اختياره لنعمة الكهنوت

وفيما أبونا كذلك في هذا السعي الصالح وجماعة من الإخوة أعلموا الأب الأسقف في ذلك الزمان بفضائله فأخبر أن يكون كاهنًا فبمسرة الروح القدس قدموه وجعلوه قسيسًا، وفيما هو يكرزه ووضع الأب يده عليه وإذا صوت من السماء صارخًا قائلاً: ”مستحق، مستحق، مستحق“ فلما أوّتمن على السرائر المقدسة بدعة النعمة السمائية تجددت فيه الفضائل زائده عظيمة وقال أن: ”ناموس الكهنوت يكون كاهنًا مقدسًا للذبيحة الغير دموية التي هي حمل الله الذي يحمل خطايا العالم“ الكاهن يكون مثل الكارويم والسارافيم القريبين من الله أكثر من جميع المراتب، وهم الذين يتنعمون أولاً بحياة معرفته وبضياء مجده المبارك الطوباني الدائم إلى الأبد من أجل هذا تأمرنا الكتب قائلة: «كل من يترجى المسيح فليطهر نفسه كما هو طاهر»<sup>١٢٧</sup> وأيضًا يقول: «كونوا اطهارًا فإني أنا طاهر يقول الرب»، وبهذا أيضًا كان الفاضل أبو يحنس يتنبح بروح الله القدوس ويوفي دين هذه المرتبة متضاعفًا شبه خدام صالح ووكيل أمين كاهن كامل في كل بر كقول الكتاب كهنتك يلبسون البر كذلك أبونا امتلأ من موهبة الروح القدس واجتذب لنفسه ضياءً ومجدًا دائمًا مؤبدًا ولا سيما جمال الشبه القديم وبريق الصورة الإلهية الذي كمل فيه وأرضى الله والشعب جميعًا بطلبات مختارة.

<sup>١٢٧</sup> (١ يو ٣: ٣).

## حكمة وأبوة أنبا يحنس في التعامل مع المُخطئ

وكان يكشف الله عن نازحه فيرى كل ما في الإنسان مثل شيئاً في اناء زجاج، ومن بعد هذا الارتفاع العظيم كان يتزايد اتضاعه جداً مثل القمح وإذا كمل بلغ حصاده وكان يضع نفسه تحت كل الخليقة مع كونه إذا أعلن له من أجل إنسان أنه قد سقط في الخطية أو إنسان مضرور من أوجاع الخطية فكان يعلمهم ويهديهم مثل أب صالح ومتحنن بقضية صالحة سهلة بشوشة ويعدل كل واحد منهم بحكمة ويشير عليهم بالمشورة الرشيدة لكيما يخلصوا، وذلك أن يحتملوا نير التوبة الحقيقي باجتهاد شفاء جراحتهم لكي يصطلحوا مع الله بالطهارة وحفظ النفس، وبعد ذلك يخرجهم إلى القتال الواجب الذي هو هلاك المكر والأفكار الرديئة ليزيلوها من قلوبهم بالنسك ومرضاة الله. وكان أبو يحنس يفعل هذا شبه مداوي ومعافي النفوس، وكان يشق بطن الشيطان وجميع أجناده الأشرار حتى أنه كان يصبر بأسنانه ويصرخ بصوت في الهواء قائلاً: ”أزعجتني يا يسوع أنت وأصحابك“.

## التحكم في رغبات الجسد يقمع حروب إبليس

نظر أبونا القديس هذا وكان يقاتل ضلالة وفعل الشرير ويهلك مكر سُمَّ الطبيعة ورداءة الغيرة والحسد، وذلك بمعونة المسيح بغير مانع ولا عائق في طريق الفضيلة ولا سيما أنه كان قد نسي أكل الطعام والنوم من أجل غنى القوة التي للروح القدس الساكن فيه فصنع له موضعاً فيه حجارة كثيرة حادة من هذا الجانب وهذا الجانب طول ذراع وعرض ذراع وكان إذا قهره ناموس الطبيعة فينام فيه قليلاً وهو جالس ويستيقظ لوقته، ولا سيما لأجل الذين يجربون بالخيالات. وكان أيضاً يقول أمثالاً للإخوة من أجل النسك قائلاً: ”مثل إنسان ملك إذا أراد أن يأخذ مدينة فهو يمنع المواضع التي يجيء إليها الماء أولاً ثم ينهب أطعمتها أيضاً ويعيقهم عنها، فإذا ضاق سكانها الجوع والعطش خضعوا له وصار مالكاً عليهم؛ كذلك الراهب إذا ألجم جميع أسباب الشره بالنسك والإمساك عن الأطعمة وسار بحجة نسكه وتذويب جسده وجاهد الغير المنظورين بكسرة

سلاسلهم التي هي جسده ويبعد من تعلق الشهوات واللذة المهلكة وحفظ نفسه من اللذة فانه يملك ويغلب الشرير ويتلف كل حسد التين منه براحة“. وكان القديس أبو يحنس اذا نال أحد الإخوة ضيقة من العدو يصلي هو عنه فيزول عنه اللوقت، ويشفي من الإخوة كل الفعال الردية بمحبة التعب ويساعدهم كلهم بنعمة الروح القدس الساكنة فيه.

### بقوة المسيح الحالة فيك وهبت النظر والنور للعميان<sup>١٢٨</sup>

ودفعة أخذ قليل قفف ومضى بها إلى مصر لبيعها ويشترى له قليل خبز من أجل حاجة الجسد فلما باعها ملاً قفة خبزاً من ثمن القفف وفيما أبونا مستعد ليسيير إلى البرية صادف عجوزاً أرملة مسكينة تمشي في الزقاق وكان معها صبي أعمى تمسك يده وتقوده وهذا ابناً لها كان قد ولدته أعمى. فلما نظرهما أبو يحنس يمشيان سمع الصبي الأعمى يقول لأمه: ”الرب يرزقنا اليوم خبزاً لنأكله يا أمي“ فتنهدت أمه وبكت قائلة: ”الرب ينظر إلينا ويتحنن علينا يا ابني باهتمامه“. فلما سمع هذا أبو يحنس القديس المضيء لابس الروح القدس من الأعمى وأمّه تحركت احشاؤه وتحنن المسيح الكائن فيه ودعا المرأة قائلاً: ”تعالى إلى ههنا“ فلما أتت إليه قال لها: ”العلك تحتاجين إلى هذا القليل الخبز يا أمي“ فقالت له: ”نعم، وهذا كثير يا أبي“ وأن القديس اذ هو متحرك باهتمام كل واحد؛ كان يضع ارادته وحده من اجل خلاص أقوام آخرين أعطى المرأة القفة الخبز وتوكل هو على الله ليرزقه الحياة في الموضعين في هذا الدهر وفي الآتي. فلما أخذت المرأة الخبز بفرح وشكر حركها الله بتدبيره وصرخت بأمانة عظيمة وقالت لأبينا القديس: ”يا أبي القديس أنا أرى أنك قديس الله وهذا الصبي الذي تراه هو ابني ولدته هكذا أعمى وأنا اسأل قدسك لكيما تضع يدك المقدسة على عينيه لكي يأخذ بركتك“. فرفع أبونا عينيه إلى السماء وتنهد بقلب مملوء نعمة وقال: ”أيها الرب الإله معدن الخيرات يسوع المسيح مالك كل شيء أنت هو أمس وأنت اليوم وانت هو إلى الدهر الذي ليس له انقضاء كما وهبت القوة للأعمى المولود بقوة ارادتك القاهرة التامة هكذا أيضاً أيها

<sup>١٢٨</sup> (دفتار ٢٠ باب).

المسيح الهنا لتكن مسرة ارادتك تامة علينا كل حين خلاصًا لخليقتك لأن لك المجد مع أبائك الصالح والروح القدس إلى الأبد آمين“. فلما قال القديس آمين. وضع يده على عيني الأعشى ورشم باسم المسيح وفي تلك الساعة أبصر الأعشى النور ومن الفرح والعجب الذي كان صرخت أمه بصوتٍ عظيم قائلة: ”مبارك هو الرب اله هذا الراهب الشيخ القديس“، ومن عظم صوتها اجتمع أناس كثيرون لينظروا وعند هذا انفرد أبونا غلى جانب آخر هاربًا من مجد الناس وتوارى عنهم وهذه المسيحية إلى طريق مسلوكة.

### تعليم أنبا يحنس عن النسيمة والادانة

وكان القديس يعظ كل واحد لكيما يحفظوا نفوسهم من كل خطية، وبخاصة النسيمة والدينونة قائلاً: ”أنهما يجعلان الانسان غريبًا من الله مثل الزناة وعباد الأوثان كما يعدد الرسول هؤلاء كلهم ويقول: «أن فاعلي هؤلاء لا يرثون ملكوت الله» ومن أجل هؤلاء كان يقول مثلاً: ”انسان مسكين له امرأتان واثنين عريانين بغير لباس من أجل فقرهما ولما كان يوم عيد في موضعًا تجتمع فيه الجموع لكيما ينظروا ما يكون في ذلك الموضع وأن بعلمهما من أجل عريهما صنع لهما صندوقًا ووضعهما فيه اثنيهما وركبوا سفينة وسار معهما فلما وصلوا إلى الموضع صعدت احدهما من الصندوق وجمعت خرقًا كثيرة وصنعت لها ثوبًا وسترت به عريها ومضت ووقفت في الجمع تتفرج وتنظر ما يكون والأخرى التي كانت في الصندوق لما تطلعت من شقوقه نظرت رفيقتها في وسط الجموع فقالت لبعليها: ”أما تنظر هذه الزانية وقلة حشمتها كيف لا تستحي من هذه الخلقان التي عليها وهي في وسط هذا الجمع“، ونسيت هي عريها وحبسها في الصندوق التي لم تقدر البتة أن تنظر لأحدًا من الناس من أجل عريها وهي تدين رفيقتها وتعييها فقال لها بعليها: ”اجعلي أنت بالك من نفسك واذكري كيف أحوالك، وأما هذه فقد وجدت خرقًا سترت به عريها، وهو ذا أنت لا تقدرين أن تظهرين بالجملة قدام أحد من الناس فلماذا تديني أحتك؟“؛ الآن

كذلك نحن قال: 'اننا اذا نسينا خطايانا وحدنا ونعيب على اخوتنا ونفضحهم فالله هكذا يفضحنا'“.

## باب التوبة

وقال أيضاً: ”لكيما نهيى محبة الله للبشر طريق الخلاص لنا بفتحه باب التوبة لنا اذا شئنا أن نخلص وكان يقول لهذا الأمر أيضاً مثلاً: ”امرأة زانية لها اصدقاء كثيرون فسقة فيعبر بها ملك فيراها ويأخذها ويتزوج بها، فلا يقدر أولئك الفسقة من خوف الملك أن يدنو إلى بيتها مرة أخرى لئلا يُقتلوا بل انهم يتعدون عن بيتها ويراسلونها ويشيرون اليها فأما هي فتهرب منهم إلى مخدعها وتعلق أبوابها عليها؛ خوفاً من الملك ومن أجا المجد الذي جعل عليها من قبله لكيما لا يؤخذ منها دفعة أخرى“، قال: ”كذلك نفس قد تخلت عن نجسها وهربت إلى طهارة ستر رجاء رحمة الله الهنا فان مكافأة العقوبة في الجحيم وخيرات ملكوت السموات يكونان لهما عزاء ومعونة لتخلص من أوجاع الخطية التي للمكر الأفعال الرديئة التي لأوجاع المكر“.

## من تعاليم أنبا يحنس القصير

ودفعة كان الأخوة يأكلون في صدقة جاءت اليهم والقديس أبو يحنس جالس معهم فنظر أخاً يضحك فبكى أبو يحنس قائلاً: ”أين ترى فكر هذا الأخ؟ قد كان الواجب عليه أن يبكي لأنه يأكل من الصدقة“.

ودفعة أخرى كان أبونا جالساً على المائدة مع رهبان كثيرين، فكشف له الروح فنظر اختلافاً هكذا في الإخوة الذين يأكلون وطر بعضهم يأكلون عسلاً، وبعضهم يأكلون خبزاً، وبعضهم يأكل تراباً فبُهِت أبونا من هذا الوجود أن الموضوع قدامهم كله شيء واحد فجاء اليه صوت من السماء قائلاً: ”أن الذين يأكلون بخوفٍ ورعدة وفرحاً روحاني هم المتضعون المصلون بغير فتور وهم مقبولين مثل البخور المختار وعقلهم في السموات وصلواتهم تصعد إلى السماء من أجل هذا يأكلون شهداً، والذين يأكلون خبزاً هم يأكلون بشكر ويكون دائماً ويمجدون الله على عظم صنيعه وعظمته التي هيأها لهم، والذين يأكلون تراباً هم الذين يأكلون بتقمقم، ويلومون ويتكلمون ويدينون ويعيرون قائلين:

”هذا جيد وهذا رديء ولأجل هذا قال ابونا: ’لا ينبغي أن نفكر بهذا الفكر أو نتكلم بهذا البتة بل هذا الأفضل بالأكثر أن نمجّد الله ونبارك ونشكر كثيرًا ليكمل كلام الرسول: «أن كنتم تأكلون وتشربون أو تعملوا عملاً آخر وكل شيء تعملونه اعملوه لتمجيد الله»“<sup>١٢٩</sup>.

### القديس أنبا بيمن يشهد لأنبا يحنس القصير

ودفعة كان أبونا العظيم أنبا بيمن الباحث الحكيم الذي صار شبيهًا لبولس كتب فضائل كثيرة أكثر من الماضيين من آبائنا وكان يخدم الأعمال الممتلئة مجداً التي للروح القدس الحال في آبائنا منفعة لنفوسنا، هذا الحكيم بالحقيقة القديس بيمن كتب فضائل كثيرة من فضائل أبو يحنس القصير وعرفنا فيما ذكره من أجله انه أوثق نفسه جيداً من معرفة الكمال شبه ابن الله بالموهبة. وأثر ثمار الروح القدس. وقال عن القديس ابو يحنس: ”أنه من أجل طهارة قلبه وعلو اتضاعه كان حصن نار الروح القدس محيطاً به يهدم الأفكار وجميع الأعمال الردية الشيطانية ولا يخليها تدنو اليه بالكلية قال بهذا أكمل الخمسة عشر وصية التي للرسول. أعني القديس أبو يحنس وهي قوله في فضائل: «المحبة بالمحبة تكون طول الروح المحبة تكون بشوشة والمحبة لا تحسد والمحبة لا تعجم المحبة لا تستكبر في قلبك المحبة لا تستحي، المحبة لا تطلب الذي لك المحبة لا تفرح بالظلم المحبة تفرح بالحق المحبة تؤمن بكل شيئاً المحبة تتوكل على الله في سائر الأمور المحبة تتصبر في كل شيئاً المحبة لا تسقط ابداً»<sup>١٣٠</sup>. هؤلاء كلهم امرنا القديس أبو يحنس أن نجتهد في طلبهم لندركهم وكان يُعلم كل احداً لكيما يعمل بهم. وأبونا أنبا بيمن أيضاً قال هذا وما يشبهه من اجل القديس أبو يحنس القصير صنع كل قوته في حفظ وصايا الرب وأكملها جميعها حتى أنه أيضاً يجلس في اليوم الأخير ويدين العالم كما هو مكتوب من الرسول: أن الأطهار يدينون العالم كل واحداً من الأطهار ييكت جيله قدام محكم المسيح. ومن أجل هذه الفضيلة

<sup>١٢٩</sup> (١كو١٠: ٣١).

<sup>١٣٠</sup> (١كو١٣: ٥).

العظيمة رسم له الرب ملاكين من اجناد الكارويم يستترانه كل وقت ويحفظانه روحانيًا وينيحانه براحة السرائر المقدسة ومن اجل طيب طهارته العظيمة كان كل واحد من الكارويم يقول لصاحبه: ”دعني أنا أضع جناحي عليه لأنه طاهر لرب القوات“.

«ما ارب هذا المكان ما هذا الا بيت الله و هذا باب السماء»<sup>١٣١</sup>

وفي كل مرة كان القديس أبو يحنس يحضر القداس فيستحق أن يرى علانيةً الروح القدس على المذبح يجعل الخبز جسدًا والكأس دمًا طبيعيًا، وكان أيضًا يكشف له عن من يستحق التناول من الأسرار المقدسة ومن لا يستحق حتى أن الله كشف له وجميع الشعب مجتمع وقد بدأ يعطي لهم السرائر الرهيبة نظر في الإخوة فرأى ملاك الرب قائمًا في وسطهم ويده سيف مسلول وكان اذا تكلم واحد كلمة فقط بطالة أو يفكر في قلبه في الأعمال الغير المرضية يؤمئ الملاك بيده ليضربه بالسيف لكي يهلكه لولا كانت صلاة أبو يحنس ورحمة الله تمنعه لكيما ينتظر توبتهم ورجوعهم والإخوة الذين يكونون في الكنيسة قيامًا فليكونوا ووقوفًا بسكوت ومخافة وهم يجعلون بالهم بغير شيئًا من الأرضيات وكان القديس ينظر أشعة عجيبة من مجد الله تخرج من المذبح المقدس وتدخل في قلب نفس كل أحدًا من أولئك الإخوة وتملأهم من مجد الثالوث المقدس.

### أعجوبة الثلاث فتية القديسين

اسمعوا أيضًا حديثًا عجيبًا عن أبينا القديس أبو يحنس كما وجدنا ذلك مكتوبًا. انه لما كان في زمان أبينا مثلث الطوبى أنبا ثاوفيلس بطريرك المدينة العظمى الإسكندرية كان قد بنى كنائس كثيرة وأقامها بكل كرامة وبيوت صلوات للرب الإله وكان قد بنى كنيسة على اسم الثلاثة فتية القديسين الذين طُرحوا في أتون النار ببابل على عهد بُخْتَنَصْر الملك وهم حنانيا وعزاريا وميصائيل، وكان قد تمنى باشتياق كثير أن يحضر أجسادهم المقدسة ليضعها في بيعتهم المقدسة تسييحًا وتمجيدًا لله ولقديسيه، وهذه الكنيسة تُعرف باسم

<sup>١٣١</sup> (تك ٢٨ : ١٧).



الثلاثة فتية إلى اليوم وأن أبانا البطريك أقام باشتياق هذه الشهوة الروحانية يتضرع إلى الله لكيما ينال بركة القديسين فكشف له ملاك الله قائلاً: "ليس أحداً يقدر أن يفعل هذه الخدمة الا القديس أبو يحنس القصير قسيس دير وازن القلوب"، وإن أبانا أنبا ثاؤفيلس أرسل لوقته باجتهاد عظيم احضر أبو يحنس وعرفه ما في قلبه، وكان أبو يحنس قوي القلب مثل الأسد في أمانة المسيح فقال للأب البطريك: "صلي عليّ يا أبي أن يهديني المسيح إلى طلبتك"، وأن الأب ثاؤفيلس البطريك صلى على القديس أبو يحنس وأطلقه بسلام قائلاً له: "اله آبائي يسهل طريقك بالخلاص"، فلما بعد من المدينة قليلاً وقف القديس أبو يحنس وصلى صلاته وللوقت حملته سحابة في تلك الساعة ووضعت في الموضع الذي فيه أجساد قديسي المسيح فلما نظر أبونا القديس العطية الكاملة التي لأجساد القديسين بنور الروح القدس المهدي له سجد على الأرض ثلاثة دفعات من قبل أن يصل اليهم، فلما اقترب منهم وقع على الارض بوجهه وعانق أجسادهم المقدسة بدموع غزيرة حينئذ في تلك الساعة سمع صوتاً من أجساد القديسين قائلاً له: "الرب الإله الحقيقي الأبدى الدائم الغير المخلوق الذي بغير ابتداء ولا انتهاء صانع كل الأشياء يبارك عليك وينجيك ويمجذك أيها الشريك الصالح الإيغومانس وكيل رب القوات اله سرائيل"، فلما قالوا هذا سكت الصوت وامتلاً أبونا فرحاً من البركة الروحانية ثم قال لهم: "يا آبائي وشهداء المسيح الإله قد بنى أبو الأمانة كنيسة لتذكركم اسمكم المقدس وأرسلني بطلبة وسؤال كثير أن تحل فيه أجسادكم المقدسة شفاءً وخلاصاً لكل من يؤمن بالمسيح الإله في مدينة الإسكندرية وجميع كورة مصر"، وأن القديسين أجابوا بصوت واحد قائلين: "الله يعطيه اجره تبعه في الحياة الأبدية الدائمة إلى الأبد كاستقامة همته الصالحة بل قل لهذا البطريك أن أجسادنا لا تقدر أن تبتعد عن الموضع الذي هم فيه الآن كأمر الخالق لأن هذه مرضاته إلى اليوم الذي يقيم فيه جميع الخليقة، ولكن من أجل جهاد تبعه وأمانته الكاملة ومن أجل تعبك أنت أيضاً ومجيئك إلينا ما نخلي (نعمل) تعبك يضيع باطلاً ولكن تدعهم يوم تكريز الكنيسة يعلقون القناديل بغير زيت ولا وقيد، ويجتمع جميع الشعب والكهنة

فنحن في الليل نحضر إلى الكنيسة ونصنع فيها قوة وبركة الرب تقديسًا لبيت الله هذا الذي يُمجد اسمه في الأرض كلها وله تسجد كل رتبة السمائيين والأرضيين والذين تحت الأرض لأنه ليس موضع يعدم سجوده الكامل بقوة اله اسرائيل نحضر في الكنيسة روحانيًا ونصنع آيات وعجائب وتمجيدًا للمبارك إلى الأبد في حياة البطريك وبعد وفاته أيضًا نبقي فيها على يد اثنين من خلفائه، وبعد ذلك تكون ظلمة على الأرض كلها ويجهل الناس كرامة احسان الله ويجدفون على اسمه القدوس وينحسون مذبحة، ونحن أيضًا نترك الموضع الذي بني لنا ونخرج منه ولا نبقي فيه“. وبعد هذا أو ما اشبهه الذي قاله الثلاثة فتية القديسين لأبينا أبو يحنس وسجد أبونا القديس أبو يحنس أيضًا بوجهه على الأرض، وسأل أن يباركونه قبل أن يمضي عنهم، فقالوا له: ”الرب اله اسرائيل يعضدك إلى المنتهى بمعونته بغير سقوط لكن تعزى وتقوى فإن لك جهادًا قليلًا في هذه الدنيا وبعد ذلك تأتي إلى الحياة المؤبدة الخلاص والسلامة معك بالرب“، فسجد لهم القديس أبو يحنس بحرقه عظيمة روحانية وخرج من عندهم وهو مبتهج بالرب فلما بعد عنهم قليلًا حملته السحابة أيضًا حتى وضعتة بظاهر الإسكندرية فلما اجتمع أبو يحنس بالبطريك عرفه بجميع ما كان وما قال له القديسين.

### ظهور نور عظيم يوم تكريس كنيسة الثلاثة فتية

ولوقت جمع البطريك جميع الكهنة وأساقفة قديسين وجميع شعب المدينة إلى كنيسة القديسين الأطهار لأجل تكريزها وتقديسها، وفي نصف الليل واذا بنور عظيم في الهواء نور على المدينة ومسكن القديسين وكذلك جميع القناديل التي في البيعة أُسرجوا<sup>١٣٢</sup> في الوقت واضاءوا ضياءً عظيمًا حتى قلنا أن الموضع جميعه صار ناريًا هذا كله كان اشارة لحضور القديسين إلى المدينة وان البطريك وكل الجمع الذي معه لما نظر لما نظر هذه الأعجوبة التي تفوق الوصف التي صارت جعلوا يسبحون ويباركون الله ويمجدونه بألحان شجية مملوءة فرحًا روحانيًا، وكان القديس ثاؤفيلس البطريك يربا الثلاثة فتية القديسين وهم يقدسون الكنيسة معه، وهو تبارك منهم وكثيرًا أيضًا من الشعب استحقوا أن يروا هذه الأعجوبة المملوءة

<sup>١٣٢</sup> أُسرجوا: بمعنى ”أناروا“.

مجدًا أساقفة وكهنة ورهبان وعلمانيين فلما كان الصباح صنع قداسًا وعيدًا روحانيًا الأب البطريك وجميع أهل المدينة، وأعطاهم من السرائر كما قيل في كتاب قديم وجدناه أن شفاءً عظيمًا نالته المرضى في ذلك اليوم، وأوقد قناديل البيعة وأقاموا سبعة أيام وسبع ليال موقودة بغير زيت والبخور والنور دائم في بيعة القديسين ويصنعون الخلاص لكل أحدًا زمانًا عظيمًا حتى اجتمع الجمع اليهودي الذي كان في خلقيونية، وأفرقوا الكنيسة المقدسة بنفاقهم عندما وضعوا غمًا مملوءًا شكا وجنونا في كل العالم بأمانتهم الناقصة وبهذا تغربوا من مجد الله ونعمته السماوية كما قال الكتاب: «إن روعي لا تحل في هؤلاء لأنهم قد صاروا بشرًا»، وبعد هذا تبارك أبو يحنس من البطريك وعاد إلى وازن القلوب بسلام.

### سلوك القديس يحنس القصير في مدينة الإسكندرية

وكان يتكلم مع الإخوة بعظمة الله ومنفعة لأنفسهم، ومن بعد هذا أيضًا قال للإخوة اغفروا لي يا إخوة فقد كنت اسمع أن جمعًا كثيرًا كائن في مدينة الإسكندرية ولم أبصر بها وجه أحدًا من الناس سوى أبونا البطريك فقط. فلما سمع الإخوة هذا تعجبوا وقالوا للشيخ: "نرى حدثت المدينة بالرؤيا يا أبونا؟!!" أجاب أبونا القديس وقال لهم: "ليس الأمر كذلك بل لم أجعل فكري يملكني البتة أو يحكم عليّ أن أرفع عينيّ إلى فوق لكيما أرى وجه أحدًا من الناس غير الأب البطريك فقط"، وقال: "شدوا نفوسكم انتم أيضًا يا إخوة كل حين لكيما تكونوا هياكل للروح القدس ويحل عليكم". فلما سمع الإخوة هذا انتفعوا بذلك جدًا، وكان أبو يحنس يسير من قوة إلى قوة بعلو فضائله، ولا سيما انه كان يجعل قومًا آخرين يستغنون في الله.

### هجوم البربر على برية شيهيت

ومن بعد أيامًا كثيرة من حين خروجه من مدينة الإسكندرية تغلب البربر على الوادي بأعمال مبعوضة متحيرة وأفسدوا اجتماع آبائنا وهددوهم بقلب وحشي وطردوهم وأخربوا البيع المقدسة، وكان أبو يحنس يدرس في كلام المسيح

الحال فيه قائلاً: «إذا طردوكم من هذه المدينة اهربوا إلى أخرى»<sup>١٣٣</sup> ولأجل هذا بدأ القديس أبو يحنس يخلي البيعة ويمضي بعد ذلك إلى القلزم، وكان ذلك بتدبير من الله لكيما يخلص نفوساً كثيرة أخرى على يديه في ذلك الموضع المقدس لأن عباد الأوثان كانوا هم باقين في ذلك الموضع. فلما مضى القديس من البيعة أحاط به الإخوة قائلين: ”يا أبانا تمضي أنت وتتركنا وهل أنت تخاف من البربر“ أجابهم القديس قائلاً: ”باسم المسيح الإله لست أخاف بل الخير الكامل قدام الله هو هذا الأمر أن لا يطلب الإنسان خلاص نفسه وحده، بل كالذي قاله في الإنجيل أن يكون الإنسان الصالح يصنع جميع أعماله يقصد بها خلاص نفسه وخلاص أخيه بمساواة واحدة، لأن هذا البربري إن كان مفترقاً مني بالأمانة فانه صورة الله وخليقته مثلي فاذا أنا وقفت له حتى يقتلني فهو يمضي إلى العقوبة من أجلي فمن أجل هذا لم أحتمل أن أكون في راحة وأخي في العقوبة من أجلي“، ولأجل هذا ترك عنه البرية، وبقي آبائنا في الجهاد.

### أنبا يحنس القصير في برية القديس أنطونيوس

ثم أنه صار سائراً مهتدياً بالمسيح إلى أن أوصله إلى الجبل القديس العظيم أنطونيوس داخل القلزم مسيرة يوم منه، وسكن في صخرة فوق موضع صنعه له من حجارة كمثّل الذي كان فيه أيضاً في الوادي وازن القلوب، وجلس فيه مداوماً لله باجتهاد يزيد نسكه وأفعاله فيه كأنه الآن قد ابتدأ بتجديد فهمه، والمهتم في كل حين بخليقته وبخاصة قديسيه. رزقه برحلاً مؤمناً ديناً علمانياً يخدمه، وكان من أهل تلك القرية وهذا كان له أمانة في جميع القديسين سكان ذلك الجبل، ولا سيما أبونا القديس كان يفكر فيه بحسد محبة الإله لخلاص نفسه لأن سيرته كانت عظيمة كما قيل أنه بتول منذ صباه مداوم لله بصلوات وعبادات كثيرة، وكان يستحق أن يرى رؤيا مقدسة من قبل الله، وهذا الرجل كان يخدم القديس أبو يحنس دفعة في الأسبوع يفترقه لحاجة الجسد، وهذا كان يصنعه في يوم الأحد المقدس كما قيل

<sup>١٣٣</sup> (مت ١٠: ٢٣).

## أنا يحنس يرد نفوس ضالة من عبادة الأوثان

وكان أبو يحنس أيضًا يأتي إلى القرية دفوعًا محرّكًا من الله هذا الذي يفعل فيه شفاءً كثيرًا ولا سيما لكي ينقي أنفسهم من حرب الحنيفية عندما يشرق نور فضيلته في ذلك الموضع الآخر مثل النور ويصير لهم جميعهم مُهديًا إلى الخلاص وينالوا خلاصهم على يد أبينا القديس أبو يحنس حتى أنهم اذا سمعوا انه طلع من الجبل يخرج جميع الشعب الذي كان في القرية يتلقاه ليتبارك منه اذ هو مُحسن اليهم جميعهم؛ لأن كثيرة هي الأنفس التي انقذها من يد العدو، وجاهد عنهم بأشكال كثيرة وقد كانوا مبغضين لله عُباد أوثان وقُدس ذلك الموضع. إلا رجل واحد كان غنيًا جدًّا قاسي القلب جبارًا وقحًّا من أجل كثرة ماله وله أصنامًا كثيرة ذهبًا وفضة في بيته يعبد إبليس فيها وهذا كان يعذب المؤمنين الأرثوذكسيين عذابًا كثيرًا ولا سيما الذين يرجعون عن عبادته النجسة إلى علم نور عبادة المسيح فإنه كان يؤلمهم بآلام كثيرة وإن هذا الرجل بدأ دفوعًا كثيرة يسيء إلى القديس أبو يحنس بحسد إبليس ليضره وينصب عليه بمكر كل وقت لينزع حياته عن الأرض. والله المهتم به وبمختاريه لم يحتمل ولا اراد أن يلحق عبده فعل رديء بل بحكمة صنع الخلاص للرجل بصلاة أبو يحنس، فجلب عليه مرض جذري صعب حتى أنه كان يصوت جدًّا ومن شدة صنوبة ضرباته عميت عيناه الاثنتين وتناثر الدود من تحته فناح عليه جميع عبيده وكل أهل بيته فدعوا إلى أهتهم وكانوا يستغيثون بأسمائهم واحدًا واحدًا ليعافيه، وبعد ذلك لم يجد شفاء ومعونة في جهة من الجهات بل كان الموت يقوى عليه بالأكثر وصار مثل خشبة محروقة وفيما هو في هذا العذاب العظيم تكلم بصعوبة عظيمة كلامًا خفيًا جدًّا يُسمع بجُهد وقال: ”أسرعوا أحضروا إليَّ أبو يحنس عبد الله إله المسيحيين فأن بغيره ليس يكون شفاء ولا رحمة“، وللوقت أسرع أهل بيته وعبيده باجتهاد عظيم وجاءوا إلى أبو يحنس إلى الجبل فلما قرعوا على باب معبده خرج اليهم طبيب النفوس والأجساد فجعل الرسل يسألونه باجتهاد وخضوع أن يمضي معهم اليه، فقال لهم القديس: ”اذا لم ينذر على نفسه أنه يتخلّى عن هذا الكفر ويستضيء بنور الأمانة بالثالوث وإلا فليس يُعافى“ فلما

سمع الرجال المرسلين هذا مضوا وقالوا له، ولكونه في هذه الشدة العظيمة فقال لهم: ”ادعوه هو يعافيني من هذا الضربان فأنا أفعل جميع ما يريد“، فعاد الرسل وعرفوا القديس أبو يحنس بذلك، فاسرع وقام ومشى معهم وهو فرح مثل رسول من قبل الله.

### سقوط الأصنام وهروب الشياطين أمام أبنا يحنس القصير

فلما وصل إلى مسكن ذلك الرجل ففي تلك الساعة سقطت جميع الأوثان التي في البيت وتكسرت والجلوس فيها من من الشياطين تهابوا جميعاً وجعلوا يصيحون في الهواء قائلين: ”الويل لنا لأننا قد طردنا من كل موضع، وبلغ أيضاً إلى مسكننا هذا“، وكان القديس ممتلئاً من الروح القدس ويخزي عظمتهم ويبطل ضلالتهم بصلواته وعلامة الصليب الغالبة المخلصة، وقدم جميع المسكن ببركة صلواته، وبطلبة كثيرة كان ذلك الرجل يتضرع ويقول: ”يا سيدي أعني فأني في شدة“، وكان القديس ممتلئاً من كل خشية فوعظه وكل بيته بكلام الحياة المؤبدة إلى أن أعترف بالإله الواحد الثالث الغير مخلوق الغير مفترق الذي لا له ابتداء ولا انتهاء وجعله اعترف بالتدبير الذي فعله لأجل خلاصنا الواحد من الثالث المقدس الأبْن الوحيد كلمة الله الآب هذا الذي تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء والدة الإله، وصار إنساناً كاملاً وتألّم عنا وقام من الأموات في اليوم الثالث وصعد إلى السموات وهو يأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات، وبهذا جحد الرجل الشيطان وجميع شياطينه ومن بعد ذلك عمده القديس وكل أهل بيته باسم الثالث المقدس الذي لا يسعه مكان ولا يحتوي عليه زمان، وجعله أبيض بنور الحلقة الجديدة وجرت أعجوبة تفوق الحد وفي ذلك الوقت قالوا: ”أن الرجل لما صعد من الماء المقدس سقطت من عينيه قشور مثل السفاء، ونظر في تلك الساعة وعوفي في جميع أعضائه“، وكان جميع أهل القرية مجتمعين في بيته يمجدون الله، وكان لهم جميعهم فرحاً روحاني وكانوا يعيدون بحبة ومسرة وبخاصة في بيت ذلك المؤمن هو وجميع أهله على الخلاص المتضاعف الذي صار إليه من عند الرب وعبدته يحنس القصير، فلما نال هذه المواهب العظيمة واستحق السرائر المقدسة فرق أموالاً كثيرة للمساكين والفقراء

في ذلك اليوم وهدايا كثيرة للكنيسة عوض الخلاص الذي ناله، والأصنام الذهب والفضة صنعها أواني للقداس صواني وكاسات، وباقي خدمة الكنيسة والمذبح المقدس وكان عدة الذين تعمدوا في ذلك اليوم على يد القديس أبو يحنس مع الرجل وامراته وأهل بيته وجميع عبيده سبعين نفسًا.

### مرض القديس أنبا يحنس القصير وأيامه الأخيرة

فلما قدس جميع المواضع بمعونة نعمة الرب السماوية استودعهم للرب الراعي الأمين وتشبه بالرسول الحكيم بولس، ومضى من عندهم وهو فرحان حامل ثمر الخلاص الذي لدموعه شبه فاعل أمين في كرم رب القوات، فلما مضى القديس إلى موضع انفراذه وهو يضيء بإكليل الجهاد المرضي لله مثل رئيس بار حقيقي ومثل الأنبياء والرسل وبالأكثر مثل الشهداء لأنه قد صار شهيدًا دفوعًا كثيرة ظاهرًا وفي خفية، ومثل معترف وبالأكثر مثل ناسك في كل عملاً صالح يكرم أرضه جيدًا. فلما نبت حقله جيدًا وظهرت ثمرته وبيضت سنبلة هذه التي ابيضت مثل النور وكبرت في مرضاة الله لتُحصَد وتُخْرَن في خزائن السماء حيث كان قلبه كل حين كوصية مخلصنا كان القديس يشناق كل حين دائمًا أن ينحل من هذه الحياة الخطرة المرة ويكون مع المسيح ولا سيما أن المسيح كان قد أمر أن ينيح عبده من كل أتعابه. فبدأ أبونا يمرض ولما تزايد وضعفت قوة جسده فكان ذلك الخادم التقى الذي ذكرته آنفًا قدامه ومواظبًا لخدمته، وفيما القديس راقدًا في الليل وهو سهران من أجل ضربان المرض كما قيل فدخل اليه العظيم أنبا انطونيوس، والعظيم أبو مقار الكبير، وأنبا بامويه أبوه الروحاني وكانوا يعزونه عزاء كثيرًا ويسئلونه برجاء الدهر الأتي المعد له وقالوا له: ”تقوى بالرب وتعزى واستعد فنحن نجيء خلفك باكر يوم الأحد ونأخذك إلى عندنا للحياة الأبدية كأمر الرب“، فلما قال القديسين لأبينا هذا باركوا عليه وغابوا عنه فلما كان في يوم الجمعة أرسل الخادم المحب لله إلى المدينة من أجل حاجة مهمة وربما أراد بهذا أن لا يحضره أحدًا في وقت مفارقتة الجسد.

## حضور جوقة من السمائين

### وقت نياحة القديس أنبا يحنس القصير

فلما كان عند صياح الديك يوم الأحد المقدس وإذا برتب كثيرة من أجناد الملائكة وجميع صفوف القديسين وهم مملوئين مجداً وكرامة من الرب قد جاءوا ليأخذوا رفيقهم وشريكهم في الخدمة فلما نظر أبونا ضياء مجدهم ودعتهم وهم ممثلين من الفرح الروحاني باشين في وجهه ومملوئين من الروائح الزكية التي في السماء باشتياق الخيرات الأبدية بمجد وضياء طهر رب الكل. فتطارح أبونا لوقته على وجهه باشتياق عظيم كمن يسجد لهم فرحان بمحبة الرب وأصفياه، وفي تلك الساعة اسلم الروح في يدي الرب في العشرين من شهر بابه بسلام الرب آمين. وكان عمره سبعين سنة، وكان في وسط تلك الصفوف المقدسة وهم سائرين قدام نفسه الطوبانية إلى العلاء لرب المجد وصفوف القديسين يسبحون تسييحاً حلواً من فرح الروح القدس لكيما يسكن تحت ستر يمين العلي إلى المنتهى في يوم الأحياء في الكورة التي ليس فيها موت التي هي دائمة في نياح كل الخيرات لأنه وجد اناءً نقياً مثل الذهب الخالص الابريز المضىء قبله الله اليه، وفي حين افتقاده وجده مضيئاً وقد أرضت نفسه الرب كقول الحكيم، وفي انتقاله ظهر بين يديه كاملاً بغير دنس وشيخوخة صالحة بغير عيب ونفسه مستبشرة مزينة بطهارة الفضيلة. وبينما الخادم المحب لله خارجاً من القرية عائداً إلى أبينا للمغارة سمع تسييح القديسين يسبحون قدامه. فتطلع إلى علو الهواء فنظر في الجو عسكر ملائكة وقديسين وهم رتب رتب بمجد عظيم وأبونا في وسطهم بإشراق كثير عجيب ونظر قدامهم جميعاً واحداً عظيماً في قامته يضيء جداً مثل الشمس وهو يقول مديحاً بترتيل لأبينا وجميع القديسين يتبعونه.

### ملاك الرب يفسر لخادم أنبا يحنس

### المنظر الروحاني الذي شاهده

وإن ذلك الخادم القديس دُهِش ساعة طويلة من حُسن ذلك المنظر العظيم ثم اشتاق أن يعلم من هو ذلك المضىء العظيم السائر قدام هذا الجمع وهو



يمدح أبانا فجاء اليه في تلك الساعة ملاك بأمر الرب قائلاً له: ”لأنك تريد أن تعلم فعلاً صالحاً اسمع فأعلمك؛ هؤلاء الذين تراهم هم رتب الملائكة وجماعة القديسين أرسلهم الرب خلف عبده يحنس ليخرجوه من حبس هذه الدنيا المملوءة تعباً ويعطوه ميراثاً في مواضع الراحة والنياح بأورشليم السمائية، وهذا الرجل العظيم السائر قدامهم كلهم ويضيء بالمجد هذا هو العظيم أنطونيوس، والآخر العظيم من بعده هو العظيم أبو مقار الكبير وهؤلاء الأخر هم بقية المتشبهين بهما، وكان الملاك يُشير اليهم بإصبعه لكل واحداً منهم ويريه جميع القديسين ويقول له: ”لأن هذا القديس أبو يحنس حسد سيرتهم وصار في عيش هادي مثلهم وتبع آثارهم فآخذ نصيباً معهم بهذه المساواة الواحدة عند الرب، وأنت أيضاً يا خادماً صالحاً طوباك لأنك رجحت البركة والكرامة من الرب ومن قديسيه““. ولما قال الملاك هذا توارى عنه. فلما دخل ذلك الخادم المحب لله إلى المغارة وجد القديس المثلث الطوي مطروحاً على الأرض على ركبتيه وهو على وجهه كأنه ساجد للرب، وكان طيب عظيم يفوح من جسده المقدس فسجد هو أيضاً على جسده المقدس وتنهد وبكى ومد جسده وكفنه بثياب قديمة خلقتان وهو يرتل بمخافة ووجع قلب. فلما كفن جسده المقدس تركه في موضع في المغارة وعاد إلى القرية واخبر بما كان. فلما سمعوا اجتمعوا كلهم بمحبة وأمانة كاملة من صغيروهم إلى كبيرهم وأسرعوا إلى الجبل للمحسّن اليهم وهم جميعاً باكيين ومعهم دواب كثير وهم متألّمي القلوب اذ عُدموا مخلصهم بعد الله. فلما حملوه على الدواب ودخلوا به القرية مثل أب مختار.

### عجائب من جسد القديس أنبا يحنس القصير

جرت عجائب كثيرة وقوات من جسده كما قيل عنه أهم فيما كانوا داخلين به القرية وإذا شاب قد تلقاه معه روح نجس فصاح الشيطان فيه قائلاً: ”ماذا لك ولي يا قصير تزعجني وتطردني من بيتي؟“. وبينما الشيطان يقول هذا والشاب يجري بغير اختياره جري عظيم وعانق الجسد المقدس الذي لأبيننا

القديس. فللوقت وقع الشاب على الأرض وصرخ مثل خنزير بري ولما فتح فاه خرج منه الروح النجس مثل لهيب النار وعوفي في تلك الساعة.

وقيل أيضًا يا أحبائي عن جسد القديس أبو يحنس انه فيما هو في الوسط وهم يكفنونوه، واذا بأعرج مولود مفلوج اليدين والرجلين أجابه أبواه وهما حاملانه بأمانة عظيمة وطرحاه على كفن أبو يحنس وللوقت عوفي الرجل ووقف على رجليه وأسرع يجري وهو يمجّد الله الممجّد في قديسيه في كل حين ويصنع العجائب لأجل قوله اذ يقول: «الحق الحق أقول لكم أن من يؤمن بي ويعمل ارادتي يعمل الأعمال التي أعملها وأعظم منها»<sup>١٣٤</sup>. فلما كفنوا القديس بمجد عظيم وهم يسبحون ويرتلون بترتيل روحاني وكمّلوا عليه القداس والقربان وصنعوا له تابوتًا وجعلوه فيه ملاصق قديسين آخرين مثله الذين هم القديس أثناسيوس الشهيد، وأنبا شيشاي، وأنيا جيمه، وكانت نعمة الرب تعمل في أجساد هؤلاء القديسين بكثرة أعمال تفوق العقل وبالأكثر جسد أبونا القديس أبو يحنس كان شفاءً وخلصًا لكل من يأتي اليه من كل موضع حتى صار جماعة الشيطان في خلقيدونية ونجسوا جميع المسكونة باعتقاد معوج كسّم الموت الذي يهلك النفوس ويحدرها إلى عمق الجحيم، وبهذا قال الله لتلاميذه: «لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم للخنازير»<sup>١٣٥</sup> عارًا وفضيحة لجميع المؤمنين بالمسيح الههم.

### خاتمة

فبهذا صارت وفاة المثلث الطوبى أبو يحنس القصير كريمة مقبولة أمام الرب وكمل سعيه وحفظ الأمانة ولبس إكليل الغلبة من المسيح الإله، وصار مع الرب حسب قوله: «حيث أكون فهناك يكون خادمي معي»<sup>١٣٦</sup>. هذا جميعه يا أحبائي القديسين الذي ذكرناه لكم إلى هذا الموضع على قدر ما وجدناه مكتوبًا وقد سمعناه من كلام آبائنا المؤمنين الصادقين كما قد سبقنا وكتبنا قليلًا

<sup>١٣٤</sup> (يو ١٤: ١٢).

<sup>١٣٥</sup> (مت ٧: ٦).

<sup>١٣٦</sup> (يو ١٤: ٣).

من كثير عن فضائل أينا القديس أبو يحنس الذي خلفه لنا نحن أيضاً مثل غنى عظيمًا وميراث وكثر لكيما نستعمله كل واحد منا على خلاص نفسه إلى الحياة المؤبدة على قدر قوة كل واحد. لأنا قادرين على العمل إن أردنا واهتمنا والقوة تساعدنا بشهادة الكتاب المقدس وقوة الأعمال العجيبة التي لأينا القديس كما يصرخ الينا الرسول قائلاً: «كونوا متشبهين بي كما تشبهت أنا بالمسيح».<sup>١٣٧</sup> ويقول أيضاً: «لنقيم أيضاً نفوسنا في كل عملاً صالح شبه خُدام الله بعظم الصبر بطول الروح بخضوع حقاني وطاعة كاملة لوصايا الله باتضاع ونسك وإمساك المشورة الحقانية، بضيق وصعوبات وأوجاع وجراحات. بحبوس واضطرابات، بتعب وسهر بصوم وعبادة بطهارة وسيرة فاضلة ومخافة الله بجوع وعطش بمعرفة وحكمة بحلاوة وخيرية بدعة وفهم بصلوات ومزامير بمحبة ورحمة لجميع البشر بكلام الحق وقوة الله بصلح ومحبة بلا مراعاة»<sup>١٣٨</sup>. وما أشبه هؤلاء ونرفض ما يخالفهم بمعرفة، وحينئذ يضيء نورنا قدام الله والملائكة والناس وقديسيه بأثمار مقدسة عندما نذر الروحانيات ونخصدها بفرح باتباعنا آثار أينا القديس أبو يحنس عندما نصير متشبهين بأمانته وأفعاله بالقول والعمل بكثرة صلواته إلى الرب عنا اذ له القدرة أن يفعل هذا وهو أولى أن يصلي لتستقيم أمانتنا كمسرة الرب في هذا العالم ويشير الينا كل واحد بأصبعه وبالأكثر الله وملائكته في علو السموات قائلين: "أن هؤلاء أولاد حقيقيين لأبو يحنس"، وبهذا تكون صلوات أينا البار مقبولة عنا أمام الرب فيكثر المسيح علينا مراحمه بتحنن وخيرات كثيرة لكيما يكمل جميع سؤالنا المختار في حق الخلاص كقول داود المرتل: «أن رحمة الرب على خائفيه وعدله على بني البنين الحافظي عهده الذاكرين وصاياه العاملين بها».<sup>١٣٩</sup> وبخاصة في الدهر الآتي ننال جزءاً و نصيباً مع آبائنا في ملكوت السموات. هذا يكون لنا جميعاً أن نستحقه وننال بصلاة أينا القديس أبو يحنس القصير بنعمة محب البشر ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع

<sup>١٣٧</sup> (١كو ١٠: ١٠).

<sup>١٣٨</sup> (٢كو ١١: ٢٧).

<sup>١٣٩</sup> (مز ١٠٣: ١١).

المسيح هذا الذي ينبغي له المجد ولأبيه الصالح والروح القدس. المحي المساوي في الجوهر الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

### خاتمة الناسخ

تم وكمل ميمر أيينا القديس أبو يحنس القصير بسلام من الرب آمين. وكان انتهاء نساخته يوم الاثنين ٦ هاتور المبارك سنة ١٦٥٤ للشهداء الأظهار. اذكر يا رب يا قدوس عدك الحقير في القسوس متياس البراموسي في ملكوتك السمائية، واذكر والديه واخوته واخواته ومحبي الحقير الفقير وجميع بني المعمودية. بشفاعة ال سيدة العذراء أم الخلاص وجميع شهدائك وقيسيك آمين. سماع سيرة الأبهات الروحانيين واستقامتهم تيقظ العقل والنفس إلى الغيرة بهم وسماع تعليمهم أيضًا إلى الاقتداء بهم يصبر ويهدي للغيورين. عن كتاب الدرجي، ولا لهن المجد آمين.

### نقل جسد القديس يوحنا القصير

أعيد جسد القديس يحنس القصير في زمن بطريكية البابا يوحنا الرابع ال ٤٨ (٧٩٠ - ٧٩٩م) من القلزم (السويس) ويزك تفاصيل نقل الجسد السنكسار الأثيوبي تحت يوم ٢٩ ناهاز (٥ سبتمبر) كما يلي:

[وفي هذا اليوم أيضًا نُقل جسد أنبا يوحنا القصير إلى صحراء شيهيت، وكان موجودًا بعد نياحته في دير القلزم، أي في صحراء القديس أنطونيوس. ففي أيام الأنبا يوحنا بطريك مدينة الإسكندرية والثامن والأربعين في عداد آبائنا البطاركة، ذهب هذا البطريك إلى برية شيهيت فقال له النساك الطوباويون: "نرغب في نقل جسد القديس يوحنا القصير إلى كنيسة القديس مكاريوس حتى نؤدي له ما يجب من احترام". حينئذ تحرك البطريك بنعمة الرب، وكتب طرسًا بخط يده إلى رئيس أحد ويُدعى قزمان كما أرسل إلى شيخ من بلدة القلزم. وعندما وصلا إلى مكان الجسد وجد أنهما لا يستطيعان القيام بمهمتهما لأنه كان يسهر على جسد القديس خلقيدونيون ملكيون يقيمون بالكنيسة. وعاین رئيس الدير ومن معه الكنيسة وعرفوا تفاصيلها وخرجوا وقابلوا بعض المؤمنين الأرثوذكسيين من أهل المدينة وأخبروهم عن مهمتهم.

وبعد بضعة أيام تولى حاكم عربي على بلدة القلزم وكان صديقًا للأنبا ميخائيل أسقفها. وكتب البطريك كتابًا للأسقف بخصوص جسد القديس أنبا يوحنا وامره بمساعدة الشيوخ المرسلين من قبله لأجل أن ينقلوا الجسد من أيدي الهرطقة. وفرح الأسقف فرحًا عظيمًا بذلك، وقص الأمر على سكرتير القاضي، وكان صديقه، وهذا قصه بدوره على القاضي، الذي استدعى إلى حضرته وفد الرهبان. وقال السكرتير: ”ما هي الحجة التي يستطيع الرهبان بموجبها دخول المقصورة؟“ فقال القاضي: ”ليلبس الرهبان لباس العرب فوق ملابسهم ويذهبوا معنا إلى الكنيسة“ ففعلوا كذلك. وسار القاضي ومعه جمع من الفرسان والعرب وكذلك شيوخ شيهيت حتى وصلوا إلى القلزم (السويس). فقال القاضي للأسقف الملكي الجالس في المقصورة: ”أخرج جميع رجالك من الكنيسة لأني أريد أن أبيت هذه الليلة في الكنيسة أنا ومن معي“. فأطاع الهرطوقي أمر القاضي، وجهاز الرهبان جمالمهم خارج المدينة، دخلوا في الليل وأخذوا جسد الأنبا يوحنا وقصدوا القاهرة ومنها إلى صحراء شيهيت، وخرج رهبان دير القديس مكاريوس، وساروا لمقابلة جسد القديس بالصلبان والأنجيل والمشاعل والبخور، وسط التراتيل والألحان، ووضعوه بجانب جسد القديس مكاريوس وتبارك منه جميع الرهبان ووضعوا فوقه جميع الروائح الزكية، وأقاموا القداس، وظهرت معجزة عظيمة أثناء قراءة الإنجيل، إذ امتلأت الكنيسة بضوء نوراني، وانتشر فيها رائحة زكية لا مثيل لها. فقبول ذلك بفرح كبير، وظل الجسد بكنيسة القديس مكاريوس سبعة أيام، وعندما نقلوه إلى كنيسة القديس يوحنا، خرج أبناءه الرهبان لمقابلته كما خرج اليهود لمقابلة مخلصنا وصاحوا أمامه مبارك الآتي باسم الرب، ووضعوه في مقصورته وصنع معجزات كثيرة.

وبعد نياحة أنبا يوحنا الرابع ذهب أنبا مرقس الذي خلفه إلى برية شيهيت ودخل كنيسة القديس أنبا يوحنا وسجد أمامه، وكان معه الأساقفة وكثير من أراخنة مدينة الإسكندرية وجميع كورة مصر، وكشف عن جسد القديس فوجده مكفّنًا في وبر النخيل، فالتمس بركاته وبكى بكاءً مرًا، وعندما كشف عن جسد القديس حدثت في الكنيسة زلزلة كبيرة ملأت الجميع خوفًا ورعبًا، وأعاد

البطريك على القديس الحصيرة المصنوعة من وبر النخيل ودفنه في كفن ثمين، بينما كان الجميع يمجدون الرب بالترانيم الروحية].

”من اجل أعمالك العظيمة يا يوحنا القصير أراد أولادك أن يكفنوك بلقائف من حرير فمنعهم الرعد الذي دوى في الكنيسة فبقيت عليك ثياب الفقر من الليف كما اردت“. (ذوكصولوجية أثيوبية للقديس يحنس القصير)

جسد القديس يحنس القصير في دير أنبا مقار الكبير ببرية شيهيت في عام ١٤١٣م تم نقل جسد القديس يحنس القصير من دير<sup>١٤٠</sup> بعدما تخرب إلى دير القديس أنبا مقار<sup>١٤١</sup>، ووضع جسده بجوار أجساد الثلاثة مقارات القديسين في الكنيسة الكبرى (كنيسة أنبا مقار) ثم انتقل بعدها الجسد إلى كنيسة الشهيد أباسخيرون ووضع جسده في مقصورة خاصة (كانت في الأصل مقصورة للثلاث مقارات قبل الوضع الحالي الذي تم فيه عمل مقصورة ضخمة مبنية بالطوب) بجوار الهيكل البحري وهو على اسم القديس يحنس القصير.

<sup>١٤٠</sup> انظر موقع دير القديس يحنس القصير على الخريطة رقم (١) ملحق الصور والخرائط.

<sup>١٤١</sup> الراهب مارتيروس السرياني ”أنبا مارتيروس الأسقف العام“، القديس العظيم أنبا يوحنا القصير، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م،

## تقرير عن سيرة أنبا دانيال القمص

وُلد سنة ٤٨٥م، وارتحل إلى برية شيهيت وهو صبي. وقع تحت الأسر ثلاث مرّات في رهبته المبكرة، ربما بسبب شغفه نحو الدخول إلى البرية الداخلية. في المرة الثالثة صرع أسيره بحجر فأرداه قتيلاً وهرب. لكنه ظل تحت عذاب الضمير طوال حياته. طلب من البابا تيموثاوس الثالث (٥١٨-٥٣٦م) عقوبة. وإذ حاول أن يقنعه بأن ذلك كان دفاعاً عن النفس، لأنه كان مرّ النفس جدّاً، ولكنه لم يقتنع، فرحل إلى روما والقسطنطينية ثم أفسس وأورشليم وإنطاكية يسأل أساقفة هذه البلاد. وأخيراً إذ لم يسترح سلّم نفسه للقضاء بالإسكندرية، لكن القاضي أخلى سبيله متمنياً لو قتل سبعة من هؤلاء البرابرة العنفاء. تذكره الكنيسة في مجمع التسبحة والقداس، كما تعيد له في السنكسار القبطي تحت يوم ٨ بشنس، تبين لنا من سيرة أنبا دانيال أن هناك البعض ممن يعيشون في العالم وصلوا لدرجات روحية عميقة؛ مما يوضح أن الحياة بالعالم لا تمنع من حياة البر والقداسة حتى مع الفقر ولنظر إلى سيرة اولوجيوس قاطع الأحجار. كان أنبا دانيال أباً ومرشداً لكثيرين وكان من الآباء قمامصة شيهيت الكبار، ولذلك لجأت إليه القديسة انسطاسيا هرباً من الإمبراطور جوستينيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) الذي طمع في الزواج منها دون إرادتها (سوف ندون سيرتها ضمن سير العذارى المترهبات بدير أنبا مقار)، كشف أنبا دانيال عن شخصيات كانت تتدعي البله والجنون ولكنهم كانوا قديسين.

بالرغم من اعتراف الكنيسة اليونانية واللاتينية بقداسة تلاميذ أنبا دانيال وتعددهم من ضمن قديسيها ومعترفة بهم إلا أن الكنيسة اليونانية تشك في أرثوذكسية أنبا دانيال ولا تحسبه من عداد قديسيها، أما الكنيسة اللاتينية فقد رفضته رسمياً كهرطوقي والدافع الرئيسي وراء ذلك هو موقف أنبا دانيال الراض من مجمع خلقيدونية ولتتعجب القارئ حين يعلم أن الكنيسة اليونانية تعيد للقديسة انسطاسيا في ١٠ مارس، اولوجيوس قاطع الأحجار في ٢٧ أبريل، وتومايس في ١٤ أبريل والسنكسار اللاتيني أيضاً، وأندرونيكوس وأثناسيا تعيد لهما الكنيسة اليونانية واللاتينية في ٩ أكتوبر. ناسين معلمهم ومرشدهم القديس

أنبا دانيال وهو ما ينطبق عليه قول الكتاب: «ليس التلميذ أفضل من معلمه بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلمه»<sup>١٤٢</sup>. ويعلق القمص متى المسكين على سيرة الأنبا دانيال: "في الحقيقة قد أساء المؤرخون القدماء والمحدثون لشخصية هذا القديس كثيراً باعتباره من أصحاب عقيدة "الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد" ومن المجاهدين الأبطال، فحاولوا تلويث اسمه وسمعته كثيراً، فمنهم من قال أنه يوناني الأصل ومن من قال أنه شخصية خيالية؛ وكل ذلك لأنه كان من أبرز القديسين فيما بعد خلقيدونية، فكان أحد الضحايا التي فتنك بها المؤرخون كمحاولة لتحطيم سمعة الأقباط الراسخين على عقيدة آبائهم المستقيمة". اذكرنا أيها القديس المجاهد واعطنا اعترافاً حسناً في لحظات الآلام والاضطهاد<sup>١٤٣</sup>.

### الإضافات في السيرة الحالية

السيرة التي بين يديك الآن هي عبارة عن المخطوطة التي ترجمت عن الأصل القبطي البحيري مباشرة، ويرجع الفضل في ترجمتها للأب الموقر الراهب القس أندرياس المقاري، ثم أضفنا إليها باقي القصص التي ذكرت عن أنبا دانيال سواء التي نشرت في كتاب الرهينة القبطية أو التي نشرها الشماس يوسف حبيب، وفي النص القبطي هناك بعض النصوص المفقودة على أنه لم نجد تكملة نصها في إصدار يوسف حبيب، بل هناك بعض النصوص كان يقطع منها للأختصار وفضلنا نشر نص الترجمة دون أي إضافات لم ترد في متن النص الأصلي، وباقي الأحداث تلى الترجمة مباشرة وتلك الأحداث من سيرة أنبا دانيال التي نشرها الشماس يوسف حبيب.

<sup>١٤٢</sup> (لو ٦ : ٤٠).

<sup>١٤٣</sup> الرهينة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٤١٥.



سيرة أبينا القديس أنبا دانيال قمص شيهيت<sup>144</sup>،  
وحياة القديسين الذين سُر بهم،  
واليوم الذي تنيح فيه الثامن من شهر بشنس بسلام الله.

مقدمة

بالحقيقة يا أحبائي عظيم هو الله في قديسيه، قال النبي القديس: ”فردوس مملوء بالأشجار المملوءة بالثمار الحلوة هو سيرة وحياة القديسين كلهم، الذين صنعوا إرادة الله الكاملة“ وبالأخص أبينا قمص شيهيت أنبا دانيال الكامل في كل فضيلة للروح القدس.

الشحاذ ماركي ورفاقه الحمقى

وأبنا دانيال الشيخ بالإضافة إلى ذلك كان موجودًا في شيهيت مع تلميذه الصغير الذي كان اسمه أبا سرجيوس وبعد أيام قليلة تنيح الأب سرجيوس وبعد نياحته أعني الأخ قام، الشيخ أنبا دانيال وأخذه معه تلميذه (تلميذًا آخر) وذهب إلى الإسكندرية وكانت عادته هذه أن أب شيهيت الكبير يأتي إلى الإسكندرية في عيد الفصح لكي يقابل رئيس الأساقفة، ولذلك وصل الإسكندرية في الساعة الحادية عشر من النهار، ورأوا أخ مربوط بمنديل على وسطه أبله في منظره وبعض الحمقى يسرون معه وكان هذا الأخ هائمًا بلا عقل، مسلوبًا في السوق (يسرقونه) أكلاً... الذين معه، واسمه ماركي (مرقس) وكان يعمل سايس لدى جامع الضرائب وكان قيامه ورقاده هناك، واعتاد أن يقبل اثنا عشر خبزة والباقي يعطيهم لرفاقه الحمقى، والمدينة كلها عرفت به بسبب بلاهته.

<sup>144</sup> Ignazio Guidi, “vies et récits de l'Abbé Daniel de Scété”, ROC, 5(1900).P.

## أنبا دانيال يسأل عن مكان سُكنى الشحاذ الأبله

وأنبا دانيال قال لتلميذه: ”سر يا ابني واعلم أين يسكن هذا الأبله“، حينئذ ذهب وسأل عنه وأخبروه أنه يقيم في موضع الجباية. وبعد أن التقى الشيخ برئيس الأساقفة، وفي الغد ذهب بحسب تدير الله ووجد ماركي الأبله عند البوابة الرباعية الكبيرة فللوقت اسرع الشيخ وأمسكه وصرخ بصوت عظيم قائلاً: ”تعالوا وانظروا أيها الرجال السكندريين“ حينئذ الأبله خر وسجد للشيخ وجمع عظيم كان مجتمعاً اليه والتلميذ كان يقف بعيداً وهو خائف جداً، والجمع قالوا للشيخ: ”لا تتكلم مع الأبله لئلا يُهينك“ فأجاب الشيخ وقال لهم ”أنتم البلهاء لأنه ليس هناك رجل في هذه المدينة ولا أنا مثل هذا“ فاجتمع جمع من الإكليروس عارفين الشيخ قالوا له: ”أن هذا الأبله يصنع شروراً لك“ فقال الشيخ لهم: ”قابلوني به أمام رئيس الأساقفة“ فقال الشيخ لرئيس الأساقفة: ”بالحقيقة يا أبي القديس لا يوجد بار في هذه المدينة اليوم مثل هذا“ حينئذ علم رئيس الأساقفة العمل الظاهر من الشيخ بواسطة الله من أجله (الأبله) وللوقت قام رئيس الأساقفة مع الشيخ وسجدوا للأبله واستحلفوه وسألوه كثيراً: ”ما هو عملك؟“ الأمر الذي ضايقه منهم فأراد أن يهرب.

## ماركي يكشف سره للبابا البطريك وأنبا دانيال

(و أخيراً) أظهر لهم الأمر قائلاً: ”أنني راهب وألم الزنى يسيطر عليّ خمسة عشر سنة وبعد هذه المدة قلت في قلبي: ”يا ماركي منذ خمسة عشر سنة وأنت مطروح في الزنى وأنت عبد للعدو لذلك اصبر واحتمل حتى تتغير الأحوال وتصير عبداً للمسيح الآن قم اذهب إلى مدينة الإسكندرية واجعل نفسك أبله هناك من أجل الله عشر سنوات“، واليوم كمال العشر سنوات لبلاهي“<sup>١٤٥</sup>. فلما سمع الشيوخ بكوا معاً ولما صار المساء رقد أنبا دانيال وفي الصباح قال لتلميذه: ”اذهب وادعو ماركي لكي يصلي من أجلنا قبل أن نذهب إلى شيهيت“ فلما ذهب الأخ نحوه وجده رقد في الرب فعاد وأخبر أباه والشيخ

<sup>١٤٥</sup> «إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فليصر جاهلاً لكي يصير حكيمًا» (١ كو ٣: ١٨).

أخبر رئيس الأساقفة، فعرف رئيس الأساقفة قائد الجنود بالأمر، وفي الحال أرسل الشيخ (أنبا دانيال) تلميذه إلى دير الميل التاسع (دير الزجاج) قائلاً: "ليجتمع الآباء كلهم ويصعدوا إلينا حيث الصندوق وتعالوا كلكم لتنالوا بركة من هذا القديس" وهكذا صعد شيوخ الدير التاسع بفرح عظيم وبسعف النخل وأغصان الزيتون وكفنوه حسناً وأعطوا له بخوراً كثيراً وجموعاً كثيرة من المدينة صاروا خلفه وأغصان في أيديهم وقوات حاملين جسد أبينا أبا ماركي ممجدين الله الذي أعطى كرامات عظيمة للذين يحبونه.

### اولوجيوس قاطع الأحجار

وحدث أيضاً مرة عندما كان أبونا القديس أنبا دانيال في مصر مع تلميذه وفيما هم عائدان إلى شيهيت لأنهم كانوا مبحرين في النهر وحين وصلوا إلى قرية قال الشيخ لتلميذه: "لنمكث ههنا" أما تلميذه فتململ قائلاً: "إلى متى نطوف فلنذهب إلى شيهيت" فقال له الشيخ: "لا فلنمكث هنا هذا الوقت" فأتوا وجلسوا في وسط القرية كأناس غرباء فقال التلميذ حينئذ للشيخ: "العل الأمر سهلاً أن نجلس في مكان كهذا مثل شحاذين، فهيا بنا إلى الكنيسة حتى الغد" فقال الشيخ: "لا لكن فلنجلس في هذا الطريق لأنه قد أمسى الليل" فصار التلميذ في غضبٍ من الشيخ.

### اولوجيوس يستضيف أنبا دانيال في بيته

وبينما هم جالسين أتى عليهم رجل شيخ وحينما رأى أنبا دانيال قبل قدميه باكباً بمرارة وأيضاً قبل التلميذ قائلاً لهم: "قوموا اصنعوا محبة وتعالوا إلى بيتي" أما نحن فتبعناه لأنه كان في يده مصباح مضيء طائفاً في الشارع من أجل الغرباء وكل من يجده اعتاد أن يقبله إليه فلما أخذ الشيخ إلى بيته وذاك الغريب الذي وجده أعطى مياه في لقان وغسل أرجلهم جميعاً وكان وحيداً في البيت وللوقت وضع مائدة أمامهم فأكلوا وبعد أن أكلوا فحمل باقي الطعام وأعطاهم لكلاّب القرية لأن هذه هي عادته ألا يترك شيئاً في بيته حتى الصباح بعد ذلك قام أنبا دانيال وأغلق على نفسه منفرداً وقضى الليل كله (جزء

مفقود) وأيضاً ابني، الشيخ الذي هناك اسمه اولوجيوس صنعته قاطع أحجار يربح يومياً قيراط (جزء من الدرهم) وعادة عندما يصير المساء يومياً كان يجد غريباً في القرية فيحمله إلى بيته لكي يخدمه ويعطي المتبقي من الطعام للكلاب القرية كما اعتاد وكان هذا عمله منذ كان صغيراً وهوذا اليوم عمره ١٠٠ سنة ويزيد والرب قواه مكتسباً جزء من الدرهم يومياً.

### أنا دانيال يسرد قصة اولوجيوس

لأنه لما كنت أربعين سنة ذهبت إلى تلك القرية وأعطيت عمل يد قليل ولما صار المساء أخذني إلى بيته فرأيت عمله وتعجبت جداً وعندما أتيت إلى هذا المكان تفكرت في فضيلة هذا الرجل وصُمت أسبوعاً كاملاً طالباً إلى الله لكي يحدد له كثيراً كيما يزداد في خدمة الغرباء وعندما صُمت ثلاث أسابيع القيت نفسي ونمت من كثرة التعب.

«حكمة الرب عظيمة هو شديد القدرة و يرى كل شيء»<sup>١٤٦</sup>

وهو ذا انسان نوراني يظهر لي ويقول: ”ما بالك يا دانيال؟“ أما أنا فقلت له: ”هائذا يا سيدي تكلمت مع الرب والرب لم يستجب لي فعدت أكرر الصوم من أجل اولوجيوس قاطع الأحجار لكي يرسل له بركة ويخدم الغرباء لأنه لا يعمل“، أما هو (الشخص النوراني) فقال لي: ”لا تطلب هكذا لأنه مخلوق حسناً“ أما أنا فقلت له ”بلالا يا سيدي لكن اعطه لكي يصنع خيراً للغرباء ولكي يعطي كل أحد المجد للرب“ أما هو فقال لي: ”أنا أقول لك أنه مخلوق حسناً إذ أنت أردت أن تعطي فهل تضمن نفسه لئلا تضره الزيادة وأنا أعطي له“ أما أنا فقلت له: ”يا سيدي أطلب خلاص نفسه عني قائلاً هذا في الرؤيا فوجدت نفسي كائناً في القيامة المقدسة ورأيت صبيّاً نورانياً وقال ذاك الذي يمشي معي له: ”هو ذا الضامن لأولوجيوس أما هو فقال لي تأمل حسناً لأنه حقاً سأطلب نفسه منك وبواسطتك أما أنا فقلت له: نعم يا سيدي وعندما

<sup>١٤٦</sup> (سيراخ ١٥: ١٩).

قلت هذا رأيت رجلين وضعاً نقوداً كثيرة في حضنه وللوقت استيقظت وقمت وعلمت أن طلبتي قد سمعت فمجدت الله.

### اولوجيوس يكتشف كنزاً ويصير من عظماء القسطنطينية

وطلب اولوجيوس من الله في ذلك اليوم بحسب عادته يومياً وخرج حينئذٍ وعمل في مهنته وللوقت ضرب صخرة فوجدها فارغة وعندما ضرب وجد مغارة مملوءة نقوداً وفي تلك الساعة صار في حيرة قائلاً وحده هذه النقود ترجع لعصر بني اسرائيل ماذا سأصنع أحمل هذا إلى بيتي وسيسمع الرئيس وينزعه مني لكن سأحمله إلى الموضع الذي لا يوجد فيه إنسان وللوقت وجد قارباً فركبه ومعه النقود ومضى إلى مدينة القسطنطينية ونسى الحبة تماماً وذهب إلى يوستينيانوس<sup>١٤٧</sup> الملك وأعطى له نقوداً كثيرة وجعله عظيماً وصنع غنى عظيم وهكذا صار في كبرياء وغير رحوم.

### أنبا دانيال يسأل امرأة عجوز عن اولوجيوس

وبعد سنتين رأيت أيضاً في رؤيا وكأني في القيامة ورأيت فتى منيراً وقلت في قلبي يا ترى ما حال اولوجيوس مغلقاً عليه مثل مُلقى إلى الحكم بدلاً من موضعه المنير وحينها استيقظت من الحلم وكنت في ألم عظيم قائلاً: ”الويل لي بسبب هذا البائس لأني أهلكت نفسي وحدي“، وعندما احترت أخذت لي عصا وذهبت إلى القرية وأخرجت عمل يدي وجلست منتظراً اولوجيوس كحسب العادة لكي يأتي لي ولما حان المساء ولم أراه ولا تكلم إنسان معي جاءت امرأة مسنة نحوي فقلت لها: ”من فضلك يا أمي اذهبي واحضري لي ثلاث خبزات لأكل لأنني لم أأكل اليوم“، وحدث لما قلت لها أجابت وقالت لي: ”ما الذي أتى بك إلى هنا وأنت راهب؟“ وأما أنا فقلت لها: ”اغفري لي لأنني أتيت لبيع القليل من عمل يدي“ وقالت لي أيضاً: ”فيما بعد ضع عمل يدك مبكراً ولا تجلس حتى المساء هكذا كونك راهب تمضي إلى شيهيت“ أما

<sup>١٤٧</sup> (٥٢٧ - ٥٦٥ م).

أنا فقلت لها أيضاً: ”دعي هذا الكلام عنك. الرجل الذي يخاف الله الذي يقبل الغرباء اليه في هذا المكان أيحيا اليوم أم لا؟“ أما هي فقالت لي: ”أيها السيد الأب في الحقيقة يوجد رجل كان يقطع الأحجار في هذا الطريق وكان يعمل حسنات كثيرة للغرباء ولما علم الرب بأعماله أعطى له نعمة وهو ذا صار عظيماً اليوم“، وعندما سمعت بهذا قلت في قلبي: ”أنني أنا هو (جزء مفقود) حينئذ عندما تعبت قلت سأذهب إلى شيهيت، وإن شاء الله أن يُنقذ نفس اولوجيوس سوف يخلص“.

### نفس اولوجيوس تطلب من يد أنبا دانيال

وأنا طلبت قارباً ووجدت واحداً من الإسكندرية فركبت القارب كي أعود إلى قلايتي، وعندما اعتليت القارب تأوهت من ألم قلبي ورأيت إياي في القيامة المقدسة ورأيت الفتى النوراني جالساً في الموضع المقدس وتطلعت إلى نفسي بغضب، ومن خوفه ارتعبت مثل ورقة تحركها الريح حتى تملكني الخوف وخوفه جعل فمي ينفتح تماماً لأن قلبي قال لي: ”لا تذهب لكي لا تحترق مما أنت قلته“، وأمر (الفتى النوراني) اثنين من الواقفين لكي يرفعوني إلى فوق أما هم فرفعوني عن الأرض ثم قال لي: ”انظر لا تذهب إلى الأمر الذي فوق قوتك ولا تكرر كلاماً“.

### شفاعة السيدة العذراء من أجل أنبا دانيال

فلم أستطع أن افتح فمي بينما أن مرفوع إلى فوق حينئذ صار صوتاً قائلاً: ”قد جاءت الملكة“، فلما رأيته تعزيت وقلت لها: ”ارحميني يا سيدتي“ فقالت لي: ”ماذا تريد أيضاً؟“ فقلت لها: ”من أجل ضمان اولوجيوس أنا مرفوع لفوق“ فقالت لي: ”أنا سأطلب إلى الكمال“. ورأيت إياها ماسكة بأرجل الفتى النوراني مقبلة إياهم أما هو فقال لي: ”انظر لا تعلم احداً بالأمر هكذا مرة أخرى“ أما أنا فقلت: ”لا يا سيدي أخطأت اغفر لي“، فتركوني، وقال لي: ”اذهب إلى قلايتك وأنا سوف ارجعه إلى طقسه الأول“. فلما استيقظت فرحت جداً قائلاً: ”أنقذت من ضمان اولوجيوس“، وأعطيت مجداً لله وذهبت إلى قلايتي.

«لا ينفع الغنى في يوم السخط أما البر فينجي من الموت»<sup>١٤٨</sup>

وبعد ثلاثة شهور سمعت أنَّ يوستينوس الملك مات وعُيِّنَ آخر مكانه واشتكوا له بسبب ثلاث مستشارين "ذوكسي اجراتيس"، "يسمبيوس"، "اولوجيوس"، أما الملك فأمر بنزع ممتلكاتهم وبعد ذلك تؤخذ رؤوسهم بالسيف ولما سمع اولوجيوس بهذه الأمور ترك كل عمل عنه وهرب ليلاً من مدينة القسطنطينية أما الملك فأمر في أي موضع يوجد اولوجيوس هناك يقتل بالسيف وللوقت جاء إلى قريته وغير ملابسه كما كان يرتدي سابقاً فلما رأوه رجال قريته جاءوا إليه كلهم قائلين له: "أنا سمعنا أنك صرت عظيماً" أما هو فقال: "أن هذا ليس بالحقيقة ولكن ما زلت أنا أعمل وقد ذهبت للجبل المقدس ولعله يكون اولوجيوس آخر هذا الذي تتكلمون عنه لكنه لست أنا"، وحين كان (اولوجيوس) جالساً بمفرده حدث نفسه قائلاً: "قم أيها الشقي احمل أدوات قطع الأحجار للعمل فهذا ليس قصراً، ولا تطلب قصراً لئلا تقطع رأسك"، حينئذ أخذ أدوات قطع الحجر وذهب إلى طريق الصخرة التي وجد النقود عندها وطلب أيضاً بالكلية أن يجد كنزاً آخر فنقب هناك إلى وقت الساعة السادسة ولم يجد شيئاً فجلس مفكراً في النقود التي ضاعت وكل المتع التي كان فيها وقال لنفسه: "قم اعمل هذه مصر". وقليلًا قليلًا تثبت قلبه بواسطة طلبات سيدتنا كلنا والدة الإله القديسة مريم وعاد إلى طقسه الأول، ومن مراحم الرب أنه لم ينسى أتعابه الأولى.

### لقاء أنبا دانيال و اولوجيوس بعد عودته لطقسه الأول

وبعد أيام قليلة ذهبت إلى تلك القرية لكي أبيع عمل يدي القليل فلما صار المساء رأيته بحزن كثير أما أنا فتنهدت قائلاً: "أعمالك عظيمة يا رب خلقت كل شيء بحكمة، فمن من الإلهة يكون عظيمًا مثل إلهنا ذاك الذي يرفع الفقير من الأرض والبائس من المذيلة فأحكام الرب ليس محصاة أنا الخاطئ

رفعت نفسي على أحكامك لتنزل نفسي إلى الجحيم“. بعد ذلك أخذني معه إلى البيت وغسل رجليّ كالعادة ووضع مائدة أمامنا وأكلنا بعدها قلت له: ”كيف حالك يا اولوجيوس؟“ فقال لي: ”أحتاج صلواتك عني يا أبي القديس لأنني إنسان ضعيف ليس في يديّ شيء“ فقلت له: ”حسنًا كان يوجد لديك أكثر مما يوجد عندك الآن“ فقال لي: ”بسبب ماذا يا سيدي الأب أنت تشك؟“ فأعلمته بكل شيء وبكينا سويًا بعد ذلك قال لي: ”أطلب عني يا سيدي الأب لكي يغفر لي الرب خطاياي إلى الأبد“ (فقلت له): ”أسلك يا ابني هكذا والرب يعطي لك قوة فتربح الدرهم يوميًا ولا تقل هذا الكلام لأحد حتى يفتقدني الرب“. ونحن فلنمجد ربنا يسوع المسيح رد نفس اولوجيوس مرة أخرى تاركًا أتباعه المهلكة اياه المجد والكرامة له إلى الأبد. آمين.

### لص يريد سرقة الدير فيصير راهبًا

وحدث بعد هذه الأحداث أن سيرة أبينا أنبا دانيال ذاعت في كل مكان، وكان كثيرون يشتهون أن ينالوا بركته المقدسة وبالأخص أديرة القديسين الموجود بها بتوليون كثيرون وكانت لهم مقتنيات قليلة ينفقون منها على الفقراء والغرباء أما الشيطان فلم يحتمل رؤية هذا الخير العظيم وهي الرحمة التي يصنعونها مع كل أحد فدخل في قلب رئيس لصوص في تلك التخوم لكي يأخذ معه كل الرجال اللصوص فساروا معه في الليل إلى ذلك الدير لكي يسلبوه وينهبوه وعندما قال هذا الأمر لرجاله فرحوا جدًا وللوقت جاءوا إلى الدير وكانوا يراقبون الدير على أي حال هو ولم يجدوا حيلة يدخلون بها إلى الدير لأنه حقًا كانت أسوار الدير راسخة جيدًا، أما اللصوص فعندما نظروا أنهم عاجزين ضجروا فقال لهم مقدمهم: إذا لم تصنعوا كما قلت لكم لا تستطيعون أن تأخذوا شيئًا من الدير أما هم فقالوا له: كل ما تقوله سننفذه فقال لهم قوموا لكي تجدون لي ملابس راهب معطف أسود وقلنسوة مملوءة بالصلبان لأتشبه بأنا دانيال أب شيهيت ومتى حان وقت التقدم سألبس الملابس وأخذ عصا في يدي وأطرق باب الدير فإذا رأوني سيفتحون لي من أجله وأنا سوف أعلمكم سريعًا لكي تنهبونه



بسهولة فلما سمعوا هذه الكلمات فرحوا جدًا وطلبوا باجتهاد وأحضروا الملابس كما وصفها لهم.

### على باب الدير

فلما حان الوقت قام مقدم اللصوص ولبس الملابس وأخذ عصا في يده وجاء إلى باب الدير ولما طرق الباب أجابته البوابة وقالت له: ”من أنت يا أبي وماذا تريد؟“ أما هو فقال لها: ”اذهي وقولي للأم أن أبنا دانيال قس شيهيت واقف على الباب لتستضيفوني اليكم حتى الصباح“ أما البوابة فذهبت وقالت هذا الكلام للأم أن أبانا أبنا دانيال قس شيهيت واقف على الباب وقال لي هذه الكلمات لأتلوها لك، فلما سمعت أن أبنا دانيال على الباب قامت للوقت والأخوات جميعهن أسرعوا نحو الباب وقبلوا أقدام الرجل وأدخلوه بكرامة أما الأم والأخوات قدموا مياه في اللقان وغسلوا أرجله ولما أرادوا أن يفرشوا له أعلى الدير منعهم قائلاً: ”حيّ هو الرب لا تتجاوز هذا المكان حتى الصباح“ ولما انتهوا من غسيل قدميه أخذت الأم من الماء ووضعت على رأسها ووجهها وهكذا صنعت باقي الأخوات وكانوا يأخذونه ويضعونه على رؤوسهن و وجوهن بإيمان.

### أبنا دانيال يحضر بالروح لشفاء راهبة كفيفة

وكانت أخت من الأخوات لا تبصر منذ حدثتها فلما سمعت بفرح الأخوات قلت لهم: ”أعطوني أيضًا من مياه الشيخ“ أما هم فأمسكوها وأحضروها عند اللقان فصرخت قائلة: ”طوباك أنت يا أبي القديس أبنا دانيال فالله باسمك يرحمني“ وملاّت يديها من الماء والفته على وجهها في الحال وأبصرت، فصرخت الأخوات وفرحن جميعهن وأسرعن مقبلات أقدام الرجل اللص أما هي التي أبصرت فصرخت بالأكثر قائلة: ”طوباك أنت يا أبي القديس لأنه بماء قدميك أعطيت نورًا لي مرة أخرى“.

فلما رأى مقدم اللصوص هذه الأحداث أخذته رعدة وخوف وبعد أن نامت الأخوات لم ينم هو مطلقاً لكنه كان يبكي حتى أن دموعه أغرقت الأرض وكان يقول: ”الويل لي أنا الضعيف الخاطئ لأنني أضعت وقتي كله رديئاً في الأمور الباطلة، فإذا كان هذا الرجل وحده الذي أخذت اسمه جعل مياه قدمي تعطي البصر للعميان فماذا يكون حال ذلك الرجل. الويل لي أنا الضعيف الخاطئ لأنني صرت متوانيً عن خلاصي“. وكان يقول هذه الكلمات وهو يبكي، أما رجاله أنفسهم فقضوا الليلة عند الباب بالسيوف منتظرين لكي يفتح لهم اما هو فكان منصتاً اليهم صامتاً ولم يتكلم فلما حل الصباح وهم موجودين عند الباب مثل كلاباً عادوا إلى موضعهم مرة أخرى في حزي. وفي الصباح قام اللص وخرج من عند الأخوات في سلام سائراً في الطريق فطلبه اللصوص وقالوا له: ”ماذا حدث لك في هذا الليل كله“ فقال لهم: ”لا يوجد عمل لي معكم مرة أخرى“ فقالوا له: ”لماذا؟“ أما هو فأخبرهم بكل شيء حدث معه، ولوقته ذهب إلى شيهيت وقابل أبينا القديس انبا دانيال، وأخبره بكل شيء وبدها صار راهباً مختاراً إلى يوم نياحته.

### أنبا دانيال وقرارات مجمع خلقيدونية (٤٥١م)

حدث أيضاً في الزمن الذي كان فيه الملك يوستينيانوس النجس الذي أفرج المسكونة كلها والكنيسة الجامعة في كل مكان وشرع في نشر الإيمان اللعين الذي لمجمع خلقيدونية الدنس، وبدد قطيع خراف المسيح الأساقفة ورؤساء الأساقفة الأرثوذكسيين وطردهم من كراسيهم، والمنافق يوستينيانوس لم يكتفي بهذا لكنه أرسل طومس لاون المنافق الذي لمجمع خلقيدونية وأرسله إلى كل مكان كي يوقعوا عليه جميعاً وعندما وصل إلى مصر صار اضطراب عظيم لكل المؤمنين الأرثوذكسيين القاطنين في كورة مصر وحين وصل الطومس إلى الجبل المقدس لشيهيت ليوقع عليه آباءنا، كان حينذاك أبونا القديس أنبا دانيال أبناً لبرية شيهيت وكشف له الرب الأمر قبل أن يصلوا له ليوقع، فجمع القديس اليه كل الشيوخ وأعلمهم بما كشفه له الرب وأن لا يمحذوا إيمانهم المستقيم حتى

الموت ويظلوا راسخين عليه، أما الذين احضروا طومس لاون مخالف الناموس المملوء بكل نفاق إلى بركة شيهيت خرج تجاههم أبونا القديس أنبا دانيال القمص وتلقاهم ومعه شيوخ كثيرون من القديسين مثله وقابلوا الجنود وقدموا لهم الطومس المملوء نفاقاً قائلين لهم: ”أمر من الملك أن يوقع جميعكم على هذا الطومس كقانون للإيمان“ فأجاب أبونا القديس أنبا دانيال القمص المبارك وقال للجنود: ”أي قانون للإيمان هذا؟“ فقالوا له: ”قانون إيمان المجمع العظيم الذي للخلقيونية حيث اجتمع ٦٣٤ أسقفًا“ أما أبونا أنبا دانيال فامتلاً بنعمة الروح القدس وأسرع وأمسك الطومس المملوء نفاقاً ومزقه وصرخ في الجنود قائلاً: ”محروم المجمع الدنس الذي للخلقيونية، ومحروم كل أحد يشترك معه ومحروم يجحد الآلام الخلاصية للمسيح أما نحن فلن نحيد عن حد الإيمان هذا (نيقية) إلى الأبد ولكن نحرم كل إنسان يتمسك بهذا الطومس فنحن مؤمنين بالآب والأبن والروح القدس الثالوث المساوي الذي هو إله واحد إلى النفس الأخير“.

### جنود الملك تتعدى بالضرب على أنبا دانيال

وحدث عندما رأى الجنود جرأة أنبا دانيال وما صنعه امتلأوا بغضبٍ شديد وأمسكوه وعذبوه بعذابات عظيمة حتى اقترب من حافة الموت بسبب كثرة الضربات التي تلقاها، أما الشيوخ أيضاً فنالوا أتعاباً كثيرة وآلام كثيرة، حتى شاع الأمر في كورة مصر كلها، أما أبونا القديس أنبا دانيال عندما رأى هذا الاضطراب غادر البرية واتجه لقرية صغيرة تُدعى تمبوك<sup>١٤٩</sup> وصنع منزلاً صغيراً شمال غرب القرية وأقام فيه لأيام قليلة ممجداً ربنا يسوع المسيح وكان يصنع فضائل كثيرة بلا عدد وذاع صيته في كل مكان فمجدوا الله الكائن معه وأقام في ذلك الموضع أياماً كثيرة حتى ضرب الرب الملك المنافق يوستينيانوس ومات.

<sup>١٤٩</sup> قرية تمبوك بجوار شبراعيت من أعمال محافظة البحيرة.

## عودة الشيخ القديس للبرية مرة أخرى

وأما الشيخ القديس أبنا دانيال فعاد إلى الجبل المقدس شيهيت بفرح عظيم لايساً إكليل الاعتراف فلما سمع كل الإخوة قاموا وخرجوا لاستقباله وسجدوا له جميعاً وهم في فرح عظيم فدخل المغارة وأعطى المجد لربنا يسوع المسيح وبعد أيام ليست كثيرة منذ عودته إلى شيهيت أعني ابونا أبنا دانيال أتى البربر وأغاروا على الجبل المقدس مخربين المواضع وقتلوا الشيوخ ونهبوا كل ما وجدوه، وكانوا يفسدون سيرة آبائنا بأعمالهم البغيضة وجرى على آبائنا أتعاب وضيقات كثيرة وحدث بعد هذه الأمور أن قال أبونا أبنا دانيال لتلميذه: ”يا ابني قم وتعالى إلى المسكن ذاك الذي كنا فيه قبلاً في تمبوك“ وقام أبونا القديس أبنا دانيال وذهب مع تلميذه المكان ومارس نسكيات عظيمة.

## الأيام الأخيرة من حياة أبنا دانيال

وفيما هو هناك كشف له ملاك الرب أنه قد اقتربت الأيام لانتقالك من العالم وذهابك إلى المسيح الذي تحبه وكان ذلك في اليوم الأول من شهر بشنس فقام الشيخ القديس وجمع الإخوة في الحصن وقال لهم: ”اقترب يوم موتي“ وللوقت رقد وكان اليوم الثاني من بشنس وبعد ذلك عاد تلميذه، وأعطى له معول فلم يقدر أن يجيئه فقال له التلميذ: ”يا أبي القديس ماذا بك اليوم“ فأجابه: ”يا ابني لساني تلثم اليوم ومفاصل جسدي تيبست وأعصاب تراخت والتراب سيعود للتراب مرة أخرى، والله عارف أن شقاوة نفسي إلى أين تذهب“ فقال له تلميذه: ”يا أبي أنت أيضاً تخشى نهاية هذا العمر“ فقال له (أبنا دانيال): ”إن أتى إبراهيم واسحق ويعقوب أمامي وقالوا لي أنك بار فأنا لن أصدق، فيا لشقاء كل إنسان خاطئ هكذا أقول يا ابني أن موسى الذي تكلم مع الله مرات كثيرة، ومع الأنبياء، ومع القديسين كلهم يخافون أيضاً من هذه الساعة (ساعة الموت) رغم برهم لكن هذه الساعة صعبة لكل من هم على الأرض من البشر، يا ابني انظر الصغار الرضع شاربي اللبن إن كان الله يفتقدهم فكيف يتألمون بأي حال بالرغم من أن ليس أولئك يعرفون الخطية بالكلية، يا ابني الطريق الذي أنا ذاهب إليه لم أراه من قبل. الرسل الآتين إليّ لم

انظر وجوههم قط والخدام الآتين نحوي وجوههم مرعبة ولم يعتادوا قبول تقدمات أو هدايا ليركوني“.

### نباحته

هذه الأقوال قالها الطوباوي دانيال الجديد النبي الثاني في جيله ووجهه نحو الشرق وقال لتلميذه: ”لقد اقتربت الساعة يا ابني وقد حانت ساعتي أنا الشيخ الضعيف، وأمسك يده الأثنين ووضعهما على عينيه قائلاً: ”يا ربي يسوع المسيح حبیب نفسي أنا أقدم روحي إلى يديك““ وهذا ما قاله ثم أعطى روحه ليدي الرب في اليوم الثامن من شهر بشنس وكفن جسده المقدس لتلميذه الصغير واولئك الذين كانوا معه ووضعوه في دير تمبوك بمجد وكرامة، طوبى لكل إنسان يعمل رحمة باسمه في يوم انتقاله المقدس لأنه سيكون معه في ملكوت السموات الموضع الذي كان فيه أبونا القديس أنبا دانيال القمص المكرم بشيھيت ليكون لنا جميعاً أن نستحق النعمة ومحبة البشر التي لربنا والھنا ومخلصنا يسوع المسيح هذا الذي له كل مجد وكرامة وسجود تليق بالآب معه ومع الروح القدس المحي المساوي معه الآن وكل أوان إلى دھر الدهور آمين.

الرب يرحم الضعيف الذي كتب خائيل (الأخير) الرب يعطي فهم لآبائنا القارئین سراييون ومينا آمين. الله يتزأف على القارئ الحقير ويغفر له آمين. الله الذي قال أنه حق يغفر له (!) الخاطئ ساويرس يا الله ارحمه. آمين.

### قصص أخرى عن أنبا دانيال

#### لم ترد في المخطوطة التي ترجمت عن القبطية

#### الضربير القديس

ذهب أنبا دانيال مرة إلى الإسكندرية فأبصر في أحد ميادينها إنساناً أعمى عربياً جالساً يسأل صدقة فقال الشيخ لتلميذه: ”أترى هذا الرجل الذي يسأل صدقة؟ إن فضائله لعظيمة وسوف ترى برهان ذلك“، وطلب منه أن ينتظر هناك قليلاً، ثم أن القديس الأنبا دانيال توجه إلى الأعمى وقال له: ”يا أخي

اصنع معي محبة وأعطني قليلاً من النقود لأنه ليس معي ما أشتري به خصوصاً وأعمله لأعيش منه“ فأجابه الأعمى قائلاً: ”أما ترى اني عريان وأجلس أطلب صدقة وتريد مني أن أعطيك نقوداً لتشتري خصوصاً؟ لكن على أي حال انتظري في هذا المكان“ فأوماً الأنبا دانيال إلى تلميذه ليلحقه فرأى أنه ذهب إلى قرب هيكل القديس مرقس حيث كان سكنه ثم أنه أحضر للشيخ بعض الفواكه والدراهم وأعطاهم له عندئذ بكى التلميذ من شدة تأثره وقال: ”كم لله من عبيد قديسين مجهولين لدى الناس لكن لهم كرامة عظيمة قدام الله“.

### صلاة الشحاذ الضرير تشفي كبير امناء الصندوق البطريكي

وحدث بعد هذا أن علم الأنبا دانيال أن كبير امناء الصندوق البطريكي كان مريضاً جداً وقد نقلوه إلى كنيسة القديس مرقس وبينما كان نائماً رأى في رؤيا صاحب البيعة وقد أوصاه أن يحضر الأعمى وهو يشفيه فأرسل المريض في طلبه، فلما الزموه بالحضور وصلى على المريض شُفي لوقته وسمع بهذا أهل المدينة ووصل الخبر بسرعة إلى أنبا تيموثاوس البطريك (٥١٨ - ٥٣٥م) فذهبوا إلى الأعمى في بيته ليأخذوا بركته فوجدوه قد تنيح.

### إكرامه بعد نياحته

وكان يوم نياحته مشهوداً في الإسكندرية ودفن باحتفال كبير في وسط مشيعين كثيرين ووضعوا جسده إلى جانب جسد القديس مرقس، وكان هذا القديس الأعمى قد امضى حوالي ٤٠ عاماً في أعمال المحبة وكان يوزع كل يوم أحد على الفقراء فاكهة وزيتاً كان يشتريها بالصدقات التي ينالها.

### تومايس شهيدة العفة والطهارة

كانت تومايس شابة لم تتجاوز الثمانية عشرة من عمرها، وكان زوجها يشتغل بمهنة الصيد التي تستلزم التغيب عن المنزل كثيراً، وكانت هذه الشابة تخاف الله وتهتم برعاية منزلها وكانت تعيش مع حماها تحت سقف بيت واحد، وكانت مثلاً للوداعة والبساطة والمحبة، تكرمه وتحبه مثل أبيها.

## العدو الشرير يُلقي في قلب حماها الخطية

ألقى العدو الشرير في قلب حماها الخطية، وحدث بينما كان زوجها متغيّبا أن انتهز الرجل الشرير الفرصة وأراد أن يصنع بها الشر ولما صدته في قوة حنق عليها، وكان لأبنة سيف معلّقاً على رأس فراشه فأخذ السيف وهددها به لعلها تدعن لإرادته لكنها أجابته: ”بأن تموت أفضل لها من الخزي والعار والخطيئة“، فلما سمع هذا الكلام اشتد غضبه وضربها بالسيف فوقعت ميتة عند قدميه، أما هو ففي الحال فقد بصره. وجاء بعض اصدقاء ابنه في هذه اللحظة إلى البيت فرأوا جثة المرأة الشابة فأخذ يخبرهم بجريمتهم وطلب منهم أن يقدموه إلى الحاكم لينال القصاص.

## تومايس الشهيدة تدفن في طافوس الرهبان

انتشر الخبر وحضر الأنبا دانيال جنازتها وكان من رأيه أن تدفن في مقابر رهبان دير الثمانية عشر ميلاً فتذمر رهبان الدير وقالوا: ”أنه لا يمكن أن يوضع جسد امرأة وبالحص مقتولة بجانب أجساد الآباء“، لكن الأنبا دانيال أفهمهم أن هذه الشابة ماتت وهي تدافع عن طهارتها وقال هي أمنا الروحية وجدير بنا أن نكرمها ونكرم الطهارة فيها، فاقنع الرهبان ودفنت في مقابر الآباء.

## الراهب المجرب بقتال الزنى وارشاد أنبا دانيال له

جرب أحد الإخوة بقتال الزنى فذهب إلى أنبا دانيال وكشف له أمره فقال له أنبا دانيال: ”يا ابني اذهب إلى الدير الذي دفنت فيه تومايس ثم اجعل مبيتك ومقامك فوق مدفن الآباء هناك وصلي قائلاً: ”يا إله تومايس العفيفة أعني ونجني من محنة الزنا واني أوّمن انك ستخلص من هذه المحنة““. فقام الأخ ومضى إلى الدير الذي دفنت فيه القديسة وفعل كما أوصاه الشيخ وبعد قليل هدأت نفسه وبطلت التجربة عنه فعاد إلى القديس أنبا دانيال وقال: ”يا أبي اني عتقت بقوة الرب يسوع المسيح وبحسن صلاتك“، فسأله الأنبا دانيال: ”وكيف تم ذلك؟“ فقال له: ”اني كنت مداوماً الانسحاق والصلاة إلى الله

وعمل الميطانيات، وبعد أن نمت ظهرت القديسة وقالت لي: "يا راهب، يا راهب خذ هذه البركة وامضي بسلام إلى قلايتك". فلما أخذت البركة خف القتال ووثقت أني تحررت منه. فقال له أنبا دانيال: "كل من جاهد من أجل العفة يكون له عند الله دالة عظيمة".

### اندرونيكوس وأثناسيا زوجته

كان بمدينة أنطاكية شاب يدعى اندرونيكوس يشتغل ببيع الفضة وكانت زوجته تدعى أثناسيا وهي قديسة متحلية بكل الفضائل، وكان اندرونيكوس ممتازاً في الأعمال الحسنة ويعيش في خوف الله، وكانت زوجته تفوقه في الفضائل وكانا يعملان أعمال المحبة ويقسمان ما يحصل لهما من الربح على ثلاثة أقسام قسم للمساكين والآخر للرهبان والثالث لهما، ورزقت امرأته أنبا اسمه يوحنا وبناتاً اسمها مريم<sup>١٥٠</sup>، وظلا يقومان بأعمال البر والإحسان مدة ١٢ سنة، لكن فجأة مرض الولدان بحمى شديدة ومات الواحد بعد الآخر في نفس اليوم وكان عمر الابن اثني عشر سنة والبنات عشر سنوات، وكان جزع الوادين البائسين عظيماً وكانت أثناسيا تصرخ وتقول: "أنها تريد أن تموت أيضاً" وبقيت وحدها في كنيسة القديس يوليانوس<sup>١٥١</sup> حيث دفن ولداها، وفي الليل ظهر لها القديس

---

<sup>١٥٠</sup> يذكر عنهم السنكسار الروماني أنهما بعد إنجاءهما ظلا تحت سقف بيت واحد كإخوة، وكان اندرونيكوس يهتم بالمرضى من الرجال وأثناسيا بالمرضى من النساء ويقضون في خدمتهم هذه أربع مرات من كل أسبوع. (الأب بطرس فرماج اليسوعي، مروج الأخيار في تراجم الأبرار، الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٨٠، ص ١٣٦).

<sup>١٥١</sup> يوجد ما يقرب من خمسة قديسين باسم "يوليانوس" الأول يوليانوس الأسقف والشهيد، الثاني البابا يوليانوس الـ ١١، الثالث القديس يوليانوس النائب وغالباً هو المشار إليه في السيرة، وشهيدان باسم يوليانوس. أما سيرة القديس يوليانوس المرجح أنه المقصود فتذكر: [بدأ يوليانوس حياته عابداً للأوثان وكان ذا بُنية قوية، وسار سيرة ذميمة وعاش بالقبايح وسلك في تيار الخطية والشهوات الجسدية. أما عن كيفية توبته فقد ذكر أنه كان عبداً لسيد في بلدة بعلبك ببلاد الشام، وإذا حلت به متاعب وشدائد وضيقات كثيرة نجعل كنهها، تحول عن طريق الخطية ومال إلى المعرفة وسار سيرة حسنة. ولما مات سيده زهد في العالم. ثم نال سرّ العمداء كنعويض عن حياة الخطية والشر اشتاق أن يسلك في طريق الرهينة، فانطلق إلى أديرة الرُّها وسكن إحدى القلاي القريبة من قلاية مار افرام السرياني. وقد أحب الرب من كل قلبه وتخلّى بكل فضيلة، وكان يتبادل الزيارات مع مار افرام، ويقول القديس مار افرام عن نفسه أنه كان ينتفع من محادثاته. بعد أن انخرط في سلك الرهنة اقتنى خشوعاً عميقاً



يوليانوس نفسه يعزيها ورجعت إلى بيتها وأخبرت زوجها برغبتها في قضاء بقية أيامها في دير فأعطاهما زوجها مهلة ثمانية أيام لكي تفكر، وفي نهاية المدة لم تغير رأيها، وكان اندرونيكوس نفسه يفكر في مثل هذا الأمر فأخبر أخا<sup>١٥٢</sup> زوجته بأنه ذاهب مع زوجته إلى الأراضي المقدسة وسلمه ممتلكاته وأوصاه وأوصاه أن يستعملها أحسن استعمال ممكن إذا أدركهما الموت في الطريق. ولما أرخى الليل سدوله خرجا وأبصرت أثناسيا السعيدة منزلها من بُعد، ورفعت عينها نحو السماء وصلت قائلة: ”يا الله الذي قال لإبراهيم الصديق ولساره أخرج من أرضك ومن جنسك وهلم إلى الأرض التي أريك إياها، ارشدنا يا رب إلى موضع تمواه أنت فيها نحن قد تركنا منزلنا مفتوحاً من أجل اسمك فلا تغلق قدامنا باب ملكوتك“، ثم انهما استأنفا سيرهما وهما يذرغان الدموع وبعد أن زارا الأماكن المقدسة أتيا إلى الإسكندرية قبل أن يختارا مكان عزلتهما، حيث زارا

---

وتواضعاً، وكان شأن باقي النساك يعمل بيديه قلوب المراكب. ومن المواهب التي أعطيت له موهبة الدموع، حتى أن المجتازين بقلايته كانوا يسمعون صوت بكائه لأنه كان يجيش كمن هو يبكي على ميت عزيز، وذلك بسبب تذكركه لخطاياهم، وكان كثير السهر في الصلوات. كان أمياً لكنه تعلم القراءة والكتابة، وبالروح القدس أوتي معرفة معاني الكتب المقدسة، حتى كان كثيرون يقصدونه لاستشارته في بعض الأمور. يذكر مار افرام أنه في أحد الأيام رأى بعض حروف من الكتابة قد نُحيت، ولما سأل أجابه يوليانوس: ”لا أكنتم عليكم شيئاً، فإن الزانية تقدمت إلى المخلص وقبلت قدميه بدموعها ومسحتهم بشعر رأسها، وأنا إذا قرأت الكتب فحيث أجد اسم إلهي مكتوباً أبله بدموعي لكي ما آخذ منه غفراناً لخطاياي“. فقال له مار افرام مسروراً: ”إن الله متعطف على الناس وقد قُبِلَ نيتك، فأطلب إليك أن تشفق على المصاحف“. فقال له: ”لا يطمئن قلبي إن لم أبك قدام الرب إلهي

بعد أن قضى في النسك والعبادة أكثر من ٢٥ سنة، رقد في الرب بسلام، وله تعاليم وأقوال كثيرة نافعة، وقد كتب مار افرام مدحاً عنه<sup>١٥٢</sup>. ذكرت المخطوطة رقم ٢٨٠ دير السريان انه والد زوجته. (يوسف جيب، القديس الأنبا دانيال قمص برية شيهيت، ١٩٦٤م، ص ٦٦).

<sup>١٥٢</sup> ذكرت المخطوطة رقم ٢٨٠ دير السريان انه والد زوجته. (يوسف جيب، القديس الأنبا دانيال قمص برية شيهيت، ١٩٦٤م، ص ٦٦).

هيكَل القديس مينا قرب الإسكندرية ومن هناك مضى اندرونيكوس بمفرده إلى الإسقيط.

### اندرونيكوس يقابل القديس أنبا دانيال

ذهب اندرونيكوس إلى أنبا دانيال وقص عليه قصته فطلب منه أن يُحضر زوجته ليودعها في دير طبنيسى<sup>١٥٣</sup> بالصعيد مع توصيات منه، وهكذا افترق الاثنين هي إلى دير بالصعيد وهو إلى الإسقيط وتلمذ على يد القديس أنبا دانيال، الذي البسه إسكيم الرهبنة وعلمه طقس الرهبنة الكامل. وتلمذ على يديه لمدة ١٢ سنة ثم سأله أن يأذن له بزيارة الأماكن المقدسة مرة أخرى فأذن له.

### تدبير إلهي يجمع بين اندرونيكوس وأثناسيا مرة أخرى

ولما كان سائرًا في طريقه للأماكن المقدسة جلس تحت شجرة ليستظل من شدة الحر ويستريح قليلاً وإذا بامرأته بتدبير من الله جاءت إليه وكانت في ملابس الرجال لكنه لم يعرفها بالنسبة للتقشفات الكثيرة التي أذبلتها وكان وجهها قد غيرته حرارة الشمس، أما هي فعرفته وسألته: ”إلى أين أنت ماض أيها الأب“ فقال لها: ”إلى الأماكن المقدسة“ فقالت له: ”وأنا أيضاً“. فذهبا معاً إلى الأماكن المقدسة ثم عادا إلى الإسكندرية وفي كل هذا كان يجهل شخصيتهما.

### في الدير الثامن عشر

ومن هناك مضيا إلى الدير الثامن عشر غرب الإسكندرية ولم تجرأ رغم أنها كانت تلبس ملابس الرجال أن تصحب زوجها إلى منطقة شيهيت<sup>١٥٤</sup> وطلبت من اندرونيكوس إذا كان يوافق أن يبقى في دير الثامن عشر ميل ويسكن فيه بشرط أن يظلا صامتين بصفة مستمرة كما كانا أثناء سفرهما، فأراد اندرونيكوس

<sup>١٥٣</sup> أخذ أديرة الشركة الباخومية للعذارى.

<sup>١٥٤</sup> إلى هذا الحد كان الآباء يقدسون بركة شيهيت الجبل المقدس ميزان القلوب، أين نحن منهم اليوم؟.

أن يسأل أولاً أنبا دانيال قبل أن يقبل هذا العرض، فذهب إليه وأوصاه أنبا دانيال بالقبول قائلاً له: "أن الأخ لا بد أن يكون راهباً كاملاً"، وكان أنبا دانيال قد علم بالروح القدس أخبارهما فأقاما بالدير المذكور مدة ١٢ سنة دون أن يعرف من هي وكان الأنبا دانيال يأتي كثيراً ليكلمهما عن خلاصهما ويزورهما وقد تسمت أثناسيوس.

### نياحتهما

بعد فترة مرضت أثناسيا جداً فذهب اندرونيكوس إلى أنبا دانيال ليخبره بمرض الأخ أثناسيوس فذهب معه فوجدها تزرف الدموع، وقال لها الأنبا دانيال: "لماذا تبكين في الوقت الذي فيه سوف تظهرين أمام السيد المسيح؟" فأجابته: "أنها تبكي بسبب أندرونيكوس"، وطلبت منه أن يصنع محبة ولا يعلمه عن أمرها شيئاً إلا بعد نياحتها وأنه سيجد ورقة مكتوب فيها جميع العلامات التي بينها وبينه. ثم تناولت من الأسرار المقدسة واسلمت الروح، وفيما هم يدفنونها وجدوا الورقة تحت رأسها مكتوب فيها قصتها وأنها زوجته. انتشر الخبر وفي الحال حضر جمع غفير من المتوحدين من كل صوب وحذب ليحضرُوا جنازة الطوباوية، وأخبر الأنبا دانيال اندرونيكوس أن ينطلق معه إلى البرية لكنه فضل أن يكمل بقية أيام حياته في المكان الذي كانت فيه زوجته وبعد زمن قليل رقد اندرونيكوس أيضاً في الرب.

تعيد لهما الكنيسة الرومانية في التاسع من شهر تشرين الأول (أكتوبر)<sup>١٥٥</sup>، ويذكرها بعض المؤرخين تحت يوم السابع والعشرين من شهر شباط (فبراير)<sup>١٥٦</sup>.

<sup>١٥٥</sup> المطران ميخائيل عساف، سنكسار الروم الملكيين الكاثوليك، منشورات المكتبة البولسية، الطبعة الثالثة، بيروت ص ١٢٨،

١٢٩.

<sup>١٥٦</sup> مروج الأخبار في تراجم الأبرار، مرجع سابق، ص ١٣٥، ١٣٦.

## القديسة أناسيمون الملكة السائحة

كان أنبا دانيال سائرًا مرة مع تلميذه في طريق، فلما قربا من موضع يقال له أرمون المدينة قال لتلميذه: ”امضي إلى هذا الدير الذي لهؤلاء العذارى وعرف الأم إني هنا“، وكان الدير يعرف باسم دير أنبا أرميوس (أحد أديرة الوجه البحري). وكان فيه ثلثمائة عذراء. فلما قرع التلميذ الباب قالت له البوابة بصوت خافت: ”من هذا، ماذا تريد يا أبي؟“ قال لها الأب: ”أريد أن أتكلم مع الأم“ فقالت له: ”أن الأم لا تتكلم مع أحد فعرفني بما تريده وأنا أخبرها“ فقال لها: ”قولي لها هو ذا راهب يريد أن يتكلم معك“ فمضت ودعت الأم فحاءت إليه عند الباب وتكلمت معه على لسان البوابة، فقال لها الأب: ”اصنعي محبة واقلينا اليك هذه الليلة أنا وأبي لئلا تأكلنا الوحوش“ فأجابت قائلة: ”ليس لنا عادة أن يبيت عندنا رجل، والأصلح لكما أن تأكلكما وحوش البرية“ فقال لها الأب: ”أنه أبونا أنبا دانيال ارسلني اليك“.

فلما سمعت أنه أنبا دانيال خرجت بسرعة إلى الباب الثاني والعذارى يحرين في أثرها وهن يفرشن بلاليهن في الطريق إلى موضع الشيخ، فما إن دخل الدير حتى قدمت له لقائًا فيه ماء وغسلت رجليه، ولما فرغت من غسلهما جعلت العذارى يأخذن الماء ويغسلن وجوههن، ما خلا واحدة كن يقلن إنها بلهاء مطروحة عند الباب بثياب زرية جدًّا، ولم تسلم عليه أو تلفت إلى كلامه، فصرخت الأخوات: ”قبلي يدي أينا أنبا دانيال“، فلم تقف فقالت الأم للأنبا دانيال: ”يا أبانا انما مجنونة وطلبت مرارًا كثيرة أن أطرحها خارج باب الدير ولكن خشيت من الخطية“.

## حقيقة الراهبة التي رموها بالجنون والهبل

قال أنبا دانيال لتلميذه: ”اسهر معي الليلة لتنظر عظم فضائل هذه القديسة التي يدعوها مجنونة“. ولم تمض هجعة من الليلة وإذا بالقديسة قد قامت وانتصبت ورفعت يديها نحو السماء وفتحت فاهها وباركت الله وصنعت ميطانيات كثيرة وكانت دموعها تجري كينبوع لأجل تعلق قلبها بالله. وكان هذا عملها كل ليلة، ولما سمعت صوتًا آتيا نحوها طرحت نفسها على الأرض

وتظاهرت بأنها نائمة. وهذا كان تدبيرها جميع أيام حياتها فقال أنبا دانيال لتلميذه: "استدع الأم بسرعة" فلما أتت ونظرت الأخت والنور بين يديها والملائكة تسجد معها بكّت وقالت: "الويل لي كم صنعت بها وأسأت إليها بالشتيم والأهانة والتعير". فلما دق الناقوس واجتمعت الأخوات للصلاة عرفتهن الأم بما عاينت فلما علمت هذه الراهبة بأنهن عرفن خبرها كتبت ورقة وعلقتها على قصبة عند باب الدير، وخرجت من الدير وكان مكتوباً في الورقة: "أنا الشقية العدو أخرجني من بينكن، وأبعدني عن وجوهكن المملوءة حياة. أهانتكن لي كانت قوة لنفسي وضجركن علي كان ثمرة تجمع كل يوم فمباركة تلك الساعة التي قيل لي فيها: "يا هبيلة يا مجنونة، وأنتن مساححات من جهتي وأني قدامكن، وقدام المنبر سوف أجاب عنكن، ليست فيكن مستهزئة، ولا من هي محبة للحنجرة ولا للباس ولا للشهوة بل كلكن نقيات". ولما قرأ أنبا دانيال الرسالة قال: "ما كان مبيتي البارحة ههنا إلا لهذا السبب". وإن جميع الأخوات أقررن بما كن يفترين به عليها، حينئذ حاللهن الأنبا دانيال وعرفهن بأن لا يستهزئن بخليقة الله حتى ولو كانت بلهاء فهذه أعظم الخطايا، لأن توراة موسى النبي تقول: «خلق الإنسان على صورة الله ومثاله».<sup>١٥٧</sup>

### طفل صغير ينطق وهو ابن أسبوعين

نزل أنبا دانيال كعادته لترنوط (الطرائد حالياً) لبيع عمل يديه وبينما هو مرة في السوق أتاه شاب متوسلاً أن يصلي لزوجته العاقر لكي يهبها الله ولداً، وحين انجبت الشابة أشاع أرباب السوء بوحى شيطاني لبيلة أفكار الناس وزعزعة إيمانهم أنبا الولد هو ابن أنبا دانيال فما كان من القديس إلا أن أحضر الطفل الصغير وأمه وأبيه وسط الناس المتكلمين بالسوء وحمل الطفل على ذراعيه وأمره أن يتكلم من هو أبوه؟ فأشار الولد بيده إلى أبيه وفتح فمه وهو ابن أسبوعين وقال: "هذا أبي".<sup>١٥٨</sup>

<sup>١٥٧</sup> (تك: ١: ٢٧).

<sup>١٥٨</sup> الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٤١٢.

روى أنبا دانيال أن راهباً اسمه "ذولاس" كان يعتبر من الآباء الكبار، وقد سكن لمدة أربعين سنة في دير للنساك، وكان أنبا دانيال يقول: "أنا متأكد أن معظم النساك يزداد تقدمهم وبأكثر سرعة في ممارسة الفضائل إذا عاشوا في الدير بكل قلوبهم"، وحدثهم مرة عن أخ في دير للنساك يظهر عليه أنه بائس ومحتقر، ولكنه من الناحية الروحية عظيم وكبير. وبينما كان الجميع يحتقرونه ويهينونه، كان هو فرحاً مسروراً. ومن جراء حسد الإخوة عليه، فبعضهم ضربه، وآخرون بصقوا عليه، وآخرون أوسعوه بالشتائم. وإذا لم يحتمل العدو تشبته بالاحتمال، أوحى لأخ أن يدخل الكنيسة بينما كان الإخوة نائمين ليسرق جميع الأواني المقدسة ويخفيها خارج الدير. وفي وقت الاجتماع دخل الكاهن ليرفع البخور فاكتشف أن جميع الأواني قد اختفت، فذهب وأخبر الأب بذلك.

### اتهم الأخ أونتل بالباطل

فدق الناقوس واجتمع جميع الإخوة وثاروا قائلين: "لا يمكن لأحد أن يأخذها إلا الأخ "أونتل"، ولهذا السبب لم يأت إلى الاجتماع. ولو كان لم يفعل ذلك لكان هو أول من أتى كالمعتاد". فذهبوا إليه ووجدوه يصلي. وبعد أن قرعوا بابه دخلوا وجروه بقوة. فسأل الأخ: "ماذا في الأمر أيها الآباء؟" ولكنهم جروه وأذلوه بالشتائم قائلين: "مدنس المقدسات لا يستحق أن يعيش، فإنك لم تكتف بأن تعذبنا لسنوات هذا مقدارها، وها أنت الآن تؤذي نفوسنا". ولكنه قال: "اغفروا لي، لقد أخطأت". فاقتادوه إلى الأب وقالوا: "أيها الأب، إنه هو الذي يسبب اضطراباً منذ البداية". وظلوا يقولون كل بدوره: "أنا أعلم أنه كان يأكل الخضروات خفية"، أو "أنه كان يسرق الخبز ليعطيه للذين هم خارج الدير"، أو يقول آخر: "إنه كان يذهب ليشرب

<sup>١٥٩</sup> فردوس الآباء - بستان الرهبان الموسع -، مرجع سابق، ص ٢٢٧ : ٢٣٠.

أفضل أنواع الخمر“. والجميع كانوا يكذبون ولكنهم كانوا يصدقونهم، وأما الذي كان يقول الحقيقة فلم يُصغ له أحد.

### إهانة وجلد وتجريد و”أونتل“ يقابلها بابتسامة

فخلع الأب منه الزي الرهباني قائلاً: ”هذه ليست أعمال إنسان مسيحي“. ثم أوثقوه وسلموه لمدير الدير، وهذا إذ جرده من ملابسه وجلده بأعصاب البقر كان يفحصه ليعرف إن كان ما قالوه عن حق. فقال الأخ وهو مبتسم: ”اغفر لي فقد أخطأت“. فاغتاظ الأب المدير من هذا الكلام وأمر أن يوضع في سجن وثقيده رجلاه، وكتب إلى الحاكم ليكشف له الأمر. ثم جاء الوكلاء ليأخذوه وأركبوه على بغل بدون مقعد وبسلاسل ثقيلة في عنقه وساقوه هكذا في وسط المدينة.

### أمام القاضي

ولما اقتادوه إلى القاضي سألَه عن اسمه ومن أين جاء ولماذا صار راهباً؟ ولكنه لم يقل أكثر من: ”إنني خاطئ فاغفر لي“. فلما اغتاظ القاضي أمر أن يُطرح ويضرب بأعصاب البقر، فمددوه من يديه ورجليه وضربوه بأعصاب البقر بلا رحمة، وظل وجهه مبتسماً وقال للقاضي: ”اضرب اضرب، إنك ستعيد فضتي ببريق أكثر تألقاً“. فقال القاضي: ”إنني سأظهر حماقتك ببريق أفضل من الثلج“. ثم أمر بإشعال النار تحت بطنه وأن يُصب ملح ممزوج بخل على جروحه. ودُهِشَ المعذبون من تحمله لذلك وقالوا له: ”قُل لنا أين وضعت الأواني المقدسة ونحن نتركك“. فأجاب بأنه لم يكن له شأن في ذلك.

### القاضي يحكم على ”أونتل“ بقطع رأسه

ثم أمر القاضي بالتوقف عن التعذيب وإعادةه إلى السجن وأن يُجرس بدون طعام أو أي اهتمام. وفي اليوم التالي أرسل إلى الدير للإتيان بالرهبان وأب الدير. فلما جاءوا قال لهم القاضي: ”لقد عملت كل ما في استطاعتي وأخضعته لكل العذابات بلا طائل“. فأجابه الإخوة: ”أيها السيد، لقد

ارتكب أعمالاً رديئة عديدة، وقد احتملناه من أجل الله برجاء أن يتغير، ولكن ها هو قد صار إلى الأسوأ“. فقال لهم: ”إذن، ماذا أفعل؟“ فقالوا: ”ماذا يقول القانون؟“ فأجاب: ”القانون يعاقب منتهك الحرمات بالموت“ فقالوا: ”فليمت“ فأرجعهم وجاء بالأخ وجلس على كرسي الحكم وقال له: ”اعترف أيها البائس، وستفلت من الموت“. فقال الأخ: ”إن كنت تريد مني أن أقول ما لم يحدث فسأقول“. فقال القاضي: ”لا أريد منك أن تكذب“. فقال الأخ: ”إنني لم أفعل شيئاً يجعلني عرضة للاستجواب“. فلما رأى القاضي أنه لم يقل شيئاً أمر أن تقطع رأسه.

**المنذب الحقيقي يعترف بجرمه**

**وعودة ”أوتل“ للدير بكرامة عظيمة**

ثم أن ذاك الذي خبأ الأواني ظل ضميره يبكته حتى قال في نفسه: ”رغم أن الأمر لم يعرف حتى الآن مطلقاً؛ فإذا ظللت مخفياً إياه هنا على الأرض، فماذا ستفعل في يوم الدينونة؟ كيف ستُجيب عن تلك الجرائم؟“ ثم ذهب إلى الأب وقال له: ”أرسل رسولاً بسرعة حتى لا يُعَدَم الأخ، فقد وجدت الأواني المقدسة“. فنقل الخبر إلى القاضي وأُفرج عن الأخ وأُعيد إلى الدير، وحينئذ انطرح الجميع تحت رجله وتوسلوا قائلين: ”لقد أخطأنا إليك فاغفر لنا“. فأخذ يبكي ويقول: ”اغفروا لي فإنني مدين لكم بالشكر العظيم، لأنه بواسطة تلك العذابات نلت خيرات عظيمة. ففي الحقيقة إنني كنتُ أبتهج كثيراً باستمرار لسماع كل شر تقولونه عني لأنني بواسطة تلك الإهانات القليلة أستحق أن أحصل على مكافآت عظيمة في ذلك اليوم الرهيب. والآن أنا أسر أكثر أيضاً بأنكم فعلتم معي ذلك، حيث أنني لم أحزن بسببكم، لأنني أرى الآن الراحة التي كنت أنتظرها كأجر لهذه التجارب في ملكوت السموات“.



ثم عاش الأخ ثلاثة أيام أخرى وانتقل إلى الرب. وجاء أحد الإخوة ليرى كيف كان انتقاله، فوجده راکعاً لأنه كان في وضع السجود في الصلاة، وهكذا سلم روحه. وقد ظل جسده هكذا في وضع التوبة (الميطانية).

«الآن يقول الرب... فإني أكرم الذين يكرموني»<sup>١٦٠</sup>

أمر الأب أن يحملوا جسده إلى الكنيسة لكي يدفنوه فيها. ولما وضعوه أمام الهيكل دق الناقوس لكي يجتمع الدير كله ويدفنوا الجسد بالإكرام. ولما اجتمع الإخوة أراد كل واحد أن يأخذ جزءاً من رفاتة. فلما رأى الأب ذلك جعلهم يحملوا الجسد إلى داخل المذبح وأغلقوا الباب وأعطوا المفتاح لأب الدير لكي يشترك الجميع في تكفينه. ولما جاء الأب مع الكهنة قالوا له: "افتح الباب وانقل الجسد لتكفينه لأننا في الساعة التاسعة من النهار". فلما فتح لم يجد سوى ملابس وصندله، فحل الدهول على الجميع وأخذوا يمجدون الله بدموع وقالوا: "انظروا يا إخوة، هذا هو الذي يزودكم بالصبر والاتضاع، وكما كنتم ترونه هكذا جاهدوا أنتم أيضاً في احتمال الازدراء والتجربة، لأن الجميع يعلم أن هذه تؤدي إلى ملكوت السموات بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى دهر الدهور آمين".

<sup>١٦٠</sup> (صم ٢: ٣٠).



سيرة القديس أنبا يؤنس القمص (٥٨٥ - ٦٧٥ م)  
تقرير<sup>١٦١</sup> الأب اوجو زانتي<sup>١٦٢</sup> (Ugo Zanetti)  
بخصوص سيرة أنبا يؤنس القمص.

اصدارات يوسف حبيب<sup>١٦٣</sup>

لا نستطيع بالقطع أن نقول إن كل القصص التي سردناها كانت غير معروفة لنا حتى الآن. لأنه بجانب المعلومات المستقاة من كتب الليتورجيات أو من المؤلفات التاريخية التي فحصها وراجعها بدقة بالغة بواسطة العلامة افلين

---

<sup>161</sup> Ugo Zanetti, La vie de saint Jean de Scété au VII<sup>e</sup> siècle, in *Analecta Bollandina*, 114 (1996), p. 273 – 405.

<sup>١٦٢</sup> الأب زانتي كان ينتمي الى رهبانية (Bollandistes) قبلما ينضم الى البندكت) وهي مختصة بمهمة بدراسة سير القديسين وبالأخص القدامى منهم ولهم إبحاث أخرى في سير قديسين من الاسقيط سوف نرجع اليها، وتلك الرهبانية ظهرت في القرن الـ ١٧ م.

<sup>١٦٣</sup> "يوسف حبيب" ولد بالقاهرة سنة ١٩٠٩ م، ورسم شماساً بيد أنبا صرابامون مطران الخرطوم في كنيسة العذراء حارة الروم سنة ١٩٢٣ م.

حصل على شهادة البكالوريا أدبي سنة ١٩٢٦ م.

تلمذ في مدرسة الأقباط الكبرى على يد الأستاذ يسى عبد المسيح مدرس اللغة القبطية، ومعلم الألحان ميخائيل البتانوني الكبير.

اشتغل بالمحاكم المختلطة والنيابات وتدرج في الوظائف حت رقى رئيساً للقلم الجنائي بالنيابات بمحافظة الإسكندرية... ثم استقال وتفرغ للخدمة.

كان أحد رواد الخدمة والتربية الكنسية بمدينة الإسكندرية، وعلامة بارزة في مجال القبطيات والاهتمام بالمخطوطات والترجمة والنشر باللغة القبطية.

كان عضو لجنة الآثار القبطية.

درّس التاريخ الكنسي في الكلية الإكليريكية بالإسكندرية وله كثير من الأبحاث والأعمال المترجمة. ووصفه قداسة البابا شنودة الثالث بـ "المؤرخ العلامة".

رافق المنتخب القمص بيشوي كامل في خدمته وتنيح بسلام في ٢٠/١٢ سبتمبر ١٩٨١ م الموافق لعيد القديس يوحنا المعمدان، وتنيح عن عمر ٧١ عاماً. (القس أنثاسيوس فهمي، سيرة الشماس يوسف حبيب، الناشر دير القديس أنثاسيوس الرسولي "إبازشية أيرلندا"، الطبعة الأولى، أغسطس ٢٠٠٦ م، ص ٧).

هوايت، كان يوجد كتيب صغير عن القديس يؤنس قمص الأسقيط في في القرن السابع الميلادي، نُشر باللغة العربية في القاهرة عام ١٩٦٨م وقد اطلع عليه بعض المؤمنين الأقباط. والكاتب (المؤلف) يوسف حبيب كان معنيًا بحياة الأنبا صموئيل المعترف، وذلك رجع إلى مخطوطة بدير البراموس تحوي هذه السيرة وترجع إلى ١٢٩٩ش - ٨٣/١٥٨٢م، كما وجد فيها أيضًا سيرة حياة قديسنا أنبا يؤنس والتي لم يسبق لأحد أن يشير إليها حتى ذلك الوقت؛ فقرأها واستخدمها لكي يجعل منها مادة للنشر. غير أن الشماس يوسف حبيب كان حريصًا أن تصل كتاباته إلى أبناء الشعب، ولذلك كان لها طابعًا رعويًا، ومن هنا اكتفى بنقل أجزاء موجزة من سيرة الحياة، كما لخص أجزاء أخرى كثيرة، ثم مزج الكل مع أعمال ايفلين هوايت ليُخرج لنا سيرة ”يؤنس قُمُصُ الإسقيط“ بعد أن أضاف لها لمحة مختصرة من حياة الاثنين الآخرين، أعني القديس يوحنا القصير (القرن الرابع) والقديس يؤنس كاما (القرن التاسع). وعلى هذا النحو نشر كُتيبًا نافعًا يخدم الغرض المحدد الذي سعى إليه (من البداية)، ولكنه لم يحظ أبدًا باهتمام الأوساط العلمية، لأنه لم يقدم لها ما يُشبع حاجتها، وبالتالي تجاهلت وجوده.

والباحث الذي يعرف اللغة العربية، ويحلل هذا العمل لن يعوزه الجهد الكثير لكي يكتشف أن المؤلف (يوسف حبيب) قد نقل بحسب رغبته فصول النص بعد أن فصل بينها بوضع عناصر أو أجزاء استقدمها من مواضع أخرى، وأغفل الإشارة إلى عدد الفقرات التي رآها غير نافعة. والملاحظ أن الشماس يوسف حبيب عندما ينقل نصًا من مخطوطته؛ يحدث أحيانًا أن يصححه ويطوره ليتوافق مع المناسبة، لكن ما هو أهم أنه يؤلف نصًا جديدًا وذلك بوصل نهايات الجمل من هنا وهناك. وعندما قمنا بعمل تحليل مدقق؛ أمكننا أن نتوصل إلى أن مخطوطته ينبغي أن تحوي نصًا يطابق نص مخطوطتنا (مخطوطة ٣٥ سير، دير أنبا مقار)، بل ومن المحتمل أن تكون الاثنان لنفس الناسخ، فإذا أخذنا في الاعتبار أن مخطوطة البراموس أحدث من مخطوطة أنبا مقار بـ ٣٤ سنة، فمن المرجح إذن أن تكون صورة لنسخة دير أنبا مقار الأصل.

وعندما تأملنا الطريقة التي انتهجها يوسف حبيب في عمله، كان من الصعب علينا عقد مقارنة (دقيقة) بين المخطوطتين موضع البحث سوى بطريقة جزئية؛ فضلاً عن أنه بدون المساعدة التي قدمتها طبعتنا كان من المحال أن نعرف الأجزاء التي أخذت من مخطوطة البراموس، والتي هي من ثمر عمل يوسف حبيب. ومع هذا؛ فبرغم المحدودية الواضحة لهذه "التجميعة" إلا أن المخطوطتين تتفقان جداً عندما نقارن بينهما حتى إنه يمكن أن نؤكد أن المخطوطتين تمثلان نفس النص، فعلى سبيل المثال:

الشماس يوسف حبيب يستخدم مخطوطته بدءاً من الفصل الثاني من مؤلفه (الفصل الأول كتبه المؤلف نقلاً عن مصادر متعددة)، ويقتبس فيه على التوالي وبهذا الترتيب مقتطفات في الفصول ٦ ، ٤ ، ٣ ، ١٣ .

كذلك في الفصل الخامس من كتابه (الفصول ٣ ، ٤ من عنده) يقتبس (في صفحة ٣١ - ٣٤) فقرة من الفصول ٢٠ ، ٢١ ... وهكذا ثم يتوقف أو يأخذ عن مصادر أخرى ما تنقله لنا الفصول ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٩ (وهنا بالتحديد يحكمنا النص كما جاء في مخطوطتنا، وإلا فيلزمنا أن نعرف ما جاء في المخطوطة الأخرى)، ١٠... الخ.

## الطبعة الحالية للأب أوجو زانتي Zanetti

في هذه الطبعة أردنا أن نجيب بقدر الإمكان على الاهتمامات المشروعة للباحثين، دون أن نُسبب إحباطاً للقراء المهتمين بالتعاليم الروحية المستقاة من سيرة حياة القديس يؤنس (القمص). ولذلك ألزمتنا أنفسنا أن نُقدم طبعة دقيقة تخدم المخطوطة تماماً، مضافاً إليها ترجمة فرنسية قادرة أن تنقل بلغة فرنسية سهلة ومقروءة المعنى الحقيقي للجملة العربية، دون أن نبتعد عنها مطلقاً، وذلك لكي لا نحرم الباحثين من نسخة قريبة جداً من النص (الأصلي)، حتى تكون نافعة وواضحة وخالية من أي غموض. ولهذا السبب كنا مكرهين أكثر من مرة أن نقدم معها شرحاً أو تفسيراً، لكن الملاحظات التي أضفناها أسفل كل صفحة تقد الترجمة الحرفية لل فقرات التي تُلزمنا مقتضيات اللغة الفرنسية أن

نترجمها بتصرف في النص الأصلي. وكما هو مذكور؛ فقد أضفنا شرحًا (تفسيرًا) لكل فصل على حده لكي نوضح المعطيات التاريخية والروحية التي استطعنا أن نكتشفها في هذا العمل.

## مديحة للقديس يونس القمص

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد.

فخر سيرتك المقدسة، يا رجل الله، وفضائلك العالية  
يا أبانا القديس الأنبا يونس، هي النسكيات الكاملة،  
والعبادات العظيمة. أيها المدير العظيم لجبل الأنبا مقار (الدفنار).  
مديحة وافتخار وسيرة أبينا الطوباني<sup>١٦٤</sup> المملوء من كل فضيلة أنبا يونس،  
أول قسوس واغومانس<sup>١٦٥</sup> دير أنبا مقاره بجبل شيهات، وليس هو أب شيهات  
وحده، بل وكل من يحب الفضيلة، والأعمال الصالحة في الله. مُسَطَّرُهَا العابد  
لله، القس أنبا يونس<sup>١٦٦</sup> أبوه الروحاني، الذي صار كاتِبًا للمثلث الطوبى أنبا

<sup>١٦٤</sup> الطوباوي.

<sup>١٦٥</sup> "ΠΙΣΤΟΤΗΕΝΟΣ" وتعني الثَّمُص أي "المدير". وأنبا يونس قمص شيهيت (٥٨٥ - ٦٧٥ م) هو آخر الآباء الذين تولوا مسؤولية التدبير الرهباني في شيهيت، وكان له سلطان وكلمة على كل الأديرة بالبرية وكان رئيسًا على دير القديس الأنبا مقار، وكان حلقة الوصل بين الرهبان والبابا، وكان يُعيد على الأب البطريرك في عيد الفصح بالنيابة عن رهبان البرية. ونسمع بعد ذلك أن تلك المسؤولية قد تولوها من بعده أنبا يوحنا أسقف نقيوس الذي عُيِّن مديرًا على أديرة برية شيهيت.

<sup>١٦٦</sup> هو البابا يونس الثالث، ولقب بـ يونس السمنودي، ولد في مدينة سمنود وكان اسمه يوحنا، تهرب بدير القديس أنبا مقار الكبير ببرية شيهيت، ثم اختير للبطريركية بعد نياحة البابا أغاثو (٣٩)، وتمت سيامته في كيهك ٣٩٧ ش - الموافق ٢٧ نوفمبر ٦٨٠ م، وكان محل اقامته بالمرقسية بمدينة الإسكندرية، وظل على الكرسي المرقسي تسع سنوات، كان معاصرًا للدولة الأموية، وعاصر من ملوكها معاوية وزيد ومعاوية ابنه ومروان ابن الحاكم وعبد الملك بن مروان، وتنيح في ١ كيهك ٤٠٦ ش - الموافق ٢٧ نوفمبر ٦٨٩ م، ودفن بالكنيسة المرقسية بالإسكندرية. (الكاتب، بطاركة من دير القديس الأنبا مقار الكبير، الناشر مكتبة مار جرجس شيكولاني، الطبعة الأولى ٢٠١٤ م، ص ٥٩).

أغاثو<sup>١٦٧</sup>، رئيس أساقفة الإسكندرية. وإن اليوم الذي تنجح فيه هو سلخ<sup>١٦٨</sup> شهر كيهك، بسلام من الله. يشمل كبيرنا وصغيرنا وباركنا أجمعين. آمين.

قد وُضع لنا اليوم، يا أحبائي، تذكّار أبينا الطوباني، لتتجمل فيه ونقول سيرته، لأن فخر فضائله يزهر لنا. لتتكلّم بميمره، ورائحة فضائله هي التي أقامتنا لنقول لكم أعماله الحسنة واستقامته العجيبة. لأن صيًّا حسنًا هو ذكر الصديقين، كما هو مكتوب: ”وذكرهم دائم إلى الأبد“، كمثّل ما قال مسطر الكتب داود. وأيضًا الرسول القديس بولس يعلمنا أن نذكر مدبرينا كل حين، هكذا قائلاً: ”اذكروا مدبريكم الذين يتكلمون معكم بكلام الله، هؤلاء الذي تنظروا علو فضائلهم وسيرتهم الحسنة. كونوا متشبهين بليعائهم“. وكثير من الكتب ومعلمي البيعة يأمرونا أن نصنع هذا، وبالأكثر ربنا يسوع المسيح اذ يقول: ”من قبل نبيا باسم نبي فأجر نبي يأخذ، ومن قبل صديقًا باسم صديق فأجر صديق يأخذ“. لأن ربنا عظيمًا لنا هو سماع أعماله الحسنة، وكل من يحب الفضيلة والطهارة بالله، هذا يتنعم به. ولنقيم الكلام إلى هذا الموضوع من أجل العنوان الموضوع لنا الآن، الذي هي سيرة أبينا الطوباني، هذا الذي نتكلم

<sup>١٦٧</sup> البابا أغاثو ال (٣٩) كان من مواليد مريوط وكان لقبه ”ولد بنيامين“ لأنه كان البابا التالي على الكرسي المرقسي بعد نياحة البابا بنيامين (٣٨) في ٨ طوبه ٣٧٨ ش - الموافق ٣ يناير ٦٦٢ م بالإضافة إلى الثقة الكبيرة التي وضعها البابا بنيامين في تلميذه وسكرتيره القس أغاثو فكانت فترة تلمذته فترة تدريب على أعمال الباباوية، والبابا أغاثو بعد أن تولى مسؤولية الكرسي المرقسي في ١٤ طوبه ٣٧٨ ش - الموافق ٩ يناير ٦٦٢ م. قام بعمل جليل فكتب سيرة البابا بنيامين وذكر الأحداث التي مرت فكان خير شاهد، لذلك فإن كتاب البابا أغاثو عن سيرة البابا بنيامين له أهمية عظيمة لأنه يطلعنا على فصل هام من تاريخ الأقباط، كذلك ما مر به من تقلبات فكان خدمة عظيمة لوطنه ومواطنيه الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده. ويذكر عن البابا أغاثو أنه في فترات الاضطهاد كان يتنحل صفة تجار وذلك حتى يتسنى له أن يفتقد شعبه في هذه الظروف ليرعاهم ويشتبه فكانت تلك الفكرة ناجحة ليمت أعماله الرعوية بلا مانع ولا عائق، كما أنه من أهم الأعمال التي قام بها خلال فترة حبريته أنه كان يشتري الأسرى الروم، والصقالبة، والايطاليين ويعتقهم من الأسر والعبودية ويخبرهم بين البقاء أو العودة، فكان بذلك يحفظهم من عاقبتين إما العبودية أو أن يجرّوا على تغيير دينهم. أنتقل البابا أغاثو (٣٩) إلى الأحبار السمانية في ١٦ باه ٣٩٧ ش - الموافق ١٣ أكتوبر ٦٨٠ م. بعد أن قضى على الكرسي المرقسي ما يقرب من تسعة عشر سنة. (الاستاذة إيريس حبيب، قصة الكنيسة القبطية، الطبعة الثامنة ٢٠٠٦ م، الكتاب الثاني ص ٢٤٤: ٢٥٠).

<sup>١٦٨</sup> (السلخ): آخر الشهر. المعجم الوسيط.

بكرامته اليوم. لأنه ليس لنا شيء نقوله كاستحقاق كرامة أبوته المقدسة، إذ تعرفون أن لساننا ضعيف ومنطقنا عاجز جداً، لا يفي أن يقول كرامة فضائل ذلك الطوباني. لأن سليمان الحكيم يقول: ”اذ كنت مسكيناً، فلماذا تجلس على مائدة القوي وتأمل الذين يضعوهم أمامك، لتلا تمد يدك فتأكل أكثر من كُفؤك“. وأيضاً الممتحن بالحقيقة أنبا بيمن يقول: ”أخذ الفضيلة، أن يعرف الإنسان حدّه وحده“. ومن هؤلاء وهؤلاء الآخر كُنت أريد (أن) أسكت، لكن عندما أذكر ذلك شعر الجداء، والأعمال الآخر الناقصة الذي كانوا يقدموهم لصنعة القبة، وأن الرب لم يرّد لهم، وأيضاً عندما أسمع الرب في الانجيل يمدح الفيلسفين الذي للأرملة أكثر من عظيم المواهب الذي للأغنياء، فمن أجل هذا أقيم ذاتي وأنسى مسكنتي لكي أقدم قليلاً من شُعر المعزى لصنعة القبة المقدسة، وألقي الفيلسفين الذي لي في خزانة الرب، الذين هم كلماتي الضعيفة، لأقول لكم ميمر ذلك المستحق كل كرامة، الشيخ المبارك أبينا الطوباوي أنبا يؤنس. وبالأكثر لأن حسن فضائله تزهّر لنا، لتتكلم مثل إنسان مسكين، إذا نظر مائدة غني وهي مملوءة من كل الخيرات، فإنه يشتهي هو أيضاً أن يأكل منها. هو مثالي أنا، عندما أنظر هذه المائدة هكذا التي هي سيرة أبينا الطوباني، هذه المملوءة من كثرة خيرات الذين هم الفضائل ذات الألوان، فأشتهي أنا أيضاً وأريد أن أتكلّم بكرامتهم، وأعلم كل أحد من الذين يستطيعون أن يعملوا كفضائله ليصيروا أغنياء، وأيضاً ليُصيروا آخرين أغنياء بالأعمال الصالحة. ومثل إن القمر لا يحتاج إلى نور النجوم، ولا الشمس تحتاج إلى ضوء القمر، هكذا أبونا الطوباني لا يحتاج إلى كلامنا الناقص، لأنه كان ينمو في الأعمال الصالحة من طفولته<sup>١٦٩</sup> إلى شيخوخته، ويتعبد حسناً في كل أعمال القديسين ويتدبر بكل أعمال الروح القدس، ليضع لنا شكل الفضيلة في الكلام والعمل والإيمان والرجاء، في المحبة والفضيلة في الطهارة والأناة، في الوداعة وتواضع القلب، في محبة المساكين ومحبة الغربة. وهكذا أقام سيرته مثل آبائنا الذين أرضوا الله كلّهم،

<sup>١٦٩</sup> قيل إنه وُلد حوالي سنة ٥٨٥م في بلدة ”شرا منسين“ من أعمال ”صا“، وهي قرية ”صا الحجر“ المشهورة بمركز كفر الزيات.



وصار لنا بطيرگًا في هذا الزمان، ونبياً ورسولاً وشهيداً، وراعياً حسناً: بطيرگًا لأنه صار لنا أبًا رحيماً، مهما أنا أقول عليه إنه ولدنا من حقوبه، ونبياً لأنه دفعواً كثيرة أعلن لنا أشياء كثيرة قبل أن يكونوا، وكانوا؛ ورسولاً لأنها كثيرة هي الأنفس التي أصعدها من ضلالة الشياطين وأدخلها إلى معرفة الله العلي؛ وشهيداً لأنها كثيرة هي الجهادات التي احتملهم من الأعداء العقلية الذين هم الشياطين المحاربين، الغير طاهرين، ومن البربر الذين حملوه معهم مسيئاً؛ وراعياً حسناً لأنه كان يهدي كل أحد إلى خلاص نفوسهم. وعلى الجملة إنه كان نموذجاً وقانوناً لكل من يدخل إلى الفضيلة والتنسك. ومن أجل هذا، فلنقطع الكلام من هاهنا ونعود إلى الشرح الموضوع لنا، ونبتدى بما قد ابتدأنا به أولاً، ونعلمكم ازهار هذه الزهرة هكذا، ونقول لكم يسيراً من الفضائل الكثيرة التي لأبينا الطوباني أنبا يؤنس.

### فضائل أنبا يؤنس القمص وممارساته الرهبانية

لأن أبانا الطوباني أنبا يؤنس، عندما جحد هذا العالم ودخل إلى سيرة الرهبنة، ابتدأ بالأعمال الصالحة بعظم تعزية واشتياق كثير. وكان يسير إلى قدام في التقشفات الصعبة، والعيشة الضيقة، والرقاد على الأرض، والليالي السهر، بقوة وباطراحه بالآلام، حتى استطاع أن يقطع أوجاع أفكار الجسد، هذه التي تصيرنا أعداء الله. وأوصل الجسد بالروح حتى صار هيكلًا طاهرًا لله، واستحق نعمة من قبل الله حتى صار هيكلًا طاهرًا لله، واستحق نعمة من قبل الله حتى صار ينظر اعلانات كثيرة هكذا، لأن دفعواً كثيرة رأى القديسة مريم، من أجل إن القديسين كانوا يظهرون لمن هو متساوي معهم في هذه الغيرة الواحدة التي هي الطهارة والأناة وبقية الأعمال الصالحة، ولأن ذلك الطوباني اقتنى له اشتياقاً كثيراً في محبة والده الله القديسة مريم، حتى إنه كان يعمل تذكراها المقدس في يومها كل شهر.

## أعجوبة للقديس أنبا يونس القمص

اسمعوا الآن، يا أحبائي، هذه الأعجوبة القوية التي له، اخبرنا بها تلميذ مقدس له، لأنه كان يستحق هذا الأمر قال: "رأيت دفعة أبانا الطوباني وهو داخل البيعة، ونور محيط به كشبه سحابة كأنه نور القمر. ومن أجل هذا، يا أحبائي، استحق هذه النعمة هكذا، حتى إن هذا النور كان يحوط به ويسير أمامه، لأنه كان يسير في أعمال النور التي هي وصايا الرب، كمثل ما قال المرتل داود: إن وصية الرب نور هي و تعطي النور لمن يحفظها<sup>١٧٠</sup> وهكذا الذي يمشي في الشر فإن الظلمة تحوط به، من أجل أنه سائر في أعمال الظلمة، كما قال الإنجيلي يوحنا في رسالته الكاثوليكون: إن الذي يبغض أخاه هو كائن في الظلمة وسائر فيه<sup>١٧١</sup>، وبقية القول. هات الآن لنقول لكم، أيها الإخوة القديسون، هذا الآخر الذي يشبه هذا<sup>١٧٢</sup>، قال لنا هذا التلميذ الواحد الذي لأبينا الطوباني: "كان قسيس في البيعة وله محبة عظيمة في أبينا، حتى إن كل دفعة كانوا يرقدوا الاثنين في موضع واحد، وكانوا يتبعدوا من بعضهم البعض مقدار ذراعين" قال: "نظرت إلى نور شبه مصباحًا ينور في وسطهم، يستر عليهم ويحفظهم الاثنين".

## أعجوبة أخرى لأنبا يونس القمص

تعالوا الآن لتنظروا إلى عظم المحبة الحقيقية، هذه التي تضيء على الذين يحبونها، وتحفظهم. لأنه بالحقيقة عظيمة هي كرامة الذي اقتنى له فضائل المحبة، كمثل ما قال الحكيم بولس: «إن المحب يكون طويل الروح، حلواً، المحب لا يحسد ولا يعجم ولا يرتفع قلبه ولا يحزى ولا يطلب الذي له ولا يغضب»<sup>١٧٣</sup> وبقية القول. اسمعوا الآن هذه الأخرى التي له، أيها المجمع المقدس سمعناها من أقوام ثقات بالأكثر، قالوا: "لما أرادوا أن يمسكوه ليجعلوه قسيساً، لم يكون

<sup>١٧٠</sup> (مز ١١٩: ٨).

<sup>١٧١</sup> «و اما من يبغض اخاه فهو في الظلمة و في الظلمة يسلك و لا يعلم اين يمضي لان الظلمة اعمت عينيه» (١ يوح ١: ١١).

<sup>١٧٢</sup> لعله يقصد إما أن يكون مشابه له في فضائله وصفاته بسبب تلمذته أو أنه هو الآخر كاهناً.

<sup>١٧٣</sup> «و لا تقبح و لا تطلب ما لنفسها و لا تحتد و لا تظن السوء» (١ كو ١٣: ٥).

يريد أن يقبل هذا الأمر من أجل عظم تواضعه. وكيف يضعوه به إذ إنه لا يستحق هذا الأمر؟ لأنه كان يرفض العظمة وفخر هذا العالم. وكان يشاور في ذاته قائلاً: ”أقوم أمضي لأشاور الأنهار، ومن بعد هذا إرادة الرب تكون“. فقام وذهب إلى ثلاثة شيوخ واستشارهم، واثنين منهم أوصوه أن يقبل هذا الأمر إليه، والآخر قال له: ”لا تقبل هذا الأمر“، وكان منقسمًا في فكره. ولوقته قام وخرج إلى الوادي، وكان يطلب من الله أن يظهر له هذا الأمر. وإذا صوت قد جاء إليه هكذا من عند الرب يعزيه أن يقبل هذا الأمر إليه. ولما طاب قلبه هكذا أن هذا الاعلان من قبل الرب، وهكذا بخوف قبل الأمر إليه. ولما صيره قسيسًا، هو وصاحبًا له، رأى رؤيا هكذا، كأنه قد رأى الذين اقسموه معه في غرب الكنيسة، وملاك ماسك بيده اليمنى والشعب مجتمعين إليه يمجّدونه. وكان الطوباني أنبا يؤنس داخل الهيكل وملاك واقف معه ويده قضيب، وصليب على رأس القضيب. وإن الملاك (الذي) كان واقفًا مع صاحبه، لما رأى الشعب يمجّدوه، افتخر عليه أمام صاحبه الملاك الآخر قائلاً: ”هو ذا هم يمجّدوا الذي أنا واقف معه أكثر من الذي أنت واقف معه“، الذي هو أبونا القديس. فقال ملاك أبينا القديس: ”ألا تنظر أنهم يمجّدوا هذا أكثر من ذاك“. وإن ملاك أبينا القديس الطوباني رفع يده إلى فوق، يعلن أن هذا قد ارتفع، بل هذا يرتفع بالأكثر على ذاك، ويكون عظيمًا بزيادة جدًا جدًا، كما قال أبونا البطريك يعقوب ليوسف في الوقت الذي أقام له أولاده فيه ليباركهم. وهذه كانت علامة ونبوة عن سيرة أبينا القديس الذي تكون.

## القديس يؤكد على الصوم

### قبل التقدم للتناول من الأسرار المقدسة

قال له أخ دفعة: ”إنني سكنت في الصعيد أيام قلائل فرأيت قومًا يدعونهم السراكودي من بعد أن يفرغوا يأكلوا ويشربوا، إذ كان وقت القربان المقدس، يأخذوا من القربان وهم سكارى“. فقال له الشيخ: ”إن هذا العمل مردّول ونجس أمام الله. لأني أنا عارف قسيسًا قديسًا، ومؤمنًا، وصديقًا، عابدًا الله،

ويخاف من الله في كل حين، ويحرس بكل قوته أن يحفظ وصاياه جميعها، وهذا الذين يعرفون سيرته الملائكة، اذا كتبوها بالكمال، يحتاجون إلى كلام كثير جداً، وكرامات عظيمة. كان منه دفعة قال: ”في سبت عيد الفصح، وكالعادة أقمنا إلى الغروب قبل أن نأخذ السرائر المقدسة، وحينئذ كمثّل ما عرفنا أن جزءاً من الليل مضى ولم تتناولهم، ولما مضى إلى بيته، شرب قليلاً من الخمر. وإن النور اقترب أن يشرق، وهو يشرب كضعف البشرية، حتى إنه جاء إلى الكنيسة وهو مثقل بالخمر. فجاءت إليه النوبة أن يقّس في ذلك اليوم. فقالوا أصحابه الكهنة وهم يخاصموه: ”كيف تصنع هذا وأنت مملوء من الخمر؟“. وقام ليقدم القربان المقدس في أحد الفصح، واذا ملاك الرب قد جاء ويده سيف، وأراد أن يضرب به. فجاء صوت الرب إلى الملاك قائلاً: ”دعه الآن“، من أجل أنه كان يهدده مثل ما صنع بالقدّيس سنوتس وبطرس الرهاوي في ذلك الزمان من أجل سبب آخر“. والآن فليسمعوا هؤلاء ويخافوا ويحتفظوا من الآن، أعني أولئك السراكودي والذين يصنعوا الأعمال المناقفة، لئلا يدخلوا إلى الهيكل وهم سكارى. فإنه إن كان بالكّد يخلص البار، فالمنافق والخاطئ أين يوجد؟<sup>١٧٤</sup> لأن إذا تأملنا ما أصاب بني هارون في ذلك الزمان، فهو يكفيننا أن نعلم الحق<sup>١٧٥</sup>.

### أبنا يونس يخزي الشيطان بتواضعه

قال أيضاً من أجله تلميذ له: ”إنه قال لي أعني هذا الطوباني كان مني دفعة وأنا ساكن في الدير الشرقي في نيري وكنت جالساً في الكنيسة في يوم قدّاس،

<sup>١٧٤</sup> «وإن كان البار بالجهد يخلص فالفاخر و الخاطئ أين يظهران» (١بط ٤: ١٨).

<sup>١٧٥</sup> وبسبب ورعه وعظم تقواه كان يعرف الخطاة ويميزهم من الصّديقين. [رأى مرةً كاهناً أتياً إلى الكنيسة وحوله أرواح نجسة محيطه به، فلما وصل القس إلى باب الكنيسة خرج ملاكٌ من الهيكل ويده سيف من نار وطرده عنه الأرواح النجسة، فدخل وارتدى ملابس الكهنوت وقبّس وناول الشعب من الأسرار المقدسة، ثم خلع الملابس الكهنوتية وخرج، فعادت إليه تلك الأرواح الشريرة وأحدثت به كالأول. وأخبر القدّيس بذلك مجمع الرهبان ليعرفهم أنه لا فرق في خدمة الكهنوت بين الكاهن الخاطئ والصّديق، لأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين بقوة الدعاء من الكاهن الخادم ولأجل أمانة الشعب أيضاً. وضرب هم مثلاً قائلاً: ”إنّ ختم الملك ينطبع على الحديد والذهب ولكنه ختم واحد لا يتغير، كذلك الكهنوت فهو واحد مع الخاطئ والبار، والرب هو المجازي لكل واحد حسب عمله“]. (يوسف حبيب، الأنبا يونس كبير قسوس شبيته، ١٩٦٨، ص ٢٨، ٢٩).

فرايت الشيطان قد دخل وكلوم كثيرة في رأسه، وكانت مشقوقة من وسطها، حتى إنني تعجبت!“. قال: ”فكنت داهشاً ما هي هذه العلامة هكذا. وعلمت أن فضيلة تريد (أن) تظهر وتحزي الشيطان“. حين ذلك، وكان عندما قدموا القربان المقدس، ولما تقدمت لأصعد وآخذ من السرائر المقدسة المملوءة خوف ورعدة. وكان هناك شيخ له تلميذ، وكان ذلك التلميذ قوياً جداً في قوته، وهكذا كان يمشي خلف أبيه ليأخذ من السرائر المقدسة. وفيما أنا أمشي بنقاوة، جئت في وسط الاثنين وإن ذلك التلميذ من أجل إنه قوي، كما ابتدأت أولاً وقلت، فبصق عليّ ولكمني لكماً كثيراً على الأرض. فقمْتُ لوقتي وصنعت له مطانية قائلاً: ”اغفر لي“. وعلمت من هذا الشبه أنه ليس شيء يحل قوة الشيطان إلا التواضع، هذا الذي التحف به كلمة الله الكائن قبل كل الدهور، عندما نزل إلينا حتى حل قوة الشيطان كلها وجعله فارغاً من كل جانب، ووضعنا لنا مثلاً لكي نحسد<sup>١٧٦</sup> نحن تواضعه ونبطل عظمة الشيطان، كما أظهر لنا أبونا هذا الأمر. من أجل هذا يا أحبائي، فلنحسده نحن أيضاً من أجل إنه ليس ثمة فضيلة أعظم من أن يحتمل الإنسان صاحبه، كما قلت إنه طول روحه لما ضرب وطرحه على الأرض. ومن بعد هذا نقوم ونصنع مطانية للذين يصنعوا بنا هؤلاء قائلين: ”اغفروا لنا“، كما فعل أبونا القديس عندما صنعوا به.

<sup>١٧٦</sup> المقصود بكلمة ”بنحسده“ أي ”نغبر منه“ ويقول الكتاب: «حسنة هي الغيرة في الحسنى كل حين» (غل: ٤: ١٨).

## نسك أنبا يؤنس القمص في الأربعين المقدسة

هكذا يجب علينا أن نعلم محبتكم لله من أجل هذا الآخر الذي قيل لنا من أناس قديسين عن أبينا القديس أنبا يؤنس. قالوا إنه قال لنا: ”كان مني دفعة، إذ كنت في جبل دمسائي، ولما جاءت الأربعين يوم المقدسة ارتبطت بفضيلة أنني لا أكل طيبخًا في الأربعين يومًا.

### صلاة أنبا يؤنس القمص من أجل تلميذه

وأيضًا هات الآن لنقول لكم هذا الأمر الآخر العجيب الذي لأبينا الطوباني، قالوه لنا إخوة قديسون. قالوا: ”إنه كان له دفعة تلميذ، وقد تنيح؛ فرأى سلاطين عظيمة قد جاءوا خلف نفسه. ولما أخرجوها من الجسد، كانوا يجذبوها هاهنا و هاهنا في الجو ويتعبوها. وإن أبانا الطوباني أنبا يؤنس دخل مخدعه وطلب إلى الله من أجلها ليرحمها ويجعلها محلولة من الذين يمسكوها في الجو“. فلم ينسى الله طلبته، بل سمعه سريعًا ورحمها من أجل تحننه وطلبات الشيخ القديس، إذ كان يطلب إليه بحرقه وتنهّد ودموع. ولما تحللت<sup>١٧٧</sup>، أعطى الشكر لله قائلاً: ”المجد لك، أيها الرب، لأنك سمعني ورحمت خليقتك وترأفت على صنعة يديك“. من أجل هذا، يا أحبائي، عندما نسمع هذه الأعمال المملوءة خوفًا فلنخاف من الله ونسير في وصاياه وأوامره، من أجل إنه مكتوب: شديد هو الوقوع في يد الله الحي<sup>١٧٨</sup>. لأن ذلك التلميذ كان ينيح أبانا الطوباني، فلهذا اقتنى له هذه النعمة العظيمة من قبل الرب وطلبات الشيخ القديس. وليس هذا وحده الذي ذكرناه صنعه فقط، بل كثيرة هي النفوس التي خلصت من قبل ذلك الطوباني بكلامه وشكله وأعماله.

<sup>١٧٧</sup> انحلت وانفكت من قبضة سلطان الظلمة.

<sup>١٧٨</sup> »تخيف هو الوقوع في يدي الله الحي« (عب ١٠ : ٣١).

## تعليم القديس عن بُغض محبة القنية

قال له أخ دفعة: ”إنني أحب كتبًا كثيرة“. فقال له الشيخ: ”إن الذي يستحق أن يقتني له معرفة الله ومحبة منظره ليس يحتاج إلى كتب كثيرة“. القديس أنبا يونس ينظر شيطان النميمة يحارب الرهبان في الكنيسة يليق بنا الآن أن نعلمكم بهذه القوة الأخرى (التي) أعلمنا بها إنسان صادق عن أبينا القديس. قال: ”كان يجلس في الكنيسة فينظر الشيطان يدخل إلى الكنيسة في شبه نمس ويمضي إلى قوم من الإخوة يغمزهم في آذانهم، والذي كان يغمزه في أذنه لوقته يقوم ويذهب ويتكلم في صاحبه إما بنميمة أو بعمل آخر. وإذا ترك هذا يذهب إلى موضع آخر ويغمزه في آذانه، وإذا قام الآخر فللوقت يصنع هكذا أيضًا. لأن الشيطان يعلم أن شدة عظيمة هو الذي يتكلم في الكنيسة، فيفعل هذا ليجعلنا ملومين. ومن أجل هذا أوصونا أن نحتفظ لئلا نتكلم بالردىء في الكنيسة، فلا نستحق أن نأخذ من السرائر المملوءة خوفاً. فلهذا الذي يأخذ منهم يجب أن يتحفظ بثبات وسهر لئلا يأخذ الحكم عليه.

### أحد تلاميذ أنبا يونس يشاهده في منظر روحاني

اسمعوا مني الآن هذا الأمر المتعجب منه، الذي سمعناه من تلميذ قديس لأبينا الطوباني، قائلاً: ”كان مني، لما كنت صبيًا، دخلت ليلة إلى الطوباني لما فرغ يصنع خدمة الليل، وكان أبونا يتلو في القداسات المقدسة“. قال: ”فرايت واحدًا في شكل كاهن لابس حلة مملوءة مجداً، جالسًا مع أبينا القديس أنبا يونس، ولم أعرفه من هو. وأردت أمسكه لأخذ بركته، ولما صنعت هذا، غاب عني. فحررت تحت رجلي الشيخ وطلبت منه أن يعلمني من هو. وهو لم يريد أن يعلمني، لأنه كان يهرب من مجد الناس، ولأن هذه كانت عادته. هذا الطوباني، في كل حين يريد أن لا يظهر شيئًا من أعماله لأحد قط، لأنه قال لنا هذا الكلام ولم يقوله ليطلب مجد الناس، بل من أجل ربح آخرين، ليصنعوا هكذا. وهذا الذي ذكرناه الآن عنه، قد وجدناه في سيرة أنبا شنوده وأنبا باخوم من أجل الذي كان يتلو في الاثني عشر نبي الصغار. ولهذا ذكرنا أن الذي أبونا

كان يتلو قداسه المقدس هو الذي كان جالساً عنده في ذلك الوقت، لأن الذي يتلو بخوف الله، فإن صاحب الكلام الذي يتلو فيه يقف معه، كمثّل ما علمنا هذا من سيرة أبينا أنبا شنودة رئيس المتوحدين، وسيرة أبينا أنبا باخوم، الذي صارت له أحنحة عقلية، وكان يعلى بالروح واستحق أن يصعد إلى العلى بعينيه العقلية، وطاف ورأى العذاب ومخافة العقوبات الذي يجيئها على الخطاة وبالأكثر لأنه وضع ناموساً للأحياء في الشركة بالله.

### شيطان التجديف يحارب أحد تلاميذ أنبا يؤنس

وكان تلميذ لأبينا القديس ساكن على حده وحده، وكان الشيخ يُحبه جداً. وهو أيضاً كان له أمانة عظيمة في الشيخ، حتى إن كلام الشيخ وتعاليمه كانوا مكرمين عنده مثل الذي لبطرس الرسول القديس. والشيخ أيضاً كان يعلمه بالحقيقة بغير حسد كل طريق الله ويدبره بكل مشورة حسنة وبحد محدود في كل شيء بالله. ولهذا كانت له المحبة العظيمة للشيخ. ولما كان جالساً دفعة أعني ذلك الأخ مع صاحب له، صار بينهم تفتيش وفحص مع بعضهم البعض من أجل أبينا القديس. ومن أجل عظم محبته فيه، أراد أن يُظهر اشتياقه ومحبته للشيخ. فقال هكذا بخوف الله، ويجعل الله شاهداً بمعنى أنه ثابت على كلامه ومحبته للشيخ، إنه لو كان بطرس الرسول يتكلم مع آخرين هاهنا، وكان أبي يتكلم معي هاهنا، لما كنت أقلق وادع كلامه وأمضي إلى بطرس الرسول. وهؤلاء قالهم ليظهر عظم اشتياقه ومحبته في الشيخ القديس. وقال أيضاً: ”كل تجربة تلحقني إن كان في السر أو في الجهر، اذا نظرت وجه الشيخ، ولو في الحلم، فإن الله يعطيني راحة منها سريعاً“. وإن ذلك الأخ جاءت عليه تجربة في ذلك الزمان - هذا الذي يسموه الحرب العظيم، الذي هو التجديف - حتى إنه من قبل هذا الحرب هكذا صار قلقاً جداً وجاء عليه حزن قلب عظيم ولهب كثير. ولأنكم تعرفون إن الذي تدرّكهم هذه التجربة هكذا، بكام مقدار يكونوا حزاني ومضيقين حتى يتحنن الله الرحيم عليهم، من أجل إن الله لا يتخلى عن كل من يرجوه. وهذا الأخ الذي ذكرناه أمسك ذاته أياماً قلائل وهو يجاهد على البر ولم يعرف أحداً يتبعه إما من أجل العار أو من أجل الخوف، لأن هذا الأمر لا يليق



به أن يظهره أحد قدام الناس. ثم إنه بعد أن قوي عليه ذلك واشتد جدًا، قام ومضى إلى أينا الطوباني أنبا يؤنس وطلب إليه قائلاً: ”اذكري، يا أبي، فإني مضائق ومتعوب“<sup>١٧٩</sup> جدًا، وقد جاءت عليّ شدة شديدة حتى جعلتني غريبًا من الله ومن نصيب قديسيه“. فقال له الشيخ: ”ما هي؟“. فقال له: ”ليس أستطيع أن أقولها بلساني لأنها خوف وفضيحة“. فقال له الشيخ: ”العله الحرب العظيم يتعبك“. فأجابه الأخ: ”هو هذا الحرب العظيم يا أبي“. فقال له الشيخ: ”هو روح التجديف الذي لا يستحي أن يفتح فاه بالتجديف والاستهزاء، الذي اذا قالهم لا تثبت السماء والأرض من أن ترتعد من أجله. والآن يا ابني، فهذا هو الروح الذي يتعب القديسين بالأكثر ويجتهد أن لا يدع الانسان أن يذكر الله، ويريد أن يجذب النفس إلى الأسفل بقطع الرجاء أنه ما تم خلاصًا لا في هذا ولا في هذا“. فلما سمع الأخ هؤلاء، امتلأت عينيه بالدموع وقال: ”هو ذا الله قد أعلمك، يا أبي، بتعي وحزني، يا أبي“. فقال له الشيخ: ”لا تخاف ولا تقلق ولا تهرب من قدام هذا الروح الشرير، يا ابني، لأن الله رؤوف، يعرف أنّ هذه الأفكار ليس هي منا ولا أنفسنا تريدها، كما قال أحد الآباء إنه ليس في العالم حق هكذا قط. واردة هذا الروح الشرير هكذا، هي أن يرد قريحتنا“<sup>١٨٠</sup> إلى خلف، لئلا نقف ونبسط أيدينا أمام إلهنا ويهلك رجاءنا بالله. ونحن فلا نُطيب قلوبنا معه في كل شيء يريد يصنعه، لئلا يُبطل قريحتنا، بل نقاومه بقوة المسيح الذي يعضدنا بها. وأنت، يا ابني، فلا تقلق ولا تجزع ولا تعطي ذاتك للانحلال واللعب وكثرة الكلام، بل اهرب إلى داخل مسكنك وتفرغ للصلاة، واطلب إلى الله بقوة قلب ودموع، ولا تُعطي ذاتك لشغل اليد على الدوام بغير انقطاع، بل التحي إلى الله واحتمل منتظرًا رحمة الرب، كما قال أيوب الصديق: ”إنني هربت إلى الله ليؤدبني“<sup>١٨١</sup>، وأنا أؤمن بالله أنه يعطيك راحة من هذه التجربة هكذا. ولما أخذ الأخ قليل عزاء من

<sup>١٧٩</sup> متضايق ومتعوب.

<sup>١٨٠</sup> (القريحة) من كل شيء : أوله وبأكورته، ومن الإنسان: طبيعته التي جبل عليها. ”الوجيز“.

<sup>١٨١</sup> «هو ذا طوبى لرجل يؤدبه الله فلا ترفض تأديب القدير» (اي ٥: ١٧).

الشيخ، عاد إلى قلايته وصنع مثلما قال له الشيخ، وتفرغ للصلوات والطلبات، ولم يكن يهتم بشيء آخر سوى هذا وقليل شغل يد، وفي كل قليل كان يقوم ويخر أمام الله ويطلب منه أن يرحمه ويعطيه نياحاً من هذه التجربة هكذا. ولما أقام أياماً قلائل وهو يصنع هكذا ككلام الشيخ وبالأكثر لأن الشيخ كان يصلي عنه. وفي أحد الأيام، والأخ جالس على كرسيه يعمل قليل شغل وفكره منشط<sup>١٨٢</sup> إلى فوق نحو الله، وإذا صوت قد صرخ في أذنيه قائلاً: "ارفع عينيك إلى السماء"؛ والصوت سمعه بأذنيه، وأما المتكلم معه فلم يراه. ولما رفع عينيه إلى فوق كما قال له الصوت، قال: "فنظرت، وإذا حبشياً يكون عمره ثمانية سنين أو عشرة، معلّقاً في الجو مشحوطاً بيديه ورجليه بعظم انشحات<sup>١٨٣</sup>، حتى قلت إنه ينقطع من وسطه. قال: "لما نظرتُ هذا، كُنْتُ أتأمله قائلاً: "تُرى ما هو هذا؟". فقال لي ذلك الصوت المتكلم معي: "ارفع عينيك إلى السماء". قال: "فنظرتُ وإذا طغيمات السمايين كُلّهم، الوف الوف وربوات ربوات، يتطلعوا لذلك الصبي الحبشي المتعلق في الجو، ورأيت أيضاً ربوات أناس على الأرض متطلعين الى فوق يشاهدوا ذلك الحبشي المتعلق في الجو. وكنتُ مفكراً في ذاتي ما هم هؤلاء هكذا. فقال لي الصوت: "ألا تعلم ما هم هؤلاء؟". فقلت: "لا". فقال لي الصوت: "اقرأ في المزمور الحادي والخمسون، تعرف هؤلاء الذين تراههم". قال: "ولما تأملته وابتدأت أن أتلو من أول المزمور قائلاً هكذا: "لماذا يفتخر القوي بالشر النهار كله؟ لسانك يتلو الاثم ومثل الموس المستنون عملت الغدر. آثرت الشر على الخير، والكذب على قول الصدق، وأحببت الذين يتكلمون بالجهل والألسن الخائبة. لأجل ذلك يستأصلك الله إلى الأبد ويقلعك وينفيك من مسكنك، وأصلك من أرض الحياة"<sup>١٨٤</sup>. قال: "فقال لي الصوت امسك الآن. ثم قال: "انتظر هذا المعلق

<sup>١٨٢</sup> شحط: غلا فيها حتى جاوز القدر. (الوسيط) وتأتي هنا بمعنى فكره مأخوذ بشدة.

<sup>١٨٣</sup> تأتي هنا بمعنى مشدود بقوة غير عادية بطريقة مغالى فيها حتى كاد أن ينقطع. والكلمة تفيد المغالاة في الأمر والفعل.

<sup>١٨٤</sup> «لماذا تفتخر بالشر ايها الجبار رحمة الله هي كل يوم. لسانك يخترع مفاسد كموسى مسنونة يعمل بالغش. احببت الشر اكثر من الخير الكذب اكثر من التكلم بالصدق سلاه. احببت كل كلام مهلك و لسان غش. ايضا يهدمك الله الى الابد يخطفك و يقلعك من مسكنك و يستأصلك من ارض الاحياء» (مز ٥٢: ٥-١).

في الجوّ؟“. قلت: ”نعم“. فقال لي الصوت: ”هذا هو الذي قالوا هذه النبوة جميعها لأجله“. فقلتُ: ”ما هو هذا؟“. فقال لي الصوت: ”هذا هو الذي جاب عليك هذه الأتعاب كُلها وجلب هذه التجارب كُلها عليك. ألم تنظر أن غضب الله ونقمته قد جاءت عليه لينتقم منه أمام السمائيين والأرضيين؟“. فقلتُ: ”وما هم هؤلاء الربوات الكثيرة الذي في السماء وعلى الأرض يشاهدوه؟“. فقال لي الصوت: ”اتلو بقية النبوة وأنت تعلم“. فابتدأت هكذا: ”لترى الصديقين فيخشون ويضحكون عليه، ويقولون هذا الرجل الذي لم يجعل الله له معيناً، بل توكل على كثرة غناه واعتمد على حيله“<sup>١٨٥</sup>. فقال لي الصوت: ”إلى هاهنا هو كمال النبوة“. ثم قال: ”هذه الربوات الكثيرة الذي تنظرهم في السماء وعلى الأرض يشاهدون حكم الله، والغضب الذي جابه عليه لينتقم منه أمام السمائيين والأرضيين، كما نظرت. وأما أنت، فأتلو الاثنين من بعد هؤلاء: ”وأنا مثل شجرة الزيتون المثمرة في بيت الرب، متوكل على رحمة الله من الآن وإلى الأبد“<sup>١٨٦</sup>. وتعترف له بالذي صنعهم لك، وتمسك ذاتك باسمه الحلو أمام قديسيه، وتجهّد في كل التجارب التي تأتي عليك، وتمجد اسمه على رحمته ورأفته الذين يصنعهم مع خليقته. قال وهؤلاء، لما نظرتهم وسمعتهم، كنت متفكراً في ذاتي وداهشاً، قائلاً: ”ما هم هؤلاء هكذا؟“. ثم قمّت ومضيت إلى الطوباني أنبا يونس وأعلمته بالذي رأيته وسمعتهم. وكنت يكون هذا الأمر من الشياطين. أما هو فلما سمع هؤلاء، وعزاني قائلاً: ”لا تخاف، يا ابني، ليس هذا الأمر باطلاً، بل صحيح. الآن علمت أن الرب قد سمع ورحمك من التجربة التي كنت مضايقاً فيها. ومن الآن لا يعود إليك ولا يتعبك بعد.

<sup>١٨٥</sup> «فيري الصديقون ويخافون وعليه يضحكون. هو ذا الانسان الذي لم يجعل الله حصنه بل اكل على كثرة غناه واعتز

بفساده» (مز ٥٢: ٦-٧).

<sup>١٨٦</sup> «اما انا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله توكلت على رحمة الله الى الدهر والابد» (مز ٥٢: ٨).

أنبا يونس يقص لتلميذه خبرته

عن تجربة مماثلة تعرض لها

وأنا أيضًا، يا ابني، أصابني هذا في بدايتي، وهذا الحرب بعينه أتعبني جدًا، وتضايقتُ وقلقتُ كمثُل ما صنع بك أنت أيضًا، حتى قُلت كلام أيوب: ”إني أطلب الموت ولم أجده“<sup>١٨٧</sup>. وفيما أنا كائن في هذا القلق هكذا شقيًا وحزينًا، وفي أحد الليالي وأنا قد صرت في رؤيا: كأن السماء قد انفتحت ومجد المسيح الله قد نزل على الأرض، ونظرتُ كأنهم طقوس السمائيين والأرضيين جميعهم وقوف أمامه، الملائكة ورؤساء الملائكة وبقية طغعات السمائيين، والرسل والقديسين كلهم قيام أمامه. قال: ”فكنت أسأل من هو هذا الذي هذا المجد العظيم محيط به. فقال لي واحد من القيام: ”هذا هو المسيح“. وكنت مفكرًا في ذاتي أن هو ذا الآن الوقت والحيلة أن أشكو إليه ليحكم لي. وكنت أطوف بقوة قلب أن أتقرب إليه وأشكو له، فلم أستطيع.

السيدة العذراء تتشفع لأنبا يونس

عند ابنها ربنا يسوع المسيح

وبعد هذا بأتعاب كثيرة استطعت أن أجد والدة الله القديسة مريم، وطلبتُ إليها أن تتضرع إلى المسيح من أجلي، لكيما يخلصني من هذه الشدة الكائنة بي. فقالت لي: ”تعال، أنا أحملك إليه، وانت فاسجد له واطلب منه قائلًا: ”ارحمني، يا سيدي، لأن طبيعتي ضعيفة“. فصنعتُ كما قالت لي سيدتنا كلنا والدة الله، وحملتني وأوقفتني أمامه ووقفت معي، فخررتُ تحت رجله ساجدًا وطلبتُ إليه قائلًا: ”يا رب ارحمني، لأني ضعيف ومسكين، وخلصني من هذا التعب الكائن بي“. فأما هو فلم يجيبني بكلمة. فقالت له العذراء القديسة: ”تحسن على ضعفه، لأن طبيعته ضعيفة“. فقال الرب: ”قد فرغت أن أعطيهم الشفاء، فليتحذه لنفسه هو وحده فيخلص“. فقلتُ: ”يا سيدي، لستُ أعلم ما هو الشفاء“. فقال لي الرب: ”ألم تسمع المثل الذي قلته في

<sup>١٨٧</sup> «الذين ينتظرون الموت و ليس هو و يحفرون عليه أكثر من الكنوز» (أي ٣: ٢١).

الإنجيل: كان قاض في مدينة، لا يخاف من الله ولا يستحي من الناس. وكانت أرملة في المدينة تأتي إليه قائلة: "انتقم لي ممن يظلمني"<sup>١٨٨</sup>. وبقية المثل. ألم تسمع هؤلاء؟. فقلت: "نعم يا رب". فقال لي: "امض واصنع هكذا، وأنت تخلص". ومن بعد هذا قمت من الرؤيا بخوف ورعدة عظيمة، وعلمت في ذاتي أنني كسلان على خلاصي بدوامي إلى الله، وأن هذا المثل يعلمنا أن ندوم إليه ونسأله بلحاجة. ومن بعد هذا تركت عني كل اهتمام وقلق شغل اليد، وأعطيت قلبي للصلاة بقوة قلب عظيمة، وكنت أقوم في كل قليل وأطلب من الله أن يرحمني ويعينني حتى كنت أقوم دفوعاً كثيرة في اليوم، نحو ثلاثين مرة وأكثر منها.

### الرب يكشف للقديس أنبا يونس الشيطان الذي كان يتبعه

ومن بعد أيام قلائل وأنا أصنع هكذا، كان مني يوم وأنا متفرد وقلبي متصل بالله، وكنت أعمل في شبكة، فنظرت، وإذا حبشي، طفل صغير عريان يكون عمره ثمانية سنين أو عشرة - كما قلت أنت - وجسده كله مغرور إبر، حتى إنه لم يوجد في جسده موضع واحد سالم، بغير إبر. وكان يقلق كمن هو في السبي، ويسرع إلى هذه الناحية وهذه الناحية، ولا يستطيع أن يجلس ولا يقف. ولما نظرته كنت مفكراً ما هو هذا. ولما وقفت كنت أصلي، فصار مثل من هو أسير، وكان يصرخ قائلاً: "حسبك! حسبك تحاربني! لست أكلمك بعد". وكان يقلق ويسير إلى هاهنا وهاهنا مثل من هو مربوط في منسج الشبكة. قال الشيخ القديس: "فأجبت: من أنت هكذا؟. فأجابني ذلك: "ألم تعرفني من انا؟". قلت له: "لا". قال له: "أنا هو الذي ألقى هؤلاء الأتعاب جميعهم عليك". فقلت له: "وما هم هؤلاء الذي في جسدي؟". فقال: "هؤلاء رماح". فقلت له: "ومن الذي صنع بك هؤلاء؟". فقال: "أنت هو". فقلت له: "وبأي نوع صنعت أنا بك هكذا؟". فقال لي: "كل دفعة تقف للصلاة يغرزوا في جسدي واحدة. ولهذا قلت: هؤلاء الجراحات جميعهم لأجل

<sup>١٨٨</sup> «وكان في تلك المدينة ارملة وكانت تأتي اليه قائلة انصفي من خصمي» (لوقا ١٨: ٣).

طلباتك. فلا تصلي الآن من أجلي، فلست أتعبك بعد“. وكان مفتضحاً وهو خائف ومرتعداً أمام الصلاة. فدمتُ أنا في الصلاة بقوة قلب، وهكذا غاب عني وفرغتُ أن انظره بعد. ومن ذلك اليوم لم يعود يتعني البتة.

### نصيحة أنبا يؤنس لتلميذه

وأنت أيضاً، يا ابني، تقوى وثبت قلبك، فإنه من اليوم قد أعطاك الرب راحة وصيرك محلولاً من هذا الحرب، بل لاتدع قلبك يكون بغير اهتمام، لأن أعدائك يحاربوك بحروب أخرى، ولا يتخلوا عنك البتة. فاحتفظ أن تكون متقدماً إلى قدام وتصنع أعمالاً حسنة، فإن الله لا يتخلى عنك ولا يسلمك في يد أعدائك. ولما أخذ الأخ قوة قلب وعزاء، مضى إلى قلايته ومن ذلك اليوم لم يعود الحرب يتعبه إلى الآن. قلنا لكم هؤلاء، يا أحباي، وحسبناهم أنهم خصيصين ومستقيمين، لأن نعلمكم بهم ليكونوا عزاء وتيقظ للأنفس المضايقة الذي يخزوهم بهذه في الحروب، كي إذا سمعوا وعلموا فلا يجزعوا ولا يتخلوا، بل يقوموا مقابله بقوة. لأننا قد علمنا هذا من قبل أبينا القديس، أنه ليس شيء يهدم هذا الفكر إلا الدموع والطلبة إلى الله بلحاجة مع رحمة ومعونة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

### الإخوة تسأل أنبا يؤنس

إخوة أيضاً سألوا أبانا القديس أنبا يؤنس: ”لماذا أنت وِجَلٌ<sup>١٨٩</sup> خائف من مجد الناس بهذا المقدار، يا أبانا القديس؟“. فأجاب وقال: ”لعل إنساناً ناطقاً يخاف اليوم من الله، فإذا قالوا له: ”قوم، اترك حصتك من ملكوت السموات، ونعطيك كل أموال الأرض وكل الكرامات الذي يعطوا للناس“، أكان قلبه يطيب بكلامهم أو يفتخر بكرامتهم؟“. فقالوا له الإخوة: ”لا“. فأجاب الشيخ: ”إن كان لا، فابكوا عليّ وعلى من يشبهني، لأن هذه الملكوت هكذا لا أنتهي لعظمتها، ولذة الجسد والسيرة الفاسدة لا تستحق شيئاً منها، كما قال بعض القديسين“.

<sup>١٨٩</sup> (وِجَل) - (يُجَل) وَخَلًا: خَافَ وَفَرَّغَ "الوجيز".

أخ سألته دفعة قائلًا: ”اصنع محبة، يا أبي، وقول لي كلمة لكي أستطيع أن أخلص“. فقال لي الشيخ: ”امضي واحتمل كل عار وخسارة تأتي عليك، واحتفظ من هذا الرجل، (أي أن تحمل على إنسان شيئًا في قلبك) لأنه في الوقت الذي يأخذ فيه الإنسان على صاحبه، فإن عدوه يتسلط عليه، كمثّل ما سبق آدم وأخذ من الشجرة وإن العدو وجد طريقًا للدخول إلينا. لأننا قد جئنا الشجرة (ألقينا بخطية الشجرة) على صاحب“.

## البربر تأسر القديس أنبا يونس ثلاث مرات<sup>١٩٠</sup>

<sup>١٩٠</sup> أسر البربر القديس ثلاث مرات، وقد علمنا من سيرة القديس أنبا صموئيل المعترف بعض التفاصيل عن أسر القديس يونس في المرة الثالثة، أما عن المرتين السابقتين فلم نستدل على معلومات خاصة بالقديس من المصادر التاريخية. إذ إنه لما وصل طومس لاون - الخاص بالطبيعتين والمشيبتين - إلى برية شيهيت سنة ٦٣١م لكي يوقع عليه الرهبان بالموافقة، كان القديس يونس متغيّباً عن دير القديس مكاروريوس، فقد كان يُخفي أواني الكنيسة والستور وملابس الخدمة الثمينة والكتب وغيرها بعيداً في البرية الداخلية، لأن الرهبان بحرصهم ويقتطعهم كانوا يُخفون أشياء الدير الثمينة عندما يحدث اضطراب بسبب هجوم البربر أو اضطهاد بسبب الجمع الخلقيدوني أو الهرطقة. [والمخطوطات النفيسة التي وجدها العلامة "كامبل مورجان" في خرائب دير الحامولي بالفيوم سنة ١٩١٠م تثبت ذلك].

ولما وجد البربر القديس في البرية بعد أن أخفى ممتلكات الدير أسروه، ويُرجّح أنهم كانوا يسكنون قرب واحة سيوة، وبعد حوالي أربع سنوات، أي سنة ٦٣٥م، لحقه أنبا صموئيل في الأسر أثناء عودته من الأسقيط إلى الفيوم، وبينما كانت مدة أسره قصيرة، فإن القديس يونس استمر أسره لسنوات عديدة ربما وصلت إلى قرب غزو العرب لمصر سنة ٦٤١م.

لنأوه بالقديس أنبا صموئيل في الأسر:

تقول مخطوطة دير البراموس: "... ولما كان الليل دخل البربر البلاد وأخذوا كل ما وجدوه وساروا متوغلين في البرية حتى وصلوا إلى وادي القلمون، وكان القديس أنبا صموئيل في حديقة الدير، فأحاط به البربر وأمسكوه وضربوه ضرباً مؤلماً ... وأخذوه وباعوه كعبد لأحد أكابرهم، وتبدير من الله اتفق بيعه مع أنبا يونس قمص شيهيت ... وأرسل أنبا صموئيل ليرعى الجمال. وفي الحقل كان يجتمع مع أنبا يونس ويعزيان بعضهما بعضاً بكلام الله، ويصلبان كثيراً بطلبات وتسابيح روحانية ويعطيان المجد للمسيح إذ جعلهما مستحقان هذه الضيقات".

"وقد فشل البربر في إقناع أنبا صموئيل بعبادة الشمس، وفي إغرائه بالنساء لإفساد طهارته. ولأن أنبا يونس كان قد سبق أنبا صموئيل في الأسر مدة أربع سنوات، فقد نصحه قائلاً: "كُنْ في غاية التشدد، واحترس يا أخي لئلا يكلفك هؤلاء بالسجود للشمس، فكُن قوي القلب ولا توافقهم، فقد ضربوني ضرباً مَرَّحاً لأجل هذا الأمر، وهذه هي عادتهم: إذا رأوا الشمس تُشرق يتجهون إلى الشرق ويسجدون للشمس قائلين: "حسناً هو قدومك يا سيدنا الشمس، لأنك أضأت علينا من ظلمة الليل". وقبل غروبها يتجهون إلى الغرب ويسجدون لها قائلين: "يا سيدنا الشمس، أتمضي وتركني في ظلمة الليل؟ أسرع واطلع وأضيئ علينا!"

وداع القديسين:

ولما عُثِقَ الأنبا صموئيل من الأسر، قابل القديس أنبا يونس ولم يشأ أن يفارقه ويتركه وحده في تلك الغربة، ولكن أنبا يونس قال له: "بما أن الله عتقك أيها الأخ الحبيب فلا تبق هنا بسبي، بل اذهب إلى مكانك الذي أعده لك الرب وصلِّ لأجلي هناك". فقال له أنبا صموئيل: "تحفظ يا أخي، فإن كل ما حلَّ بي سيحلُّ بك، وسيكثرون يديك بالحديد مع امرأة كما فعلوا بي، فاحترس لئلا تقوى عليك الشهوة حتى تخلص، وبعد ذلك تُباع للخلقيدونيين فأخذونك بعيداً، فإن صيرت على الأمانة المستقيمة فسيتطلقك الله بسلام". فقال له أنبا يونس: "أستودعك الله". فقال له: "لن تراني بعد الآن في الجسد، ولكننا نرى



عظيم هو جهادك والأتعاب التي قبلتها، لما حملك البربر مسبيًا إلى كورثهم البعيدة. (الدفنار ٣٠ كيهك)

اسمعوا الآن لأعلم محبتكم لله بهذا الآخر الذي سمعناه من كثيرين يقولوه عن أبينا الطوباني، إنه لما حملوه البربر معهم في السبي، نالته أتعاب كثيرة منهم إما من الجوع وإما من أعمالهم النجسة الذي كانوا يصنعوهم. ومن بعد هذا، ألقت امرأة البربري عينيها على القوي أنبا يؤنس، تريد من قبل شعل الشيطان أن تحله من طهارته مثل تلك المصرية البربرية الذي ألقت عينيها على يوسف. وهذه أيضًا صنعت مثل تلك، وليس هذه التي فعلت هذا وحدها، بل وكثير آخر صنعوا معه هذا الأمر ويضيقوا عليه من أجل هذا الأمر الواحد. وهو بالحقيقة مثل حجر الماس القوي، أنبا يؤنس كان يجتهد أن لا يدع عنق نفسه ينزل إلى فكر نجس البتة. ومن قبل نعمة الله التي تدبره، خلّص من الفخ الذي نصبه له الشيطان وظهر مثل الذي لا امرأة عنده، حافظًا للطهارة مثل يوسف. لأن قوة عظيمة هي هذه، اذا وقع واحد في تجربة هكذا واجتهد أن يغلب في الجهاد العظيم، فهو بالحقيقة يستحق كرامة عظيمة. ولأن سيدنا البطريك (البطريك) أنبا يؤنس، رئيس أساقفة الإسكندرية، هو ذكر هؤلاء أيضًا هكذا في رسالته الذي كتبها لمحبتكم لله، وهو متألم القلب من أجل انتقال أبينا الطوباني من هذا العالم، ولأجل عظم اشتياقه ومحبته فيه، وضع يسيرًا على كرامته، وجاب فيهم ذكر هذه الفضيلة الحسنة. لكنه لم يضعها على الكمال، ونحن حسيناها بالضرورة وأقمنا هذه على الذي ذكرهم وكملنا بقية السيرة. وتلك الأيام القليلة التي أقامها هناك في ذلك الموضع، كان يعمل كل يوم، ويعطوا له نحاسًا مع معدودًا وخُبزتين. وكان يترك واحدة من خبزه لنفسه، والأخرى يعطيها صدقة. والنحاس كان يعطيه للبربري الذي أمسكه. وكان في ذلك الموضع مقيمًا على عبادته وفضائله دائمًا.

---

بعضنا بعضًا بالروح“. ثم قَبَلَا بعضهما بعضًا وافتراحا بجزن شديد، وانطلق أنبا صموئيل إلى دير القلمون. (يوسف حبيب،  
تقديس أنبا يؤنس كبير قسوس شيهيت، ١٩٦٨، ص ٩: ١٢).

## القديس يلمس حيلة للهروب من أيدي البربر

وهذا هو الكلام الذي أردنا أن نقوله، إن أبانا الطوباني، لما أراد أن يتخلص من التجربة الذي سبقنا أن نقولها، كان يطلب حيلة يريد يخرج يخلص من أيدي أولئك البربر. وكانوا يحرسوا أبواب المدينة في النهار والليل، وكان يطلب إلى الله، صاحب الرؤفات العظيمة، أن يعطيه الخلاص منهم هكذا. وكانت امرأة عجوز جالسة تحرس باب المدينة، وكان يقول هكذا في نفسه أعني أبونا الطوباني: "إذا أراد الرب خلاصي، فأنا أخرج ولا تنظرني هذه العجوز". وإن الله الذي أخرج بطرس الرهاوي<sup>١٩١</sup> هو ويوحنا صاحبه، من مدينة المملكة واستحقوا أن ينظروا النور يهديهم حتى استطاعوا الخلاص من أيدي الذين كانوا يريدوا يمسكهم — هو أيضًا الذي أخرج هذا الآخر ولم يدع تلك العجوز الحارسة تنظره، وخلصه من يد أولئك البربر. ولما خرج كان ليلاً، ولم يكن يعلم إلى أين يمضي. وإن الله الذي هدى بني إسرائيل في البرية بعامود النار، هو أيضًا الذي هدى هذا القديس هكذا، فظهر هو أيضًا نورًا يقدمه، حتى أتى به إلى موضع رجل شيخ كان في دير صغير على جزيرة. وهذه كانت عادته أن يشتري مسيحيين كثير

---

<sup>١٩١</sup> ولد في مدينة الرها في أوائل الجيل الثالث من أبوين غنيين شرفين، وإذ بلغ العشرين من عمره قدمه والده للملك ثيودوسيوس ليكون معه. لكنه عاش في البلاط الملكي كما في دير يزهّد أحماد العالم وأباطيله ويمارس الحياة النسكية والعبادة بتقوى جذبت الكثيرين إليه. كان يحتفظ برفات بعض الشهداء الفارسيين معه.

ترك البلاط الملكي والتحق بأحد الأديرة ليكرس كل وقته للعبادة، ولم يمضِ إلا وقت قليل حتى سيم أسقفًا على غزة بغير رضاه. وقد قيل إن في أول قداس إلهي يصليه فاض دم من الجسد ملأ الصينية إلى حين.

إذ ملك مرقيان الخلقيدوني صار يضطهد الأساقفة الأرثوذكس، فحمل هذا الأب رفات القديس يعقوب المقطع من أحد أديرة الرها وجاء إلى البهنسا بمصر، حيث أقام بأحد أديرتها، هناك اجتمع بالقديس إشعيا المصري، وبعد زمن مرقيان عاد إلى فلسطين.

قيل إنه إذ كان يصلي القداس الإلهي كان بعض العظماء يتحدثون معًا فلم ينتههم، فظهر له ملاك وأمسك به من وسطه وانتهره.

اشتفى الملك زينون أن يراه، لكن القديس امتنع بسبب عدم انشغاله بمجد العالم.

ذهب إلى بلاد الغور (بين أورشليم ودمشق)، وإذ كان يصلي في عيد القديس بطرس السكندري ظهر له القديس وأعلن له أن السيد يدعوه ليكون معهم، فاستدعى الشعب وثبتهم على الإيمان ثم بسط يديه وأسلم الروح في الثاني من كيهك.

من الذين يسبونهم أولئك البربر. ولما علم البربري الذي أبونا القديس عنده أنه قد هرب، فأسرع وقص أثره، فوجده عند الشيخ. ولما رآه ذلك البربري، امتلاً غضباً شديداً، وكان يريد يقتله من شدة حنقه عليه. فلما رآه ذلك الشيخ الذي التجأ إليه، قال له: ”لا تصنع به شراً، فأنا ما أتركه يمضي! بل خذ هذا القليل النحاس وامض“. فأخذهم ومضى. وذلك الشيخ، لما رأى نمو فضائل القديس أنبا يؤنس، كان يريد أن يقيم عنده، وهو لم يريد أن يقيم، لأن ذلك الشيخ كان خلفدونيًا، وكان يطلب حيلة يريد يحيي إلى بلاده. وإن الله الصالح سمع له سريعاً وأرسل له معونته، وجابه إلى كورته<sup>١٩٢</sup> وهو معافى من كل مرض.

١٩٢ رسالة القديس قمصاً :

بعد خلاص القديس من الأسر الأخير رُسم قمصاً حوالي سنة ٦٤١م، وصار له سلطان على برية شهيت كلها، كما كان أيضاً رئيساً لدير أنبا مقار، وكان حلقة اتصال بين الأديرة والأب البطريك لأجل مطالبها واحتياجاتها، وقد بذل البابا بنيامين (٣٨) جهداً شديداً في إصلاح ما تحرب وتهدم من الكنائس والأديرة وقد ساعده أنبا يؤنس القمص بغيرة وهمة ونشاط خاصة بعد الغارة الرابعة للبربر ٥٨٠م والتي كانت أكثر الغارات عنفاً، ولا سيما بعد ما حدث فيها من تخريب بعد غارة البربر الرابعة حوالي سنة ٥٨٠م حيث قل عدد الرهبان لأهم تشتتوا إلى مناطق أكثر أمناً. وقد أنعم الرب عليه بمشاهدة إعلانات سماوية ورؤى مقدسة، وبشعوره المرهف بهيبة هيكل الله وكرامته بيقظة ووعي شديدين، وكان يهزم الأرواح الشريرة ويحل قوة الشيطان، وقيل عنه إنه عندما كان يقدّس القرايين كان يرى المحلّص مع السيدة العذراء، وكانت بصيرته تكشف أسراراً عظيمة عندما يرى هذه المناظر السمائية في الهيكل.

وقد ذكرت المخطوطات أن القديس كان حاضراً مع البابا بنيامين عندما كرّس هيكل كنيسة أنبا مقار، الذي عُرف باسم هذا البابا بعد ذلك، وعندما رأى يد السيد المسيح وهي تكّرّس المذبح. وكان خوف الله ثابتاً في نفسه. ومن أهم الأحداث التي تمت في فترة زيارة البابا بنيامين (٣٨) ما يلي: كانت أجساد ٤٩ شهيداً شيوخ شهيت استودعت في الكنيسة التي تدعى كنيسة المغبوط أريستوماخس، وذلك بأمر البابا ثيودوسيوس الأول (٣٣). وهذه الكنيسة كانت تدعى أيضاً كنيسة الجنوب (الكنيسة القبلية) وخصصوا للأجساد غرفة مغلقة من كافة الجهات ملحقة بالهيكل القبلية، نعتقد أن هذه الغرفة كانت أصلاً من ملحقات حصن كان ملاصقاً للكنيسة من الجهة الشرقية ولا تزال هذه الغرفة موجودة حتى اليوم. ولكن بمحوم البربر عام ٥٧٠م. وتهدم أجزاء كبيرة من كنيسة أريستوماخس المذكورة، لم تعد الأجساد في مأمن مناسب. فلما وصل أنبا بنيامين الأول (٣٨) في زيارته الأولى للدير سنة ٦٣١م أمر القديس يؤنس القمص هكذا: ”ابن لم يا يؤنس كنيسة في وسط الدير“: [وفي اليوم السادس والعشرين من شهر طوبة وصل البطريك إلى شهيت وهو يوافق عيدهم. وسار أمامه الشعب بفرح كبير. وفي الخامس من شهر أمشير من ذلك العام رفع أبونا أنبا بنيامين أجساد هؤلاء القديسين واحداً واحداً وناولها للكهننة والشمامسة فحملوها إلى وسط صحن الكنيسة ودفنوها في أكفان مقدسة معطرة بالبخور بين تراتيل المزامير. ثم صلى عليهم

[يا للفرح ويا للبهجة اللذان صارا في برية شيهيت، لما رآك أولادك مرة أخرى، فخرجوا للقائك بفرح وبهجة، يتلون المزامير والتساويح الروحية، كما خرج الأطفال الصغار أولاد العبرانيين للقاء ربنا يسوع المسيح، ودخلوا بك إلى كنيستك بمجد لا ينطق به وامتلأوا من بركتك ومن صلواتك. أطلب من الرب عنا ليغفر لنا خطايانا](الدفنار ٣٠ كيهك)

### منهج القديس أنبا يؤنس في اليوم الذي يقدس فيه القرايين

هات نقول لكم واحدة واثنين من فضائله، ونقيم الكلام على الموت الطوباني، هذا الذي كان ينتظره في كل حين وهو مشتاق أن يخرج من الجسد ويمضي إلى الرب. لأنه كان يجتهد في كل حين أن يكمل إرادة الله، وأن لا يتكاسل عن شيء من وصاياه، وكان خوف الله ثابتاً في نفسه. وبالأكثر، اليوم الذي كان يريد أن يقدس فيه، كان يتحفظ لئلا يخرج كلمة بطالة من فيه، حتى إنه، من قتل خوف الله الذي كان فيه وعظم تحفظه، استحق نعمة هكذا، أنه دفوعاً كثيرة، لما يقدم القربان المقدس ينظر من يرشم الخبز، وإذا صعد إلى المذبح ليقدم القربان المقدس، ينزل نور وراحة عليه، وتدرك نفسه برودة عظيمة مثل من قد انتقل إلى دهر آخر، فيظن في نفسه أنه ليس كائناً على الأرض. وإذا أكمل القداس الطاهر ويبلغ وقت تكريس (تكريس، صلاة تقديس) الكأس، ينظر إليه وهو يقلب مثل خلقين<sup>١٩٣</sup> يغلي، حتى إنه لا يستطيع يكرزه براحة لعظم خوفه. لأنه مكتوب في سيرة الطوباني أنبا يؤنس أسقف البرلس أنه رأى هكذا.

القداس وكانت تجري في مقصورتهم مع معجزات شفاء]. الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٤٣٠، ٤٣١.

<sup>١٩٣</sup> الخلقين (ج) خلافتين: "المرجل الكبير" (ج) مزاجل (من أصل يوناني) - المنجد في اللغة والأعلام، و "المرجل" هو القدر من الطين المطبوخ أو النحاس - الوسيط. وتأتي في الأصل اليوناني خالكيون "χαλκίον" بمعنى إناء نحاسي: «كيف يقرن بين قدر الخزف و المرجل انما اذا صدمت تنكسر» (سيراخ ١٣: ٣).

## أنبا أبرآم يظهر للقديس أنبا يونس القمص

وحينئذ لما قرب أيام موت أيينا الطوباني، كان يفترد (ينفرد) في موضع توحده، لأنه كان قد فرغوا يعلموه من قبل الرب بانتقاله، كما سيعلمنا الكلام إذا تقدمنا. وكان واحد من القديسين الذين كانوا في زمانه منفردًا داخل منه، قد تنيح - الذي هو أنبا أبرآم - رآه في الرؤيا فسلم عليه. فقال له أبونا: "تري وجدت نعمة، يا أبي القديس؟". فقال له: "مبارك هو الرب، لأنه رحمني جدًا. وقد تعرف أنت، يا أخي الحبيب، أنني قد قبلت أتعابًا كثيرة في البراري، ولم أجد شيئًا من الراحة حتى خرجت. والآن تعال أنت أيضًا". وهذا قاله ليعلن له كماله. ثم قال له أيضًا: "قد قلت لك: "تعال، اخرج". أما هو فلم يجاوبه، بل قام وجاء إلى للكنيسة وقدم القربان الطاهر. فنظر تلك القوة التي على المذبح وهي ترشم الخبز، وجليان الكأس، كما قد أعلم قوم من أحبائه عندما كلفوه أن يقول لهم الحق.

## أنبا يونس يودع أولاده

ومن بعد هذا اقتربت أيام موت الطوباني. وكان هناك شيخين، وكان يحبهم جدًا. فأرسل خلفهم وقال لهم: "أتعلموا لماذا سيرت خلفكم؟". فقالوا له: "لا". فقال لهم: "إنني أرسلت خلف محبتكم في الرب لأكل معكم قليلًا، لأنني أظن إنني لست أكل معكم بعد". ولما قال هذا، حزنوا جدًا، فقالوا له: "أترى الله يجرمنا أبوتك المقدسة وتركننا أيتامًا؟". أما هو فقال لهم: "أرادة الرب تكون". فلما رآهم متألين، صار يمزح (يتباسط) معهم ليأكلوا يسيرًا، وكمل كلامه معهم، ولم يأكل بعد. وبعد هذا ابتداء يمرض قليلًا قليلًا، ولما فرغ أن يمرض، كان يضطهد ذاته ليصنع قليل خدمة.

## وصية القديس لأولاده قبل نياحته

وأيضًا لما كان راقدًا على مضجعه مريضًا، كان يذكر لنا الوصايا الذي قد فرغ أن يقولهم لنا، قائلاً: "يا بني، اجعلوا خوف الله بينكم، احفظوا إيمان

الكنيسة الجامعة إلى الموت، وابتعدوا من كل هارسيس<sup>١٩٤</sup>، حتى إلى السلام معهم ارفضوه.

### الإيمان

وكونوا ثابتين على الأمانة المستقيمة، لأنه لو قوم الإنسان كل الأعمال الحسنة ولم يكن له أمانة مستقيمة، فليس يربح شيئاً، لأن هذا هو الكلام الذي قاله يعقوب إنه: "إذا حفظ الإنسان الناموس كله وسقط في واحدة منه، فقد صار مداناً للكل"<sup>١٩٥</sup>. وبولس أيضاً يقول في رسالته للعبرانيين: "إنه بغير الإيمان لا يستطيع أحد يرضي الله"<sup>١٩٦</sup>. وأحصى أيضاً الأبرار جميعهم في هذه الرسالة الواحدة: "إن هؤلاء جميعهم شهدوا عليهم من قبل الإيمان"<sup>١٩٧</sup>. من أجل هذا، يا أولادي، اقتنوا لكم إيماناً مستقيماً في الله، وإذا سقطتم في تجربة أو مرض أو خسارة أموالكم أو اضطهاد، فلا تجعلوا شيئاً من هذا العالم يفرقكم من محبة الله.

### المحبة

وأيضاً اقتنوا لكم محبة في بعضكم بعض. وعظيم هو عمل المحبة، لأن ربنا يقول في الإنجيل إن: "بهذا يعلم كل أحد أنكم تلاميذي، إذا أحببتم بعضكم بعضاً"<sup>١٩٨</sup>. وأيضاً بطرس الرسول يقول إن: "المحبة تغطي كثرة من الخطايا"<sup>١٩٩</sup>. فمن أجل هذا، فلتكن هذه الفضيلة مثمرة فيكم. وهذه هي ثمرتها: إذا نظرتكم واحداً في تجربة، تتعبوا معه. إذا نظرتكم واحداً مريضاً، تفتقدوه؛ وإذا لم يكن له انسان هناك، فتخدموه. إذا نظرتكم واحداً غريباً استروه، وواحداً جائعاً تشبعوه، وواحداً غريباً، تقبلوه اليكم. وإذا رأيتم واحداً مغضباً عليكم أو ييغضكم، تقبلوه إليكم بوداعة وتكرموا. وإذا كان واحد يجذبكم إلى المزاح أو

<sup>١٩٤</sup> من الكلمة اليونانية αἱρετικός أي "هرطوقي".

<sup>١٩٥</sup> «لأن من حفظ كل الناموس و إنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل» (يع ١٠: ١).

<sup>١٩٦</sup> «بدون إيمان لا يمكن إرضاءه» (عب ١١: ٦).

<sup>١٩٧</sup> «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان» (عب ١١: ٣٩).

<sup>١٩٨</sup> «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي ان كان لكم حب بعضاً لبعض» (يو ١٣: ٣٥).

<sup>١٩٩</sup> «لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا» (١ بط ٤: ٨).

النميمة أو عمل رديء، فعلى الجملة اهربوا منه، من أجل أن هذه الأعمال هكذا ليس هي من الله، بل من الشيطان. وكونوا تكرموا كل أحد، رحومين، متواضعين، طويلي الروح. تغفروا لبعضكم البعض، وكونوا أيضًا محبين الصلاة والوحدة والعبادة.

### الصلاة

وعمل الصلاة هو هذا، أن لا تتركوا ذكر الله؛ في كل حين تتلوه، وكونوا تطلبوا بالدوام في كل موضع، إن كنتم تأكلون أو تشربون أو تمشون في الطريق أو تصنعون في كل عمل بالجملة. لأن الصلاة هكذا تنور العقل وتهدئ ألم القلب، وتبيس الشهوة، وتطرد الشيطان، وتنقص الخطيئة وتحدد النفس. وعلى الجملة تجعل كل خطيئة شريرة غريبة من الإنسان، كما قال مخلصنا في الإنجيل: ”صلوا لئلا تدخلوا التجارب“<sup>٢٠٠</sup>. يعلمنا بهذا أنه، إذا كان الإنسان يصلي في كل حين، فلا يستطيع شيء من الأفكار الشريرة يقف أمامه، الذين هم هؤلاء التجارب.

### الوحدة

والوحدة أيضًا، هذا هو عملها، أن تبتعدوا من كل عمل رديء ولا تشتغلوا بشيء من مادي<sup>٢٠١</sup> هذا العالم، من أجل أن الوحدة بغير اهتمام تجعل القلب يكون في هدوء، ويعرف الإنسان غلطه، ويفهم كل زرع الشيطان. وعلى الجملة يكون الإنسان ممتحنًا، مصلحًا لذاته ولأخيه.

### العبادة

والعبادة احفظوها بثبات. لا تتكاسلوا عنها، لأنه، في الوقت الذي يتكاسل الإنسان فيه عنها، يتخلى، وتصير أفكاره مظلمة. فمن أجل هذا، اقتنوا لكم عبادة محمودة، ولا تصنعوا أكثر من المقدار، ولا تعطوا ذاتكم للانحلال، بل حدًا محدودًا اجعلوا لكم، لتقيموا زمانكم كله براحة، بغير قلق، لأنه قد قال

<sup>٢٠٠</sup> «صلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (مت ٢٦: ٤١).

<sup>٢٠١</sup> عالمي.

الحكيم سليمان: "لا تصنع البر بزيادة ولا الخطيئة بزيادة"<sup>٢٠٢</sup>، الذي هو هذا أن لا يسلم الإنسان ذاته إلى عمل أكثر من قوته. ومن أجل هذا، اذا صليتم أو صمتم أو أكلتم أو شربتم أو رقدتم أو صنعتم عملاً آخر، وكل عمل، اصنعوه بقياس.

### الطهارة

واقتنوا لكم طهارة النفس والجسد. لأن عملاً عظيماً هي الطهارة، كمثل ما قال الحكيم بولص: "أسعوا في إثر السلام مع كل أحد، والطهارة، التي بدونها لا يعاين أحد الرب من دونها"<sup>٢٠٣</sup> وربنا أيضاً يقول: "طوبى للطاهرة قلوبهم فأنتهم يعاينون الله"<sup>٢٠٤</sup> ومن أجل هذا، فليكن اشتياق الطهارة فيكم في كل حين. تشتهوها وتتعبدوا بها لكي تصيروا هيكلاً مقدساً لله، و وتتساووا بالملائكة.

### التواضع

واقتنوا لكم تواضع القلب بعضكم لبعض، واطلبوا إلى الله بقوة قلب أن ينعم بهذا عليكم في كل حين. من أجل أنه عمل عظيم هو التواضع بالله، هذا الذي يحل كل قوة الشيطان. لأن ربنا، لما جاء إلى العالم، أخذ شكلاً مسكيناً، وتواضع حتى الموت، موت الصليب، واحتمل كل عار بتواضع ووداعة، كمثل ما قال هو: "تعلموا مني، فأني وديع ومتواضع القلب"<sup>٢٠٥</sup>. وضع لنا مثلاً لكي نحسد نحن تواضعه ونحتمل كل عار يأتي علينا بتواضع قلب ووداعة. من أجل هذا غيروا عليه واقتنوه لكم، وليكن فيكم.

وكان يقول لنا أيضاً: "إنكم تعلمون، يا إخوتي إنني لم أوجع أخاً قط يكون في قلبي، ولا أطرحه أيضاً وأنا غير محتاج إليه، ولم أصنع هذه الخطيئة أمام الرب منذ قط. فأنتم أيضاً اصنعوا هكذا. اذا كنتم عدداً كثيراً، اسكنوا في قلاية واحدة ولا تحزنوا نفساً غريبة مضطهدة مثل الرافضة الذين يفكرون في

<sup>٢٠٢</sup> «لا تكن باراً كثيراً... لا تكن شريراً كثيراً» (جا ١٦ و ١٧).

<sup>٢٠٣</sup> «اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب» (عب ١٢: ١٤).

<sup>٢٠٤</sup> «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥: ٨).

<sup>٢٠٥</sup> «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩).



الأرضيات، ويأخذوا بالوحدة“ . وكان يقول لنا أيضًا أعني أبونا القديس: ”اذكروا هذه الصغار التي أسلمتها لكم. وأنتم اذا حفظتم أعظم من هذه، فإن الله الصالح لا يتخلى عنكم، بل يرسل نعمته وتحفظكم“ . ولأنه كان في زمان جهاده جميعه لم يتخل أن يتكلم بكلام الله مع الذين يشتهون أن يسمعوه، وكان يعلم ويستشير كل واحد من الذين يأتون إليه، كما يليق به وكمشيئة الله.

لكن لئلا يكون أقوام غير مصدقين لهذا الكلام، ويجعلوا هذه العجائب غير مؤتمنة، ويقولوا: ”ليس هو أمرًا جديدًا، بل أمرًا قديمًا“، فإنه من الأجيال الأولى، الصديقون يكونوا في كل زمان، إما بطاركة أو أنبياء أو رسل أو شهداء؛ تجدهم جميعهم كثيرين في كل زمان يقتلوهم ويعطوهم الطوبى، وآخرون يكونوا غير مصدقين لهم وبهينوهم ويستهزئون بهم، بكلامهم وأعمالهم — تثقل عليهم لعدم إيمانهم — كمثّل ما يظهر هذا من الشرور الذي صنعوها بكل واحد منهم: ارميا أحرقوا كتبه بالنار ما سوء أتعابه جميعها! لكن لماذا اذكر القديسين وحدهم، ولا أذكر رب الكل، اذ كان يصنع الآيات وهذه العجائب الكثيرة، وهذه الخيرات جميعهم، وكانوا كثيرين من الكفرة يهينوه ويهزئون به، ويكتو القوم الذين يسمعون منه أو يؤمنوا به؟ فاذا كان هذا فعلهم بالعود الرطب، فما عسى يكون باليابس؟ مثل ما قال الرب: ”إن كان آمنوا بكلامي، فهم يؤمنوا بكلامهم، وإن كانوا قد طردوني، فسوف يطردونكم أنتم أيضًا. وإن كانوا قد دعوا رب البيت ببعلزلبول، فكم بالحري أهل بيته؟“.

من أجل هذا، يا أحبائي واخوتي، اذا نظرتم واحدًا من القديسين يتكلمون عليه قوم وبهينوه، فلا تقلقوا ولا تتعجبوا، لأن هكذا كان ويكون إلى الانقضاء: قوم يؤمنون بالقديسين وآخرين لا يؤمنون بهم، ولا بأعمالهم ولا بكلامهم. ونحن لم نكتب هؤلاء من أجل الذين لم يؤمنوا بل من أجل المؤمنين. ”فمن اختار أن يسمع فليسمع“<sup>٢٠٦</sup> ولهذا تركنا أشياء كثيرة من الذين سمعناهم والذين علمناهم منه، لا لأنهم لا يليق بنا أن نكتبهم، بل لئلا يكثر الكلام بزيادة ونزيد عن القياس بالله.

<sup>٢٠٦</sup> «من له اذنان للسمع فليسمع» (مت ١١ : ١٥).

## الرب يبارك جبل شيهيت في أيام أنبا يؤنس القمص

وذلك أن في أيامه بارك الله هذا الجبل جدًا بكل بركة روحانية، وصنع الله خيرًا مع شعبه، فزادوا وكثروا واستغنوا في كل فضيلة بروح القدس، في الإيمان، في الرجاء، في المحبة، وفي البتولية والفضيلة، وفي الطهارة والرحمة، وفي محبة البشر والتوبة، وفي الصبر، وما يشابه هؤلاء. وأقام الشيطان عليهم تجارب كثيرة، وبنعمة الله وصلوات هذا الشيخ القديس وأصدقائه، الخدام تفرقوا ولم يكن شيئًا من الشر في أيامه جميعها.

### نياحة القديس

ولنعود الآن إلى الكلام على وفاته الطوبانية. ولما فرغ أن يقول هؤلاء لنا، أكمل سعيه وهو حافظ الإيمان. وثقل المرض عليه جدًا، والذين كانوا من بعد هؤلاء، بكاء وحزن لمن يسمعهم، لأني لا أستطيع أن أخبرهم بغير دموع. لأن الطوباني، لما قرب أن يتنيح، لم يتخل قط عن ذكر الله، بل كان يتلو في كلامه مثل ما كان يصنع في كل حين. ولما قربت الساعة التي يخرج فيها من الجسد، كان يقول هؤلاء الكلمات، دفعة: ”بنورك نعاين النور“<sup>٢٠٧</sup>، ومرة: ”نسير من قوة إلى قوة“<sup>٢٠٨</sup>، ولم ينقطع ذكر المخلص من فيه إلى أن أسلم الروح. وأخرج الله نفسه بغير قلق، وبسكون وبراحة وبهدوء، وأكمل سعيه بشيخوخة حسنة، في سلخ شهر كيهك، ومضى إلى الرب الذي أحبه بمجد وكرامة. أيها الشجرة العالية بجبل ميزان القلوب، وقد غرست أغصانها في كل موضع (الدفنار ٣٠ كيهك)

عظيم هو الحزن الذي صار لنا في ذلك اليوم، من أجل أننا قد عدنا أبا هكذا، وكان كل أحد يبكي، ويطلبوا أباهم: الشيخ يطلبوا من كان يعزيهم في شيخوختهم برحمة المسيح ومحبة، والصبيان يطلبوا من كان يهديهم إلى الفضيلة، والغروس الجدد يطلبوا من يهديهم ويعلمهم التواضع والعبادة. وعلى الجملة كل

<sup>٢٠٧</sup> «لأن عندك ينبوع الحياة بنورك نرى نورا» (مز ٣٦ : ٩).

<sup>٢٠٨</sup> «يذهبون من قوة إلى قوة يرون قدام الله في صهيون» (مز ٨٤ : ٧).

أحد، لما سمعوا، حزنوا جدًا لموت القديس، لأنه كان لهم أبًا معزيًا. ولما كفنا جسده المقدس وقدمنا القربان المقدس عليه، وهكذا حملناه لندفنه، فيا للأعجوبة التي كانت في ذلك الوقت! لما رُفِع جسده المقدس، كان الجمع كله قد حركوا من قبل الله، فكان كل واحد منهم يجتهد أن يلمس جسده المقدس ليأخذوا شيئًا يسيرًا من كفنه. وهكذا بأتعاب كثيرة استطعنا أن نتركه عند آبائه بمجد وكرامة. وعمره تسعون سنة وكان ذهنه جيدًا، ولم يتغير عن عبادته البتة، بل كان فرحًا في العبادة إلى هذا الحد بالتقشف العظيم والصلوات، حتى إنه لم يستطيع أحد من الذين تجددوا في سيرة الرهينة يلحقوه، لأنه وصل إلى هذه الشيخوخة بهذا المقدار، وهو منفرد في قلايته، يصنع مطانوات (ميطانيات<sup>٢٠٩</sup>) كثيرة في كل يوم. هؤلاء الذين إذا أردت أن أعدهم، اظن أن قومًا يكونوا غير مصدقين للكلام. فلهذا أسكت عن عددهم، لئلا يظنوا قوم بالحق أنه باطل. وكان يحب الوحدة في كل حين لعظم اشتياقه في الله، وكان يهرب من كل اهتمام ومزاج هذا العالم؛ وكان وديعًا مع كل أحد، حلوا في كلامه، متواضعًا في قلبه، رؤوفًا ورحيمًا لكل أحد. وما بالي أعده هؤلاء جميعهم: بل على الجملة كان كاملاً في كل فضيلة!

### خاتمة الراوي

ولهذا كنت أريد أن أطول في الكلام قليلاً آخر وأقول يسيرًا من كرامة قدسيتك، يا أبي الصديق. بل أنا أعلم أنك قد فرغت أن تأخذ كرامتك العظيمة من قبل ملكنا كلنا يسوع المسيح. فمن أجل هذا، أقبل اليك هذا اليسير الذي قلته على خروجك من هذا العالم الباطل، وأعطني معرفة، لأنني لا أستطيع أن أنطق بفضائلك كلهم كاستحقاقهم. واذكرنا عند الرب واشفع فينا أمامه - لأني أوّمن أن لك دالة عظيمة عند ربنا يسوع المسيح - واطلب إليه أن يعطينا أن نسير كأرادته ونحفظ وصاياه وأوامره، لكي نفتني لنا نحن رحمة من

<sup>٢٠٩</sup> μετάνοια الميطانية هي التوبة وبحسب معناها الحرفي في اليونانية هي تغيير الفكر، أي تغيير الذهن حسب قول معلمنا

بولس الرسول «تغيروا عن شكلكم بتغيير أذهانكم» (رو ١٢: ٢).

عند الرب، ونستحق الخيرات المعدة للأبرار، هؤلاء الذين فرغت أنت أن تقتنيهم من قبل مالكننا (ملكننا) جميعًا، ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذي من قبله يليق كل مجد وكل كرامة للآب معه والروح القدس المحي المساوي، من الآن وإلى كل أوان وإلى دهر الداهرين. ورحمته علينا جميعًا. آمين.

والسبح لله دائماً ابداً.

### خاتمة ناسخ المخطوطة

كملت سيرة القديس العظيم أنبا يونس قمص شيهات يوم الأربعاء المبارك الرابع من شهر بؤونة [١٢٥٦] للشهداء الأطهار، بدير أنبا مقاريوس، بيدي أنا الخاطئ جرجس، أقل وأحقر أولاده. وهو يضرب المطاونة لكل من يقرأ فيه ويكتب منه، أن يقول من كل قلبه: ”يا سيدي يسوع المسيح، اغفر خطاياك ورده إلى سيرتك السمائية وأقيمه بلا عيب قدام منبرك العظيم، بصلوات أنبا يونس وسائر الشهداء والقديسين. آمين.

والذي يقول شيئاً بمحبة الرب الإله، يرحمه ويغفر له ويسامحه بجميع زلاته. ومن يجد غلطاً ويصلحه، الرب يصلح دنياه وآخرته، بصلوة أنبا يونس. آمين.

والسبح لله دائماً أبداً.

## **الباب الثالث**

### **الشهداء والمعتزون**



## ٤٩ شهيداً شيوخ شهيت

كان الملك ثيودوسيوس II<sup>١١٠</sup> ابن اركاديوس لم يرزق بولد يرث الملك من بعده، فأرسل إلى الشيوخ بشيھيت يسألهم أن يسألوا الله فيه فيعطيه ولدًا وكان فيهم شيخ كبير يسمى الأب إيسيدوروس كتب إلى الملك يعرفه أن الله ما أراد أن يخرج منك ولدًا حتى يشارك أرباب البدع بعدك فلما وقف الملك على رسالتهم بذلك شكر الله وسكت فأشار عليه قوم اردياء أن يتزوج امرأة أخرى ليرزق منها ولدًا يرث الملك من بعده، فأجابهم: ”ما أفعل شيئًا بخلاف أمر الشيوخ ببرية مصر“؛ لأن صيتهم كان قد خرج في أكثر الدنيا فأرسل رسولاً يسألهم في ذلك وكان للرسول ابن وحيد فطلب منه أن يصحبه فأخذه معه ليتبارك من الشيوخ، ولما وصلوا إلى الشيوخ وقرأوا كتاب الملك وكان أنبا إيسيدوروس قد تنيح فأخذوا الرسول وأتوا به حيث جسده وقالوا للجسد: ”يا أبونا قد وصلت هذه الكتب من عند الملك وما نعرف بما نجاوبه“ فجلس الشيخ وقال: ”إن الرب ما يرزقه ما ولدًا، ولو تزوج عشرة من النساء لن يرزق ولدًا“ ثم عاد القديس وانضجع. فكتب الآباء الشيوخ للرسول الجواب للملك، ولما عزم بالخروج وإذا البربر<sup>١١١</sup> قد أتوا فوقف شيخ كبير يقال له أنبا يؤنس وقال

---

<sup>١١٠</sup> الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠م) ولد في ١٠ أبريل ٤٠١م بمدينة القسطنطينية، وهو ابن الإمبراطور أركاديوس (٣٨٣ - ٤٠٨م) تولى الحكم بعد موت أبيه وكان فترة حكمه رغم أنها طويلة ٤٢ سنة إلا أنها كانت فترة سلام وخصوصًا على الكنيسة فعرف عن الإمبراطور ثيودوسيوس التقوى، وميوله إلى العلم فأنشأ جامعة القسطنطينية، لكن المؤرخين رموه بالتخاذل والهروب وعدم السعي وراء إصلاح المملكة إلا أنه من أهم أعماله أصدر مجموعة قوانين لتنظيم شؤون الإمبراطورية البيزنطية عرفت فيما بعد بالقوانين الثيودوسية، حصن مدينة القسطنطينية بسور عظيم منيع فكانت تضاهي روما عاصمة الإمبراطورية الغربية في العظمة، وبعد وفاته في ٢٨ يوليو ٤٥٠م لم يكن له ولي عهد من نسله فانتقل الحكم إلى اخته بلخارية - يقال أنها كانت راهبة و تركت نذرها الرهباني - ولما لم يكن من المقبول أن تتولى امرأة شؤون الحكم تزوجت من مرقبان قائد الجيش والذي كان معروفًا عنه ضعيف الشخصية ومنقاد، فكانت تحكم الإمبراطورية من خلاله، وفي عهدها عقد مجمع خلقيدونية ٤٥١م.

<sup>١١١</sup> البربر بالنسبة للدولة الرومانية ليس المقصود بهم قبائل همجية بعينها كانت توالي هجوماتها على حدود الدولة الرومانية من أجل السلب والنهب بل كانوا يقصدون بها كل من هم خارج حدود الدولة الرومانية فكانوا يعتبرون الفرس مثلًا براهبة، وكان

للإخوة: ”هو ذا قد أتوا وهم ما يطلبون إلا قتلنا فمن أراد الشهادة يقف معي ومن خاف يطلع الجوسق“<sup>٢١٢</sup>، فهرب بعضهم وبقى مع الشيخ ثمانية وأربعين فأتوا البربر وذبخوا الشيوخ فالتفت ابن الرسول من الطريق فرأى الملائكة وهم يضعوا الأكاليل على رؤوس الشيوخ المذبوحين وكان اسم الصبي ذيوس (والرسول أبيه اسمه مرتينوس) فقال لأبيه هو ذا أنا ابصر قوم روحانيين يضعوا الأكاليل على رؤوس الشيوخ والآن أنا ماضي آخذ إكليل مثلهم فأجابته والده وأنا معك يا ابني فعدادوا وظهروا نفوسهم للبربر فقتلوهم واخذوا الشهادة وبعد مضي البربر نزلت الرهبان من الجوسق وضموا الأجساد وجعلوهم في مغارة فصاروا يصلوا قدامهم كل ليلة ويترتلوا ويتباركوا منهم فجاء قوم وسرقوا جسد أنبا يؤنس وذهبوا به إلى البتانون وأقام عندهم مدة فأعادوه الشيوخ إلى مكانه وآخرين من أهل الفيوم سرقوا جسد الصبي وعندما وصلوا به إلى البحيرة بالفيوم خطفه ملاك الرب وأعادته إلى حيث جسد أبيه ودفع جريههم الرهبان وكانوا يفرقوا جسد الصبي من جسد أبيه فيأتوا باكراً فيجدوه واباه ورأى أحد الآباء الشيوخ رؤيا كمن يقول له: ”يا سبحان الله عندما كنا في الجسد لم نفترق وعند المسيح لم نفترق فلماذا تفرقوا بيننا؟!“, ومن ذلك اليوم لم يعودوا يفرقوهم ولما خربت البرية خافوا على الأجساد فنقلوهم من مكانهم وأتوا بهم إلى جانب

شاهبور ملك الفرس العدو العنيد للرومان فكان يحارهم بجيوش قوية مزودة بالهانيق العملاقة والفيلة الهندية حتى مماته في ٣٧٩م، قبائل الهون من آسيا الوسطى، و في أفريقيا البدو من الصحراء الكبرى، والإسماعيليون في الصحراء العربية، كما كانت هناك قبائل همجية تحجم على وادي النطرون لنهب الأديرة وأسر الرهبان لبيعهم كعبيد كما حدث مع القديسين أنبا صموئيل المعترف، أنبا يؤنس القمص، وأنبا دانيال القمص. يلقب هؤلاء البرابرة بالملازيك، ويبدو أن أصولهم ترجع إلى مورتانيا من جهة جنوب بلاد المغرب، وأقامت هذه القبائل الهمجية على الحدود المصرية الليبية، وبحوار واحة الداخلة والخارجة ومازال هؤلاء البرابرة أصول في الجزائر والمغرب ومورتانيا ويطلق عليهم ”الأمازيج“. د/ منير شكري، أديرة وادي النطرون، دير السريان، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٨٦. كما أن قبائل البربر أو ما يعرف الأمازيج وهم يشكلون غالبية السكان في شمال أفريقيا حيث يشكلون نحو ٤٥% من تعداد السكان في المغرب و ٢٥% في الجزائر و ١٠% في كل من ليبيا وتونس ويصل عددهم الإجمالي من ٢٠ : ٢٥ مليون نسمة وهم يسعون في الحصول على حقوقهم السياسية كمجتمع مستقل. ميادة الغيفي، مقالة بجريدة الأهرام بعنوان ”الأقليات.. سلاح الغرب لتقسيم الوطن العربي“، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٠/ يناير/ ٢٠١٥م، ص ٩. كانت الهجمة التي قتل فيها ٤٩ شهيداً هي الغارة الثالثة على البربر عام ٤٤٤م.

٢١٢ الحصن.



كنيسة أبو مقار وبنوا لهم مغارة في زمان ثيودوسيوس البطريك ولما أتى البابا بنيامين ثبت لهم عيد في الخامس من شهر أمشير لظهور أجسادهم وكنيستهم الآن بقلالية تسمى "π' εμε ψιτ' μαρτυρος" وتعني ٤٩ شهيداً صلاتهم وشفاعتهم تكون معنا آمين.<sup>٢١٣</sup>

أجساد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شبيث

قد علمنا من السيرة أن الأجساد كانت موضوعة في مغارة اليبامون (أي في مغارة بالقرب من حصن اليبامون) وظلت بالمغارة على مدى القرنين الخامس والسادس، ثم أعيد رفع الأجساد من مكانها واستودعت في كنيسة على اسم القديس أريستوماخس، وذلك بأمر البابا ثيودوسيوس الأول الـ (٣٣) (٥٣٦ - ٥٦٧م) وهذه الكنيسة كانت تدعى بكنيسة الجنوب وخصصوا للأجساد غرفة مقفلة من كافة الجهات ملحقة بالهيكل القبلي، ونعتقد أن هذه الغرفة كانت من ملحقات حصن كان ملاصقاً للكنيسة من الجهة الشرقية ولا تزال هذه الغرفة موجودة حتى اليوم.

ولكن بهجوم البربر عام ٥٧٠م. تهدم جزء كبير من كنيسة أريستوماخس المذكورة، ولم تعد الأجساد في مأمن، وفي زيارة البابا بنيامين الأول الـ (٣٨) (٦٢٣ - ٦٦٢م) للدير عام ٦٣١م أمر القديس يؤنس القمص (٥٨٥ - ٦٧٥م) أن يبني لهم كنيسة في وسط الدير، وفي يوم ٢٦ طوبة وصل البابا بنيامين الأول إلى الدير وهو اليوم الموافق لعيد استشهد الآباء الشيوخ، وفي يوم الخامس من شهر أمشير رفع البابا بنيامين الأول الأجساد وناولها للكهنة والشمامسة ثم وضعها في صحن الكنيسة المذكورة في أكفان معطرة، ثم صلى عليهم القديس وكانت تجرى من أجسادهم معجزات شفاء<sup>٢١٤</sup> ومازالت حتى الآن.

<sup>213</sup> René Basset, *Le synaxaire A.J.*, 26 Toubeh, pp. 669- 703.

<sup>٢١٤</sup> الرهينة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٤٣٠، ٤٣١.

وجدد بناء كنيسة ٤٩ شهيد المعلم إبراهيم الجوهري عام ١٤٨٩ ش،  
١٧٧٣ م، وتوجد بها مقبرتهم وترتفع عن الأرض مقدار ٣٣ سم.<sup>٢١٥</sup>

### أسماء التسعة والأربعين شهيداً شيوخ برية شيهيت سنة ٤٤٤ م

| اسم الأب الشهيد                             | بلدته       |
|---|-------------|
| أنبا يؤنس                                   | منجول       |
| أنبا يعقوب                                  | مشير        |
| أنبا جراتيمون                               | بطرا        |
| أنبا أبوللو                                 | أسيوط       |
| أنبا أنطونيوس                               | مشلا        |
| أنبا إنيان                                  | أوسيم       |
| أنبا اسطفانوس وأنبا إبرآم العمودان المضيئان | منوف العليا |
| أنبا امروسه الناسك، وأنبا إيساك             | طنومن       |
| أنبا ديمتريوس، وأنبا تادرس الصديقان         | طيبة        |
| أنبا بطرس                                   | منيرة       |
| أنبا بولس                                   | بنها        |
| أنبا إيسيدوروس، وأنبا سراييون               | مشتول       |
| أنبا أنومان، وأنبا بولس                     | أتريب       |
| أنبا إيسيدوروس، وأنبا بركس النساك           | شلما        |
| أنبا أماته                                  | بنا         |
| أنبا ترفاؤس                                 | دمشق        |
| أنبا أغاثون، وأنبا سراييون الناسكان         | البرمون     |
| أنبا يؤنس، وأنبا موسى الأخلاء               | منجوج       |
| أنبا بيماخوس                                | دمشق        |

<sup>٢١٥</sup> القديسة إيلارية بنت الملك زينون، مرجع سابق، ص ٤٧.

|                                   |         |
|-----------------------------------|---------|
| أنا إيساك                         | النشبة  |
| أنا هركيلا، وأنا نوفر الأخوان     | دروي    |
| أنا أركياس                        | مليط    |
| أنا بطره                          | بشتيمة  |
| أنا موسى                          | دجوى    |
| أنا سلمون                         | فوه     |
| أنا إيسيدوروس، وأنا يؤنس الأخوان  | البهنسا |
| أنا دانيال                        | جنابرة  |
| أنا مردايوس                       | أقفاص   |
| أنا بطرس                          | أشمون   |
| أنا أنطونيوس                      | أنصنا   |
| أنا برقس                          | شبرا    |
| أنا ييماخوس                       | بنا     |
| أنا بشاى                          | شطانوف  |
| أنا ييجيمه                        | تبليية  |
| أنا ملخه، وأنا إيسيدوروس الجليلان | برجين   |
| أنا يعقوب                         | طوموه   |
| أنا تادرس                         | غلقام   |
| أنا يؤنس                          | تمى شرق |

اسم رسول الملك مرتينوس، واسم ابنه زيوس من القسطنطينية.



وُلد هذا القديس حوالي سنة ٥٩٧ م بوعده إلهي لوالده التقى القس سيلاس، وذلك في بلدة دكلويا بالقرب من مليج النصرى مركز شبين الكوم. كان والده القس سيلاس وقسميانه أمه أغنياء من نعمة الروح القدس، وغنى هذا العالم فاهتما بتربيته تربية مسيحية، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره كان يمارس أصوام الكنيسة بنسك شديد. وقيل أنه وهو في هذه السن المبكرة كان يصوم إلى الغروب، كما كان مواظبًا على الصلاة وملازمًا للكنيسة فرُسِمَ أغنسطسًا (قارئًا). ولما كبر أراد والداه أن يزوجه لكنه أبى وصارحهما بأنه يريد أن يكون راهبًا. وكانا إذا أكثرا عليه الكلام بخصوص الزواج ييكي ويقول لهما: ”إذا أوجعتم قلبي بهذا الكلام فسأمضي إلى البرية ولا ترونني“. فلزما الصمت، وقالت أمه الطوباوية قسميانه: ”إننا نفرح إذ يجعلنا الله مستحقين أن يكون لنا عُرس مبارك في أورشليم السمائية“.

### ملاك الرب يطمأن الكاهن سيلاس

ظهر ملاك الرب للكاهن سيلاس وأعلمه أن الرب عينٌ ابنه ليكون إناءً مختارًا له وسيكون له أبناء رهبان كثيرين، وسوف يقبل آلامًا كثيرة على اسم الرب وسيدوم ذكره إلى نهاية الدهور وأن أيامه (سيلاس القس) أوشكت على الانتهاء، فاطمأن قلب سيلاس من جهة صموئيل ابنه وبني له كنيسة فخمة وزينها ظنًا منه أنه سوف يتكرس للرب في تلك الكنيسة، وفي يوم تكريسها سيَمَّ صموئيل أرشيدياكون عليها، تتيح القس سيلاس بعدها وكان عمر صموئيل ابنه وقتها ٢٢ سنة، وتيحت أمه قسميانه بعده بنحو أربعة أعوام.

<sup>٢١٦</sup> القس صموئيل وهبة، معترف جري، كنيسة القديسين الإسكندرية، الإسكندرية، بدون بيانات إدارية.

بعد نياحة والديه قصد بركة شيهيت حوالي عام ٦١٩م، وتوسّل إلى الله أن يرشده إلى أين يذهب، فأرشده بملاكٍ إلى دير القديس مقاريوس، حيث تتلمذ على أب ناسك قديس يُدعى أغاثون العمودي<sup>٢١٧</sup> الذي رهبته وألبسه الإسكيم الرهباني كما أوصاه الملاك أن يقبله دون مراجعة.

<sup>٢١٧</sup> القديس أغاثون العمودي. كان من مدينة تنيس. واسم أبيه مطرا وأمه مريم. وكانا قديسين خائفين الله محبين للصدقات والرحمة على المساكين. وكان فكر الرهبة يراوده كل حين. ولما صار له خمس وثلاثون سنة قدم قسا. فلامز البيعة المقدسة. وكان يسأل السيد المسيح في الليل والنهار ان يسهل له الخروج من هذا العالم ويمضى إلى البرية، فأجاب المسيح طلبته وخرج من المدينة وأتى إلى ترنوط (أي الطرانة وقيل مريوط) ومن هناك إلى البرية، فظهر له ملاك الرب في زي راهب، وسار معه إلى ان أوصله إلى دير القديس أبو مقار. فأتى إلى الشيوخ القديسين أبرام وجورجه، وتلمذ لهما، وأقام عندهما ثلاث سنوات، وبعدها أوقفوه أمام المذبح بحضور الإيغومانس أنبا يوانس. ومكثوا ثلاثة أيام يصلون على ثياب الرهبة. ثم ألبسوه الإسكيم. ومن تلك الساعة أجهد نفسه بعبادات كثيرة، وأصوام دائمة وصلوات متصلة، والنوم على الأرض حتى لصق جلده بعظمه. وكان مداوما على القراءة في سيرة سمعان العمودي، فخطر بباله فكر الوحدة. واستشار الآباء في ذلك، فاستصوبوا رأيهم فصولا من أجله وخرج حتى بلغ نواحي سخا (التي كانت تبعد مديرية الغربية وحاليا تبعد محافظة كفر الشيخ) وأقام في كنيسة صغيرة. وبنى له المؤمنون مسكنا على عمود فصعد عليه، وقد ظهر في أيامه إنسان به شيطان عنيد يضل الناس كثيرا. وكان يجلس في وسط الكنيسة وحوله الشعب الذي يسمع منه ومعهم أغصان الشجر. فأرسل القديس واستحضره وصلى عليه. وأخرج منه الشيطان الذي كان يضل به الناس. وادعت امرأة أن أبا مينا يكلمها، وكلفت أهل بلدها ان يخفروا بئرا على اسم أبي مينا، ليبرأ كل من يستحم فيها من مرضه، فلم يزل القديس يصلى على المرأة إلى ان خرج منها الروح النجس. وأمر أهل البلد ان يردموها البئر. وظهر شخص آخر كان يأخذ المجانين ويضربهم فتسكت عنهم الشياطين وقتا يسيرا. فيظن الناس أنه أخرج الشياطين. فالتفت حوله جماعة من المجانين. فأرسل إليه الأب يدعوه إليه فلم يحضر ولم يرجع عن طغيانه حتى مر عليه الوالي فشتمه أولئك المجانين فأخذوه الوالي وعذبوه كثيرا حتى مات. وأجرى الله على يدي هذا القديس كثيرا من معجزات شفاء المرضى وإخراج الشياطين. وظهرت له الشياطين في زي ملائكة. يرتلون ترتيلا حسنا ويعطونه الطوبى. فعرف بقوة السيد المسيح مكرهم، وصلب عليهم فانصرفوا مهزومين. ولما أراد الرب نياحته من أعقاب هذا العالم، مرض قليلا وأسلم روحه بيد الرب. واجتمعت حوله الشعوب الذين كانوا ينتفعون من مواظله وتعاليمه وبكوه كثيرا. وعاش هذا الأب مائة سنة. أقام منها في العالم أربعين سنة، وفي البرية عشر سنوات. وفي الوحدة خمسون سنة. صلواته تحررنا من جميع أعدائنا آمين.

كان يقتفي أثر معلمه الروحاني، فكان يصوم ولا يأكل إلا مرتين في الأسبوع، وكان لا يأكل خبزًا مدة الصوم الكبير بل يقتات بالعشب الأخضر. وكان حارًا في صلواته مداومًا على القراءة في الأسفار الإلهية وسير الآباء القديسين. وكل من كان يراه كان يتعزّى من منظره. وبعد أن أقام عند أبيه الروحي الأنبا أغاثون ثلاث سنوات كان آخر ثلاثة أشهر منها قد مرض أنبا أغاثون لازمه فيها صموئيل تنيَّح بعدها الأب الشيخ، فانفرد صموئيل متوحدًا وزاد في جهاده، فزكوه لرسامته قسًا على كنيسة القديس أنبا مقار الكبير بالإسقيط حتى ذاع صيت الراهب صموئيل القس وأعطاه الرب مواهب شفاء حتى قصده أسقف القيس "المنيا" لينال الشفاء من مرض أصابه.

### أبينا أنبا صموئيل الليث العظيم الذي خزق طومس لاون<sup>٢١٨</sup>

وفي زمان حكم كيرس (المقوقس)<sup>٢١٩</sup> الحاكم والبطريك الملكاني على مصر، وفي حبرية البابا بنيامين الثامن والثلاثين جددوا اضطهاد الأقباط، وحاولت الدولة الرومانية البيزنطية بكل وسائلها إخضاعهم لقبول طومس لاون بابا روما وقرارات مجمع خلقيدونية (٤٥١م). وصل رسول من عند المقوقس إلى دير أبي مقار اسمه "ماكسيميانوس أنريانوس" ومعه طومس لاون المذكور وقرأه على مسامع شيوخ الدير ثم سألهم: "أتؤمنون بهذا الإيمان المكتوب الذي قرأته عليكم؟" أما الرهبان فلزموا الصمت. اغتاظ رسول المقوقس وصاح في الرهبان: "أما تتكلمون بشيء أيها الرهبان الغصاة؟" عندئذ أخذت غيرة الرب الأنبا صموئيل وأمسك بالطومس وقال للرهبان: "يا آبائي لا تخافوا ولا تقبلوا هذا الطومس. محروم مجمع خلقيدونية ومحروم لاون المخالف، ومحروم كل من يؤمن بإيمانه" ثم مزق الطومس ولعن كل من يغيّر الإيمان المستقيم وكان عمره وقتها ٣٤ سنة<sup>٢٢٠</sup>.

<sup>٢١٨</sup> دفنار ٨ كيهك.

<sup>٢١٩</sup> كما يطلق عليه المؤرخون العرب.

<sup>٢٢٠</sup> الرهبة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٤٣٤.

غضب رسول كيرس (المقوقس) الذي كان من رجال الحكومة وأمر أتباعه أن يعذبوه ويضربوه، فضربوه ضربًا مبرحًا بالسياط حتى أصابت إحدى عينيه فقلعت، وكانت الدماء تسيل منه بغزارة، وحينئذ قال له القائد: ”اعلم أن فقأ عينيك هو الذي يُحاك من الموت. وأنا مكتفٍ بذلك“. ثم طرده من الدير فأتاه ملاك وعزّاه وأمره بالذهاب إلى إقليم الفيوم ليقيم في الجبل المسّى القلمون جنوبي إقليم الفيوم وأنه سينال هناك إكليل آخر وسوف يكون له إكليل ثالث في بلادٍ بعيدة، وبالفعل مضى وسكن هناك جهة الفيوم ”جبل النقلون“ وكان معه من تلاميذه أنبا يعقوب، وأنبا اسطفانوس، وأنبا سلمون، وأنبا سلوانس.

### كيرس (المقوقس) في جبل النقلون بالفيوم

زحف كيرس الخلقيدوني إلى إقليم الفيوم ينادي بقرارات مجمع خلقيدونية، وحين وصل علم إلى أنبا صموئيل بقدومه اجتمع بما يقرب من ألف راهب يشرح لهم إيمان مجمع نيقية ويثبتهم على الإيمان الأرثوذكسي المستقيم، كما نصّحهم بالاختفاء في المغائر وحين وصل كيرس الخلقيدوني لم يجد سوى الأب المسؤول عن البوابة فقط فعذبه عذابًا شديدًا حتى ذكر له ما حدث، وبذهاب كيرس وجنوده اطمأن الآباء الرهبان وعادوا إلى الدير مرة أخرى لكنها كانت خدعة من الجنود فسرعان ما هجموا على الدير وقبضوا على الرهبان وعذبوهم وكتبوا أنبا صموئيل وطرده خارج الدير فأمره ملاك الرب أن يذهب مع تلاميذه إلى جبل ”دغناش“ بالقرب من جبل القلمون.

أرسل ملاكه وهداك بسلام إلى جبل<sup>٢٢١</sup> القلمون<sup>٢٢٢</sup>

ظهر له الرب وقال له: ”أخرج إلى الموضع الذي أريك إياه“ أطاع القديس أنبا صموئيل الصوت الإلهي تاركًا تلاميذه ووعدهم أن يعود لهم في أسبوع البصخة المقدسة، ظل القديس أنبا صموئيل في مسيره للبرية حتى بلغ واديًا به الكثير من النخيل وكنيسة صغيرة غطتها الرمال، فأدخله ملاك إلى الكنيسة

<sup>٢٢١</sup> دفنار ٨ كهك.

<sup>٢٢٢</sup> أنظر موقع دير أنبا صموئيل المعترف على الخريطة رقم (٣) ملزمة الصور والخرائط.



وكان يهتم أنبا صموئيل بتنظيفها، لكن عدو الخير حسده على صبره وجهاده حتى ظهر له علانية وحين رفع القديس يديه بالصلاة اختفى عنه الشيطان.

## البربر في جبل القلمون

كانت القبائل البربرية على الحدود المتاخمة للصحاري ما بين مصر وليبيا تشن هجمات بين الحين والآخر لأعمال السلب والنهب، ولما هجم بعضُ منهم على منطقة سُكنى القديس أنبا صموئيل طمأنه الرب أن يدخل الكنيسة ولن يسمح لهم برؤيته، وفيما هو جالس بالكنيسة أكلته الغيرة المقدسة على مذبح الله المقدس وكنيسته لأن البربر دنسوه بأفعالهم وتناولوا على الأواني المقدسة فصاح بهم وانتهرهم فانتبهوا له فضربوه وعذبوه حتى صار على حافة الموت ثم أوثقوه وجروه من قدميه ليحملوه على جمل ويبيعوه كعبد في بلادهم.

## حديث بين أنبا صموئيل والجمال!!<sup>٢٢٣</sup>

وحين هم البربر في السير لبلادهم كان أنبا صموئيل فوق ظهر الجمل، وإذا ملاك الرب لكرها فرفعت رأسها إلى فوق وقال له بصوت إنسان: ”أيها القديس ما بالك تبكي وأنت متوجع القلب“ فتعجب القديس وقال لها: ”قد تعبت من هذا الحال“ فأجابته: ”كل هذا لأنك تكلمت ولم تصمت كأمر الرب“ وحين بكى القديس أمسك ملاك بقدمي الناقة فلم تستطع المسير وظل البربري يضربها بقسوة وهي لا تقدر على المسير وكانت في حالة هياج شديد، فأنزلوه من عليها فجرت الناقة بسرعة ولحقت بالقافلة فأركبوه على غيرها ففعلت كالأولى وأخيرًا القوه من عليها وتركوه يلاقي مصيره ويموت من البرد والجوع والعطش في تلك الصحراء القفرة.

---

<sup>٢٢٣</sup> ليس عجيبًا أن يتكلم الحيوان لينبه الإنسان عن أمر ما بل يخرنا الكتاب المقدس عن حمارة بلعام: «فتتح الرب فم الاتان فقالت لبلعام ماذا صنعت بك حتى ضربني الان ثلاث دفعات» (عدد ٢٢: ٢٨).

## العدو الشرير نبه البربر اليك فأخذوك معهم مسيياً<sup>٢٢٤</sup>

تعرّض القديس لتجربة مُرّة سُبِي مرة أخرى بواسطة البربر وفي المرة الثانية قدموه لرئيس كورتهم ويدعى زكردش، حيث التقى بالقديس يؤنس قمص شيهيت الذي كان أسيراً هناك لثلاث سنوات. وكان هؤلاء البربر يعبدون الشمس، ولأن أنبا يؤنس كان قد سبق أنبا صموئيل في الأسر بمدة أربع سنوات، فقد نصحه قائلاً: "كُن في غاية التشدّد، واحترس يا أخي لئلاّ يكلّفك هؤلاء بالسجود للشمس، فكُن قوي القلب ولا توافقهم، فقد ضربوني ضرباً مبرّحاً لأجل هذا الأمر، وهذه هي عادتهم: إذا رأوا الشمس تُشرق يتجهون إلى الشرق ويسجدون للشمس قائلين: "حسناً هو قدومك يا سيدنا الشمس، لأنك أضأت علينا من ظلمة الليل". وقبيل غروبها يتجهون إلى الغرب ويسجدون لها قائلين: "يا سيدنا الشمس، أتمضي وتتركنا في ظلمة الليل؟ أسرع واطلع وأضئ علينا" وقال له إنه نالته آلام كثيرة بسبب محاولة إخضاعه لعبادتهم، وكانا يعزيان بعضهما بكلام الله وهما في الأسر<sup>٢٢٥</sup>.

وحين طلب الرئيس البربري زكردش من أنبا صموئيل أن يسجد للشمس حال شروقها رفض وقال: "أنها من مخلوقات الله"، فغضب عليه وضربه ضرباً مبرّحاً، ثم أوثقه في إسطبل للجمال وتركه مقيداً لمدة خمسة أيام بدون طعام أو شراب، بعدها أطلقه سيده ليرعى جماله في الحقل. وكان يتعزّى برفقة الأنبا يؤنس القمص.

### محاولة إلزامه بالزواج

حسده الشيطان ودبّر له تجربة جديدة، فتكلم في قلب زكردش أن يطلب إلى أنبا صموئيل الزواج بإحدى جواريه لينجب منها عبيداً، ولما عرض عليه أمر الزواج قال له: "إني مستعد أن أقبل كل شيء تصنعه بي إن كان نازلاً أو سيقاً، فأفضل لي أن أموت ولا أدنّس إسكيمي وأصير غريباً عن ملكوت الله". فقال

<sup>٢٢٤</sup> دفنار ٨ كيهك.

<sup>٢٢٥</sup> القديس أنبا يؤنس كبير قسوس شيهيت، مرجع سابق، ص ٩: ١٢.

له زكردش: ”لقد جلبت لنفسك عذاب الموت، ولست أعذبك في بيتي لكي تموت سريعاً، بل أربطك في شجرة السنط وأتركك بلا طعام أو شراب حتى تقبل الزواج من الجارية“.

نقذ ذلك السيد وعيده وربط القديس في شجرة السنط، وتركه مدة بدون طعام أو شراب محتملاً حر النهار وبرد الليل ومع ذلك لم يَلن عزمه. دبّر الشيطان له تجربة أخرى فتكلّم في قلب ذلك السيد الشرير أن يقيّده بقيد حديدي مع الجارية التي اختارها. وبالفعل وضعوا قيداً حديدياً في رجل القديس اليمنى ورجل الجارية اليسرى، وأرسلهما على الحال ليرعيا الجمال في الحقل. وهكذا كانا يسيران معاً ويرقدان معاً لا يبرح القيد رجليهما، وفي كل ذلك كان الأنبا صموئيل يزداد قوة وشجاعة.

### إنقاذه من التجربة بموهبة شفاء الأمراض

كان القديس يتوسل إلى الله بدموع لكي ينقذه من هذه التجربة المرة، والرب دبّر إنقاذه بأن أعطاه موهبة شفاء الأمراض، فقد أقام مقعداً عمره ١٨ سنة وشفى طفلاً كانت أصابعه ملتصقة وأبكم، وشفى الجارية التي كانت مقيدة معه من مرض الجذام الذي أصابها فتقدمت للقديس باكية وذلك بكلمة واحدة قالها: ”ربي يسوع المسيح يشفيك من مرضك“ ثم سكب عليها ماء مُصلى فشُفيت في الحال، كما شفى امرأة رئيس هؤلاء البربر الذي كان جسمها مضروباً كله بالقروح فكانوا يضعونها في الشمس (إلههم) فزادت القروح فطلبت من صموئيل أن يشفيها ويصنع معها معجزة كما فعل مع كثيرين فصلّى لها وشُفيت، بعد أن عاين سيده كل هذه المعجزات خاصة مع زوجته صرخ قائلاً: ”واحد هو إلهك وليس إله سواه“ وأعلن الجميع إيمانه بالرب يسوع المسيح إلهاً وقبلوا المعمودية<sup>٢٢٦</sup> وعتقوا القديس من العبودية ولم يكن قد رزقوا بنسل فأعطاهم الله ولدًا بصلاة أنبا صموئيل المعترف، وطلب إليه أن يسامحه في كل شر وأراد أن يكافئه فطلب منه العودة إلى ديره.

<sup>٢٢٦</sup> «لا يرتد حو غضب الرب حتى يفعل و حتى يقيم مقاصد قلبه في آخر الأيام تفهمونها» (ار ٣٠: ٢٤).

## بصرك إلى التمام صار فرح وبهجة في كورة مصر<sup>٢٢٧</sup>

فكّ رئيس هؤلاء البربر أسره وأرسل معه من أوصلوه إلى دير، وكان مسيرة سبعة عشر يومًا، وفي الدير دخل الكنيسة وقدم الشكر لله. تراءت له السيدة العذراء في الكنيسة وشجّعته وكان بيدها قبضة من ذهب حددت بها محل لكنيسة ستبنى على اسمها وقالت: ”هذا مسكني أحل فيه مع صموئيل ابني لأنني أحببته من أجل طهارته وعفته“، وكان معها أشخاص نورانيون الذين سألوها إن كان البربر يقدون إلى هذا الموضع ثانية فقالت لهم: ”لا يكون هذا بعد الآن من أجل الشدائد التي تحمّلها صموئيل الناسك بالحقيقة، فإن ابني الحبيب يحفظه ويثبته“، فرح أنبا صموئيل بالرؤيا وأخذ يستصلح المكان، وازداد عدد رهبان الدير حتى بلغوا الألف راهب، وكان بالدير اثنتا عشرة كنيسة. وتوحد أنبا صموئيل في مغارة شرق الدير (موجودة حتى الآن) وبني كنيسة في المكان الذي حددته السيدة العذراء وكان ذلك نحو ٦٠٣ م.

### أنبا صموئيل يقيم ميتًا

أرسل أنبا صموئيل في طلب أحد الرهبان اسمه الأب اندراوس وقال للإخوة قولوا له: ”إن أبليك صموئيل لا يريدك أن تتنح خارج الدير“ وكان عند وصول الرهبان أن تنيح الأب اندراوس ولكنهم قالوا له كما أوصاهم أنبا صموئيل فقام وعاد للدير وتنح في الدير.

### نياحته

تعرض أنبا صموئيل لتجارب كثيرة من الشيطان ظلت تحاربه حتى المنتهى، وبعد ٩٨ عامًا هي عمر ذلك القديس المجاهد المعترف، أعلمه ملاك الرب بانتقاله وبعد ثمانية أيام من الرؤيا قضاها في فراش المرض مصابًا بحمى شديدة انتقل في اليوم الثامن من شهر كيهك المبارك من عام ٦٩٦ م، وعندما نقلوه

<sup>٢٢٧</sup> دفتار ٨ كيهك.

للكنيسة للصلاة واجتمع الإخوة كان أحدهم كفيًا ويعمل مرتل الكنيسة أخذ يد القديس ووضعها على عينيه فأبصر.

### ملحوظة

توجد ما يسمى بنبوة الأنبا صموئيل المعترف وسألني كثيرون عن تلك النبوة، وقد قرأت نص المخطوطة<sup>٢٢٨</sup> ووجدت فيه بعض النبوات عن دخول العرب مصر، وانتشار لغة أخرى غير اللغة القبطية (العربية) ووضع حرمانات على من يتكلم بها ويترك اللغة القبطية، ومن الطريف أن المخطوطة باللغة العربية!! كما أنها ليست الفريدة من هذا النوع بل توجد نبوات أخرى في هذا الصدد لقديسين مثل أنبا بستاؤس أسقف فقط في منتصف القرن السادس.

---

<sup>٢٢٨</sup> سير ٣٢ - دير أنبا مقار - نبوة صموئيل المعترف.



## القديس بشنونه المقاري

سيرة القديس بشنونة أو (شنوفا) وهي من أصل كلمة "ϣενηνοϣι" وتعني "بشارة"، ويذكر السنكسار القبطي سيرته في اقتضاب شديد، كما هو الغالب في سير شهداء وقديسي العصر العربي على الأخص، وهذا ما ذكره السنكسار عنه [وفي سنة ٨٨٠ للشهداء (١٩ مايو ١١٦٤ م) استشهد القديس بشنونه وكان راهبا بدير أبو مقار بالبرية ولما كانت الثورة قائمة في البلاد بين رجال الأمير ضرغام ورجال الوزير شاور في خلافة العاضد الفاطمي (أواخر القرن الثاني عشر) قُبض على هذا الراهب وعُرض عليه ترك دينه فرفض بكل إباء وثبات فأحرقوا جسده ونال إكليل الشهادة على أيديهم فأخذ المؤمنون ما وجدوه من عظامه وحملوها إلى كنيسة أبي سرجه بمصر القديمة بقصر الشمع ودُفِن بها. صلاته تكون معنا ولربنا الحمد دائماً. آمين].

كان استشهاد القديس بشنونة في ٢٤ من شهر بشنس وهو الموافق لدخول السيد المسيح أرض مصر، ولا نستطيع التعرف على أية معلومات عنه أكثر من التي وردت بالسنكسار، إلا أنه بالعودة إلى تاريخ دير القديس أنبا مقار الكبير في القرن الثاني عشر وهو نفس القرن الذي استشهد فيه القديس يمكننا التعرف على ملامح الحياة ونمط التفكير عند رهبان دير أنبا مقار خلال هذه الفترة الزمنية. وإن كان من الممكن أن نُقدّر عمر القديس بمتوسط رجل في الأربعين من عمره فإنه يكون قد عاصر البابا غبريال الثاني الذي تنيح في ١١٤٥م، وعاصر اختيار البابا ميخائيل الدنشري (٧١)، ونُشير هنا إلى مواقف رهبان دير القديس أنبا مقار - وكان بلا شك من ضمنهم القديس بشنونه المقاري - ففي عهد البابا غبريال بن تريك دار جدل حول الاعتراف الأخير حيث يقول الكاهن [أؤمن وأعترف أن هذا هو جسد الهنا ومخلصنا يسوع المسيح، أخذه من سيدتنا وملكتنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وجعله واحداً مع لاهوته] لكن بعض رهبان دير القديس أنبا مقار اعترضوا على تعبير [واحداً مع لاهوته] باعتباره تعبيراً جديداً أضيف لم يتعودوا على سماعه، ودافع البابا غبريال بن

تريك بأنَّ ما يقوله هو ما تسلَّمه من الأساقفة حين تسلَّم القُداس. واتفق الحال على إضافة جملة أخرى وهي: [بغير احتلاط ولا امتزاج ولا تغيير].  
ومما ينسب لرهبان دير أنبا مقار في ذلك القرن (الثاني عشر) تنظيم كتاب دلال أسبوع الآلام في عهد البابا غبريال بن تريك لاهتمامه بالأمور الطقسية، كما تم نقل جسد البابا مكاريوس الثاني ليُدفن في دير أنبا مقار.  
وحدث أنَّ الأمير شاور وضرغام في صراعهم تعدوا على المسيحيين الأقباط والأرمن والنوبيين بل وتم حرق كنيسة للأرمن في الزهري؛ وفي ذلك الوقت قبضوا على الراهب بشنونه المقاري وقتلوه فأخذ المؤمنون جسده ودفنوه تحت الإمبل في كنيسة القديس سرجيوس (أبي سرجه) بمصر القديمة.

### ذكر راهب شهيد من دير أنبا مقار

وإن كان الراهب بحد ذاته كإنسان مات عن العالم طوعًا فهو شهيد باختياره سرًّا، إلا أنَّ شهادة الأب القديس الطاهر أنبا شنوفا الراهب بدير أنبا مقار قد تَمَّت علنًا وتحت تهديد الحرق بالنار. وهذا الاستشهاد يعتبر سفرًا نفسيًا لأعمال الدير لا يقل أثره عن بناء كنيسة. أمَّا مكان استشهاد هذا الشهيد ففي القاهرة أثناء عودته إلى الدير. أما مكانة هذا الشهيد فلو أنصف التاريخ لجعله مع التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ شيهات المكرَّمين (القمص متى المسكين)<sup>٢٢٩</sup>.

### كيفية اكتشاف جسد القديس

أثناء عمليات الترميم بالكنيسة اكتشف العمال وجود بعض العظام مدفونة أسفل الإمبل محاطة بالطوب لحفظها وبالرغم من أن المياه الجوفية كانت كثيرة في أرضية الكنيسة إلا أنَّ العظام ظلت محفوظة وتم استخراجها في ٢٥ إبريل لسنة ١٩٩١م الموافق ١٧ برمودة ١٧٠٧ش، وتم وضع العظام في أنبوبة خشبية ووضع عليها الأطياب وحفظت بالكنيسة في عهد قداسة البابا شنودة الثالث

<sup>٢٢٩</sup> الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٤٨٠



البطريك (١١٧) ونيافة أنبا متاؤس أسقف دير السريان، والأسقف العام لمنطقة مصر القديمة في ذلك الوقت.<sup>٢٣٠</sup>

---

<sup>٢٣٠</sup> أنبا يوحنا الأسقف العام لكنائس مصر القديمة، القديس بشنونة راهب وشهيد، الناشر الكنيسة المعلقة مصر القديمة، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ص ٧: ٩.



## **الباب الرابع**

### **العذارى المترهبات**



## مقدمة عن رهبنة العذارى منذ القرون الأولى للمسيحية

يتحدث القديس كيريانوس (٢٠٠ - ٢٥٨ م) إلى العذارى قائلاً: [لقد لُتُن وأنثُن في هذا العالم بمجد القيامة. فإنكن تُحْزَن في العالم دون أن يصيبكن أي أذى لأنكن حافظتن على حياة العفة والبتولية التي تعادل حياة ملائكة الله، بل تتفوق أيضاً عليها لأننا بالجهد في الجسد نقتني النصر والغلبة على طبيعة لا تتواجد لدى الملائكة.. فحياة البتولية هي الانتصار على اللذات واستمرارية الحياة الطفولة]<sup>٢٣١</sup>.

### التجمعات الأولى للعذارى

كانت البذرة الأولى لتجمعات العذارى هي القديسة مريم العذراء حيث التفوا حولها حتى وقت نياحتها واستحققن أن يطلق عليهن "عذارى جبل الزيتون"<sup>٢٣٢</sup> وفي مديح للعذراء فخر وأم البتولين يقول القديس نيلوس السينائي (٣٩٠ - ٤٣٠ م): [إن القديسة العذراء مريم والدة الإله هي المربية والمرضعة الأمانة للعذارى فهي التي تزين نفوس القديسين لعريسهم السماوي فهي ماهرة وعلى دراية تامة بفن الغزل والنسيج: فهي تعلم جيداً كيف تصنع من صوف الحمل المولود منها ملابس غير قابلة للفساد لتكسو بها المؤمنين]. وأول من أسس أديرة للراهبات بالشكل المعروف لنا اليوم هو القديس أنبا باخوميوس أب الشركة ومن المعروف عنه أنه كان يربي الدير مع السور الخاص به.<sup>٢٣٣</sup> وعلى الرغم من نشأة رهبنة العذارى سواء اللواتي ترهبين في بيوتهن أو من سكن في بيوت أو أديرة للعذارى إلا أنه هناك منهن من كانت لها خبرة في أن تسكن البراري والمغائر والجبال محبة في الملك المسيح ونرى منهن المتوحדות

<sup>٢٣١</sup> أقوال الآباء عن: دير الشهيد أبي سيقين للراهبات، العذراء مريم وتاريخ أجيال العذارى، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.

<sup>٢٣٢</sup> René Basset, *Le synaxaire A.J.*, 21 Toubeh. P. 587.

<sup>٢٣٣</sup> يوسف حبيب، الراهبات وأديرتهم، ١٩٦٨ م، ص ٢٤.

والسائحات مثل القديسة مريم المصرية، والقديسة أناسيمون وأخريات لا حصر  
لهن لم تقف أمامهن طبيعتهن الضعيفة عائقاً في سُكنى مناطق قفرة موحشة  
وأمامنا هنا أمثلة عن قديسات لم يتركن الغنى والرفاهية وحياة القصور ليتربعن  
وحسب، بل اخترن لأنفسهن أن يحيا في شظف العيش وفقر وحياة لا يقدر  
الرجال أحياناً أن يحوها.

### القديسة إيلارية الراهبة<sup>٢٣٤</sup>

#### نسب القديسة إيلارية<sup>٢٣٥</sup>

حسب نسب القديسة إيلارية كُنت للملك زينون فهي تكون حفيدة  
للإمبراطور ليو الأول (٤٥٧ - ٤٧٤م)<sup>٢٣٦</sup> الذي كان من ضباط الجيش  
الأقوياء الذي زوّج ابنته "أريادين" من زينون زعيم قبائل الأيسوريين في آسيا  
الصغرى بهدف ضرب القوط الشرقيين وزعيمهم أسبار الذين كانوا يسيطرون  
على دفة الحكم في بيزنطة وأنجبت أريادين ابناً من زينون هو ليو الثاني، وأعلن  
الإمبراطور ليو الأول أن ليو حفيده من ابنته أريادين شريكاً ووريثاً له في العرش  
وبعد وفاة الإمبراطور ليو الأول تولى ليو الثاني حكم الإمبراطورية وهو في  
السادسة من عمره، ولكنه مات بعد أشهر قليلة من توليه الحكم ولعلها أول مرة  
في التاريخ يُصبح الأب هو وريث ابنه في العرش.

تولى أبيها الإمبراطور زينون العرش عام ٤٧٤م بعد وفاة الإمبراطور ليو الثاني  
وكان يشرك أخاه لونجينوس معه في الحكم بهدف أن يرث الحكم من بعده  
ولكن زوجته رفضت ذلك، وفي عهده استطاع صد الغزاة الجرمان، واستطاع أن

<sup>٢٣٤</sup> مرجع السيرة: القمص أرمانوس حبشي البرماوي، القديسة إيلارية، مكتبة الحبة، مطبعة الأمانة بدون سنة النشر، من ص

١٤: ٣٤.

<sup>٢٣٥</sup> د/ عمر يحيى محمد (رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة)، البيزنطيون والعرب، الناشر المجلس  
الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٨٠.

<sup>٢٣٦</sup> توج الإمبراطور ليو الأول (٤٥٧ - ٤٧٤م) على العرش وتوج من بطريك القسطنطينية، لا من الجيش ولا من السناتو ولا  
من الشعب، وقد أضاف هذا التتويج قوة لكنيسة البيزنطية.

يعقد سلاماً مع قبائل "الفاندال" <sup>٢٣٧</sup> القاطنة في شمال أفريقيا، ثم تمكن القائد باسيليكوس من عزل الإمبراطور زينون وتولى مكانه ولكن زينون استطاع أن يكون جيشاً كبيراً وحارب باسيليكوس واسترد عرشه في سبتمبر ٤٧٦م، وأصدر بعد ذلك مرسوم الهينوتيكون "Henotikon" أي وثيقة الاتحاد بين الكنائس الخلقيدونية واللاخلقيدونية لكنه لم يحقق المراد منه لإعتبارات سياسية وبالأخص من كنيسة روما على وجه التحديد.

قيل أنها نشأت في الربع الأخير من القرن الخامس الميلادي، بكونها الابنة الكبرى للملك زينون <sup>٢٣٨</sup> (٤٧٤ - ٤٩١م) <sup>٢٣٩</sup>، وأختها الصغرى تدعى ثاؤبستا. نشأت في حياة تقوية تمارس نسكها الخفي وتدرس الكتاب المقدس، فمال قلبها للبتولية وتكريس حياتها للعبادة. في أحد الأيام إذ مضت إلى الكنيسة سمعت كلمات الرسول بولس: «بِالْإِيمَانِ مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَيْ أَنْ يُدْعَى ابْنُ ابْنَةٍ فِرْعَوْنَ، مُفَضَّلًا بِالْأُخْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقِيَّةٌ بِالْخَطِيئَةِ، حَاسِبًا عَارَ الْمَسِيحِ غَيَّيَ أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُجَازَاةِ». (عب ١١: ٢٤-٢٦)، فالتهب قلبها بالحنين إلى ترك القصر

<sup>237</sup> Zeno made a lasting peace with the Vandals in Africa. (The new encyclopedia Britannica, 15<sup>th</sup> Edition 1986, Vol. 12, sub voce.)

<sup>٢٣٨</sup> تعليق: يشك البعض أن تكون القديسة إيلارية هي بنت للملك زينون ويرون أنه لم يكن للملك ذرية من الأساس حتى تتم رهينة إحدى بناته علاوة على الأحداث والمواقف المشددة تجاه بعض بطارقة الإسكندرية والذين توعدتهم الإمبراطور ولاحقهم، وظلوا لسنوات متخفين من وجهه حتى عُزل الإمبراطور وفي بعض الأوقات تم الصلح. [غالبًا كان يعتبر الناس الذين لم ينحبوا ذكورًا ليس لهم ذرية تحمل اسمائهم فيعتبروهم لم ينحبوا، بل وحتى الآن ما زالت هناك هذه الأفكار في مجتمعنا المتمسك بمثل هذه العادات، أما عن رهينة إيلارية في مصر رغم الخلاف بين الإمبراطور أبيها والبطريرك السكندري وذلك لما كان لبرية شبيهت من شهرة في كل بقاع الأرض وما كان يُسمع عن قديسيها وفضائلهم ومعجزاتهم وحياتهم وسيرتهم العطرة التي خطفت القلوب والألباب فجذبت نفوس كثيرين من أكابر وعظماء من كل صوب وحذب أمثال "مكسيموس ودوماديوس، وأرسانيوس، وأنسطاسيا، وأناسيمون"، وآخرين تطن الأذان لسماع اسمائهم وسمو مكانتهم الرفيعة، وبلا شك تأثرت القديسة إيلارية بسيرة هؤلاء فحذت حذوهم.

<sup>٢٣٩</sup> أنبا يونس أسقف الغربية، مذكرات في تاريخ الكنيسة بعد مجمع خلقيدونية، الكلية الإكليريكية، ١٩٧٩م، ص ٤، د/ محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م، ص ٣٣.

لتمارس حياة العبادة الخفية. وبالفعل في اليوم التالي تزينت بزى سعاة الملك وشدت وسطها بمنطقة وانطلقت إلى البحر متجهة إلى الإسكندرية، وكانت قد بلغت الثانية عشر من عمرها. هناك تباركت من كنيسة القديس بطرس خاتم الشهداء وكنيسة مار مرقس الرسول ثم قالت لأحد الشماسة يسمى تادرس: ”يا سيدي الشماس. أنا رجل غريب أتيت من بلاد بعيدة بقصد زيارة برية شيهيت حيث دير القديس مقاريوس، وأنا أدفع لك أجرة تعبك“ فأجابها الشماس: ”أيها السيد الجليل، إن هذا اشتياقي منذ زمن زمن طويل، ولكن فكري المتواني أخبرني عن ذلك إلى الآن، ولعل هذا الأمر هو من الله، والآن نحن في يوم الأحد، فهلم بنا نأكل خبزاً، وغداً نذهب بمشيئة الله“. وفي الغد استأجرا دابتين وسافرا حتى وصلا إلى مريوط وتباركا من كنيسة وجسد الشهيد مارمينا بمريوط وفي الصباح قصدا جبل شيهيت.

### في دير القديس مقاريوس

دخلت إيلارية والشماس تادرس برية شيهيت وتقابل معهما القديس بامو<sup>٢٤٠</sup>، فسجدا بين يديه، وكان قد حان وقت الصلاة فدق ناقوس الدير، وبعد الصلاة تحدث معهما الأب بامو بما فيه منفعة وخلاص لنفسيهما فقالت له القديسة إيلارية أن يقبلها في الرهينة دون أن تكشف له عن أمرها، فأجابها قائلاً: ”أراك ابن نعمة، وقد اعتدت على عيشة الترف، وهذا الموضع صعب عليك لقلة العزاء الجسدي ولكن اذهب إلى دير الزجاج القريب من الإسكندرية لترهب هناك ففيه جماعة من الأغنياء قد ترهبوا به وهم هناك يجدون راحة نفوسهم وإن احتاجوا لشيء يجدونه بدون عناء، أما سكان هذه البرية فبعيدون عن هذا كله لا يرون إنساناً إلا في الأوقات التي يذهبون فيها إلى الريف لقضاء

<sup>٢٤٠</sup> عُرف قديسون كثيرون باسم بامو أو بامبو أو بامبونيوس أو بامويه أو بموا (أموي)، وأيضاً القديس بامو الناسك بالإسقيط في أيام الأنبا دانيال (٤٨٥ - ٥٧٠م) الذي استقبل القديسة إيلارية، وقد وُصفَ برجل البرية الداخلية، ربما حدث لبس بينه وبين أنبا بامو (اوائل القرن الرابع حتى ٣٧٣م) وهو تلميذ أنبا أمون مؤسس رهبنة نتريا.



حاجة الإخوة، ليس عندنا تسلية ولا راحة جسدية وملابسنا كما تراها حقيرة لا توافقك ولا قدرة لك على مآكلنا وعيشتنا الشظفة وأيام العبادة عندنا طويلة وربما يلحقك ضجر ومضايقة العدو“، فأجبتة إيلارية قائلة: ”إني حضرت لهذا الجبل المقدس بكل قلبي، وقد علمت هذا جميعه وأنا قاصد مراحم الرب أن يُعينني بصلواتكم، وإن كنت لا تقبلني فتكون أنت المجاوب عن نفسي في اليوم الأخير“. فتعجب أنبا بامو من فصاحة وحكمة الشاب الصغير (إيلارية) ثم أمر لهما بموضع لإقامتهما هي والشماس. فشكرته ثم قدمت له كل ما معها من أموال، فامتنع عن قبولها وقال لها: ”نحن هنا لا نحتاج إلى شيء مثل هذا، لأن الآباء الذين كانوا قبلنا أوصونا أن لا نأخذ شيئاً من إنسان والذي نتحصل عليه من عمل أيدينا هو يكفيننا“. وبعد خمسة أيام حين همّ تادرس الشماس لمغادرة البرية أعطته إيلارية قضيبها ومنطقتها الذهبية، وكل ما كان معها من المال ليضعه بين يدي الأب البطريك لينفقه على الفقراء والمحتاجين.

### الراهب إيلاري

اختبر الأب بامو القديسة إيلارية وإذ رأى مثابرتها وجهادها البسها الإسكيم وأعطاهما اسم ”الراهب إيلاري“، وأسكنها في قلاية قبلي الكنيسة قليلاً، وكان يفتقدها مرتين كل أسبوع يرشدها ويدربها على الحياة النسكية. ولكونه لا يعرف سوى اللغة القبطية فكان يستصحب معه راهباً قديساً اسمه تادرس يُجيد اليونانية، وخلال ثلاث سنوات أتقنت القبطية فكانت تتكلم مع أنبا بامو بدون مترجم، وبعد أن قضت سبع سنوات في الرهبة تعجب الرهبان منها بسبب رقة صوتها وعدم ظهور لحية فدعوها بـ ”الراهب الخصي“. وفي أحد الأيام أخبرها القديس بامو أن الله كشف أمرها بكونها ابنة الملك زينون وسألها أن تبقى هكذا لا تبح بأمرها لبشر قط لأنه لم يسبق وفعل أحد مثلها.

### مرض أختها ثاؤبستا

بعدما فقد الإمبراطور زينون (٤٧٤ - ٤٩١ م) الأمل في عودة ابنته إيلارية كانت ثاؤبستا هي ابنته الوحيدة التي تصبره على فراق إيلارية، لكنه اعترأها هي

الأخرى مرض عضال يأس الأطباء في علاجه، وقالوا أن بها روح نجس، فأشار المقربين من الإمبراطور عليه أن يرسلها إلى بركة القديس مقاريوس لأن بها رهباناً قديسين يصلون لأبتنك فيعطيه الله الشفاء، فانصاع الملك لمشورتهم وأمر بتجهيز اللازم لسفر الأميرة واستأمن اثنان من خواصه المخلصين لمرافقة الأميرة في الرحلة.

### إيلارية وثاؤبستا

لدى وصول الأميرة مدينة الإسكندرية استقبلها الوالي واصطحبها إلى بركة شيهيت، وتقابلوا مع أنبا بامو وسلموه خطاب الإمبراطور فدق ناقوس الدير وطلب من الآباء الشيوخ الصلاة من أجل ابنة الإمبراطور التي يصارعها روح نجس، كان من ضمن الحاضرين الراهب إيلاري الذي تعرف على الأميرة ولكن الأخيرة لم تعرف اختها لأن حياة النسك الشديد التي كانت تعيشها قد غيرت من ملامحها وانحل جسمها وظهرت عليها علامات الهرم، ولما رأت إيلارية اختها يعذبها الشيطان بكى عليها وانتجت الأمر الذي أثار دهشة الرهبان وتعجبهم من شفقة الراهب إيلاري، فطلبوا منه أن يأخذها عنده ويصلي عليها فرفض الراهب إيلاري ولكن تحت الحاح الوالي وطلب الأب بامو خضع وأخذها معه إلى قلايته وكانت إيلارية تقبل أختها وتنام معها على فراش واحد لعدة أيام إلى أن فارقتها الروح النجس وسلمتها بعد شفاءها إلى الآباء قائلة: ”يا آبائي ها هي الأميرة قد شفاها الرب بصلواتكم“. فمجدوا الله وشكروا الراهب إيلاري.

### في القسطنطينية

عادت الأميرة ثاؤبستا إلى القصر وهي في صحة تامة ففرح الإمبراطور زينون فرحاً عظيماً، وسأل ابنته عن رهبان بركة شيهيت، فذكرت له كل ما حدث لها وأخبرته عن الراهب إيلاري كيف كان يصلي من أجلها بدموع وسجود كثير ليلاً ونهاراً وأنه كان يعانقها ويرقد معها على فراش واحد. فتعجب الملك من هذا الصنيع وقال في نفسه: ”لم اسمع قط عن راهب قديس أنه يرقد مع امرأة أو يختلي بها منفرداً“.

## الراهب إيلاري في القسطنطينية

اراد الملك أن يتأكد من صحة ما قالته الأميرة ابنته فأرسل لأنبا بامو رسالة يشكره فيها على شفاء ابنته وطلب منه إرسال الراهب إيلاري كيما يبارك القصر الإمبراطوري. وحين أعلم أنبا بامو الراهب إيلاري بطلب الإمبراطور رفض أن يغادر الدير لكن الآباء ترجوه أن يذهب حتى لا يعضب الإمبراطور على الرهبان. فنزل الراهب إيلاري وأطاع الآباء وذهب لمدينة القسطنطينية واستقبلوه استقبالاً حافلاً، ثم وقف أمام الإمبراطور مرحباً به وحين جلسا منفردين سأله الإمبراطور كيف وهو راهب يقبل رأس وفم امرأة بل ويرقد معها على فراش واحد فهل هذا من أجل طمأننتها؟.

### إيلارية تكشف سرها

فكرت القديسة في كلام أبيها الإمبراطور ثم قالت لنفسها: "لو سكت وكتمت الحقيقة يلحق بالرهبان أذى بسبي وتسوء سمعة אחتي ووالدي فالأفضل أن أصارحه بالحقيقة". ثم قالت القديسة إيلارية للإمبراطور: "أريد منك أن تتعهد أمام الإنجيل أن لا تمنعني من العودة لديري بعد سماع حقيقة أمري"، فتعهد الإمبراطور بذلك أمام الإنجيل أن لا يمنع الراهب إيلاري من العودة لديره ففي الحال قالت له: "تأمل فيّ قليلاً أنا ابنتك إيلارية" فبكى الملك واضطرب القصر من المفاجأة ولم تصدق الإمبراطورة أن ابنتها عادت مرة أخرى وأمرت أن يغيروا ملابسها بما يليق بملابس الأميرات ولكنها رفضت كل ذلك مفضلة حياة الزهد والفقر والتقشف على ملابس الملك وقصور الأباطرة، أما الإمبراطور وزوجته فظلا صامتين لأنه كان قد تعهد أن يتركها تعود لديرها، وبعد ثلاثة أشهر من اقامتها طلبت من والديها أن يسمحا لها بالعودة لديرها وذكرهم بوعد أبيها الإمبراطور، وبنى الإمبراطور زينون حصناً بالدير في نهاية القرن الخامس تقريباً (٤٨٢م) تذكراً لأبنته إيلارية ليحتمي فيه الرهبان من غارات البربر، وقد أرسل مهندسين وبنائين على نفقته من القسطنطينية لإتمام هذا العمل [وأخبرت إيلارية أباه الملك أن في شيهيت متوحدين لا يجدون المأوى

ولا الماء للشرب، ويعيشون حياة مضيئة غاية التعب لبعدها عن منابع المياه، ولا يجدون قدرة على البناء، ولا المواد التي تلزم البناء متوفرة هناك، وترجحت أباها أن يرسل معها من يأتمنه لكي يحفر للآباء الآبار والمغائر... فأرسل الملك معها إنساناً مؤتمناً وزوده بالأموال اللازمة للإنفاق على عمارات الأديرة وإقامة الحصون فيها للنجاة<sup>٢٤١</sup>، وكتب الإمبراطور لوالي مصر أن يرسل لبرية القديس مقاريوس سنوياً ثلاثة آلاف أردب قمح وستمائة قسط زيت.

### نياحتها

بعد عودتها من القسطنطينية تقابلت مع أنبا بامو وأعلمته بكل ما جرى فأعطى الشكر والمجد لله، وحين علم الرهبان أنها ابنة الملك زينون تعجبوا من عظم محبتها في الملك المسيح، وكان والدها يرسل من خراج مصر ما تحتاجه الأديرة والرهبان، وبعد مرور خمس سنوات من عودتها وحين شعرت بقرب انتقالها من هذا العالم طلبت من أنبا بامو أن تدفن ولا يدع أحداً يرى جسدها وبعد أن أوصته رثمت وجهها بعلامة الصليب وتنيحت مكللة بأكاليل المجد والباقية عوض أكاليل الملك الفاني.

---

<sup>٢٤١</sup> عن نص مخطوط سرياني لسيرة القديسة إيلارية. "الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٤٠٩". إذا كان تاريخ تولي الإمبراطور زينون ٤٧٤م، وتاريخ استشهاد الـ ٤٩ شهيداً شيوخ شيهيت ٤٤٤م، فإذاً هل تاريخ بناء الحصن يرجع إلى ما قبل زينون، وكيف ينسب بناء الحصن له؟! التعليق: ذلك معناه أن دير أنبا مقار أضاف إلى مبانيه حصن اليبامون التاريخي المشهور قبل منتصف القرن الرابع، والذي أصبح النواة الأولى التي قام على أساسها الحصن أو القصر القديم الحالي. إنغلين هوايت، المرجع السابق، ص ٤٠٧.

## القديسة أبولليناريا<sup>٢٤٢</sup> (الراهب دوروتي)

### تقرير عن سيرة الراهبة القديسة أبولليناريا

من الوهلة الأولى سوف يكتشف القارئ مدى التشابه بين سيرة القديسة إيلارية والقديسة أبولليناريا بل والتطابق، فنجد القديستين من مدينة القسطنطينية ثم يشتاق كليهما حياة الرهبة فيتباركا من جسد الشهيد مارمينا الكائن بكنيسته في مريوط لأن اسمه وشهرته كانت ذائعة لأفاصي الأرض، ثم يتوجهن لبرية شيهيت ويتخفين في زي رجال ثم تمرض أخت كل واحدة منهم بأن يعترها روح نجس فتحضر إلى البرية المقدسة... الخ. وفي الحقيقة قد يساور الشك القارئ في صدق السيرة إلا أنه لا بد من التأكد أن رهبة العذارى اللواتي أخذن شكل الرجال كان بالفعل دون شك في حقيقة الأمر لكن نقص السيرة في بعض الأحيان جعلت النساخ إلى تكميل تلك الفجوات من قصص مشابهة لهم في نفس السيرة.

بعدما اكتشف الرهبان حقيقتها بعد نياحتها أكرموها جدًا وأقاموا لها كنيسة تسمى كنيسة أبوليناريس شرق كنيسة أنبا مقار<sup>٢٤٣</sup>، رآها الرحالة سيكار سنة ١٧١٢. وهي خرائب القصر الذي يدعى بقصر البنات، والذي يعتقد أن أجسادهم مدفونة فيه وهناك رواية بين رهبان دير أنبا مقار تقول أن أجساد القديسات أبولليناريا وإيلارية وأريسيما مدفونات أسفل الحصن القديم.<sup>٢٤٤</sup>

### نشأتها

القديسة أبولليناريا المدعوة "سينكلتكا" كانت ابنة القنصل أنثيميوس سنة ٤٠٥ م<sup>٢٤٥</sup>، أعلنت لوالدها رغبتها في الرهبة ولكن طلبها هذا قوبل برفض

<sup>٢٤٢</sup> عن كتاب العذراء مريم وتاريخ أجيال العذارى، مرجع سابق، ص ٥٢٤ : ٥٣٤.

<sup>٢٤٣</sup> أديرة وادي النطرون تاريخها وعمارتها، مرجع سابق، ص ٧٥.

<sup>٢٤٤</sup> الرهبة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٣٠٣.

<sup>٢٤٥</sup> المرجع السابق، ص ٣٠٣.

شديد، ومع ازدياد الحب الداخلي أصبحت لا تستطيع أن تصم آذانها عن الصوت الذي بدأ يعلو يوماً بعد يوم داخلها، طلبت من والدها أن يسمح لها بزيارة الأراضي المقدسة فأذن لها وكان في صحبتها الكثير من الخدم والوصيفات والجنود لحراستها في تلك الرحلة، اتجهت بعد ذلك لمدينة الإسكندرية وكانت أينما تحل يستقبلها العظماء بالحفاوة والترحاب، ولكنها كانت تتهرب من تلك الاحتفالات كما فاجأت حاكم مدينة الإسكندرية بزيارته على الرغم أن البروتوكول المتعارف عليه أن يتقدم هو ليستقبلها وترتب عليه أن تقدم الحاكم بالاعتذار لها ولكنها كانت قد فعلت ذلك لتكون زيارتها في هدوء، وأعلمته برغبتها في زيارة كنيسة الشهيد مارمينا والتبرك من جسده المقدس، وطلبت منه أن يتركها للذهاب خفية لتكون في كامل حريتها، ترك الحاكم لها مطلق الحرية بل وأهداها بمهدايا كثيرة قيمة قامت بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، كانت أبولليناريا تقلل كل فترة من عدد الاشخاص المصاحبين لها في الموكب وتعطيهم الحرية وتجزل لهم العطاء وتُخلي سبيلهم ولم يبقى معها إلا نفر قليل صاحبها إلى مزار الشهيد مارمينا بمربوط وبعد أن استقبلها الآباء استقبال حافل وظلت لمدة ثلاثة أيام في مزار الشهيد مارمينا.

### إلى بركة شيهيت

بعد أن تباركت من جسد الشهيد مارمينا طلبت أن يتم التحرك عند مغيب الشمس، لتجنب حرارتها و عند منتصف الليل وصلت أبولليناريا ومن معها إلى ينبوع ماء عذب ظل يحمل اسمها حتى القرن الحادي عشر، وبعدما اطمأنت من أن كل الذين معها قد غطوا في النوم تسحبت بحذر شديد، ولبست ملابس راهب كانت قد أوصت امرأة عجوز في مدينة الإسكندرية أن تشتريها لها، ثم وضع ملابسها الفخمة في ترتيب داخل العربة حتى لا يظن احد أنها اختطفت أو تعرضت لمكره.

### تأثر والدها بعد سماع خبر اختفاءها

ظل الخدم بجوار الباب منتظرين الأذن من أبولليناريا بالانطلاق لإكمال المسيرة ولكنهما ظلا على حالهما هذا كثيراً دون جدوى وتجاسرا في أن يناديا

عليها وأخيراً دخلوا رفعوا الستار فلم يجدوها في العربة ولكنهم وجدوا ملابسها مرتبة، أخبروا بعد ذلك الحاكم الذي صدم من هول المفاجأة ووبخ نفسه لأنه لم يرسل معها الحرس ولكن الأمر قد خرج من يديه، فأرسل خطاباً إلى القنصل أنثيميوس يعلمه بأمر أبولليناريا، وحين تسلم أبيها الخطاب بكى بكاءً مرّاً من أجل ابنته وشاركه كل العظماء وكبار المملكة في حزنه على ابنته.

### أبولليناريا وحياتها الجديدة

ظلت أبولليناريا في منطقة المستنقعات تلك تقعات بعض ثمرات البلح من نخلة قريبة وتشرب من ينبوع ماء عذب قريب، لكن لدغات البعوض صيرت جسدها خشناً متورماً بالإضافة لنسكها الشديد الذي غير من ملمحها.

### مقابلتها للقديس مقاريوس السكندري

رتبت عناية الله بالقديسة أبولليناريا أن تقابلت والقديس مقاريوس السكندري - لكنها أخفت عنه شخصيتها- وطلبت منه القديسة أن يسمح لها بالإقامة بالقرب من تلك المنطقة لتتلمذ على يديه وعندما سألتها عن اسمها أجابته أن اسمها "دوروتي"، فعين لها مغارة في منطقة نتريا، وكانت تذهب للكنيسة في صمت دون أن تتكلم مع أحد.

### لقاء أبولليناريا وأختها الوحيدة

كان روح نجس يعذب اختها ويصرعها، فكان والديها يتعذبا من أجلها كثيراً فأشار عليه بعض المستشارين أن يحمل ابنته لصحراء شيهيت فيصلي عليها الآباء القديسين فترئى، كان أنثيميوس كالغريق الذي يريد أن يتعلق بقشة فوافق على الفور وجهاز قافلة كاملة تقوم على راحة ابنته خلال تلك الرحلة الشاقة إلى صحاري شيهيت، وحين وصل الموكب العظيم إلى برية شيهيت وأعلموا القديس مقاريوس السكندري عن سبب حضورهم أخذ البنت إلى قلاية الأب دوروتي وطلب منه أن يصلي من أجل هذه الأبنة المعذبة، فللحال بكى الأب دوروتي حين وقعت عيناه على أخته وهي معذبة بتلك الأرواح الشريرة

وتركهم الشيخ أنبا مقار السكندري كيما يصلي عليها، فأدخلت أبولليناريا أختها إلى قلايتها وكانت تقبلها ثم قالت لها: ”أما تعرفيني أنا أبولليناريا أختك؟“، ثم توسلت لها أن لا تبوح بسرها لأحد، وظلت أبولليناريا تصلي من أجل أختها لله بلحاجة عظيمة حتى تحن الله عليها وخلصها مما هي فيه.

### أبولليناريا في القسطنطينية

استدعى القنصل أنثيميوس الأب دوروتي وأرسل بعض الجنود يستعجلوه الذهاب إلى مدينة القسطنطينية لأن ابنة القنصل أنثيميوس صرعها الروح الشرير مرةً أخرى أما أبولليناريا فرفضت الانصياع لأمر القنصل وتخرج من وحدتها لتغادر البرية المقدسة، إلا أن الحاح الآباء وطلب أنبا مقاريوس السكندري أن يذهب مع الرُّسل إلى القسطنطينية وضعها تحت قانون الطاعة، وبعدما وصلت أبولليناريا إلى القصر لم يكن في استطاعة أحد التعرف عليها من شدة النسك التي أخفت عنها كل علامات الغنى والأنوثة فكانت تُشبه العود اليابس لكن أبولليناريا بعد فترة من الصمت والتفكير صارحت والديها بحقيقة الأمر وهي تقبل أياديهم وأرجلهم فكانت الصدمة شديدة على أبيها وأُمها ولكن سرعان ما أخذوها إلى حجرة أختها فصلت عليها وحررتها بنعمة الله من الشيطان الممتلك عليها، ظلت أبولليناريا في القصر فترة ثم استأذنتهم لتعود إلى حياتها التي تشاق إليها في الدير، كما رفضت كل الهدايا المقدمة لها من والدها وقالت له: ”إن الآباء ليسوا في حاجة لمثل تلك الهدايا“. ثم عادت القديسة إلى البرية المقدسة، وعندما علمت بقرب انتقالها استدعت أنبا مقاريوس السكندري وطلبت منه أن لا يكشف أحد عن جسدها بل يدفنها على حالها، ثم تنيحت بعد ذلك مباشرة وتعيد لها الكنيسة في ٢٧ كيهك.



## القديسة أنسطاسيا

### نشأتها

كانت أنسطاسيا من أشرف وأرقى عائلات القسطنطينية، وبحكم عمل والدها في منصب رفيع بالقصر الإمبراطوري؛ فتمتعت بسعادة ورفاهية وحق دخول القصر والتنزه في حدائقه كبرت من بنات أشرف مدينة القسطنطينية، وبالإضافة إلى سمو وثبل أخلاقها حبها الله جمال بارع.

### الإمبراطور جوستيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) يُعجب بأنسطاسيا

سمع الإمبراطور جوستيان كثيراً عن أنسطاسيا من سمو أخلاقها وجمالها البارع، فأعجب بها واشتد حبه لها الأمر الذي دفعه إلى أن يطلب الزواج منها بالرغم من أنه متزوج من الإمبراطورة ثيودورة (٥٢٧ - ٥٤٨م) وكانت على قيد الحياة وحين وصل إلى مسامع الإمبراطورة ما كان يروم فعله زوجها الإمبراطور جوستيان دبت الغيرة في قلبها لكن القديسة العفيفة أعلمت الإمبراطورة بالأمر وعزوفها عن كل ارتباط في العالم بل عن أي منصب أو مباحج القصر عموماً؛ لأنها كانت قد نذرت بتوليبتها وأحبت أن تحيا حياة العفة والطهارة فساعدتها الإمبراطورة وجهزت لها سفينة أبحرت بها إلى مدينة الإسكندرية وساعدتها في بناء دير تحيا فيه حياة الرهبنة (دير الزجاج).<sup>٢٤٦</sup>

«اهرب لحياتك لا تنظر الى ورائك ولا تقف في كل الدائرة اهرب الى الجبل لئلا تهلك»<sup>٢٤٧</sup>

<sup>٢٤٦</sup> يرى البعض أن الإمبراطورة ثيودورة وقعت في خلاف مع أنسطاسيا، لكن من المرجح أنها تفاهت معها وعلمت براءتها من طمعها أو ميولها في الزواج من الإمبراطور طمعاً في أي سلطة، ويرجع السبب للقديس ساويرس الأنطاكي الذي كان مرشداً روحياً للقديسة أنسطاسيا، وفي نفس الوقت كانت الإمبراطورة تؤمن بطبيعة المسيح الواحدة، وكانت تُخفف وتُهدئ من غضب زوجها وتُحذ من اضطهاده على قدر استطاعتها. وكان لها دورٌ أساسي في هروب القديس ساويرس من ملاحقة الإمبراطور له لأنه كان يؤمن بالطبيعتين حسب مجمع خلقيدونية ٤٥١م. مجلة مرقس، العدد ٥٥٩، الكنيسة هذا الشهر.

René Basset, *Le synaxaire A.J.*, p. 702.

<sup>٢٤٧</sup> (تلك ١٩: ١٧).

كانت أنسطاسيا تحاول البحث عن الطريقة المثلى التي تستطيع بها أن تكرر كل وقتها وحياتها لخدمة الرب ، فكان المرشد الروحي لها هو القديس أنبا ساويرس بطريرك أنطاكية (٥١٣ - ٥٣٨م) وكانت بينهما رسائل روحية متبادلة يوجه فيها أنبا ساويرس أنسطاسيا من أجل خلاص نفسها وأخيرًا وبعد صلاة عميقة وقوية وتفكير مضني ومشورة الأب الروحي اتخذت أنسطاسيا القرار وهربت من القصر ووضعت عينها صوب الإسكندرية وأسست هناك دير التسعة أميال "Hennaton" غرب مدينة الإسكندرية<sup>٢٤٨</sup> (وسُمِّي فيما بعد بدير الزجاج وأصبح ديرًا للرهبان) وكان من أحب الأديرة إلى قلب القديس البابا ساويرس الأنطاكي ودفن فيه بعد نياحته.

### الهرب إلى برية شيهيت

وحدث بعد هذه الأمر أن توفيت الإمبراطورة ثيودورة عام ٨٤٨ م، وبعد كل هذه السنين كان قلب الملك مازال متعلق بأنسطاسيا وشعر أنها من الممكن أن توافق على الزواج منه بعد وفاة الإمبراطورة حيث لا يوجد عائق أو سبب يمنعها الآن، فأصدر أوامره بالبحث عنها في كل ربوع الإمبراطورية شرقًا وغربًا وبالأخص في مناطق الأديرة، لم تجد الراهبة القديسة أمامها سوى أن تتخذ زي الرجال<sup>٢٤٩</sup> وسمت نفسها "أناسطاسيوس الخادم"، واتجهت نحو شيهيت وتباركت من أجساد التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ شيهيت، ثم قابلت أنبا دانيال القمص وقصت عليه أمرها، وبفضيلة الإفراز الكائنة في الشيخ المدبر أسكنها في إحدى المغائر البعيدة عن الدير بـ ١٨ ميلًا، ورسم لها قانونًا روحياً يناسب حياة الوحدة في المغائر والجبال، ثم رسم أن يرسل لها راهبًا شيخًا يضع جرة ماء وخبز أمام قلايتها، ولما تنجح هذا الشيخ المبارك. كان تلميذ أنبا دانيال يقوم بعمله مرة كل أسبوع دون أن يسأل الأب أنسطاسي (الراهبة أنسطاسيا)

<sup>٢٤٨</sup> الأديرة في تلك المنطقة كانت تأخذ أرقامًا مثل دير التسعة أميال، ودير العشرين ميلًا، ودير الثمانية عشر ميلًا؛ أما عن انتشار رهبنة العذارى بها لأنها كانت قرية نوعًا ما من الإسكندرية خوفًا عليهن من طبيعة الصحراء الوعرة، وأية هجمات أخرى، ويذكر أن في تلك المنطقة تأسس ما يقرب من ٦٠٠ دير بعضهم للرهبان والآخر للراهبات. انظر خريطة رقم (٤).

<sup>٢٤٩</sup> ويذكر سنكسار رتيه باسمه أنها تشبهت بملابس الأمراء.

عن أي شيء سوى أن يأخذ شقفة موضوعة على باب قلايته مكتوب عليها احتياجاته، ويضع ما طلب منه من الطعام والماء أمام القلاية في صمت. واستمر التلميذ القديس في عمله هذا لمدة ٢٨ سنة دون تذمر، وكان أنبا دانيال يزورها يوم الأحد ليناولها من الأسرار المقدسة ولم يكن أحد يعلم بأمر أنسطاسيا سوى أنبا دانيال وحده فقط.

### نياحتها

وفي يومًا ما أحضر التلميذ قطعة الخزف وكان مكتوبًا عليها: "احضر الأدوات وتعال هنا إليّ" ولم يكن التلميذ يعلم شيئًا كعاداته، وبعد أن قرأ أنبا دانيال ما كتبه على قطعة الخزف علم أن القديسة أنسطاسيا سوف تنتهي أيام غربتها على الأرض عن قريب وقال لتلميذه: "الويل للبرية الداخلية لأن عمودًا عظيمًا سيسقط فيها، هلم يا ابني احمل الأدوات وسر بنا على عجل لنلحق بالقديس الشيخ لئلا نعدم صلواته لأنه سائر إلى الرب" ولما ذهب وجداه مريضة بحمى شديدة فقال أنبا دانيال لها: "مغبوط أنت لأنك اهتممت بهذه الساعة ورفضت المملكة الأرضية" فقالت له: "مغبوط أنت يا إبراهيم الجديد صاحب ضيافة المسيح لأنه كم من ثمرات اقتبلها ربنا من يديك". ثم أن الشيخ طلب إليها أن تبارك تلميذه فصلت هكذا قائلة: "يا إلهي الذي وفقت هذه الساعة لتصرفني من هذا الجسد، الذي يعرف مقدار المسافات وكم تعب من أجل اسمك أعطه روح آبائه روح إيليا مع إيليشع". كما أوصت أنبا دانيال أن يرسلها إلى القبر كما هي، وطلبت أن تتناول من الأسرار المقدسة، ولما تناولت أشرق وجهها ثم رشمت نفسها بعلامة الصليب وهي تقول: "يا رب في يديك استودع روحي" وللوقت انتشرت رائحة زكية عطرة، فبكى أنبا دانيال وتلميذه وحفرا قبرًا أمام المغارة، وقال أنبا دانيال لتلميذه: "البسه هذه الأكفان فوق ملابسه" وإذ كان التلميذ يلبسها الكفن فوق ملابسه التي كانت من الليف أبصر ثديي القديسة مثل ورق الشجر الجاف من شدة النسك، وبعد أن دفناها

وصليبا قال الشيخ لتلميذه: "فلنحل صومنا ونعمل محبة وإحساناً من أجلها" ثم حملاً صغيرة خوص كانت ضفرتها وانصرفا إلى قلايتهما.

وأثناء سيرهما قال التلميذ للشيخ أنبا دانيال: "علمت أن هذا الخادم كان امرأة، لأني لما كفتته ثدييه ثديي امرأة وكأفهما ورقتان ذابلتان" فقال له أنبا دانيال: "يا بني قد علمت ذلك من قبل" وروى له تاريخ حياتها وأعلمه أنها تنكرت وتزينت بزي الرجال وخدمت الرب في البرية ثماني وعشرين سنة ولم يعلم أحد بأمرها. كما أوصى تلميذه قائلاً: "أعلمك يا ولدي الحبيب أن هذه المرأة سبقت مراتب قديسين كثيرين وأبطال مجاهدين فقد وصلت إلى الدرجة الرفيعة العالية لأنها من أعرق أسر الأشراف وجاهدت ضد العدو الشيطان وقمعت جسدها وأفنت أيامها في خدمة الله ورفضت العالم شهواته أما نحن فقد كنا بالكاد نشبع من الخبز، ولما جئنا إلى الرهينة صارت لنا راحة ولم نستطع أن نفتني فضيلة واحدة مما اقتنته هذه القديسة التي سمت نفسها "أنسطاسيوس الخادم".

تُعيد لها الكنيسة القبطية في ٢٦ طوبة وكذلك الكنيسة اليونانية (٣ شباط)، أما عن سنة نياحتها فإذا كانت قد اختفت في برية شيهيت لمدة ٢٨ سنة بعد وفاة الإمبراطورة ثيودورة عام ٥٤٨ م فيكون تنيحت حوالي عام ٥٧٦ م.

### شخصيتان عرفتا باسم أنسطاسيا

يوجد شخصيتان عرفتا باسم أنسطاسيا وكانا في نفس عصر الإمبراطور جوستينيانوس (٥٢٧ - ٥٦٥م)، الأولى ذكرنا سيرتها أعلى، أما الثانية والتي قد يختلط على البعض سيرتها مع القديسة أنسطاسيا البطريقة. فكانت متزوجة من القنصل Pompée أحد أقارب الإمبراطور جوستينيان، وتركت العالم بعد وفاة زوجها وذهبت إلى أورشليم حيث عاشت في حياة مقدسة في الوحدة والعبادة في جبل الزيتون. ومن المرجح أن تكون هذه الأخيرة هي المقصودة في كتاب الرهينة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، فيقول: "والمعتقد أنها كانت متزوجة

أحد القناصل وكانت لها ابنة من خواص أنبا ساويرس بطريك أنطاكية، والتي كان يرأسها<sup>٢٥٠</sup>.

القديسة أريسما<sup>٢٥١</sup>

لم يرد عنها شيئاً سوى اسمها في ذوكصولجية أنبا مقار.  
والقديسة إيلارية وأنسطاسيا وأريسما صرن عرائس للمسيح بطهارة  
حقيقية<sup>٢٥٢</sup>

---

<sup>٢٥٠</sup> Cowvenbergh, Hist. Patr, P. 189. (القمص متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٤١٢، ٤١٣).

<sup>٢٥١</sup> "لا يعرف كيف أو متى أتت إلى الإسقيط". إيفلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، تعريب بولا

البراموسي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩م.

<sup>٢٥٢</sup> ذوكصولجية القديس أنبا مقار.



## **الباب الخامس**

### **الرفيқан**





تقرير عن سيرة القديسين إبرآم وجاورجي من رهبان الأسقيط<sup>٢٥٣</sup>  
للأب أوجو زانتي  
المخطوطات العربية (لسيرة حياة أبرآم وجاورجي)

بالإضافة للمخطوطة الباريسية المتاحة للجميع وإن كانت ناقصة كما سنوضح ذلك لاحقًا، فإن سيرة حياة هذين القديسين قد أشار إليها العالمان خاطر وبرمستر (par Khater et Burmester) عام ١٩٧٧م في كتابهما الخاص بمخطوطات كنيسة القديسين سرجيوس و واخس (أبو سرجة) بمصر القديمة. والواقع أنه حفظنا السعيد فقد تمكنا من الاطلاع على نسخة ممتازة لنفس النص المحفوظ في دير البراموس بالإسقيط. من ناحية أخرى، فإنه توجد على الأقل نسخة أثيوبية لمخطوطة تحمل سيرة قديسينا، الميكروفيلم الخاص بها محفوظ في مكتبة الميكروفيلم للمخطوطات الإثيوبية "EMML" (Ethiopian Manuscripts Microfilm Library). غير أنه لا توجد ولا مخطوطة واحدة من هذه المخطوطات كاملة، بمعنى أنها تحتوي سيرة حياة كاملة تجمع قصتين (روايتين) واضحتين (منفصلتين)، بقدر ما هي بعض الفقرات أو القطع المترافقة والمضمومة بعضها إلى البعض، يستحيل على الإنسان أن يجد فيها في حالته الكاملة. ولكن عندما نجتمعهم مع بعض نصل أن يكون لدينا على الأقل وثيقتين لكل قطعة؛ الأمر الذي يجنبنا مشكلة "الشهادة الوحيدة".

<sup>٢٥٣</sup> عن بحث مقدم من الأب أوجو زانتي لمكتبة الدراسات العليا للعلوم الدينية، الرهبنة الشرقية.

## مخطوطة باريس عربي

هذه المخطوطة تم نساختها في نهاية القرن التاسع عشر في صعيد مصر بواسطة ناسخ كان يعمل بطريقة متعجلة يمكن استنتاجها ليس فقط من رداءة (سوء) الخط والأخطاء الواردة، ولكن بالأحرى من حذف كلمات - بل وسطور كاملة - جعلت النص غير مفهوم في بعض الأحيان.

### وصف المخطوطة:

المخطوطة تبلغ أبعادها ٢٣.٥ × ١٦.٥ سم، وتحتوي على ٢٠٥ ورقة، ويمكن تقسيمها إلى جزئين:

الجزء الأول: من صفحة ٢-١٠١، والصفحة الواحدة تحتوي على ١٥ سطر ومرقمة بأرقام عربية، ومنسوبة إلى الأستاذ باسيلوس جرجس الذي انتهى من كتابتها في ١ توت سنة ١٦٠٢ ش (الموافق سبتمبر ١٨٨٥م).

الجزء الثاني: يبدأ من صفحة ١٠٣-٢٠٥ الصفحة بها ١١ سطرًا، و النسخة غير منسوبة لأحد وغير مؤرخة بتاريخ، كما أنها منزوعة من الكتاب الأصلي (المجمّع بيد فرنسيه في القرن ١٩م). هذه المخطوطة صادرة عن إرسالية Bouriant وتحتوي سيرة حياة أربعة من القديسين هم.

- ١- أنبا شنوده ومعجزاته (من ص ٢-١٠١).
- ٢- عظات وميامر أنبا أور على رئيس الملائكة غبريال (من ص ١٠٣-١٠٧).
- ٣- سيرة القيسين أنبا ابوللو وأنبا أيوب (من ص ١٣٩-١٧٥).
- ٤- سيرة القديسين إبرام وجاورجي التي تعيننا الآن (من ص ١٧٥-٢٠٥).

مخطوطة كنيسة أبو سرجه بمصر القديمة (لاهوت ١٢ مسلسل ١١٥، ورقة ٦٧-٩٢):

أبعاد المجلد ذو اللون الأحمر من الخارج ٢١ × ١٥.٥ سم، ويحتوي على ٣١١ ورقة كتابية، والورقة قياسها ١٩ × ١٤ سم وتحتوي على ١٣ سطرًا. ويقدر مصنفو الكتالوج أنه يرجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، غير أنه في الواقع مخطوطة

مجموعة، الجزء الذي نهتم به يرجع فيما يبدو لنا من القرن الثامن عشر الميلادي. وقد تم تسوية حواف المخطوطة مما أدى إلى فقد وضياح ترقيم (أرقام) الصفحات وقد عرفنا ذلك من وجود بقاياها. غير أنه توجد نسخة حديثة مرقمة بأرقام هندية، وأيضاً واحدة أكثر قدماً بأرقام قبطية مختصرة، ولا سيما في الجزء الذي نهتم بدراسته؛ أي من ورقة ٦٧ - ٩٢، حيث أن الأوراق المرقمة بأرقام قبطية مختصرة تبدأ من ١٦١ - ١٨٦، مما يؤكد لنا أنه لا توجد أي صفحة مفقودة.

### السيرة الحالية التي بين يديك

بعد كتابة النصين من صور المخطوطتين (أبوسرجه، ومخطوطة باريس) حتى يتثنى للباحثين الرجوع إليها عند الحاجة، تم إعادة كتابة مخطوطة أبو سرجه بعد التصحيح مع الحفاظ على نفس روح النص، ومن خلال قراءة النصين في المخطوطتين قمنا بتجميع السيرة من هنا وهنا وإضافة الهوامش اللازمة عند الحاجة، كذلك قمنا بتقسيم السيرة بعد دمجهم إلى فقرات ووضعنا لكل فقرة عنوان مناسب ليسهل على القارئ المتابعة، هناك بعض الكلمات على الأخص في نسخة مخطوطة باريس تحتاج إلى معرفة شديدة باللغة العربية حتى تصل إلى المعنى أو خطأ لغوي من الناسخ يحتاج إلى أن تستنتج الكلمة المحتملة، وبلا شك كان الأمر عسيراً بعض الشيء على الباحث في تلك السيرة (زانتى) بالرغم من الجهد الملحوظ في إظهار السيرة والحفاظ على روح نص المخطوطة التي بين يديه، كما رجعنا إلى بعض الكتب الأخرى التي تعرضت لسيرتهم إذا ما كان بها المزيد من المعلومات، إلا أنها لم نخدمنا في هذا الغرض، لأن الغالبية شذرات من سيرتهم.

### مقدمة

السيرة المملوءة من كل عجيب وفضيلة التي لأبائنا القديسين الطوبانيين بالحقيقة المذكورين أنبا إبرام وجاورجي الرهبان اللابسين الروح، والساكنين في شيهات جبل أينا أنبا مقار. سطرها أنبا زخارياس الأب الفاضل أسقف المدينة

الحبة للمسيح سخا، عندما سألوه إخوة محبين الإله: "كيف كان انتقامهم؟"، فأظهر فيها أن أبينا أنبا إبرآم تنيح في التاسع من شهر طوبه، وأبيننا أنبا جاورجي في الثامن عشر من شهر بشنس بسلام من الرب الهنا. بركة صلواتهم تكون معنا ومع الكاتب والقارئ. آمين<sup>٢٥٤</sup>.

دفعو كثيرة كتبت إلى مسكنتي جلالتكم باشتياق ممدوح وغيره تليق بالأطهار تحركونا وتنشطونا مع نقصنا وعجزنا أن نظهر لكم كتاب فحص أعمال الفضائل العالية والسيرة المضاهية للملائكة التي لأبائنا الطوبانيين أنبا إبرآم وأنبا جاورجي هؤلاء الذين ظهوروا مصاييح ناطقة في جيلنا وهم أعني آبائنا القديسين لم يكونوا من جنس واحد في الجسد لكن الأم الغالية التي للروح القدس ولدتهم معاً جسدياً وروحياً من الله وكانت آبائهم الاثنين في هذا العالم ابرار جداً. لأن من الثمرة تعرف الشجرة كقول الانجيل المقدس اما احدهما ابينا أنبا إبرآم فقد عرفنا جزءاً من أعمال آبائه العالية ومحبتهم للإله حتى استحقوا ان تخرج منهم ثمرة طيبة بهذا المقدار واما الآخر أبينا أنبا جاورجي فلأنه لم نبلغ معرفة أعمال آبائه إلا انه نؤمن حقاً صحيحاً بتحقيق انهما كانا اخيار مرضيين لله ولم يكن فيهما عيب قط في جميع سيرتهما لأنه لا يجمع من الشوك عنباً ولا يقطف من العوسج تيناً بل كل شجرة جيدة تخرج ثمره جيدة حسب قول مخلصنا الصادق.

### والد أنبا إبرآم

أما والد أبينا أنبا إبرآم، كمثل ما أعلمونا آخرين من بين اخوته، كان محباً للإله، محباً للبر حيث إنه كان عجباً لكل من في جيله. وكان له اشتياق ظاهر ثابت بغير ميل في الله وحده، ولم يكن له التفات إلى شيء من هذه الأعمال الظاهرة التي تقيد بها البشر. كان منتصباً في الليل والنهار بالصلاة بغير انقطاع بحواس شاكرة، وفكر متواضع، وإيمان كامل. وكان له محبة متسعة لكل أحد من الناس لا يزدي أحداً لأنه خاطيء. وكانت سيرته إيمانية مملوءة من كل معرفة يصنع الخير مع كل أحد بمساواة واحدة من غير محاباة وبقوته كلها ورحمته

<sup>٢٥٤</sup> هذه المقدمة من النسخة الباريسية.

الممتدة تشبُّهاً بالله الكلمة الذي يشرق نعمه على الأخيار والأشرار، ويمطر على الصديقين والظالمين.

### والد القديس أنبا إبرآم يبيع منزله ويتصدق بشمه

وكانت سيرته إيمانية مملوءة من كل معرفة يصنع الخير مع كل أحد بمساواة واحدة من غير محابة وبقوته كلها ورحمته الممتدة تشبُّهاً بالله الكلمة الذي يشرق نعمه على الأخيار والأشرار، ويمطر على الصديقين والظالمين. وكان في زمان غلاء عظيم بأرض مصر حتى أن كثيرين فنوا وماتوا من الجوع، وصارت الأغنياء في ضيق عظيم. ولم يكن لوالد أنبا إبرآم اهتمام سوى بالرحمة على كل أحد، معيناً لهم بكل قوته كلها، رؤوف على المعدمين في الهلاك؛ وكل شيء كان له ينفقه بالصدقة على المحتاجين وباع أملاكه جميعها حتى لم يبق له شيء واحد بعدما باع الحنطة والحبوب التي كانت عنده وصرف أثمانها على الجياع بفرح عظيم ولما أنفذ كل شيء كان له، باع بيته الحسن الذي كان يسكنه وانتقل وسكن بيت صغير قديم مهذوم كان له، وصرف ثمنه على الجياع. ومع هذا كان الغلاء يزيد ويتعالى كثيراً - فتخير المسيح - الصديق لم يكن يحتمل أن ينظر ما يقاسوه البشر من شدائد الموت، وكان يرأف بزيادة على أولئك المساكين.

«طوبى لمن يتعطف على المسكين في يوم الشر ينجيه الرب»<sup>٢٥٥</sup>

كان والد القديس في بلده انساناً مكرماً كبيراً، كانوا يودعوا عنده جميع الخراج التي لتلك البلاد كلها، وأخذ جميع الخراج المودوعة عنده وفرقها على المحتاجين برأفة عظيمة ولم يبق منها سوى شيء يسير، مؤمناً موقناً متحققاً أنَّ الله، الذي صنع هذا من أجل محبته، قادر أن يخلصه من كل شدة في راحة وبرحمة ولم يقطع إيمانه أنه لا يخلص، بل ارتضى أن يموت من أجل هذه الجسارة الحسنة التي صنعها. وإنه يسأل عوضها أكاليل غير فاسدة في السموات، لأجل

<sup>٢٥٥</sup> (متى ٤: ١).

عمله الصالح مع إخوته. وعندما سألوا المتسلطون على مستخرج الخراج المودوع عند ذلك الرجل الصديق لكي يحملوه إلى خزانة الملك، أخذ معه ذلك القليل الذي تبقى وربطه واتخذ به غير خوف مستعداً بقلبه موقناً أن الله الحاكم الصالح القادر على كل شيء يخرج به غير مضرة. ولما ابتدأوا أن يحاسبوه أهل البلاد، كان هو واقعاً في وسطهم ساكناً لا يفتح فمه، بل كان يُصلي بقلبه إلى الله دائماً أن يصنع معه أعجوبة برحمته كعادته فأعطاه الله نعمة أمام أعين المتسلطين، فلم يسألوه عن شيء البتة، بل استدعوه ودفعوا له كتاب بأنه قد أورد لهم جميع أموال الخراج التي عندهم وعندما صار الكتاب في يده، خرج وهو يشكر ربه أمام كل أحد الذي يعرف من يصنع الخير باسمه ويعضد الذين يحبوه في كل شيء من الخير. ورجع إلى بلده والجزء الذي بقي معه صرفه على المساكين بفرح عظيم. ومن ذلك اليوم ابتدأ الغلاء أن يخف قليلاً، ومع هذا كان الشيخ الصديق في اهتمام عظيم بإطعام الجياع.

«لأنه لا ينسى المسكين إلى الابد رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر»<sup>٢٥٦</sup> وكان في حيرة عظيمة (والد القديس أنبا إبرآم) لا يعلم من أين يجد شيء يعطيه لهم. وإذا قد جاء إليه أقوام ومعهم سفينة حنطة، وقالوا له: "نسألك أن تصنع معنا رحمة أن تخزن عندك هذا القليل من القمح إلى أن نعود إليك ونأخذه". وهذا كان عادته أن يصنع الخير مع كل أحد، وأعد لهم مكاناً في تلك الساعة فأمرغوا فيه تلك الحنطة وقالوا له: "يا أبانا، هذا الذي أودعناه عندك، في قلوبنا إننا نرجع فنأخذه؛ ونؤمن إن رجعنا إليك بمشيئة الله كذا وكذا يوم، نحن نأخذه؛ وإذا لم يتفق أن نجيء إليك في ذلك اليوم فاصنع محبة واصرفه في الجهة التي تُحبها". ولوقتهم سافروا وتركوه ولما لم يعودوا في تلك الأيام التي فرزوها ولا بعدها بأيام كثيرة، طاب قلبه أن الله أرسله إليه لمنفعة المضنوكين<sup>٢٥٧</sup>

<sup>٢٥٦</sup> (مز: ٩: ١٨).

<sup>٢٥٧</sup> (المضنوكين): المتضايقين من كل شيء "يستوي في الأمر المذكر والمؤنث". "الوسيط". ويظهر معناها في الآية «فالآن حتى تظفر بهم بلا قتال اقم ارسداً على النبايع لئلا يستقوا منها ماء فقتلهم بغير سيف او يلجنهم ما يصيرون اليه من الضنك ان يسلموا مدينتهم التي يعدونها منية من اجل انها على الجبال» (يهوديت: ٧: ٩).

في معيشتهم بتدابيره الكائنة في كل شيء بحكمته الفائقة؛ ثم أصرفها على المساكين والمحتاجين بفرح عظيم.

«لا يهمل اليتيم المتضرع اليه ولا الأرملة اذا سكبت شكواها»<sup>٢٥٨</sup>

وفي تلك الأيام قبل انقضاء الغلاء بالتمام نزل في بيت امرأة أرملة مسكينة من أجل حاجه عرضت له هناك، وكان ذلك البيت خارج القرية؛ فنام فيه الى باكر، وكان لتلك المرأة أولاد صغار، فنظرهم ييكونا عليها ويطلبوا خبزاً ليأكلوا، ولم يكن عندها شيء تعطيه لهم. فتحنن الشيخ وأسرع فجعل يده في الخرج<sup>٢٥٩</sup> الذي كان معه لعله يجد خبزاً صغيرة يعطيه لهم؛ وللوقت وجد خبزاً ليناً سخناً جداً كأنه خرج من التور<sup>٢٦٠</sup> في تلك الساعة. ولما أحس أنها بركة من الرب ظهرت، قال للمرأة: "قدمي إليّ وعاء لأعطيك فيه من الخرج"، فأعطاه حتى امتلأ وعاءها ولم تكن تلك المرأة تعلم بما كان. فقالت للشيخ وهي تشكره بابتهاج: "يكفيك، فإني قد أخذت أكثر من الحاجة". ولما مد يده في الخراج ليخرج منه شيئاً لم يجد به شيء. فانضجع في ذلك الموضع إلى باكر متعجباً في ذاته، شاكرًا الله المحسن إلى كل أحد؛ ثم قضى شغله وعاد إلى بلده.

### والد القديس يبارك على الخبز القليل فيأكلوا حتى الشبع

ومرّة كان يمشي دفعة في الطريق وكان معه أنبا إبرآم وهو طفلاً وكان معه إنساناً آخر فجاءوا ولم يكن معهم شيء يأكلوه سوى خبزة واحدة فجاءوا على غدير ماء وجلسوا، وإن الشيخ أعد الخبز ورسمه وقسمه كسرًا كسرًا فوقف وصلى ثم جلس ورسم على اللقم التي كسرها، وأكلوا منهم حتى شبعوا، وفضل

<sup>٢٥٨</sup> (سبراح ٣٥: ١٧).

<sup>٢٥٩</sup> (الخرج): وعاء من شعر أو جلد. ذو عدلّين، يوضع على ظهر الدائّة لوضع الأطعمة فيه. (ج) خبزّة، وأخرج. "الوسيط".

<sup>٢٦٠</sup> (التور): القرن يُخبز فيه. (ج) تَنانيرُ. «كلهم فاسقون كتور نحى من الخبز يطل الايقاد من وقما يعجن العجين إلى

أن يحتمر» (هو ٧: ٤).

منهم خبرًا كثيرًا فأخذوه معهم إلى الموضع الذي كانوا اليه. هذا يسير من كثير من فضائل والد أنبا إبرآم بالجهد استطعنا ان نعرفهم.

### السيرة الطاهرة لوالدة القديس أنبا إبرآم

فأما والدته الأخرى فكانت محبة لله جدًا، رحيمة لكل أحد بسيطة، عديمة الشر بزيادة. ومرة وهي جالسة في بيتها وحدها نصف النهار تتلو في ذكر محبة الله واشتياق مجده فظهر لها أربع ملائكة يضيئون جدًا بإعلان وهم في مجد لا يوصف، فقالوا لها بصوت واحد: ”إن الرب قد أرسلنا إليك فأسألي من كل واحد البركة التي تريدي أن يقوها عليك“. أما هي بغير قلق وثبات قلب وأمانة كاملة طلبت من الأول والثاني والثالث المسائل التي اختارتها، فلما جاءت إلى الرابع لم تعرف أن تسأله بركه لتنالها من كثرة الفرح الذي صار في قلبها لما سمعت تلك البركات الاولين قالت له: ”الذي تريده أنت اصنع محبة وقوله“، فأجابها: ”لا لكن قولي ما يحسن بين عينيك“ وهي لم تقول له شيئًا طار. والأربع ملائكة جميعًا خرجوا من بيتها، فعاد إليها الملاك الرابع وقال لها: ”لست أقدر أن امضي إلا بعد أن أبارك كما أمرني الرب“. حينئذ سألت من الله شيء مثلما جعله الله في فمها. ولما باركها فيه طاروا جميعًا وتركوها في فرح روحاني وشكر لا ينطق به.

### والدة القديس تقع في سبي البربر

عرفونا من أجلها دفعة أن البربر(الفرس)<sup>٢٦١</sup> لما طرَقوا هذه الكورة وسبوا منها رجالاً كثيرًا ونساء، أخذوها معهم في السبي إلى ذلك الموضع، غمز<sup>٢٦٢</sup>

---

<sup>٢٦١</sup> إذ نزع الملك الفارسي كسرى الثاني إلى مصر عام ٦١٧م وبلغ الإسكندرية (سبا الكثيرين، وبالتأكيد كان من بينهم والدة أبرام التي ظلت في سبي فارس) حتى تمكن الملك هرقل أن يعيد بناء الجيش والأسطول وفي ليلة الخميس ٧ أغسطس من عام ٦٢٦م هُزم الأسطول السلافي شر هزيمة. وحقق هرقل في الشرق سلسلة من الانتصارات الرائعة على الفرس بلغت ذروتها في المعركة الحاسمة ”موقعة وستكرد الإيرانية“.... التي حرت بالقرب من نينوى عام ٦٢٧م، حيث قُتل هرقل بيده ثلاثة من قواد الفرس، كما قتل قائد الجيش الفارسي رازاتاس (Razatas) ومات كسرى الثاني على يد ابنه، وتم التوصل لسلام بين الدولتين عام ٦٢٨م، كما أُعيدت خشية الصليب المقدسة إلى أورشليم. وفي عام ٦٢٨م استعاد هرقل سوريا ومصر إلا أنه اضطر



عليها انسان دفعة اخرى فأخذوها معهم الى السبي فأقامت عند البربر زماناً مأسورة وكانت تنظر كفرهم الذي هم فيه وكثرة النفاق الذي يصنعوه بجسارة عظيمة بلا خوف، فتألم قلبها جداً فشهدت وطلبت من الله دفعة واثنين قائلة: ”أيها الرب الحاكم العادل، احكم بيني وبين الذي أتى بي إلى هذا السبي ليس لكوني متعبه من العذاب الذي يجلبوه عليّ، لأنني عارفة إنني استحق أكثر من هذه الآلام لأجل خطاياي الكثيرة، ولكن من أجل إنني انظر كثرة النفاق والآثام التي لهؤلاء المنافقين مختلطين بها وفيها، وكيف إنهم لا يعرفون أنك أنت إله

للتخلي عن سوريا للعرب بعد ذلك بسنوات قليلة، كما فقدت مصر فور موته عام ٦٤١ م. (الأب ف. سي. صموئيل، مجمع حلقديونية إعادة فحص، ترجمة د/عماد موريث اسكندر، الناشر دار باناريون، الطبعة الأولى يوليو ٢٠٠٩ م، ص ٣١٥: ٣١٧). (المدة التي ظلت فيها مصر تحت يد الفرس من ٦١٧: ٦٢٨ م هي ١١ سنة وهي أقصى مدة من الممكن أن تكون قضتها والدة القديس إبراهيم في السبي وكان من توابع أن شعب بلاد فارس يعبدون النار أن اعتدوا على الأديرة والربهان ”ولما ازداد ضغط الجيوش الفارسية على الحدود الشرقية، هرب كثير من أهالي الشام الى مصر، وعجز البطريرك الرومي والوالي يوحنا الملكاني عن طرد الفرس، فهرب من البلاد، ودخل الفرس مصر، حيث قتلوا الآلاف من الربهان، وكثيراً من الأديرة“. (د/سيد توفيق رئيس قسم الآثار المصرية - كلية الآثار جامعة القاهرة، د/ سيد أحمد على الناصري استاذ التاريخ القديم - كلية الآداب جامعة القاهرة-، معالم تاريخ وحضارة مصر ”مصر تحت حكم الرومان“، الناشر دار النهضة العربية، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م، ص ٢٨٥). ويؤكد ابن العربي في كتابه تاريخ مختصر الدول على أن الفرس احتلوا مصر من أقصى الشمال حتى حدود النوبة (مما يعني بلا شك أنهم اتخذوا سبائاً لنفوسهم من النساء واعتدوا على كل من يخالفهم في الدين). إذ يقول: ”وفي السنة الخامسة هرقل افتتح الفرس بيت المقدس. وبعد ثلاث سنين افتتحوا الإسكندرية ومصر ووصلوا إلى النوبة“. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة الأب أنطون صالحاني اليسوعي، الناشر دار الراشد اللبناني الحازمية- لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٤ م، ص ١٥٥. كما أشار بتلر إلى وجود أسرى تم سبيهم إلى بلاد الفرس في عهد كسرى إذ أراد الملك المذكور أن يوحد المسيحيين من أتباع الطبيعة الواحدة والطبعيتين فقال: ”لقد سمعت أن في المسيحيين فرقتين تلعن إحداهما الأخرى، فمن يدبرنا أيهما على الحق؟ فليأتوا جميعاً إلى مجلس واحد فليأخذوا بالحق وليذروا بالباطل“ واجتمع مجمع تحت رئاسة طبيب الملك ورجل اسمه (سمباط البجرتوني) بكل من زخارياس بطريرك القدس، ”رجال حكماء كانوا فيمن أخذ أسيراً من الإسكندرية“ (الفريد بتلر، فتح العرب لمصر، تعريب محمد فريد بك، الناشر مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية ١٩٩٦ م، ص ١٠٥).

٢٢٢ (أعْمَزَ) الرجل: لان فاجترى عليه. وفلاناً، وفيه: استضعفه وعابه وصغّر من شأنه. ”الوسيط“.

الكائنات كلها. فلهذا أنا متوجعة القلب شهدت بخوفك يا رب". ثم انضجعت ليلة فرأت رؤيا كأنها قد احتطفت بغتة ووقفت قدام منبر الله. وكانت في مخافة عظيمة وحيرة في ذاتها وإن واحد من القيام في ذلك الموضع تقدم إليها وقال لها: "يا امرأة من ظلمك كي انتقم لك منه واطلقك من ظلمك". فاضطربت جدًا وقالت له: "لست مظلومة من سبي ولا من أحد من الناس". فأجاب وقال لها: "نعم انك قد ظلمتي وهوذا دفعة واثنين شكوتي إلى الله من أجل هذا الأمر". وفيما هو يخاطبها بهذا الكلام، وإذا من قبل أوامر ربنا يسوع المسيح بغمه الحاكم العادل قد جاءوا بذلك الرجل الذي أسلمها إلى السبي دفعة أخرى ثانية، وقد فرغ أن يموت وهي لم تعلم، لأنها كانت في بلاد البربر وهو مربوط بيديه ورجليه ونار محتلطة بكبريت محيطة به من كل جهة وهو شقوة عظيمة وضيقة لا ينطق بها فعاد إليها الذي كان يخاطبها وقال لها، وهو يشير إلى ذلك: "هل تعرفي من هذا"، فقالت له: "نعم"، فأجاب وقال لها: "تُرى! هل رأيت حكم الحق الذي يصيب كل ظالم؟ ومن يتكلم خلق<sup>٢٦٣</sup> غريبة باطلاً". أما هي فكانت تطلب إلى الذي يخاطبها، وهي باكية، أن يصنع معه رحمة. ولم تكن تسأله عن شيء آخر، وفيما هي واقفة هناك ورفعت عينيها إلى فوق نظرت شمس كثيرة يضيئونها جدًا لا يحصى عددهم فقالت للذي يخاطبها: "ما هذه الشمس النيرة التي آراهم يلمعوا بهذا المقدار؟!". فقال لها: "ليست هذه شمس بل هؤلاء هم القديسين الذين يصنعوا مشيئة الله منذ كانوا في العالم فجعلهم مستحقين في هذا الموضع أن يظهروا ممتلئين مجدًا مضئين هكذا عُرِضُوا للأتعاب معاً من الناس ويا للعجب!! من الشرور التي احتملوها بشجاعة وطول روح وصبر وشكر بغير ملل ولم يجازوهم هناك بشيء من الشرور". ولما استيقظت من النوم أعني أم أبنينا أنبا إبراهيم تعجبت من الذي نظرته ومن بعد يومين أطلقوها من السبي فرجعت إلى بيتها.

<sup>٢٦٣</sup> (خلق): يقال خلق فلان الشيء، وخلق القول. أي افتراه. "الوسيط".

«يوسف (إبرام) غصن شجرة مثمرة غصن شجرة مثمرة على عين  
اغصان قد ارتفعت فوق حائط»<sup>٢٦٤</sup>

هذه هي أشكال الأشجار الحسنة التي أنبتت هذه الثمرة المختارة كما بلغت  
الينا المعرفة بهم لأن الميمر قد سبق أن يظهر لنا تذكراهم ربّما عظيماً لمن ينظرهم  
وعجيباً عالياً يفوق كل رتبة يليق بهذه الثمرة الطوبانية الحلوة بكل نوع أعني بهذا  
ابينا أنبا إبرام التابع آثار آبائنا في العبادة والمخافة بفحص عظيم. فظهر إنسان  
أمين له غيره حسنه في تقويم عبادة الله في هذا مجتهداً بكل قوته في حفظ وصايا  
الإنجيل منذ كان في العالم قبل أن يدخل الى سيرة الرهبنة وكان يفرح قلبه في كل  
وقت بفرح روحاني واشتياق كثير لله وحده. وكان إذا علم أو رأى أحداً يخطف  
شيئاً من الذي له لم يكن يضره ولا يجاوبه بشيء بل كان يهرب بعيداً حتى  
يختفي عنهم الى أن يأخذوا ما يريدوه بغير مانع. وكان يحتمل الشظف بطول  
روح ووداعة حسنة، واقتنى له الوداعة وجعل نفسه غير معدودة عند كل أحد.  
فأما الرحمة ومحبة المساكين فكانت تحرسه بغير انقطاع، والصوم والصلاة كان  
يجتهد في تقويمهم بكل صنف، وعلى الجملة جميع الأعمال المعدودة في الحساب  
من جنس فضيلة كان ينمو فيها. يتقدم كل يوم بأعمال حسنة ولأنه كان يسير  
في أعمال آبائه وتدييره بالكتب أنفاس الله، هذا الذي كان يداوم القراءة فيهم  
الليل والنهار بتيقظ عظيم وفحص كثير. وبهذه الأعمال أيضاً هاج عليه حسد  
ابليس ومكره، وكان بعد كل قليل يقيم عليه اضطراب وتجارب متغيرة من قبل  
الناس الأشرار الذين يستعملهم له اذعاناً في هذه الأمور. فأما أبينا فكان بأمانة  
عظيمة وقوة قلب عجيبة وطلبات غزيرة يطلب نعمة الله الذي أحبه بقلبه كله  
فخلصه من جميعهم بغير مضرة. وكان مستعداً للعبادة هكذا وهو ينمو في كل  
يوم. لكنه لم يرتضي أن يقيم في وسط الجموع ولا يشترك في هذه الحياة إلى  
الانقضاء مع الذين هم مشفقين بهموم هذا العالم لئلا يكون هذا شيئاً لرجوعه  
إلى خلف عن السعي المختار الذي اختاره لنفسه. فتحرك من قبل نعمة الله

<sup>٢٦٤</sup> (تك ٤٩ : ٢٢).

الكائنة فيه، وتشاور مع ذاته أن يتقدم بالمسير إلى البرية ويدخل في الجهاد تحت نير الرهينة بما يليق بمرضاة الله.

### والدة القديس تشجعه على الرهينة وتصلي من أجله

وعندما علمت والدته القديسة بهذه المشورة من بعدما ذهب أبوه إلى الرب فرحت جداً وعلمته أن يصنع إرادته التي اشتهاها بغير مانع. ثم أخرجته إلى ظاهر القرية ليلاً ورفعت يديها نحو السماء وصلت بقلبها إلى الله وطلبت إلى صلاحه القادر على كل شيء أن يسهل طريقه ويساعده على العمل الصالح الذي اشتهاه. وهكذا صلت ببشاشة وفرح عظيم طاهر قائلة: "إن ثمرة بطني قد حسبت لله بالحقيقة مثل قربان مقبول وذبيحة ترضيه".

أيها المدبر العظيم لجبل الأنبا مقار، والأب للشيخين القديسين، الأنبا إبرآم والأنبا جاورجي<sup>٢٦٥</sup>

وكان يسير بهداية الله ومقدم القسوس إيغومانوس دير أنبا مقاره أنبا يؤنس القمص. لم يظهر لكل أحد من جهة هذا الأمر أن دعوته كانت بمشيئة الله ومن جهة تعاليم هذا الشيخ البار وكثرة إفرازه لم يدعه يلتصق بأحد ولا يميل يميناً ولا شمالاً، بل كان دائماً يسير في طريق واحدة ملوكية. وكان له طاعة عظيمة في جميع الأعمال الصالحة وخضوع كامل وأمانة مستقيمة مع كل أحد، حتى إنه كان دائم بقيام الأعمال المرضية لله. وكانت تأتي عليه تجارب صعبة متنوعة في الخفية من أسود<sup>٢٦٦</sup> حسد الأرواح الخبيثة، إلا أن الله جعل له تعزية كاستحقاقه ان يرى اعلانات كثيرة مرات عديدة.

أبانا أنبا إبرآم أبصر في رؤيا الليل. أن باباً انفتح في المغارة، ونزل عنده ربنا يسوع المسيح عزاه ثم صعد (دفنار ٩ طوبه)

كان في يوم وقت الساعة السادسة من الجمعة الثالثة من الصوم المقدس الكبير، وهو واقف يصلي في قلايته فنظر وإذا السقف قد انشق وانكشف حجاب السماء وبغته نزل في ذلك الموضع المسيح الله الكلمة، رب جميع

<sup>٢٦٥</sup> (دفنار ٣٠ كيهك).

<sup>٢٦٦</sup> «اصحوا و اسهروا لان ابليس خصمكم كاسد زائر يحول ملتصا من يتلعه هو» (١ بط ٥: ٨).

الكائنات بمجد لا يوصف ولا يحد وضوء كثير، راكب على مركبة نورانية حواليتها الشاروبيم والसारوفيم وجميع السمائيين يتحركون به هاهنا وهنا، وجلس في وسط القلاية. أما أيينا صار في فرح عظيم وقوة قلب، وخر لساعته قدام المخلص وطلب إليه أن يبارك عليه ؛ وبارك عليه وصعد إلى السماء بكل الذين نزلوا معه بقوة. ولما لم يطب قلب أيينا ان الذي نظره رؤيا، قام لساعته وجاء إلى أبيه الروحاني أنبا يؤنس الإيغومانوس القديس وأعلمه بالأمر. فلم يجاوبه بشيء عن هذا الأمر الذي يسرده له، إلا أنه امتحن طاعته أولاً بشيء عن هذا، امره به وأطاعه فيه كعادته، ومن بعد الأمتحان وجده مستعد لطاعته كما يعرفه، فأعلمه أن الرؤيا التي رآها حقيقة، كما ظن بها وليس فيها شيئاً من الخديعة. ثم قال له: ”لو لم تكن حق، لما كنت تكشف لي كل شيء جربك فيه العدو، لأنه أعمال الشيطان ليس فيها شيء من التواضع، فلهذا لا يريد الإنسان أن يشرحها لأخيه، فأما الإلهيات فإن الراحة تتعبها من كل جهة للذين يشاهدونها ويكونوا مستعدين أن يكملوا جميع أوامر آبائهم بتواضع وانسحاق بغير شيء من المقاومة“. ومنذ ذلك اليوم تعلم أيينا أنبا إبرآم أن يفحص الأمور كمثل ما أشار عليه الشيخ.

### أنبا إبرآم رفيق الملائكة

دفعوع كثيرة كان ينضجع معه ملاك الله قد رسم بحراسته وتعزيتة ويعضده على حمل ثقل جميع الشدائد المحيطة به. ولكثرة زيارته في كل وقت صار معه دالة ويستشيريه في كل أمر يختاره ويكشف له الأمور المزمعة التي تكون بعد أيام، ولكثرة فرحه الذي صار له لأجل ملاحظته معه، والابتهاج الذي يخلص له لمشاهدته إياه وعظم الرؤيا التي يراها. من ضياء مجده صار ينسى الأمور التي يريد ان يسأله من أجلها، فلما جاء اليه الملاك في بعض الأيام، قال له: ”مثلما أظن أن في قلبك أفكار تريد أن تسألني عنها؟“، فصار أيينا في حيرة عظيمة وهو ساكت، لا يريد أن يذكر له ما في قلبه. فشرحها إلى الملاك جهراً، ولما وثق أن الملاك قد عرف أفكاره فترجاه أن يفسرهم له، فطلب إليه بإعلان أن يشرح

له تفسيرهم. فأشهره الملاك قائلاً له: ”إن مسرة الله أن أحفيهم عنك، فكيف أظهرهم لك: هذا لا يليق بك. أما الذي يصلح لك معرفته، وهو مفيد لك، أن تهتم بخلاصك لنفسك وخلاص آخرين: هذا هو اللائق معرفتك به خاصة!“.

لا شيء اردأ من الدينونة للإنسان، لأن بسببها يتقدم إلى شرور ويسكن في شرور<sup>٢٦٧</sup>

كان دفعة حصل في قلب ابينا أنبا إبرآم لوم على أخ كمثل إنسان؛ وكالعادة جاء إليه الملاك وظهر أمامه كمثل من هو مُعْبَس الوجه عليه. ولما أراد أبينا أن يسرع في الدخول إليه بفرح مثل كل دفعة لم يقبله ولم يسر به بل قال له بانتهاز: ”تريد تعلم، أيها الأخ، أنك إن أقمت هكذا تلوم إخوتك الأعضاء في قلبك ! فإنك لا تعود تراني ولا تنمو في شيء من الأمر كما تفكر، بل تصير مغوضاً أنت وكل من يشتهي أن يشبه لك في هذا العمل. ألسنت تعلم أن روح الله يكره وجع الملامة مثل بقية الشرور؟“. حينئذ أحس أبينا أنبا إبرآم بغلظه وخر لساعته أمام الملاك وسأله بدموع قائلاً: ”أخطيت اغفر لي، وبمشيئة الرب وموازرة نعمته أنا اجتهد بكل قوتي أن لا أعود اسقط في هذا الوجع“. وبالجهد تأنس معه الملاك عندما أُنذر بهذا الأمر. ثم أقامه وأوصاه قائلاً: ”نعم، كما قد قررت أنك تحتز على نفسك من اليوم ان لا يطيب قلبك بشيء من افكار من اللوم النجس ولا في شيء من بقايا الشرور المعاندة للفضيلة لكي ما تقتني تدبير الطهارة التي أنت مشتاق إليها، لأن الذي يريد أن يلتصق بالنقاوة الإلهية يجتهد ان يكون هو الآخر نقياً مثله“. ثم غاب عنه الملاك لساعته. أما أبينا فزاد على الجهاد الذي كان له فضيلة نقاوة القلب والوداعة منذ ذلك اليوم بزيادة كثيراً.

القدّيس يخرج روح شريـر (روح عرافة)

من رجل في مدينة ترنوط

قيل عن أخ صادق كان يتبع أبينا عندما كان يتوجه في وقت إلى مصر من أجل شغل اليد لبيعوه أنهم كانوا سائرين الاثنين مع بعضهم البعض فدخلوا إلى

<sup>٢٦٧</sup> من أقوال الأب دوروثيوس. ”بستان الرهبان، طبعة دير أنبا مقار. مرجع سابق“.

كنيسة في قرية لياتوا هناك، لأنه كان وقت المساء، فوجدوا إنسان عليه خلعات مقطعة جالس في وسط البيعة ومعه روح عرافه<sup>٢٦٨</sup>، وكثير من الرجال والنساء مجتمعين حوله يسألون عن أحوالهم كي يعرفهم بها. فنعجبوا جدًا وتألّت قلوبهم لأجل ذلك الهلاك الكائن. وإن الأخ تقدم إلى الشيخ وطلب إليه أن يعين ذلك الشقي وتلك الجموع المحيطة بها الكائنين معه في تلك الضلالة الواحدة. فقال أينا للأخ بتواضع: ”ما لي أنا وهذا الأمر؟ فإن هذا يفوق قدرتي أن أصنعه، كما تظن. هوذا الله، إله الكل، خالقه وخالقنا جميعًا ينظره وله القدرة أن يخلصه. لكن إن كنت تريد وهذا الأمر يرضيك فلنرشمه بعلامة الصليب الكريم، وأنا أرجو أن يحصل له الخير“. فسأله الأخ أن يصنع معه. فلما قال دنا من ذلك الرجل بشجاعة عظيمة وأمانة كاملة، ورشمه على جبهته بعلامة المكرم ثلاث دفع، وللوقت طرح قائلاً: ”حقًا انه رحمة الله أدركتني من جهتك، يا أبي الراهب وذلك الروح الأبكم، لما لم يحتمل قوة علامة الصليب المقدس الذي رشتني به، خرج مني سريعًا وذهب“. فقال أينا: ”بأي نوع أصابتك هذه التجربة، يا أبنّي؟“. فأجاب وقال: ”اغفر لي، يا أبي القديس، فإن من أجل خطاياي قبل هذه الأيام ظهر واحد أمامي مثل خيال وعيناه تضيء كمثل النار؛ ولما سألته: ”من أنت؟“، فقال لي: ”أنا واحد من القديسين“. وللوقت دنا مني ودخل في فمي فحسست به طائرًا في فؤادي، وملأني كلي. وصار كل من يأتي إليّ ليسألني فكان يجاوبه على فمي. وعندما اقترب إليّ ابوتك الآن ورشتني، فأقمتني من الموت الذي كان بداخلي ورأيت أنه قد خرج من فمي وذهب مثلما جاء إلى نعمة الله وصلواتك المقبولة. هوذا قد قويت واسترحت وخلصت من الثقل الذي كان عليّ قبل أن اجتمع بك“. وإن أينا وعظه بكلام كثير يليق بخلاص نفسه إذا حفظه، والرب خلصه من ضلاله ذلك الشيطان لئلا يعاوده دفعة أخرى، ولما أنذره أن يصنع جميع ما قيل له. ولما رأوا جميع أولئك الناس الذين كانوا حول ذلك الرجل يسألوه ما كان، هربوا كلهم وخرجوا من الكنيسة.

<sup>٢٦٨</sup> وفي سفر أعمال الرسل توجد قصة مماثلة "أنظر" «و حدث بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة ان جارية بها روح عرافة استقبلتنا و كانت تكسب موابها مكسبا كثيرا بعرافتها» (اع١٦: ١٦).

وأما أبينا والأخ الذي كان معه وذلك الإنسان الذي عوفي. قاموا وخرجوا من تلك القرية وباعوا القليل من شغل اليد الذي كان معهم، ورجعوا بسرعة إلى جبل شيهات بسلام، بعدما أقاموا أربعة أيام خارجًا عن مسكنهم، لأن الشيخ كان يجتهد كل حين أن يجلس في قلايته منفرد وحده، لأنها كانت حلوه عنده وكرمة مثل فردوس الله.

### قلاية أنبا إبرآم تضيء كأن بها نارًا.

«لأنك أنت تضيء سراجي، الرب الهني ينير ظلمتي»<sup>٢٦٩</sup>

وهذا الأخ المحب لله الذي كان يتبع أبينا هو الذي خبرنا بهذا، أنه كان دفعة قد جاء على باب قلاية الشيخ ليلتقي به ليأخذ بركته. قال: "فلما أقمت قليلاً واقفاً على الباب وأبينا لا يعلم، فنظرت القلاية جميعها كأنها مملوءة ناراً من لميع ذلك الضياء العجيب؛ وكان الشيخ واقفاً يصلي فيها بنشاط عظيم وهو يضيء جداً". قال: "فرح قلبي وعدت إلى قلايتي ممجداً لله على ما رأيت". وهو، أعني ذلك الأخ، قال لنا: "إنني دُفعت بقوة يوم أحد، ومضيت إلى الشيخ أريد أن التقى به من أجل حاجة ضرورية كانت للشيخ قبل أن ندخل إلى الكنيسة. ولما قرعت باب القلاية فخرج وفتح لنا، وهو في ابتهاج عظيم وفرح عجيب". ودخلت إلى القلاية فقلت له: "يا أبي، ما كان منك اليوم حتى إنك ماضي مبتهج بهذا المقدار؟" فأجاب وقال لي: "إن هذه عادة وجهي هكذا على الدوام، ولم يكن شيء فيه من المخافة". فسجدت تحت رجله وكنت أسأله وأقول: "لن أقوم حتى تعرفني ما رأيت في هذه الليلة، لأنني قد علمت أنك رأيت رؤيا". فقال لي: "اغفر لي، أيها الأخ، لأنني لست مستحقاً لما ظننته بي". قال فأقمت أتضرع إليه حيناً طويلاً، وبالجهد طاب قلبي أن يعرفني. ثم أقامني وقال لي وهو مبصر متحير فقال لي: "في هذه الليلة، عندما كنت واقف في الصلاة، رأيت القديس اغريغوريوس أخو العظيم باسيليوس، وهو يضيء جداً ووجهه يضيء مثل الشمس، وهو كان في ابتهاج لا ينطق به وقال لي كلاماً كثيراً من الإلهيات والجسدانيات، نافعاً جداً". وقال:

<sup>٢٦٩</sup> (من ١٨ : ٢٨).



”إنني قد عرفت من شخصه وكلامه أن ذلك الطوباني امتلأ من عظم الفرح والتهليل، وسجدت أمامه وكنت أطلب إليه أن يباركني، فصنع كمثله ما سأله وغاب عني لوقته. هذا هو سبب الابتهاج الذي نظرتني فيه عندما دخلت اليّ. فاغفر لي“. فصنع الأخ مطانية وشكره لأنه عرفه بالذي سأله عنه. ثم سأل عن الأمر الذي جاء إليه بسببه أن يعرفه إياه، فجاوبه بما يليق وخرجوا معاً من الكنيسة. وهذا الكلام قلته من أجل ابينا أنبا إبرآم وآبائه، وكل شيء استطعت معرفته من فضائلهم وتعباداته التي قومها قبل أن يجتمع بأبينا أنبا جاورجي، ويتفقوا مع بعضهم البعض في وحدانية الروح القدس ويحملوا النير الخفيف الخلو الذي للمحبة واسكت إلى هذا الحد معلناً بهؤلاء الذي شرحتهم كمثله ما أعلمونا اجتماع آبائنا القديسين أنبا إبرآم وأنبا جاورجي مع بعضهم بعض. فإن كل واحد منهم كان منفرداً وحده في قلايته التي كان يسكن بها مجتهداً مسرعاً متضرئاً من غير تفريق في ميدان الفضيلة والعبادة، وكان الله معهم مثلما أعرفناكم بما قلناه عنهم.

### طفولة أنبا جاورجي

ولأجل هذا، لما كانوا آباء هذا الآخر محبين لله ظهرت منهما هذه الثمرة الطيبة الطاهرة تبشر بسيرتهما الكاملة المختارة الكاملة بكل عبادة مرضية لله. فلما وهبهم الله هذا الكوكب المنير أنبا جاورجي ونظروا نعمة الله تضيء على وجهه فمجدوا الله، وكان ينمو في القامة والنعمة وتعلم جميع العلوم المقدسة من بعد عماده وتعالى في الأعمال المرضية، ولما كمل له اثنتي عشرة سنة من عمره سلم له آباءه قطيع اغنام يرعاهم في الحقل؛ وكان ينزل الأغنام يرعون في الحقل وينتصب في الصلاة ويتعبد لله إلى المساء وهو صائم يسبح الله بالسهر الطويل، ومنذ صغره ارتقى في درجة الفضيلة ولم يكن يخطر على قلبه شيئاً بالجملة من شهوات هذا العالم. وكان في خروجه لرعية الغنم يأخذ معه خبزة صغيرة يابسها. وإذا ما بلغ إلى المساء يأكلها بالخل مع يسير من البقوليات لا غير وكان ينال كفاف جسده من الماء من غير زياده فلما رأوا آباءه صنيعه الحسن وعدم

اهتمامه بسيرة الجسد لم يكلفوه الى شيء آخر من أجل انهم كانوا قوم محبين لله وكانوا يفرحوا بأعماله التي كان يصنعها وفيما كان ينمو بهذا الاشتياق المرضي لله ونشأ في قامته جيداً وصار عمره أربعة عشر سنة.

### الذهاب إلى البرية

كان له من الله هدوء المشايخ وافكارهم فحُزَّك من قبل الله بشهوة عظيمة إلى سيرة الرهبانية؛ فترك الغنم القليل الذي له في الحقل عند اصحابه وتقدم في المسير إلى البرية، بقلب مستقيم واشتياق صالح وللوقت ظهر أمامه نوراً شبه عمود نار عالياً إلى السماء، وكان يهديه في المسير وعندما نظر ذلك النور صارت نفسه في ابتهاج عظيم وقوة عجيبة. ولما جاء عند المعبر (الجسر) استعد لكي يعدي فاختنفى عنه ذلك النور المتشبه بالعمود، وكان ذلك بامتحان من الله الحليم وحده لكي يظهر قريحته (طبيعته) ان كان ينبت على الكرم الصالح الذي جعله في قلبه.

### حيل شيطانية لمنع جاورجي من سعيه المقدس

وإن الشيطان أخذ شبه انسان ووقف امامه وتصنع بكلام خداع قائل له: ”اني عبرت الساعة على احد المدن فوجدت رجل مشقوق الثياب وقد حمل التراب على رأسه وهو ييكى بمرارة ويقطع شعره ويصرخ بصوت عظيم بشقوة (عظيمة) قائلاً: ”الويل لي فقد اختطف الأسد ولدي لما كان يرعى الغنم“. وكمثل ما أظن انك انت ابن ذلك الرجل فارجع الى أبيك ولا تدعه يحزن بسببك، ويصير في الحسرة العظيمة فإنك لا تنهض بدينونة حزن ابيك الذي ولدك ورباك حتى صرت إلى هذه القامة، واذا ما ذهبت وتركته وحده فإنه لا يجد عزاء من بعدك، وينزل الى الجحيم حزينا من أجلك“. أما أيينا انبا جاورجي فإنه صار في حيرة عظيمة لأجل إنه ما زال صبي وتلاعب عليه ذلك الخداع الشرير؛ يعرض له بذكر أبيه ويتوجع أمامه ويطرح في قلبه رأفته عليه فوقف زمناً وهو غائباً، وللوقت استضاء قلبه بنعمة الروح القدس فاستيقظ وأجاب ذلك الخداع بحلمه قائلاً: ”وكيف تركوا آبائنا الرسل آبائهم وكل شيء لهم وتبعوا الرب وكذلك الشهداء الآخر اهرقوا دمايهم المقدسة من أجل محبتهم

فيه وانا أريد أيضاً أن اتشبه بأولئك، ليس لي عملاً مع آبائي ولا اطلب مالاً من هذا الوقت“. فلما سمع الشيطان هذا الكلام من أبينا أنبا جاورجي انقلب وصار مثل زوبعة وطار في الهواء وحينئذ علم لساعته أنه الشيطان اراد ان يضله ويرده إلى خلف عن الطريق المستقيمة التي اختارها لذاته ثم ابتهج في نفسه وشكر الرب الذي اضاء عليه بنعمته واعتضد بقوته وعدى البحر وهو في عزاء عظيم.

### الملاك الجليل غبريال يظهر له ويرافقه

وللوقت واذ قد ظهر له ملاك الرب شبه صبي حسن الوجه جداً، وعليه لباس زاهر وهو كمثل من يريد أن يرافقه في الطريق وسأله قائلاً: ”إلي أين تذهب في هذه الطريق وحدك أيها الأخ؟“، فأجاب القديس وقال للملاك: ”أريد أن أمضي إلي ترنوط من أجل حاجه لي“، فقال له الملاك: ”وأنا الآخر اريد أن امضي الي ذلك الموضع“. وهكذا ترافقوا مع بعضهم البعض ثم قال له الملاك: ”ترى تعرف أيها الأخ بحواسك انه بكم يجب علينا ان نمجد باستحقاق وحق في مشوره الله إله الكل على عظيم عنايته العجيبة التي يصنعها في كل حين بغير انقطاع وصلاح لا ينطق به ورأفه لا تحد، وحكمه لا تفحص، وقوه حسنه مع جنس البشر بهذا المقدار، ويصنع الصلاح والخير معهم في خلاص نفوسهم وينعم عليهم بحاجات أجسامهم ايضاً ويتأرف عليهم من كل جهة كمثل ما يتأرف الأب على بنيه فكم يجب أن نتعجب منه ونمجده على هؤلاء هكذا وما هو الذي نصنع امامه علي ما أعده في الدهر الآتي للذين يحبوه وحده في هذا الموضع ويتبعوه بكل قلوبهم فإن خيرات دائمة أبدية غير فاسدة وغير متغيرة أفضل وأعظم كثيراً من أتعابهم وسيرهم الذي يعملوها مما لم تراه عين وتسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر“. وكان يخاطبه بهذا وأمثاله من الكلام من أجل خيرية الله فأما أبينا فكانت آذانه مفتوحة يسمعه بابتهاج وكان يتعجب من جميع ما يقال له، ولكثرة الفرح الذي في داخله كان يسير إلى قدام بزياده كمن استحق ان يقتني له شوق عظيم لله، وإلي تلك الخيرات التي

ذكرها امامه الملاك وكان يمشي مشتاقاً أن يصير له ذلك الذي ذكرهم له ولما صار له دالة مع الملاك قال له: ”أطلب إليك يا سيدي أن تعرفني ما هو اسمك؟“، فقال له: ”اسمي أنا هو غبريال ولما قربوا من القرية وهم سائرين فكان النهار قد مال وحن المساء فصعدوا جميعاً ليقموا في مكان إلى باكر ودخلوا إلى الكنيسة ليستريحوا هناك، وإن الملاك غلغل<sup>٢٧٠</sup> حينئذ فهم أنه ملاك الرب أرسله إليه في الطريق ليعزيه ويعرفه كل ما يحتاج إليه. فشكر الله كثيراً بمعرفة في ذاته على هذا الأمر الآخر، ثم انضجع في البيعة وقام باكراً لكي ما يسير في الطريق فرأى ذلك العامود النوراني الذي ظهر له أولاً ولم يبرح قدامه إلى أن أحضره إلى شيهات قبلي ترنوط.

### حياة أنبا جاورجي النسكية في جبل القديس اوريون

ومن هناك صعد إلى جبل انبا اوريون وأقام هناك عند رجل شيخ قديس ساكن في ذلك الموضع متعالياً في سيرته محب في الله جداً فخلق رأسه وسكن عنده تحت طاعته وكان يطيعه بمعرفة عظيمة وحينئذ بعظم صعوبة اقتنى له تدبير فائق ودفع نفسه إلى فضائل كثيرة وتعبات بانشحات وتعب متزايد يليق بالأطهار وكان ينمو دائماً في كل يوم بالله وأقام عشرة سنين لم يذوق شيئاً مطبوخاً بالنار ولم يشرب خمراً ولا شيء مما يتنعم به الجسد سواء خبزاً وملحاً ويسير من البقوليات مع الماء ولم يكن يحتمل أن ينام نهاراً ولا ينضجع البتة على الأرض بل عندما يدنو من إشراق النور يجلس قليلاً فيخطفه النعاس حيناً يسيراً لأنه كان يقيم الليل بأجمعه قائماً في الصلاة وهو يتلو في كلام الكتب أنفاس الله وكان يحفظ الأربعة عشر كتاب ظاهراً وكانت نعمة الله تعضده لأن فهمه كان حاذقاً خالياً من أمواج تفكر هذا الدهر هادياً بكل نقاوة ودفع كثيرة عندما يثقل عليه النوم ويتعبه فيخرج من قلايته مسرعاً ويصعد إلى إحدى الشجرات النابتة في الجبل ويقف متعلقاً ببعض الأغصان وكان يوبخ ذاته قائلاً: ”تحذر من النوم لئلا يسقطك إلى أسفل فتتضر وتموت“. وكان يجتهد خائفاً

<sup>٢٧٠</sup> غلغل: أسرع في سيره - والشيء في الشيء: أدخله فيه حتى يلتبس به ويصير من جملته ”الوسيط“ (والقصد هنا اختفى

من أمامه).

مرتعدًا من النوم ثم يرجع إلى قلايته ساكنًا بخفه وهدوء مستيقظًا مداومًا لأعماله بتعزية عظيمه.

### ملاك الرب يرشده ويضع له قانونًا روحيًا

وفي إحدى الليالي وهو قائمًا في قلايته يصنع خدمته كعادته؛ وإذا الموضع جميعه قد امتلأ نورًا بغتةً حتى ظن في ذاته أنه نور الصبح قد أشرق، وكان متعجبًا كيف قبل أن يكمل خدمته التي يصنعها في كل يوم أشرق النور! وإذا ملاك الرب قد ظهر له للوقت. فلما رآه استغاث باسم المسيح لأنه ظن أنها قوة شيطانية ظهرت له لتطغيه فقال له الملاك: ”حسنًا صنعت لما استغثت بالمسيح الله الكلمة وهذا فاصنعه عادةً فيكون لك خلاصًا ومعونة ومنقذًا من كل ضربات الشيطان الخبيث“. فانتهره باسم يسوع المخلص ثانية وثالثة ثم قال للملاك: ”أعلمني من أنت؟“ فأجابه الملاك قائلاً له: ”أنا ملاك الرب أرسلت اليك من عنده كيما أعرفك بما ينبغي لك أن تصنعه، لأن هذه الأعمال التي انت تصنعها متعبه جدًا“. فقال له ابونا القديس: ”مباركًا هو الرب الذي ارضاه هذا وأنا أسألك أن تصنع معي رحمه مثلما قلت وتعرفني أكثر من هذا لي لأعمله لأن هؤلاء الذي كنت أصنعهم إلى هذا اليوم ليس هم الكفاية“. فأجاب الملاك وقال له: ”إذا ما كان الليل في كل يوم بعدما تصنع صلاتك وخدمتك وتتلو اعتراف الأمانة المستقيمة انضجع ونام قليلاً، وبعد أن تستيقظ بنعمة اصنع صلواتك كقوتك بهدوء وسكون، ثم اجلس أيضًا واتلو بغير قلق ويقظة بفهم، واقرأ في الكتب التي تعلمتها من انفاس الله في الليل“. فقال له أيينا القديس: ”كيف ينبغي أنتم أيها الملائكة مثلما قرأنا انتم في كل حين قيام أمام الله تخدموه بتساييح والشكر الليل والنهار بغير انقطاع؟ ولستم تتعبوا البتة وليس شيئًا من الأعمال تستطيع أن تمنعكم من أن تصنعوا هذه فتعجب الملاك! من دقة فهمه وعظم حرارته بالله“، فقال له: ”أما فنحن أجناد وليس يلحقنا شيئًا من ثقل النوم ولا نُعاس، من أجل هذه الأتعاب من قيامنا أمام الرب ولا نحتاج إلى راحة النوم وإنما هذه الأعمال هكذا تتبع الذين لهم أجساد

وتلتصق بهم، ولأنك لابس كإنسان فيجب عليك ان تنير كقدر قوتك في كل ما تريد أن تصنعه، من خدمة الله الناطقة أو من حاجة الجسد كما تقدر أن تجد ذاتك مستويًا في الجهتين بتعزيه بغير ميلان ولا التفات“. ولما قال له الملاك هذا قبلهم منه بفرح وشكر واشتياق عظيم ثم سجد أمامه ليبارك عليه.

### صلاة الملاك من أجل أنبا جاورجي

وإن الملاك تطلع إلى السماء وبسط يديه لأنه أخذ شكل إنسان وباركه قائلاً: ”أيها الرب الإله الكلمة الخالق والحافظ والمدير لجميع الكائنات العقلية والحسية، التي في السماء فوق والتي في الأرض أسفل الذي من أجل مراحمه الكثيرة تجسد بالحقيقة من غير تبديل من العذراء القديسة الطاهرة مريم، لأجل خلاص جنس البشرية من سبي الشيطان والعبودية المرة التي للخطية. - المبارك إلى الأبد ينبوع كل بركة روحانيه- يبارك هذا الأخ ويثبته في مخافتك الطاهرة ومحبتك الحقيقية، وبالأكثر كثيرًا تحفظه تحت ظل أجنحتك من كل مضرات الماكر ومكايد الأرواح الخبيثة الماردة، كي ينال مهدوء قلبه جميع الخيرات العقلية الدائمة المعدة في السموات، لكل من يتبعك بقلبه كله“. ثم أقامه من سجوده قدامه ودفع إليه قانونًا في تلاوة المزامير بمقدار، عندما سأله على هذا الأمر وهكذا غاب عنه للوقت. وفي تلك الساعة أشرق النور باكرًا، وكان أبونا القديس في فرح قلب عظيم لأنه استحق أن يعرف الطريق بغير ضلاله كما يليق به ان يصنعه في خدمته، وكان إذا ما جربه النوم قليلاً ينام كما أمره ملاك الرب على حصر وحدها ويجعل تحت رأسه طوبه مثل الوسادة.

### أنبا جاورجي يشترك للسياحة في البرية

وبعد أيام لما تمت فيه اشتياق محبه الله وابتدأ أن يزيد بالأكثر، كان يشتهي أن لا ينظر أحدًا من الناس فقام دفعة في الليل ومشى داخلًا في البرية الجوانية الليل كله، وأقام ذلك اليوم وتلك الليلة وكان يمشي مجتهدًا دائمًا مسرعًا كيما يظفر بموضعًا داخل البرية فيقيم فيه متوحدًا وحده. ولما تعب جلس ليستريح قليلًا وأمال رأسه كي ما ينام لأجل ضعف القوة التي كان فيها فنظر في الرؤيا اثنين من القديسين قيام فوق منه قائلين له: ”أيها الأخ هذه الشهوة التي جئت

إلى هاهنا من أجلها حسنه جدًا وعالية وممدوحة غير أن الرب لم يدعك إلى البرية لتقيم فيها في موضع وحدك؛ بل دعاك لتقيم في وسط الإخوة وتعصد انفس كثيره في الشدائد وتشفيهم من أوجاعهم مثل طبيب حليم يداوي الأجنة. فقم الآن بنعمة الرب وارجع إلى الموضع الذي جئت منه من غير أن تكون ذو قلبين“ وكان يفكر بهذا في الرؤيا أن كيف يعرف الطريق التي جاء فيها فقالوا له: ”قوم واتبعنا“. ولوقت استيقظ من النوم فوجد ذاته عند دير آبائنا الروم ومن هناك سار براحه حتى جاء إلى قلايته ودخل إلى مسكنه بهدوء، وجلس يمجّد الله الذي كان معه ولم يدعه أن يضل في الطريق وكان يظهر له في كل وقت بشبه نار تضيء؛ مثل لباس الملك وتلتهب نورًا في قلايته وإنما بلغ إلى هذه الإعلانات هكذا من عظم تواضعه واستقامته عزمه، وهكذا كان يتقدم في نسكيات كثيره حتى إنه لم يكن يأكل كل يوم سوى يسير من الخبز، ومن هذا الأمر دُفع في مرض صعب في باطنه وكان يرمي الدم مرات كثيره ومن بعد هذا رتبت له محبة الله للبشر بقوة ملائكيه تفتقده في كل وقت وتعزيه.

### طاعة الأب الروحي تؤهل الإنسان لإكليل فاضل<sup>٢٧١</sup>

كان دفعة قد استدعاه أبيه الروحاني وهو جالس في قلايته وحده ليخرج ويساعده في أمر ضروري من حاجه الجسد. فصار في قلبه تقمقم يسير ثم انقلب إلى غضب كونه لم يدعه يسكن في وحدته مثلما يشتهي كقدر اشتياقه إلى الله، ثم خرج ليكمل الخدمة التي رسم له أبيه وعاد إلى قلايته وجلس، فظهرت له تلك القوه الملائكية وهي تتهدده مثل من هو مغضب عليه فعندما رآها بهذا الشكل اضطرب جدًا وتوجع قلبه فنظرت اليه بهيمة وقالت له: ”تريد أن تقبل إليك التدمم والغضب وتوجد صديقًا للبشر ويكون لك صداقه مع الله ويرسلني إليك تعزيه لك. فأعلم إليك منذ الآن أنك إن عاودت مثل هذا فإنك لا تراني ما دام لك هذه الأمور هكذا“. فلما سمع منها هذا اضطرب وانحل في داخله وسجد للوقت بوجهه قدامها، وكان يبكي بمرارة عظيمة ويسأل ويصرخ

<sup>٢٧١</sup> من أقوال الأب يوسف التبايسي. بستان الرهبان طبعة دير أنبا مقار (مرجع سابق).

قائلاً: ”تحنن عليّ اخطيت اغفر لي“. وبالجهد بعد حيناً طويل وهو ساجد ييكي انقلبت الي مؤانسه وقالت له تلك القوة: ”إن الله قد غفر لك هذه الدفعة، ورفع إثمك كمثل ما سألت، لكن احفظ ذاتك فيما يأتي بكل قوتك من التدمم والغضب، وتقلل بقية الشرور فلا تدنوا منه فانك ان داومت الصداقة لله فإن الله يرسلني اليك تعزيه لك“. ولساعتها غابت عني ومن ذلك اليوم اتخذ له حرص عظيم بهذا المقدار؛ أن لا يغضب ولا يتقمم في افكاره الخفية البته وكان يصنع إستقامات كثيرة وسيرة عجيبة وديعة مع كل أحد جميع أيام حياته مع بقية الفضائل وكانوا يظهر حوله أشكال متغيره كثيره ليجذبوه إلى الغيظ فلم يكن يميل اليهم البته.

### من اليوم سأحمل أثقال أخي وأقبل الآلام عوض فرحه<sup>٢٧٢</sup>

فيما هو جالس دفعه في قلايته وحده حينئذ جاءت إليه تلك القوة الملائكية كالعادة وبينما هي تخاطبه بعظم ابتهاج واذا أخ قد قرع الباب يطلب تعزيه من أئينا لأنه كان مزنوگًا من أفكاره وكان الله قد دفع لأئينا نعمة التعزيه هكذا كالکلام الذي ظهر له في الرؤيا بالبريه في الزمان الذي دخل فيه إلى البريه يريد أن يجد مكان ينفرده فيه وحده حتى إن كل من كان مزنوك في شيء من سائر الأشياء إذا ما نظروا وجهه يضيء عجيبًا من لميع الروح القدس فتدركهم راحة لا سيما إذا خاطبهم بقمه (فلما قرع الأخ الباب) كما سبقت أن أقول ومن أجل أن قلب أئينا وفكره كان متعلق بتلك القوة الملائكية وهي تخاطبهم فلم يكن يهتم بمن يقرع الباب وصار كمثل من نسي ولا يريد أن يحركه أحد ولا يخرج لثلا يستهين بتلك القوة الملائكية التي كانت عنده اما هي فأيقظته قائلة له: ”أخرج واجتمع بالأخ وعينُه فإنه مزنوك جدًا وهو ذا أنا مقيم هاهنا منتظر حتى تعود“. ولما خرج واجتمع بالأخ بعظم صلاحه وبشاشته وسمع كلامه وعزاه بكلام كثير ملائم وتركه في ابتهاج عظيم وطيبة قلب حسنه ثم عاد ودخل إلى القلاية فوجد تلك القوه تنتظره كما سبقنا ان نقول، فقال له: ”انه لخبر عظيم قد صنعته الآن فإن هذه مشيئة الله الصالح محب البشر وحده أن تتعب مع

<sup>٢٧٢</sup> من ذكصولجية أنبا مقار.



أخوتك الأعضاء باجتهاد وتعاضدهم بالتعازي؛ عندما يكونوا مضنوكين بالتجارب ليكون الله معزيًا لك وناصرًا ومعينًا فإنه كما يظهر الإنسان في تعب مع أحد من جنسه فإن الله يظهر له معينًا كذلك“. وبزياده كثيرًا كان يصنع اجتهاد عظيم وتعزیه كثيره مع كل من هو مضنوك في تجربه كما أمرته تلك القوه الملائكية وهذا ما علمناه من أعمال أبينا القديس أنبا جاورجي، الذي صنعهم قبل أن تجتمع بأيينا أنبا إبرآم وقيما الأثنين في موضع باتفاق اجتماع آبائنا القديسين أنبا إبرآم وأنبا جاورجي مع بعضهم بعضًا.

**أقبل من جبل شيهات. أبونا أنبا إبرآم. فاجتمع بأيينا أنبا جاورجي رجل الله بالحقيقة.** (دفنار ١٨ بشنس)

فإن كل واحد منهم كان منفرد وحده في قلايته التي كان ساكنًا بها، مجتهدًا مسرعًا من غير تعويق في ميدان الفضيلة والعبادة وكان الله معه كما عرفناكم بما قلناه عنهم، أما أبينا أنبا إبرآم؛ فكان ساكنًا بدير أنبا مقاره بشيهات وأما أنبا جاورجي؛ فكان ساكنًا في جبل انبا اوريون، فتبدير ومسرة الله الصالح الحليم صانع الخير مبدع جميع الكائنات الحسية والعقلية مهيب قوامهم معيد الجموع المنقسمة والمتفرقة إلى الألفة الواحدة بعنايته المحيطة بهم كلهم المفيض عليهم السلامة الغير محدودة. لكلام أحد آبائنا المتكلمين بالإلهيات معلمين البيعة خرج أبينا أنبا إبرآم من جبل شيهات؛ وجاء إلى جبل أنبا اوريون من أجل حاجة عرضت له هناك، ولما لم يجيد يمينا ولا شمالاً ذهب مستقيماً إلى قلاية أبينا أنبا جاورجي مهتدياً بنعمة الله العلي، ولما قرع الباب خرج الشيخ بابتهاج عظيم كعادته، وعندما فتح الباب ونظروا بعضهم البعض خر الواحد منهم تحت رجلي الآخر على الأرض، ثم سلما بعضهما على بعض بحلاوة ملائمة وسكون موافق ودخلوا الى القلاية جميعاً وصلوا ثم جلسوا وابتدأوا لوقتهم بهدوء يتحدثوا في الروحانيات وفي قوام أعمال آبائنا الأولين، وكيف اضاءوا في زمانهم بالفضائل وكان حديث الواحد منهم يحسن عند الآخر ويتأمله بمعرفته سائرًا بنقاوة في اشتياقه المقدس الذي كان بالله وصنيع مشيئته وحده، وكانوا يسألوا بعضهم البعض بتواضع حقيقي ووداعه مملوءة نعمة أن يسكنوا جميعاً في موضع بقلب

واحد بواحدنية الروح ورباط السلامة بقية حياتهم؛ لأنهما الاثنين كان كل واحد منهم يفحص باجتهاد أن يجد أخ يكون له غيره صالحه، مرضية لله بغير ميلان ليتفق معه في نمو الفضيلة ولأنهما جميعاً كانا مصطفىين بالأكثر في كل أمورهم وقد فرغوا أن يتعلموا يقيناً من الكتب المقدسة بتأمل وفهم حاذق؛ أن يتفق الإنسان مع أخيه يكون مصطفىاً بالأكثر وأفضل من كل ثمره ويغلب كل حيل الشيطان ومناصبه، وإنه أقوى من أن يكون الإنسان وحده فإن هذه ثمرتها أن يكون الإنسان مضطهد في كل وقت ومن قبل مسرة الله العلي اتفقا الاثنين علي هذا الأمر بغير امتناع. ولما كان المساء قاموا باتفاق واحد وتوجهوا إلى الكنيسة واقاموا الليل كله ساهرين امام الهيكل المقدس، يصلون بانشحات ويطلبوا بتيقظ حقيقي إلى مراحم الله التي تفوق كل قوه أن يعضدهم ويساعدتهم في كل شيء هم مستعدين أن يصنعوه مما يليق ويصلح، وصاروا منذ ذلك الوقت نفس واحده وقلب واحد وليس لهم جسدين ولم يكن أحد منهم يهتم بما يخص جسده وحده أو يطلب راحته خاصة، بل كانا يهتما جميعاً بخلاصهما الاثنين وباستقامتهما في أخوةٍ واحدة بغير امتناع.

### القديس يوحنا المعمدان يمتدح جهادهم الحسن

وبينما هم يصلون هكذا بهذه الطلبة المختارة؛ أن يكملوا بطهارة من غير عثرة أشرق عليهم بغتة نوراً خارج من المذبح، وكانوا ينتظروا ويسمعوا الطغيمات الملائكية طائفين حول المذبح يسبحون الله، ومن الخوف سقطوا جميعاً على وجوههم وصاروا مثل الأموات، وإذا قد لمسهم واقامهم القديس السابق يوحنا المعمداني بعد أن ظهر لهم مشرقاً في مجد عظيم ولميع مرتفع، حتي أن البيعة جميعها امتلأت من شفاعاته ونزع الخوف عنهم وثبت قلوبهم وكان يمدحهم على صنيعهم الحسن الذي قرروه بعضهم مع بعض، وكان يطيب قلوبهم ويعزيهم أن هذا بمسرة الله الصالح المحسن لمحبيه. ثم اختفي عنهم للوقت وكان القديس الصابغ يسبح مع الملائكة حول المذبح وتلك الأنوار مشرقة من ظهورهم إلى وقت الصباح.

## الانطلاق إلى برية شيهيت

ولما كان باكراً خرجوا من الكنيسة وعادوا إلى قلالية أنبا جاورجي، وهم كائنين في فرح عظيم وشكر إذ جعلهم الله مستحقين بمشيئته كمال مرادهم الحسن الذي كانوا يشتهونه منذ زمان طويل ثم اتفقوا جميعاً أن يسكنوا في دير أنبا مقاره بشيهات؛ فقام أنبا إبرآم وأسرع أولاً بفرح عظيم قبل أنبا جاورجي ومضى إلى شيهات، وحلف أنبا جاورجي حتي يدبر القلاية التي كان ساكناً بها، ومن بعد يومين خرج أنبا جاورجي باشتياق حسن ليتوجه إلى شيهات إلى عند أنبا إبرآم كما اتفقاً أولاً، وبينما هو مفكراً كيف يقدر يصل إلى الموضع الذي يريده مع ضعف جسده؟!، وللوقت بغتة لم يشعر إلا وهو قد وجد ذاته في دير أنبا مقاره. فدخل إلى دير أنبا مقاره فوجد أنبا إبرآم في إبتهاج عظيم وانشراح قلب كثير، فاعتنقوا بعضهم بعضاً وسكنوا في موضع واحد بهدوء عظيم ووحداية متفقه عجيبة جداً، ومن ذلك اليوم حملوا نير ربنا يسوع المسيح الحلو بحبه وفرح عظيم واتفاق حسن.

## مرض عضال يصيب أنبا إبرآم ويقعده لسنين طويلة

وقبل أربعة سنين من مرض أنبا إبرآم، بعد ثالث سنة تنيح فيها إلى اليوم الذي افتقد الله فيه أنبا جاورجي وانتقل من هذا العالم كاشتياقه الصالح، سبعة سنين كان الرب قد جلب عليه مرض صعب جدًّا، الذي هو وجع المفاصل وفي كل قليل كان يرقد مريضًا في شدة عظيمة ووجع صعب جدًّا، وكان دائمًا في الشكر لربنا يسوع المسيح إلهنا مبتهجًا متهللاً في ذاته أنه ارضاه ويفتقده بهذا الأمر اللائق بتدبيره المخلص الذي يصنعه بصلاحه الحائط بنا في كل حين، وعندما أراد الله المحسن الصالح أن يعتق الآخر من جميع أتعابه وينقله إلى الراحة افتقده بوجع رجليه هذا الذي تأدب باحتماله إياه، وكان مطروحًا بضربان عظيم أياًما كثيره واحتمل أمراضًا صعبة متغيرة كانت تأتي عليه من قبل الرب العارف بما يصلح لكل أحد، وكان يقيم أيامًا متورم الرجلين مطروح بضربان عظيم، وأيامًا بحمى حاره تشمل جسده كله ودفوع كثيره يرتعد في داخله وجراحات في مقاعده، وعلى الجملة كان كمثّل واحدًا من الشهداء بما قاساه من تغيرات العذاب في جسده إلى أن خرج من هذا العالم.

## الشياطين تحارب القديس أنبا إبرآم وهو على فراش المرض

وبينما هو كائن في هذا، ظهر أمامه روح خبيث ومعه جمع عظيم من جنسه الشياطين؛ أردياء مثله وخاطبوه قائلين: "من الذي جلب عليك هذه الأمراض؟". أما هو فقال لهم بهدوء: "ماذا تريدون انتم من هذا السؤال؟!" فقالوا له: "نريد أن نعلم" فأجاب وقال لهم بحكمه عظيمه: "سيدي يسوع المسيح هو الذي جلب هذه الأمراض عليّ". فقالوا: "ومن هو يسوع؟". فقال لهم بقوة قلب عظيمه: "هو الإله الحقيقي الغير مبتدأ، الغير منتهى، الذي بلا زمان الأبدي، غير المحدود، الغير مفهوم، الذي بلا شبه، الغير منظور، الغير محصور، الغير مبتدل، الغير منقلب، الذي ولد قديمًا من جوهر الآب قبل كل الدهور، الكلمة الوحيد الخالق السابق علمه بكل ما كان، المنظور والغير منظور،

الذي تجسد بالحقيقة والثبات من غير تغيير ولا شيء من الفنطسه<sup>٢٧٣</sup> من العذراء المملوءة مجداً مرقمتم، وصار إنساناً من أجل رحمته ومحبه فينا نحن البشر، وتألّم بمشيئته عنا وعُلق علي الصليب وذاق الموت في جسده بسلطانه حتى خلاصنا من العبودية المرة من شرورنا الملعونة، وقطع اوتارنا وسحق قوانا وصيرنا خاويين من كل جهة“. فأجابوا اولئك المخالفين وقالوا بهدوء: ”إن كان الذي تقول عنه هو الإله الحقيقي حقاً وأنت أيضاً تقول أنك تحبه من قبل اليوم وهو أيضاً يحبك، فهل هذه هي المجازاة التي كنت تستحق أن تقبلها منه والخيرات التي أعدها لك عوض محبتك فيه؟!، والأتعاب التي قاسيتهم في طاعته وتقويم وصاياه؟“. فأجاب أبينا (أنبا إبرام) وقال لهم: ”أما هذه الأوجاع التي افتقدني بها يا ناقصي العقل، وجلبهم عليّ سلطانه ومشيئته الصالحة، الذي تقولوا أنتم أنه جابها عليّ عوض محبتي فيه؛ فأنا أوّمن بالتحقيق أنه يحبني جداً وقد جعلني مستحقاً لهم ربّحاً وخلاصاً لنفسي وإعداد إلى أن أجد دالة أمامه، فلأجل هذا أنا بشكر وانبساط قلب بغير شيء من الضجر أحتملهم، وأنا ايضاً محتمل“. فقالوا له اولئك الأنجاس: ”إنه يقيق في هذه الأوجاع زماناً طويلاً ويزيدك على هؤلاء أن يجعلك أعمى، وأطرش، وأعرج، وأنت تفعل كل ذلك لأجله؟!“ فقال: ”أما أنا فأكون دائماً أباركه بالأكثر وأمجده على واحدة من هؤلاء واشكره كصالح متحنن وإله خالق وأعلم أنه يحبني ويحبني كثيراً وصنع معي ما

<sup>٢٧٣</sup> فنطسه = خيال وفي اليوناني φάντασμα ودخلت العربية كما في الكتابات الرهبانية ”فناطس الليل“ كما استخدمها العامة في اللغة الدارجة فنطريه، وفي الإنجليزى fantastic وكلهم بمعنى: ”خيالي، رائع، غريب“. ويقصد الكاتب هنا بكلمة فنطسه ”خيال“ هرطقة الدوسيتيين (اسمهم مشتق من فعل ζοκέω بمعنى يبدو، أو يظهر أي الظاهريين) كانوا يزعمون أن المسيح جاء في مجرد صورة إنسان ظاهري دون أن يكون له جسد فعلي حقيقي ملموس أي إنه لم يكن له كيان بشري وتلك الهرطقة ظهرت منذ أيام القديس يوحنا الرسول الذي تكلم عنها في رسالته الأولى ضد تابعيها قائلاً: «كل روح يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله وكل روح لا يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله» (يو ١: ٤، ٢، ٣). وهؤلاء الدوسيتيين كانوا لازالوا موجودين حتى أيام القديس إيرينيئوس تلميذ القديس يوحنا الحبيب وهم الذين قصدهم في قوله [الذين يزعمون أنه لم يستعلن إلا بحسب المظهر أي أنه لم يولد بالجسد ولم يصر بالحقيقة إنساناً هؤلاء يبقون في رقة الحكم القديم].

يليق بخلاصي بزياده كثيرا وأما أنتم يا ملاعين مع إبليس أبيكم فتكونوا محرومين في هذا الدهر وفي الآتي“. ولوقتهم اختفوا بفضيحة عظيمة، وهذه الحيل جميعها صنعوها اولئك الشياطين صانعوا المكر بكلام متملق مملوء مكر مع أبنينا، وكانوا محيطين به ليقول لهم إنكم أنتم الذين جلبتم عليّ هذه الأمراض كمن لهم سلطان وقوه أن يصنعوا شيئا من ذواتهم وحدهم، لكن (الله) اضاء عليه بلميع المعرفة الحقيقية التي لنعمة الروح القدس هذه التي كانت تتقد داخله في كل حين بغير انقطاع، فلم يصنع كمشيئتهم المعوجة وكما يلائم تقدمهم اليه أعني اولئك صانعي الشرور لأن المسيح إلهنا هو الذي يصنع كل امرًا لحبيبه؛ بحكمة ناطقة، ومعرفة عظيمة، لأنه هو وحده الذي له السلطان والقوة أن يصنع كل ما يريد في كل زمان. وإلى اليوم الذي أرادته الرب أن يفتقده وينحله لم ينحل بهذا المرض القوي، بل كان يقطع وينتهر الشياطين ويلعنهم بزياده ويذكر اسم ربنا يسوع المسيح كثيرًا باشتياق عظيم وشكر غزير وكان عقله دائما مستيقظ جدًا بغير تغيير ويرسل اعتراف كثير بالثالوث القدوس كالأمانة الأرثوذكسية.

### نياحة أنبا إبرآم

عرفونا من أجل أبينا أنبا إبرآم ان الرب افتقده دفعة فمضى إلى ان قارب الموت، وكان مطروحًا من الأوجاع الثقيلة التي كانت عليه. فشاهد بإعلان ثلاثة من آبائنا القديسين يضيئوا وهم كائنين في مجد عظيم. وكان يعرفهم منذ كانوا يعزوه من قبل لأجل الراحة المعدة له، ثم عرفوه أن ليس هذا مسرة الله أن ينتقل من هذا العالم في هذه الدفعة ومن بعد يومين آخر، ظهر له ملاك الرب وقال له: ”انه قد ارضى الله الصالح ان تبقى في الجسد زمانًا آخر لأجل ربح نفوس كثيرة، فاشتد على حقوك مثل قوي، تنال قوة من عند الرب، قم وابتدأ بالخدمة بفرح“. ومن ذلك اليوم عوفي حتى كأنه لم يمرض البتة. ومن قبل أن ينتقل أبينا أنبا إبرآم من هذا العالم بثمانية عشر سنة الى يوم وفاته، جلب الله الصالح عليه مرض صعب مثل بعض القديسين. وكان جسده جميعه يضرب عليه كل وقت، وكان يقاسي شدة عظيمة وهو محتمل ذلك بشجاعة وشكر، وان الله رسم له ملاك يخدمه دائمًا في كل ساعة ويحرس نفسه ويقوتها ويقويها

لئلا تنحل من كثرة عذاب الوجع. فطلب إلى الله مرة واثنين وثلاثة مثل المعلم العظيم بولس ان يريحه من التعب الذي هو فيه، فجأوبه مع الملاك المرسوم لتعزيته بتلك الأصوات التي كانت إلى الرسول من قبله قائلاً: ”يكفيك أن تسأل هكذا الآن! قوتي انما تكمل بالضعف. هوذا أما ازورك كل وقت بغير انقطاع، ولست اتخلى عنك“. ومن بعد ثمانية عشر سنة وهو كائن في هذا الضربان العظيم، سُر الله أن يريحه من أتعاب هذا العالم وينقله إليه. وكان مطروحاً راقداً وقد ثقل عليه المرض، إلا أن قوة الله كانت دائمة معه تعضده وكان في هدوء عظيم وثبات عجيب وابتهاج حسن في وجهه، حتى كأنه لم يمرض البتة، يشبه دابة تربى ولدها على الدوام. وكان يعظ الإخوة بكلام الله كعادته برأفة كثيرة ومحبة طاهرة، وكان الله يعرفه ويربه إعلانات كثيرة مقدسة ومناظر عجيبة. وقبل أن يخرج من الجسد باثني عشر يوماً، رأى واحداً من القديسين كانت عادته ان يراه كل قليل، أعني بذلك الطوباني أبينا يؤنس كبير القسوس وإيغومانوس كنيسة شيهات. ومن الوقت الذي تنيح فيه إلى ان دفنوا جسده الطاهر، كان جسده حاراً مثل شيء خارج من التتور لساعته، ولم ييبس شيء من جسده البتة، كعادة الأجساد إذا فارقتها الأنفس؛ بل كان رطب مستريح مع من يحركهم كمثال الأحياء. وإن كثير من الإخوة الذين كانوا عنده من بداية ذلك النهار وكفنوا جسده كانوا قوم مصطفىين وقد شاهدوا أبينا أنبا جاورجي، شهدوا بحقيق الأمر أنهم نظروا بإعلان صفوف الملائكة وأبينا أنبا يؤنس الإيغومانوس وأنبا مقاره وأنبا شيشاي مع كثير من القديسين حتى صاروا جمع عظيم وحملوه معهم إلى موضع الراحة الدائمة. وأكمل سعيه بشيخوخة دسمة وهو ابن خمسة وثمانين سنة. أقام منها في العالم أربعة وثلاثين سنة، وواحد وخمسين سنة راهباً. واليوم الذي خرج من الجسد هو التاسع من شهر طوبة.

### نياحة أنبا جاورجي

ومن وقت الساعة الثالثة من اليوم الذي تنيح فيه؛ الثامن عشر من شهر بشنس واقتنى دالة عظيمة باتحاده بموهبة السرائر الكريمة (التناول من الأسرار

المقدسة)، لأنه كان يسأل هذه دائماً، وإلى وقت الساعة التاسعة ففتح فاه باعتراف معجز وأسلم الروح وكان عمره اثنين وسبعين سنة؛ أقام منها أربعة عشر سنة في العالم وثمانية وخمسين سنة راهباً، وهو كاملاً في بتولية جسده ونفسه معاً، وكثيرين من الإخوة المحبين للإله الذين كانوا حوله في ذلك الوقت اولئك الذين اقتفوا اثره وتبعوا تعاليمه وأثار أخيه بكل قوتهم، استحقوا أن يشاهدوا صفوف كثيرين من الملائكة جاءوا خلفه وجمع كثير من القديسين وهم خائفين وحاملين نفسه الطوبانية، وكان أبينا أنبا إبرآم أيضاً معهم واشتموا رائحة طيب عظيم عابق في الجو من أجل ظهورهم هذا الذي يفوق في رائحته وطيبه كل طيب رفيع يوجد عندنا، حينئذ جميع الإخوة تأدبوا في الصبر عن آبائنا هؤلاء الذين كانوا لهم هُدأة لأجل ربح أنفسهم ومعلمين لهم أن يقتنوا الحياة الدائمة عندما وافاتهم تعزية الآخر بعد انتقال أبينا أنبا إبرآم وثقل عليهم حزن القلب جداً لأجل صعوبة اليتيم الذي قد صاروا فيه من كل جهة، وكان كل منهم حزين الوجه، باكي العين، مقابل أخيه بمسكنة عظيمه واحتقار كثير عارفين بكل نوع؛ أنه لم يبق لهم أباً بعد آبائنا أنبا إبرآم وأنبا جاورجي سوى الرب الإله أب الأيتام واهب كل عزاء، الذي يشفي المنسحقين بأرواحهم ويعزي نفوسهم ويشدد قلوبهم لما يشاهدوا فيما بينهم الإخوة الأكبر؛ المجاهدين الذين نموا حقاً في القامة العقلية من قبل تعليم وتقويم آبائنا طانين أنهم يكونوا لهم سلوة وعزاء عوضاً عن اولئك، وبهذا المثال خلعوا آبائنا القديسين الثياب الجلدية (الجسد) التي كانوا يلبسونها ومضوا إلى الفردوس، ولبسوا بدل هؤلاء ملابساً مضاعفة منسوجة مزينة بكل نوع لتقاوة سيرتهم وصار موتهم بهذا المثال كريماً أمام الله؛ لأنه لا يعد لهم موتاً بل انفصال من القيود الجسمانية وصاروا أحراراً منها وعلي هذا المثال لم يجوزوا بحر الحياة السمائية وحدها فقط، بل البحر الأسود المظلم الذي لهذا العالم الممتلئ ظلام وجازوه بكل جهد عظيم ووصلوا إلى أرض الميعاد التي وعد بها الرب محبيه وتمتعوا بالحياة السعيدة، وورثوا الملكوت السمائية حيث المسيح ملكهم الذي أحبوه واستراحوا وتركوا لنا تذكارهم الصالح جيلاً بعد جيل وإلى كمال الدهور.



ونحن نعلم إذا صنعنا تذكاراتهم الحسن نستحق منهم الشفاعة والطلبة أمام ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ابن الله الحي الأزلي هذا الذي يليق به المجد والإكرام والتسبيح والسجود والهبة والعظمة والوقار مع أبيه الصالح الرحوم والروح القدس الحي المحيي الثالوث المساوي الإله الواحد الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين وأبد الأبدين بقولنا أجمعين آمين كيريا ليصون. كملت سيرة أنبا إبرآم وأنبا جاورجي بسلام من الرب. آمين. آمين. آمين. تم.

### أحداث أخرى

#### مقابلة الناسكين العظمين

أنبا أبرآم وأنبا جاورجي بالراهب إيساك<sup>٢٧٤</sup>

حدث يوماً أن الناسكين العظمين أنبا أبرآم وأنبا جاورجي مضيا إليه وتكلما معه بما فيه منفعة للنفس وكشفا له أفكارهما ولما تطلعا إلى داخل قلايته لم يجدا بها سوى الخبز وقليل من الملح فنالتهما الدهشة، فسألاه ماذا يأكل في هذه الأيام فأخبرهم أنه يأكل ما يأكله الأخوة عادة فأجابوه أننا لا نرى سوى قليل من الخبز والملح وطلبوا منه أن يحضرا له بعض الزيتون ولكنه رفض وأخبرهم أنه لا بد أن يتعب نفسه قليلاً أكثر من الأخوة، فخرجوا من عنده وهما يتحدثان بخبر تقشفه وذاع صيته بين الأخوة.

#### قلاية بيجيج

من المعروف أن هذه القلاية كانت مازالت موجودة في القرون الوسطى حتى القرن الرابع عشر، وكان قبرهما من معالم الدير التي يتبارك البطاركة بزيارتها، والمعروف حالياً أنها المبنى المتهدم الذي يجاور دير زكريا من الجهة القبليّة.

<sup>٢٧٤</sup> (كان القديسين أبرآم و جاورجي) معاصرين للراهب اسحق الذي كان أيضاً تلميذاً لأنبا زكريا أسقف صا (سخا) والذي صار فيما بعد البابا إيساك ال (٤١). بطاركة من دير القديس الأنبا مقار الكبير، مرجع سابق، ص ٧٦.

وبرجعنا إلى كتاب تكريس الميرون نقرأ عن البطريك أنبا بنيامين الثاني (١٣٣٠م) أنه في دورته الطقسية يوم أحد الشعانين ركب من الدير وزار ”مغارة الآباء“ ثم زار ”مقبرة الآباء الرهبان حيث صلى الترحيم على مقبرة إبرآم وجاورجي“.

## **الباب السادس**

### **ملحق أساقفة من دير أنبا مقار**



## اهداء

إلى روح أبينا أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير القديس أنبا مقار الكبير بوادي النطرون.

أنبا ميخائيل في سطور:

ولد في ٧ أبريل عام ١٩٢١م بقرية الرحمانية مركز نجع حمادي بمحافظة قنا.

ترهب في ١٩ فبراير ١٩٣٩م باسم الراهب متياس المقاري.

عُيِّن أميناً للدير في نوفمبر ١٩٤٠م.

رُسم مطراناً في ٢٥ أغسطس عام ١٩٤٦م.

لُقّب بأسد الصعيد، وشيخ المطارنة.

قضى في الحياة الرهبانية ٧٥ سنة منها ٦٨ سنة مطراناً على أسيوط، وفي

رئاسة دير أنبا مقار ٦٦ سنة.

عاصر أربعة من الآباء البطارقة منذ أن تولى مطرانية أسيوط.

تنيح في ١٤ هاتور ١٧٣١ش الموافق ٢٣ نوفمبر ٢٠١٤م عن عمر يناهز

الثلاثة والتسعين عامًا.

ترأس صلاة الجناز قداسة البابا تواضروس الثاني (١١٨)، ولغيف من الآباء

الأساقفة والكهنة والرهبان، وجموع غفيرة من شعب الكرازة المرقسية، وبحضور

القيادات الشعبية والسياسية بمحافظة أسيوط.



نيافة أنبا ميخائيل. مطران اسكوط. ٢٥ أغسطس ١٩٤٦ م

## تقرير عن الأساقفة أبناء دير أنبا مقار الكبير

تخرج من دير القديس أنبا مقار عدد كبير من الأساقفة وكان هذا نتيجة لسببين رئيسيين:-

الأول: كان بدير القديس أنبا مقار أكبر تجمع رهباني كما توضح الإحصائيات والبيانات التي سجلها لنا الشماس "موهوب بن منصور" في القرن الحادي العشر أنَّ عدد الرهبان في دير القديس أنبا مقار بلغ إلى ٤٠٠ راهب ويليهِ دير القديس يحنس القصير ١٦٥ راهبًا، وبالتالي أصبح الأمر مسألة نسبة وتناسب.

ثانيًا: تنصيب عدد كبير من رهبان الدير بطاركة حيث وصل عددهم إلى ٢٩ بطريركًا؛ كان من نتائجه رسامة عدد كبير من رهبان الدير أساقفة. وأما عدد الأساقفة الذي توصلنا له في هذا الملحق بلغ إلى ٢٣ أسقفًا في الفترة ما بين القرن السابع والقرن الثاني عشر، وإن كان هذا العدد لا يتناسب مع طول تلك الفترة الزمنية.

ونوضح هنا أنه يوجد الكثير من سير هؤلاء الآباء الأساقفة احتفظ التاريخ لنفسه بها ولم يسوح بسرهم، وما ذكرناه إنما هو غيضٌ من فيض، وليلاحظ القارئ أن هذا الملحق إنما هو سجل تاريخي، لذلك دَوْنَا فيه كل ما وصلنا عنهم سواء من كانت أعماله مرضية أم ذميمة، أما عدم توفر بيانات وافية عن أساقفة تلك العصور عمومًا إنما يرجع إلى ما عانى منه الأقباط من الاضطهاد الذي أثقل كاهلهم بنير الضرائب والتحقيق ولم يكن أمامهم خيار آخر إما إنكار الدين أو القتل، كذلك العامل النفسي الذي له دورًا بالغًا في تهيمته نفوس الباحثين والمؤرخين للإبداع الفكري والثقافي والذي لم يتوفر في تلك الآونة التي تميزت بالأحداث المتلاحقة، كل هذا جعل الأقباط ينشغلون عن تدوين كثير من تاريخهم بل ويظهر ذلك القصور في تدوين سير القديسين والشهداء وبالأخص في كتاب السنكسار خلال العصر العربي بما لا يتناسب مع طول تلك المدة الزمنية، حتى من توصلنا إلى اسمائهم لم تصلنا عنهم سوى شذرات أو سيرة مقتضبة.

## كشف بأسماء الآباء الأساقفة

| م  | اسم الأب الأسقف               |
|----|-------------------------------|
| ١  | أنبا يوحنا أسقف "البرلس"      |
| ٢  | أنبا زكريا أسقف "صا"          |
| ٣  | أنبا يوحنا أسقف "نقيوس"       |
| ٤  | أنبا مينا أسقف "نقيوس"        |
| ٥  | أنبا مينا أسقف "تمي"          |
| ٦  | أنبا تادرس أسقف "مصر"         |
| ٧  | أنبا بطرس أسقف "ترنوط"        |
| ٨  | أنبا بطرس أسقف "بوصير"        |
| ٩  | أنبا ايماخس أسقف "الفرما"     |
| ١٠ | أنبا جاورجي أسقف "مصر"        |
| ١١ | أنبا قسما أسقف "مصر"          |
| ١٢ | أنبا يوحنا أسقف "طانة"        |
| ١٣ | أنبا بفتوتيوس الأسقف          |
| ١٤ | أنبا دانيال مطران "الحبشة"    |
| ١٥ | أنبا ميخائيل أسقف "تنيس"      |
| ١٦ | أنبا يؤنس أسقف كرسي "الفرما"  |
| ١٧ | أنبا جرجس مطران "الحبشة"      |
| ١٨ | أنبا يؤنس بن سنهوت أسقف "مصر" |
| ١٩ | أنبا يعقوب أسقف "لقانه"       |
| ٢٠ | أنبا خرستوذولوس أسقف "فوه"    |



|                          |    |
|--------------------------|----|
| أنبا ميخائيل أسقف "طنتا" | ٢١ |
| أنبا يوحنا أسقف "طمويه"  | ٢٢ |
| أنبا غبريال أسقف "أسيوط" | ٢٣ |

## يوحنا أسقف البرلس (٥٥٠ - ٦٤٠م)

كان أبيه قسًا وعُرف بعطفه على الفقراء والمساكين، وبعدما تنيح أبيه هذا الكاهن التقي. ورثه ابنه يوحنا في ماله وفضائله فبنى فندقًا للغرباء والمسافرين، كما اهتم بالمرضى وكان يخدمهم بنفسه، وذات يوم زاره أحد الرهبان وامتدح أمامه الرهبة وسموها وعظمتها، فقام ووزع ماله على المساكين، واتجه نحو برية شيهيت قاصدًا الأنبا دانيال قمص البرية، وكان رئيسًا على كنيسة أنبا مقار في عهد أنبا دانيال<sup>٢٧٥</sup> كما كان هذا الأب الفاضل متوحدًا في الجبل.

### حسد الشياطين عليه لفضائله و سيرته الحسنة

حسده الشياطين وضربوه بشدة، فأقام في التعب حتى عافاه السيد المسيح، وإن كان يرجع حسد الشياطين له بسبب تقواه ونسكه الزائد وقوة صلاته ورائحة فضائله الزكية، واكتشافه لحيلهم وخداعهم، مما جعل الشياطين لا تجد أي وسيلة سوى الحرب والمواجهة معه مباشرة ولكنه انتصر على كل تلك الحروب بنعمة ربنا يسوع المسيح.

### اختياره للأسقفية

أختير الراهب يوحنا أسقفًا على البرلس (شمال الدلتا) وكان في عهده راهب ادّعى الغيب، وأعلن أنَّ الملاك ميخائيل يظهر له، فذهب إليه القديس وطرده وأبطل أقواله وأفعاله، كما قاوم شخصًا آخر ادّعى أن حبقوق النبي كان يأتيه بالأسرار العليا. وكان أحد الكهنة يشتغل بالسحر والتنجيم وحصل من عمله هذا على المال الكثير، وقد أوحى الله للأسقف يوحنا بمنع هذا القداس من صلاة القداس، ولكن الكاهن صار في عناده ولم يخضع لقرار أنبا يوحنا، وصلى الكاهن بالرغم من تنبيه الأسقف بإيقافه عن الصلاة، وعند قراءة الإبركسيس

<sup>٢٧٥</sup> الرهبة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٦٨٢.

دخل رجلان بشكل أسود وأمسكا بيديه وأخذاه خارجًا، فخاف الشعب وفزعوا ودخل كاهن آخر وأكمل القداس.

### الحالة الروحية لأنبا يوحنا أثناء صلاة القداس

كان القديس أنبا يوحنا كلما صلى القداس كان جسده يحمر، ويبدو كمن خرج من أتون النار، ويذرف دموعًا كثيرة بسبب رؤيته ملائكة بالهيكل، وكلما يغمس أصبعه في الكأس ليرشم الجسد بالدم أثناء صلاة القسمة كان يشعر أن دم الكأس كنار ملتهبة.

### من أعمال أنبا يوحنا أسقف البرلس

أنبا يوحنا أسقف البرلس هو أول من جمع سير الشهداء والقديسين لتقرأ في الكنيسة (السنكسار) وقد عرف عنه تمسكه بالكتاب المقدس والإيمان الرسولي والتنديد بالخرافات وكتب الأبوكريفا ويذكر عنه كتاب تاريخ البطارقة لساويرس بن المقفع أنه كان في زمان البابا دميانوس أساقفة يتعجب منهم ومن طهارتهم ومن فضلهم وذكر في مقدمتهم الأنبا يوحنا أسقف البرلس.

تشير إليه إبصالية الشهيدة دميانه بصفته جامع سير الشهداء والقديسين فتقول الإبصالية: ”يوحنا أسقف مدينة البرلس أخبرنا بإجتهاد بكرامة هذه العذراء قائلاً: ”قد ابتهجت لما وجدت الجهاد الحسن الذي للشهيدة المختارة القديسة دميانه“.<sup>٢٧٦</sup>

### نياحته

عند نياحته أرسل له الرب القديس أنبا أنطونيوس وأنبا مكاريوس الكبير ليعرفاه بساعة رحيله ويعزياه، أحضر الأسقف الجليل شعبه وأوصاهم وثبتهم ثم تنيح بسلام. وتعيد له الكنيسة في ١٩ كيهك من كل عام.

<sup>٢٧٦</sup> الراهب القس أثناسيوس المقاري، فهرس كتابات آباء الإسكندرية باللغة القبطية، مطبعة دار نوبار، الطبعة الأولى يوليو

ضد كتب الهرطقة وفيها يندد بخمسة كتب للهرطقة هي: "تنصيب ميخائيل رئيس الملائكة"، "كرازة يوحنا"، "ضحك الرسل"، "تنصيب المخلص"، "مجمع المخلص".

كما توجد له أعمال أخرى كثيرة محفوظة باللغة العربية والأثيوبية، ولكن أصلها القبطي مفقود. ومن ضمنها: عن الديونة الأخيرة، وعن المزامير (١٠٣: ٣١)، (١١٤: ٧) كما يوجد له ثلاث عشر حرمًا ضمن كتاب "اعترافات الآباء" باللغة العربية وكتاب عن "الإيمان الأرثوذكسي" بالأثيوبية و"سيرة الأنبا دميانوس" بالأثيوبية.

(٢)

أنبا زكريا أسقف "صا"<sup>٢٧٨</sup> (سخا)<sup>٢٧٩</sup>

الأنبا زكريا أسقف صا كان ابنًا لكاهن اسمه يؤنس وبالرغم من عمله ككاهن كان كاتبًا في ديوان الوالي أيضًا فرى يؤنس الكاهن ابنه زكريا على الإيمان المستقيم، وعلمه العلوم الكنسية والأدبية، ولما كبر عينه كاتبًا للأمير في الديوان، وبالرغم من كل هذا المستقبل الذي كان ينتظره، كان قلبه ملتهبًا ومشتاقًا إلى السيرة الملائكية فاتفق مع صديق له اسمه أبلاطس، وكان واليًا على سخا، أن

<sup>٢٧٧</sup> المرجع السابق ص ٣٣٢.

<sup>٢٧٨</sup> هذه المدينة من أشهر المدن المسيحية ونالت شهرة واسعة في مصر المسيحية، واشتهرت هذه المدينة بحصونها ومعبداتها وصناعاتها خاصة صناعة المنسوجات الجميلة والكتان، وزراعة الكروم، وكانت هذه المدينة غنية جدًا وكبيرة جدًا، وكانت من أكثر مدن الدلتا رخاء، بل وكانت عاصمة مصر في عهد الأسرة الفرعونية السادسة والعشرين التي حكمت ما بين القرنين السادس والسابع (ق.م)، وكانت مدينة سايس Sais هي المقر المفضل لبسماتك وملوك الأسرة السادسة والعشرين، وكانت مركز عبادة الالهة "نيث" وهي عبادة مقترنة بصناعة الأقمشة والكتان وقد تم القضاء على معبداتها الشهير خلال العصر المسيحي وخاصة بعد قرار الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير في أواخر القرن الرابع الميلادي بهدم المعابد الوثنية، ولم تعد الآن سوى قرية كبرى ناحية كفر الزيات بمحافظة الغربية وكان عدد سكانها ٤٧٤ نسمة حسب تعداد القرن الـ ١٤ م، وقد ظلت هذه المدينة مزدهرة لفترة طويلة، حيث وصفها المقريري بأنها تضم ٧٣ بلدة بدون، بدون حساب عدد القرى.

<sup>٢٧٩</sup> انظر خريطة رقم (١) ملزمة الصور والخرائط.

يتركها عملهما ويذهبا إلى البرية للرهبنة، واتفق حضور أحد رهبان دير القديس يحنس القصير. فعزما على أن يذهبا معه إلى دير، فلما علم الوالي بذلك منعهما، ولكنهم استطاعا الهروب وخرجوا خفية وهم لا يعرفون أي طريق أو جهة يقصدونها، فلما علم أصدقاؤهما أخذوا من الوالي كتابًا ليشنوهما عن الطريق التي اختاراهما، فبدد الرب مشورتهم، أما زكريا وصديقه فلبسا الثوب الرهباني وأجهدا نفسيهما بعبادات كثيرة وكان ذلك في أيام القديسين أبرام وجاورجي اللذان كانا خير مرشد لهما.

### تزكية زكريا لأسقفية كرسي صا (سخا)

بعد نياحة أسقف صا كتب شعب تلك المدينة العظيمة إلى البابا البطريرك يطلبون منه رسامة الراهب زكريا إيغومانوس دير القديس أنبا مقار وكان رئيسًا على قلاية الدنشترى أي "الكبرى" والمعروفة الآن بدير أنبا زكريا وتوجد أطلالها بجوار دير أنبا مقار أسقفًا عوض أسقفهم الذي تنيح فنزل البابا سيمون الأول (٦٩٢ - ٧٠٣م) على رغبة شعب إيارشية صا وقام برسامته أسقفًا حوالي سنة ٦٩٥م وقام برسامة رفيقه بطليموس أسقفًا على منوف العليا.

### نياحته

وقد خدم كرسي مدينة صا ثلاثين سنة حتى تنيح سنة ٧٢٥م، وكان هذا الأسقف الفاضل مهتمًا بافتقاد شعبه ووعظه وتعليمه. وتعيد له الكنيسة في الحادي والعشرون من شهر أمشير.

### كتابات

توجد لدينا وتوجد لدينا من كتابات أنبا زكريا عظمتان بالقبطية البحيرية : العظة الأولى "عن يونان وأهل نينوى" وتتكلم عن التوبة وهي مخطوطة من مكتبة دير أنبا مقار ومحفوظة حاليًا في الفاتيكان، وقد ألقى الأنبا زكريا العظة على شعبه ليحثهم على التوبة ويعزيهم في أقاربهم ومعارفهم الذين ماتوا بسبب ضربتي الوباء وما نتج عنهما من خراب بلاد كثيرة في أنحاء الوجه البحري.

العظة الثانية عن "تقدم المسيح إلى الهيكل وتسبحة سمعان الشيخ" (لو ٢: ٢٢-٣٥)، وتتضمن شروحه على سر التجسد، والأفخارستيا، والسلوك الواجب للمسيحيين بعد تناول. ويختتمها بمقارنة بليغة بين سمعان الشيخ وهو يحمل الطفل والمسيحيين الذين وهب لهم، ليس فقط ألا يمسكوه، وإنما أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه أيضًا.

كما كتب الأنبا زكريا ميمراً تاريخياً يمدح فيه قديس ديره أنبا يؤنس القصير، [كما توجد له مقالات أخرى باللغة العربية غير موجود أصلها بالقبطي، منها مقالة عن رحلة العائلة المقدسة إلى مصر يذكر فيها الأماكن التي زارتها]. كما ينسب له سيرة القديسان أبرام وجاورجي<sup>٢٨٠</sup>.

### (٣)

#### أنبا يوحنا أسقف "نقيوس"<sup>٢٨١</sup>

هو المؤرخ القبطي الشهير، وللأسف لا نعرف عن حياته الكثير سوى ما جاء عرضاً في سيرة الآباء البطارقة للمؤرخ ساويرس بن المقفع، أنه من مواليد مدينة نقيوس، وترهب في دير القديس أنبا مقار الكبير حيث عُرف بالبحث

---

<sup>٢٨٠</sup> القس شنودة ماهر، الدكتور يوحنا نسيم يوسف (دكتوراه في القبطيات). تاريخ اللغة القبطية ولحاجتها، مصادر الأدب القبطي ومبادئه، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي.

<sup>٢٨١</sup> نقيوس تعني باليونانية "المتصرة" وكانت تلك المدينة عاصمة الإقليم الرابع في مصر الفرعونية وتسمت "نيت سي أي" والتي تدارجت إلى نقيوس وكانت كاتبة في الشمال الغربي من منوف، وكانت مدينة عظيمة حصينة حافلة بالآثار المصرية، وقيل أن اسمها تدرج من "نيت سي أي" إلى نقسوس نسبة إلى الحاكم الذي اكتشفها، وقيل أن الملك بروسويس هو الذي غير اسمها إلى هذا الاسم اليوناني، وسميت بالقبطية ابشاتي، وكانت تقع على إحدى فروع النيل الأساسية من جزيرة بني نصر، مما جعلها مركزاً تجارياً هاماً وميناء شهير، واشتهرت نقيوس بغناها وكثرة معابدها، ويذكر التقليد أن العائلة المقدسة مرت بهذه البلدة وبقيت فيها نحو سبعة أيام، أثناء عبورهم بمنطقة الدلتا، وصارت تلك المدينة بعد انتشار المسيحية إيباشية كبرى، على أنها اندثرت في العصر العربي وبالأخص في العصر الفاطمي (٩٦٩-٩٧٥م) كما ذكر أنبا ميخائيل أسقف تنيس، وأثناء الفيضان في القرن الثامن عشر غمر فيضان النيل مدينة ابشاتي، وتغير اسمها إلى زاوية رازين نسبة إلى ضريح بها. (جغرافية مصر في العصر القبطي، مرجع سابق، ص ٢١١: ٢١٥). على أنه يوجد رأي آخر بأنها تقع جنوبي صا "صا الحجر" مركز بسيون بمدينة كفر الزيات محافظة الغربية، انظر خريطة رقم (١) ملزمة الصور والمخطوطات.

والعلم والمعرفة والإدارة. وعاش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي حتى  
مستهل القرن الثامن الميلادي.

### رسامته أسقفًا

تأرجحت آراء المؤرخين في تحديد على يد من من بطاركة الكرسي المرقسي  
تمت رسامة أنبا يوحنا أسقف نقيوس إلا أنه في الجمل كان معاصرًا للبابا أغاثو  
(٣٩) (٦٦٢ - ٦٨٠ م)، وكان حاضرًا نياحة البابا يوحنا الثالث (٤٠)  
(٦٨٠ - ٦٨٩ م)، وعاصر البابا إيساك الـ (٤١) (٦٩٠ - ٦٩٢ م) والبابا  
سيمون الأول الـ (٤٢) (٦٩٢ - ٧٠٠ م) وهذا الأخير في عهده عُين مديرًا  
لأديرة برية شيهيت حوالي عام ٦٩٤ م. وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه  
رسم أسقفًا بيد البابا سيمون الأول<sup>٢٨٢</sup> ومصادر أخرى تشير إلى البابا أغاثو<sup>٢٨٣</sup>  
(٣٩).

### تجريده من رتبة الأسقفية

وفي عام ٦٩٨ م عقد له مجمعا من الأساقفة جرده من رتبة الأسقفية وأمره  
أن يتناول كراهب عادي؛ وكان سبب عقد المجمع له أنه عاقب راهب بضرب  
أفاض إلى الموت نتيجة لوقوعه في خطية الزنى.

### تاريخ يوحنا النقيوسي

ترجع شهرة يوحنا النقيوسي إلى كتابه الذي ألفه في التاريخ العام ودون فيه  
تاريخ العالم منذ بداية الخليقة حتى أواخر القرن السابع الميلادي، واعطى فيه  
اهتمامًا خاصًا بمصر والمصريين، وذكر عنهم أنهم أول من صاغوا الذهب، وبحثوا  
عن المناجم وصنعوا أدوات الحرب، كما تحدث عن بناء الأهرامات. ويوحنا  
النقيوسي كان معاصرًا للفتح العربي لمصر، ولكتابة هذا قيمة خاصة لا غنى عنها  
للباحث في تلك الفترة الزمنية، وللأسف ضاع هذا الكنز الثمين من لغته

<sup>٢٨٢</sup> إيريس حبيب، قصة الكنيسة القبطية، الناشر مكتبة المحبة، الطبعة الثامنة ٢٠٠٦ م، ص ٢٥٣.

<sup>٢٨٣</sup> الرهبة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٧٧٤، ويتفق ذلك مع رواية ساويرس ابن المقفع.

الأصلية القبطية وهو محفوظ في نص كامل للكتاب باللغة الأثيوبية، وقام المستشرق زوتنبرج بترجمته من الأثيوبية إلى الفرنسية، ونشره في باريس عام ١٨٨٣م، وجاء بعده العالم تشارلز وترجم نص زوتنبرج إلى اللغة الانجليزية سنة ١٩١٦م، ثم ترجم المؤرخ القبطي كامل صالح نخلة إلى العربية مختارات من النص الفرنسي،<sup>٢٨٤</sup> وترجمه إلى العربية نقلاً عن النص الأثيوبي الدكتور عمر صابر عبد الجليل تحت رعاية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩م.

توافق شهادات المؤرخين لمخطوطة يوحنا النقيوسي باللغة الأثيوبية وهناك مخطوطتان أثيوبيتان لتاريخ يوحنا النقيوسي موجودتان ضمن كتالوج زوتنبرج للمخطوطات الأثيوبية في المكتبة الأهلية الفرنسية تحت رقم ١٤٦. وكتبت هاتين المخطوطتان على الرق، ويذكر زوتنبرج أن هذه المخطوطة ترجع إلى القرن السابع عشر الميلادي<sup>٢٨٥</sup> وهذا يتوافق مع ما ذكره القمص متى المسكين فيقول: "يؤكد رينودوت انه كانت هناك علاقة وثيقة بين دير أنبا مقار والكنيسة الأثيوبية من جهة رسامة المطارنة أمثال دانيال وجاورجي في القرن الحادي عشر، وكانوا من الرهبان المستنيرين العلماء الذين قاموا بترجمة كثير من المخطوطات وخصوصاً العربية منها إلى اللغة الأثيوبية، وبالأخص مجموعات كبيرة من سير القديسين والأبوكريفا وتاريخ يوحنا النقيوسي الذي ترجم إلى الحبشية سنة ١٦٠٢م، والذي ضاعت جميع نسخه من اللغات القبطية والعربية ولم يتبق إلا النسخة الحبشية الآن"<sup>٢٨٦</sup>. وحدير بالذكر أنه قد قام شماس أثيوبي بترجمة هذا الكتاب من القبطية إلى الأثيوبية وختم ترجمته الكتاب بقوله: "لقد عنيت أنا الحقير بين الناس والشماس غبريال الأبن الروحي ليؤنس القصير<sup>٢٨٧</sup> بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الحبشية القديمة بمنتهى الدقة. وقد أدنا هذه الخدمة نزولاً على رغبة إرادة الملكة "مريم سنا" و "أناسيوس" قائد الجيش

<sup>٢٨٤</sup> عمر صابر عبد الجليل، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٧.

<sup>٢٨٥</sup> المرجع السابق ص٧.

<sup>٢٨٦</sup> الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص٥٤٣.

<sup>٢٨٧</sup> أي أنه كان من الرهبان أبناء دير القديس يحنس القصير بجزيرة شيهيت.



الأثيوبي<sup>٢٨٨</sup>، ومن الغريب أنه في الترجمة الحبشية أوجزت الفتح العربي لمصر الرغم من هذا الإيجاز فإن المؤرخين العصريين المدققين يستندون إليه لثقتهم في أنبا يوحنا الذي قال من بداية كتابه: "أنه كان يتوخى الحقيقة باستمرار"<sup>٢٨٩</sup>.

#### نياحته

يذكر زوتنبرج مترجم كتابه من الأثيوبية إلى الفرنسية أن أنبا يوحنا نُفيَّ إلى أحد الجزر في النيل حيث قضى فيها الباقي من عمره، وأصيب فيها بفقدان البصر، وكان بهذه الجزيرة بعض المؤمنين اهتموا به إلى أن تنيح.

#### (٤)

#### أنبا مينا أسقف ابشاتي "نقيوس"

أقيم عوض سلفه يوحنا النقيوسي المؤرخ وهو كاتب سيرة البابا إيساك الـ (٤١) (٦٩٠ - ٦٩٢ م) وتذكر عنه مخطوطة الآباء البطاركة لساويرس بن المقفع أنهم أقاموا عوض يوحنا أسقف نقيوس مينا من دير أنبا مقار وقيل عنه: "أنه كان رجلاً وجيهاً قوي الكلام محب الإخوة". أما نياحته فلا نعرف عنها شيئاً.

#### كتابات

"سيرة أنبا مقروفيوس أسقف ابشاتي"، وأنبا مقروفيوس كان أسقفًا على نقيوس في زمان اضطهاد دقلديانوس، وقد نال عذابات كثيرة على يد أرمانوس والي الإسكندرية، وأخيرًا قطعت رأسه بحد السيف وكان ذلك في عام ٣٠٥ م وكفن جسده القديس يوليوس الأفهصي، وبعد أن وضعوا جسده في سفينة لتبحر إلى مقر كرسيه ليدفنه هناك، حدث أن توقفت السفينة عند بلدة أشمون جريس وهي محل ميلاده، ولم يستطيعوا تحريكها فخرج الشعب وحملوا جسده

<sup>٢٨٨</sup> قصة الكنيسة القبطية، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

<sup>٢٨٩</sup> المرجع السابق، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

بالتراويل ودفنوه هناك. ومن كتاباته أيضًا "سيرة البابا إيساك البطريك ال  
(٤١) ٢٩٠.

(٥)

أنبا مينا أسقف "تمي"

## حياته الأولى

ولد أنبا مينا أسقف تمي الأمديد<sup>٢٩١</sup> في أواخر الجيل السابع، من أبوين تقيين ترجع أصولهم إلى مدينة سمنود، وكانا مهتمان بأعمال الرحمة، مواظبان على الصلاة والصوم، فشب مينا ابنهما وسط هذا الجو الروحي، وعندما بلغ سن الشباب أرغمه والداه على الزواج بغير إرادته، ولم يستطيع مينا أن يتكلم معهم فيما كان يشاق إليه، حيث كانت رغبته في أن ينفرد ببقية حياته راهبًا في البرية مقدمًا نفسه ذبيحة حية للرب يسوع المسيح، ولكنه نزل على رغبتهما من أجل راحتتهما. فاختاروا له بنت تقية مشهود لها، ولكن حدث أن مينا بعد أن تزوجها وفي ليلة عرسهما اتفق معها على أن يحيا حياة البتولية، وبقيًا زمانًا يقدمان عبادات كثيرة.

## رهبته

بعدها اتفق مينا مع زوجته أن يلحقها بيت للعداري، وقصد هو دير القديس العظيم أنبا انطونيوس في ال برية الشرقية، تقابل هناك مينا مع راهب فاضل اسمه ميخائيل، اتفقا بعدها الأثنين أن يتوجها لبرية القديس مقاريوس، وظلا معًا وتعلمذا على يد القديسين أنبا أبرام وأنبا جاورجي، وظهر الراهب مينا فضائل كثيرة وكان مشهودًا له وتدرج في العبادة حتى فاق كثيرين.

<sup>٢٩٠</sup> انظر سيرته في بطارقة من دير القديس أنبا مقار.

<sup>٢٩١</sup> بمركز السنبلولين - محافظة الغربية.

## رغبة البابا البطريك في رسامته أسقفًا

أرسل له البابا أنبا سيمون الأول (٦٨٩ - ٧٠١ م) مندوبين إلى البرية يبلغوه رغبة قداسة البابا في رسامته أسقفًا، فأخذ ييكي ويستعطفهم ليتركوه في وحدته ويختاروا غيره، وأرشداهم لرهبان آخرين قائلاً أنهم: "أخير وأصلح منه لهذه المسؤولية". وبعد أن رأى تمسكهم برأيهم، استشار الشيوخ الجليلان أنبا أبرآم وأنبا جاورجي في هذا الأمر فنصحوه أن يطيع أمر قداسة البابا، وأنها إرادة الله وارشاد الروح القدس. وتم بعدها رسامته أسقفًا على إيبارشية تمي الأمديد.

## مواهب أنبا مينا الروحية

كان الأنبا مينا كثير البكاء، وأنعم الله عليه بمواهب كثيرة؛ فكان يشفي المرضى والمتعبين، كما أعطاه الله البصيرة الروحية فكانت لديه موهبة التنبؤ وكشف النفوس.

## أب روعي لأربعة من البطارقة

صار الأنبا مينا أبًا روعيًا لأربعة من الآباء البطارقة هم: البابا الكسندروس الثاني (٤٣)، قسما الأول (٤٤)، تاوضروس الأول (٤٥)، خائيل الأول (٤٦) الذي رسم في سنة ٧٤٣ م والبابا خائيل هو أخيه الروحي "الراهب ميخائيل" الذي ترهب معه في دير أنبا أنطونيوس ثم توجهوا سوياً لبرية القديس مقاريوس.

## نياحته

تنيح هذا الأب القديس في شيخوخة صالحة عن عمر يناهز ٩٥ عامًا في ٧٦٨ م، وبذلك يكون تاريخ ميلاده حوالي عام ٦٧٣ م، أما وصوله لبرية شيهيت فلم يكن قبل ٦٩٠ م، وتوجد سيرته بالسكسار حيث تعيد له الكنيسة تحت يوم السابع من شهر هاتور.

(٦)

### أنبا تادرس الأسقف المترانوس (المطران) أسقف مصر

ترهب أنبا تادرس أسقف مصر في دير القديس أنبا مقار الكبير، وكان أرشيدياكون على كنيسة أنبا مقار، ثم اختير أسقفًا على مصر والمقصود بمصر هنا منطقة القسطنطينية وبابليون في مصر القديمة، ولم ترد أية معلومات عن طفولته وموطنه، أو أعماله في فترة رهبنته وتواجده بالدير.

إلا أن أول ما ورد عنه كان في سيرة البابا خائيل (٤٦) عندما اجتمع الأساقفة ليتشاوروا فيمن يصلح للجلوس على كرسي الإسكندرية، وإن كانت هناك كلمة قالها أثناء الاجتماع تعطينا فكرة أو قيس عن شخصيته؛ حيث رشح أحد أراخنة الإسكندرية راهبًا يعرفه للبتريركية فسأله أنبا تادرس عن اسمه وكان رأيه فيه لا بالإيجاب أو السلب بل قال: ”إذا رضى به الجميع فهو جيد“. ومن تلك الجملة نرى فيه رزانة العقل واستنارة التفكير، حيث الخضوع لرأي ورغبة الجماعة بالرغم من كونه أسقف على مصر (بابليون) وكانت إيارشية ذات طابع خاص فهي بالقرب من مقر الحاكم، وكذلك كبار الأراخنة وأعيان الشعب، لذلك كانت كلمته مسموعة، ولعل كلمة المترانوس المصاحبة لأسمه مشتقة من كلمة **“μετροπολιτες”** أي مطران لأنه أسقف مدينة كبرى، كما اشترك أنبا تادرس مع البابا خائيل في تحمل الآلام من جيوش الأمويين وقت الفتح العباسي لمصر عام ٧٥٠م، ولا نعلم شيئًا عن خبر نياحته.

(٧)

### أنبا بطرس أسقف “ترنوط”<sup>٢٩٢</sup>

ذكر عن أنبا بطرس أنه أقام كل أيام حياته في بركة القديس أنبا مقار وهو حسن السيرة جيد الأفعال، اشترك أنبا بطرس في اختيار خليفة البابا تاوذكوس الأول (٤٥) وكانت المناقشات على أشدها بين جموع الحاضرين سواء من

<sup>٢٩٢</sup> كانت إيارشية كبيرة وعامرة وهي الآن الطرانة بمركز كوم حمادة. انظر خريطة رقم (١) ملزمة الصور والمخطوطات.

الأساقفة أو الكهنة والأراخنة، ونصح أنبا بطرس الآباء المجتمعون نصيحة هامة، فقال لهم: "احذر أن تجعل يدك على الذي يقدمونه لك حتى يجتمع رأي الجميع عليه" لأن من رشحوه لم يكن يصلح لهذه المسؤولية، قال أنبا بطرس رأيه ثم انزوى أخذًا جانب منفردًا لأنه كان قد ضعف لكبر سنه، وبعد أن طالت مدة التشاور اتجه أنبا بطرس لدير نھيا (بمحافظة الجيزة) ليستريح، وبعد مداوات كثيرة بين الآباء اتفقوا على ضرورة حضور أنبا مويسيس أسقف أوسيم، وكان رجلاً كهلاً لا يستطيع أن يركب على دابة فوضعه على محفة ونقلوه لمقر اجتماعهم، واستدعوا أنبا بطرس من خلوته بدير نھيا وكان معه جمع كثير.

وتروي السيرة أن شماساً رأي رؤيا أن الذي يصلح للبطيركية هو الراهب ميخائيل المقاري فصرخ أنبا بطرس وقال: "هذا الشماس تكلم فيه المسيح، بالحقيقة يا ولدي إن هذا القس ميخائيل مستحق هذه المنزلة". ولا توجد معلومات عنه أخرى أو عن ميعاد نياحته.

## (٨)

### أنبا بطرس أسقف "ترنوط"<sup>٢٩٣</sup>

يذكر ساويرس بن المقفع في تاريخ البطارقة عن أنبا بطرس: [وولده الروحاني أسقف بوصير]. ويقصد بنوة أنبا بطرس الأسقف للبابا خائيل (٤٦) وبلا شك فقد شارك هذا الأب الأسقف أبيه الروحي الآلام والسجن في الفترة ما بين دخول العباسيين وهروب الأمويين. ولا نقف له على أية أخبار أخرى.

<sup>٢٩٣</sup> وهي اليوم بوصير بنا نياحية سمود - محافظة الغربية.

## أنا ايماخس<sup>٢٩٤</sup> أسقف "الفرما"<sup>٢٩٥</sup>

هو الراهب ايماخس أحد تلاميذ القديس يؤنس قصص برية شهيت، كان معاصرًا للقديسين أبرام وجاورجي، ولد هذا الأب حوالي عام ٦٥٠م في ارواط، وانطلق للرهبنة في برية شهيت في الثامنة عشر من عمره متلمذًا على يد القديس أنا يؤنس القمص مدة لا تقل عن خمس سنوات، وسيم قسًا بدير القديس أنا مقار الكبير وانتقل بعدها إلى دير السيدة العذراء بتنيس ورقّي قمصًا، وكان ذلك حوالي عام ٧٤٤م.

### رسامته أسقفًا

أختير الراهب ايماخس لأسقفية الفرما، وقد شبهه اخوته الرهبان بموسى النبي؛ بسبب النور الساطع على وجهه وكما انعم الله عليه بموهبة عمل العجائب والمعجزات فكان يأتي اليه المرضى لينالوا شفاء لأجسادهم وارواحهم. وذات يوم كان يوعظ شعبه ان يتجنبوا المخالفين، ولا يشاركوهم في شيء فحضر قس خلقيدوني ليحربه بمكر، فبعد أن وعظه الأسقف كثيرًا فقال له القس: "أنا أو من بأمانتك". فاعترف القس وأخذ أنا ايماخس زيتًا مقدسًا من جسد القديس ساويرس الأنطاكي، ودهن به وجه القس الماكر وقال له: "إن كنت تهزأ الرب يظهر فيك قوته"، وللوقت وثب عليه روح شرير صرعه وخنقه وظل يعذبه إلى يوم وفاته. أما عن نياحة أنا ايماخس فلم نصل إلى أي معلومات.

<sup>٢٩٤</sup> ايماخس تعني "الغالب".

<sup>٢٩٥</sup> كانت الفرما من أقدم المدن الحصينة في مصر، وقد اندثرت وتعرف اليوم بتل الفرما على بعد ٣ كم من ساحل البحر

الأبيض بسيناء.

(١٠)

### أنبا جاورجي أسقف "مصر" (القساط وبابليون)

كان ابنًا خاصًا لأنبا خائيل ال (٤٦) (٧٤٣ - ٧٦٧ م) وأقيم قمصًا على دير القديس أنبا مقار، ثم سيمَّ أسقفًا في عهد البابا مينا الأول ال (٤٧) (٧٦٧ - ٧٧٦ م)، وبالطبع شارك أنبا جاورجي البابا مينا الأول في الأتعاب التي تعرض لها جراء راهب ادعى البطيركية، واستعان بالخليفة ضد البابا مينا، ولما مكّنه الخليفة من الباباوية تجرأ وصعد على المذبح ليصلي فمنعه الأساقفة وكان ذلك في كنيسة بفسطاط مصر، وبالتالي كان في حضور أنبا جاورجي لأنها في نطاق ابروشيته، وعندما منعه الأساقفة استدعى لهم جند الوالي وأمر باعتقالهم، وحكم عليهم الوالي مدة عقوبة امتدت لسنة كان البابا والأساقفة يقضونها في طلاء المراكب بالزفت، عاصر أنبا جاورجي نقل جسد القديس أنبا مقار الكبير إلى ديره في ١٢ أغسطس سنة ٧٩٣ م، ولا نعلم ميعاد نياحته إلا انه كان رجلاً قديسًا رحوًا محب للصدقة، وأقام في إيارشيته زمانًا طويلًا يرعاهم بطهر وصدق فحزن عليه الشعب جدًا.

(١١)

### أنبا قسما أسقف "مصر" (القساط وبابليون)

بعد نياحة أنبا جاورجي السالف الذكر، استحسن البابا يوحنا ال (٤٨) رسامة ولده الروحي مرقس والذي كان من دير أنبا مقار، ولكنه فضل الهروب من تلك المسؤولية، ثم أن البابا قدم ولدًا له اسمه قسما (قزمان) ورسمه فأقام أيامًا ومات.

أنبا مقاره أسقف "منوف العليا" <sup>٢٩٦</sup> (كاتب السنودس) <sup>٢٩٧</sup>

---

<sup>٢٩٦</sup> وهي اليوم مدينة منوف - محافظة المنوفية، وهي غير منوف السفلى التي تعرف اليوم بمحلة منوف بمركز طنطا - محافظة الغربية.

<sup>٢٩٧</sup> ما يعرف الآن بسكرتير المجمع المقدس.

عاصر أنبا مقار كل من البابا فيلوثاؤس ال (٦٣) والبابا زحارياس ال (٦٤)، يستند القمص متى المسكين على أنه من أبناء دير القديس أنبا مقار للأسباب التالية:

أولاً- عندما تنيح أخوه بالجسد أنبا مينا أسقف طانه، أشار على البابا فيلوثاؤس (٦٣) أن يقيم عوضاً عنه الراهب يوحنا من منشوبية ”ذكر قفري“ التابعة لدير أنبا مقار.

ثانياً- بناؤه الاسكنا على اسم أنبا مقار قبلي هيكل أنبا بنيامين بدير أنبا مقار في بطريكية البابا زحارياس (٦٤) وذلك من المال الذي تركه له أخوه أنبا مينا أسقف طانه، وقيل أن المال الذي وجده بلغ أحد عشر ألف دينار، وقد ذكر تلك الوقائع اثنين من المؤرخين أنبا ميخائيل أسقف تنيس في تاريخ البطاركة، وابو المكارم المؤرخ القبطي في كتابه تاريخ الكنائس والأديرة. من أهم أعماله

تعود أقدم شهادة وثائقية عن تاريخ طقس تكريس الميرون في كنيسة الإسكندرية في الألف سنة الأولى للميلاد إلى أسقف جليل من أساقفة الكنيسة القبطية، وهو أنبا مقاره أسقف منوف العليا في ذلك الوقت، وقد عاش في القرن العاشر الميلادي، وهذه الشهادة الوثائقية هي رسالة هامة له حفظت في مخطوطة كانت بحوزة أنبا يوساب أسقف نفس الإيبارشية في القرن الثالث عشر، ونشرت بالفرنسية في لوفان سنة ١٩٢٣م في مجلة لوميزيون le Muséon تحت عنوان ”رسالة مقاره أسقف ممفيس (منوف) عن الليتورجية القديمة للميرون والمعمودية في الإسكندرية“ وقد ذكر عنه أيضاً أنه كان سكرتير البابا قزمان الثالث (٩٢٠ - ٩٣٢م).<sup>٢٩٨</sup>

<sup>٢٩٨</sup> الراهب القس أنثاسيوس المقاري، سر الروح القدس والميرون المقدس: المطبعة دار نوبار، الطبعة الأولى مارس ٢٠٠٧م، ص



(١٢)

### أنبا يوحنا أسقف "طانه" ٢٩٩

بعد نياحة أنبا مينا أسقف طانه واخي أنبا مقاره أسقف منوف العليا بالجدسد، أشار الأخير على البابا فيلوثاؤس وقال له: "إن سمعت مني أشرت عليك بمشورة جيدة"، وهنا أشار أنبا مينا على البابا فيلوثاؤس أن يرسم الراهب يوحنا من قلاية ذكر قفري التابعة لدير القديس أنبا مقار، وهذا الراهب كان قد رشح من قبل للبطيركية ولكنه رُفضَ لأنه كان طاعن في السن وهو الأب الروحي للبطيرك، فوافق البابا على مشورته واستحسنها وقام برسامته على إيبارشية طانه.

(١٣)

### أنبا بفنوتيوس الأسقف

القديس بفنوتيوس الأسقف تهرب في برية القديس مقاريوس وأجهد نفسه في النسك والعبادة كما قضى أيامه وهو لا يأكل إلا البقول الجافة وتعلم في البرية القراءة والكتابة وقوانين الكنيسة. ورسومه قسًا فمكث في البرية خمسًا وثلاثين سنة، وذاعت فضائله فاستدعاه البابا فيلوثاؤس الثالث والستين من باباوات الإسكندرية ورسمه أسقفًا وكان لا يغير ملابسه إلا يوم الاحتفال برفع القرايين وفيما عدا ذلك كان يلبس لباس من الشعر، ومن شدة النسك نحل جسده جدًّا ومرض فسأل الله في صلاته قائلاً: "يا ربي يسوع المسيح لأجل الأسقفية لا تنزع عني نعمتك" فظهر له ملاك الرب وقال له: "أعلم أنك كنت في البرية لم يكن من يهتم بك عند مرضك ولا تجد ما تتداوى به. فكان الله يعضدك ويمنع عنك المرض. أما الآن فأنت في العالم وعندك من يهتم بك وما تحتاجه من دواء عند مرضك". ومكث هذا الأب في الأسقفية اثنتين وثلاثين سنة ولما دنت وفاته استدعى الكهنة والشمامسة وبعدما سلم لهم أواني الكنيسة

\*\*\* مكانها غير معروف الآن ولكنها تقع بالقرب من براري بلقاس، وعلى مقربة من الملاحات على بحيرة البرلس.

قال لهم : ”اعلموا أنني ذاهب إلى السيد المسيح وقد سرت بينكم كما تعلمون. والسيد المسيح الذي أنا مزعم ان أقف أمامه يشهد على أنني ما أخفيت درهما واحدا من كل ما كان يصل إلي من الأسقفية“ ثم باركهم وتنيح بسلام.

(١٤)

### أنبا دانيال مطران ”الحبشة“

حدث في زمان البابا فيلوثاؤس البطريك (٦٣) أن أرسل ملك الحبشة إلى جرجس ملك النوبة يطلب منه أن يساعده في مخاطبة البابا السكندري ويطلب منه الحل له ولبلاده، ويرسم لهم مطراناً بعد الذي جرى في أيام البابا قسما البطريك السابق حتى أنه جلس ستة من البطارقة ولم يلفتوا لبلاده، وخاف ملك الحبشة أن تنقض المسيحية من بلاده لعدم وجود مطران يرسم لهم كهنة وشمامسة [ فلما وصلت الكتب إلى جرجس ملك النوبة ووقف عليها أنفذ من جهته كتباً ورسلاً إلى البطريك فيلوثاؤس وشرح له فيها جميع ما ذكره ملك الحبشة وسأله أن يتأف على شعبه، فأجاب سؤاله ورسم لهم راهباً من دير أنبا مقار اسمه دانيال مطراناً على الحبشة قبلوه بفرح، وأزال الله عنهم الغضب].

(١٥)

### أنبا ميخائيل أسقف ”تنيس“

#### نشأته

ولد أنبا حبيب ميخائيل بن بدير الدمنهوري من ابوين تقيين مشهود لهما بحسن السيرة والتزين بالفضائل، فأبويه يعمل بالتجارة وأعمال البناء، وزوجته امرأة فاضلة اهتمتا بتربية ابنهما تربية مسيحية، وكان خاله مينا مهندساً ورئيساً على النشارين<sup>٣٠٠</sup> العاملين في خدمة الدولة وساعده عمله هذا في معرفة بقيرة

<sup>٣٠٠</sup> قصة الكنيسة القبطية، مرجع سابق، الجزء ٣، ص ٩٤.

الرشيدي الملقب بـ "حامل الصليب"<sup>٣٠١</sup> وزادت هذه المعرفة إلى صداقة قوية، واهتم مينا بتربية ابن اخته واعتنى به.

### رهنته في دير أنبا مقار وأهم أعماله

كانت التربية المسيحية والجو الكنسي الذي عاش فيه أبا حبيب لها أكبر الأثر في تكوين شخصيته وتحديد أهدافه الروحية، فألهمت في قلبه الشوق إلى الحياة الرهبانية، فانطلق مندفعًا بقوة الروح إلى حياة البرية قاصدًا دير القديس

<sup>٣٠١</sup> كان معاصرًا للحاكم بأمر الله، الذي بدأ حكمه سنة ٩٩٦م، وكان بقرية كاتبا في ديوان الخلافة، ولما رأى البلاء الذي أنزلها الحاكم بقومه اعتزل منصبه وحمل صليبه ودخل قصر الخليفة. ولما وصل إلى بوابته وقف وصرخ بأعلى صوته: "أن المسيح هو ابن الله"، فما أن وصلت كلماته مسامع الحاكم حتى استحضره وأمره بإنكار دينه، فكرر بقرية في حضرته ما فاه به عند البوابة. والغريب أن الحاكم لم يأمر بقطع عنقه وإنما اكتفى بإلقائه في السجن وتطويق عنقه بسلسلة حديدية، وذهب صديق له اسمه مينا ليعوله في السجن فوجده واقفًا يصلي في نشوة روحية عجيبة، فلما رآه على هذا الحال تهلل بالروح. وحينما همّ مينا بالخروج سأل بقرية إن كانت هناك أية رسالة يريد تبليغها لأهله، فقال له بقرية: "قل لهم طيبوا نفوسًا لأنني ساكون معكم الليلة" وقد تحققت كلمات هذا الشاهد الأمين، فقد جاءه مرسوم من الحاكم بالإفراج عنه وتمنحه الحرية في أن يتحول حيث شاء ويشغل بما يروق له من المهنة. وبهذا المسوم خرج بقرية وأخذ ينتقل بين عائلات القبط، شجعهم ويعزي قلوبهم وينبئهم بأن هذه الشدة ستزول بعد ثلاثة أيام، ثم قرن كلماته المعزية بمهدايا من الطعام والشراب، وظل بقرية في تجواله وفي توزيع عطاياه خلال الأيام الثلاثة التي تنبأ عنها. وفي اليوم الرابع صدر مرسوم بتوقيع الحاكم يأذن فيه للقبط بأن يباشروا صناعاتهم وزراعتهم وتجارتهم، وأن ينتقلوا حيث شاءوا بكل حرية، ومن أراد منهم أن يسافر إلى الحبشة أو غيرها من البلاد يستطيع ذلك دون مانع. وظل بقرية بعد هذا الفرج يوالي زياراته، فافتقد المحبوسين منهم والمعوزين والغرباء، وعثر ذات يوم على قبطي مسحون لأنه عجز عن أداء الضريبة المفروضة على من يعبر النيل فدفعها عنه، وبذلك هبّ له سبيل الحرية. ثم رأى بقرية أن يقوم عند انبثاق الفجر ويبحث عن الأشخاص أو العائلات المعذمة تمامًا ويقدم لهم الطعام والشراب عن سعة. وذات يوم اشترى عددًا كبيرًا من الأرغفة وزعها كلها ولم يستبق منها غير رغيف واحد لنفسه، ولما كان معتادًا ألا يأكل إلا عند غروب الشمس، فقد جلس يومئذ ليأكل الرغيف في تلك الساعة، ولم يكد يأخذ منه لقمة حتى دق الباب ففتحه، وإذا بشيخ عجوز جاءه يطلب طعامًا، فأعطاه الرغيف على الفور لأن الدكاكين كانت قد أغلقت إذ كان الوقت ليلاً.

أنبا مقار، وعرفنا رهبنته في دير أنبا مقار من المؤرخ الشماس موهوب بن منصور، حين ذكر عن مقابلته في الدير وقد نال الراهب ميخائيل رتبة الشماسية، ثم انعكف بعد ذلك لتدوين وجمع التاريخ الكنسي، وظل مرة عند الراهب بيسوس في دير يحنس كما مدة خمسة عشر يومًا وبصحبه مجموعة من الأراخنة من ضمنهم بقيرة الرشيدي، يعملون بكل قوتهم في تدوين سير الآباء البطارقة خلفاء القديس مار مرقس الرسول، وكان من ثمار هذا العمل الدؤوب أن سجلوا لنا سير عشرة من بطارقة الكنيسة القبطية من البابا خائيل (٥٦) إلى البابا شنودة (٦٥)، كما تعاون الراهب ميخائيل بن بدير مع أنبا ساويرس أسقف الأشمونين، وترجم له سير البطارقة من اللغة القبطية إلى العربية.

### تعيينه كاتبًا للبابا أبرآم بن زرعة ورسامته أسقفًا

اختاره البابا أبرآم بن زرعة ليكون "كاتب السنوديقا" أي كتاب الشركة بين الكنيستين القبطية والسريانية، وظل الراهب ميخائيل في خدمته هذه حتى اعتلى البابا خرستوذولوس (٦٦) الكرسي البطريركي ورسمه أسقفًا على كرسي تنيس باسم أنبا ميخائيل كما احتفظ أنبا ميخائيل بخدمته السابقة ككاتب للسنوديقا، وانتخبه البابا خرستوذولوس ليحمل تلك الرسالة مع أنبا غبريال أسقف صان الحجر لتسليمها إلى الحبر الأنطاكي.

### نياحته

لا نعلم على وجه الدقة ميعاد نياحة أنبا ميخائيل الأسقف الجليل والعالم والمؤرخ الكنسي، لكننا من الممكن أن نستنتج الفترة التي تنيج فيها من خلال سيرة البطارقة، حيث تذكر السيرة أنه تنيج في الفترة الأخيرة من حياة البابا خرستوذولوس (٦٦)، حيث رسم البابا خرستوذولوس راهبًا باسم سيمون أسقفًا على تنيس باسم الأنبا صموئيل، وحضر أنبا صموئيل رسامة البابا كيرلس الثاني (٦٣).

## أنبا يؤنس أسقف كرسى "الفرما"

تعليق:

في سيرة هذا الأسقف نقف على الأحداث كما وردت في سير البطارقة لساويرس بن المقفع، وحيث أن هذا الملحق تاريخي لتسجيل أسماء الآباء الأساقفة أبناء الدير، فكمثل كل زمان ومكان نحن بشر أي لا نخلو من عيوب ولسنا منزهين عن الخطايا أو معصومين، بل اوضح أن إبليس عدو كل خير لا يتوان لحظة في اسقاط المؤمنين بل يحول مثل أسد زائر ملتصقاً فريسة ليضمها لمملكته، بكل الوسائل وشتى الطرق وكل منا له وقيعته التي يستغلها العدو إما استغلال لاستقطاب أكبر كم من النفوس لإهلاكها، وفي تلك السيرة يتضح لنا خطورة المال وحب السلطة وماذا ممكن أن تفعل «حتى يضلوا لو امكن المختارين أيضاً» (مت ٢٤: ٢٤)، ولا يعثر القارئ في شخصية مهما كانت بل لتذكر دائماً أن الخطية «طرحت كثيرين جرحى و كل قتلها اقوياء» (ام ٧: ٢٦)، ويهوذا الذي اختاره الرب من خواصه وتلاميذه هو نفسه الذي أسلمه، أما الدرس المستفاد والعبرة في تلك القصة نجدها من خلال وجود تلك السيرة بين كل سير الآباء القديسين الذين ذكرنا اسمائهم، ونحن لا نخفي شيئاً من تاريخنا بل نفتخر بما سطره عن كنيستنا وإن كانت بعض السقطات تلوح أمام عين القارئ فعليه أن يتذكر قول سينا ومخلصنا يسوع المسيح «دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد وفي وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولاً الزوان و احزموه حزمًا ليحرق و أما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني» (مت ١٣: ٣٠).

السيرة

كان الراهب يؤنس قسًا على كنيسة دير القديس أنبا مقار، ساكن في كنيسة أبو نفر بحري كنيسة انبا مقار فرأى جماعة يطلبوا الأسقفية بالمال، فاشتتهى أن يصير أسقفًا ولكنه لم يكن معه ما يدفعه، فحضر عند أنبا زخارياس

البابا (٦٤) وطلب منه أن يرسمه أسقفًا حتى ولو على كرسي حرب!! وأعلم البابا أنه مغلوب من فكره لمشاهدته أن هناك البعض تتم رسامتهم أساقفة وهم غير مستحقين وأنه أجدر منهم (متكلمًا عن نفسه)، وفي الحقيقة كان السبب وراء السيمونية هو أنبا خائيل أسقف سخا، وهو ابن اخت البابا زخارياس ولم يكن البابا يعلم شيئًا من أعماله بل كان البابا فيف جدًا ولم يطالب أبدًا بشيء حتى طعامه إذا لم يحضره لم يكن يطالبهم به، وكان أهله وتلاميذه يدبرون الأمور دون الرجوع إليه، حتى إذا أراد أن يحسن إلى إنسان ما لا يقدر إلا ما احسنوا هم عليه وإذا التمس منه إنسان شيئًا أرسله إليهم، ومن اراد الكهنوت أرسله إليهم، وحين حضر إليه الراهب يؤنس أرسله إليهم كالعادة، ولكنه قبل بالرفض والإهانة خاصة من أنبا خائيل أسقف سخا، لأنه كان يريد الأسقفية دون مقابل، وزاد الأمر سوءًا تهديدهم له إذا تكلم في الأمر.

### الراهب يؤنس يلتجأ إلى الحاكم بأمر الله

بعدما أهان أنبا خائيل يؤنس الراهب وطرده جاشت مراجله، وتملك الغضب منه فعزم على المضى إلى مصر ليشتكى إلى الحاكم بأمر الله، بل ورفع إليه عدة شكاوي وحين بلغ مسامع الأراخنة في مصر بما نوى فعله يؤنس الراهب منعه، وكتبوا له مثل توصية إلى البابا البطريك لينظر في حاله وكان البابا حينها في برية شيهيت.

### رجم يؤنس في بئر وبطل على قيد الحياة

ولما وصل يؤنس الراهب حاملاً الرسالة دفعها إلى أنبا خائيل، وحين علم الأخير مضمونها سلم الراهب يؤنس لمجموعة من العرب يعملون في خفارة الأديرة، فألقوه في بئر ورجموه ولكنه احتوى في تجويف داخل البئر فلم يصبه مكروه، وحين وصلت أخبار تلك الأحداث إلى البابا زخارياس حمل التراب على رأسه وتنف شعر لحيته وأصدر الحرم على ابن اخته أنبا خائيل، وأرسل بعضًا من تلاميذه للبئر وأصعد يؤنس الراهب وأطمأن عليه، ووعد البابا زخارياس أن يجعله أسقفًا عندما تخلو إحدى الكراسي من أسقفها، فصبر

الراهب يؤنس حتى خلى كرسيين ولم يفي البابا بوعده ولم تتم رسامته لأن أهل البابا وتلاميذه كانوا يقدمون غيره ويقولون للبابا: ”لا توجع قلبك من ناحيته“.

### يؤنس يقابل الحاكم بأمر الله

عندما تأكد يؤنس الراهب أنَّ البابا لن يرسمه مضى إلى مصر (بابلليون) وكتب إلى الحاكم شكايته وقال فيها كل افتراء وسوء على البابا، ثم انتظر الحاكم وهو صاعد على الجبل وقال له: ”أنت خليفة الله في أرضه“ ثم اعطاه الرقعة التي كتب فيها شكواه وكان مكتوب فيها: ”أنت ملك الأرض لكن للنصارى ملك لا يرضى بك لكثرة ما قد كنز من الأموال الكثيرة لأنه يبيع الأسقفية بالمال ولا يفعل ما يرضي الله تعالى“، وذكر فيها بالكذب أفعال منكرة عن البابا زخارياس، فأثار حفيظة الحاكم ضد البابا وأمر بأغلاق الكنائس وإحضار البطريك، وكان قد شاخ وطعن في السن، واعتقله في ١٢ هاتور ٧٢٧ش، ثم أمر بعدها ان يُلقى في جُـب الأسود، لكن الله تبارك اسمه الذي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تمس دانيال بسوء، «هو هو امسا و اليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨)، فحفظ السيد الرب البابا ولم تمسه تلك الوحوش بل كانت تؤنسه في وداعة، وحين سأل الحاكم عن البابا وعلم أنه ما زال حيًّا، دخل الشك في قلبه من جهة حارس الحب أنه أخذ رشوة من المسيحيين وأطعم السباع حتى شبت ولذا لم تمس البابا بسوء، فأمر أن تترك السباع أيامًا دون ان تأكل، وخلال تلك المدة كان يؤنس الراهب يزور البابا يعايره ويشمت به. ثم أمر الحاكم بذبح شاه ويلطخوا بدمها جسد البابا لإثارتها حتى تفتك به فتكا، إلا أنها لم تؤذيه فقال مع دانيال النبي: «الهي أرسل ملاكه و سد أفواه الاسود فلم تضربي لأني وجدت بريئا قدامه و قدامك أيضا أيها الملك لم أفعل ذنبًا» (٦١د: ٢٢). وبعدما خرج البابا من السجن، ذهب اليه يؤنس يطالبه برسامته أسقفًا فلم يقطع البابا من أمله بل عامله بحكمة غير أن خائيل أسقف سخا خاطبه بما أغاظه فصعد إلى سطح الدير المجتمعون فيه وصاح: ”أنا بالله وبالحاكم أنا مظلوم أنا مظلوم خذ لي حقي“، لكن الأساقفة

جرى بينهم وبين خائيل أسقف سخا خصومة عظيمة وقالوا له: "أنت سبب البلايا التي نحن فيها، وكل الكنائس التي تهدمت أنت المتسبب في هدمها، وما حل بالنصارى من الهوان ولبس الصليبان الثقيلة ولباس المهزء من جراء أفعالك، وأنت تريد شر آخرتنا أن يكون أشد مما جرى علينا"، فهدأت ثورة يونس الراهب وألزموا البطريك أن يرسمه إيغومانوس حين رسامته أسقفًا.

### نياحة البابا زخارياس ورسامة يونس أسقفًا

بعد نياحة البابا زخارياس (٦٤) تشاور الأساقفة فيمن يصلح لخلافته فاستقر رأيهم على الراهب شنوده من دير القديس أنبا مقار، كما اتفقوا معه قبل أن يلبسوه ملابس البطريكية أن يرسم الراهب يونس أسقفًا على كرسي الفرما تجنبًا للمشاكل والسعاعات التي قام بها من قبل والتي جلبت على الكنيسة والبطريك السابق اضطهادًا مريعًا، فاستجاب الراهب شنوده لطلبهم، وذهب معهم لقلاية يونس الراهب وضرب له ميطانیه وطلب منه أن يكون له مثل أخ، فطلب يونس من البابا الجديد أن يدفع له كل سنة ثلاثون دينارًا ليعيش منها؛ لأن كرسي الفرما فقير وليس فيه ما يعوله، كما طالبه ان يرسم أخيه بالجدد أسقفًا على ايباشية أخرى.

### البابا شنوده لا يفي بكل عهوده مع أنبا يونس أسقف الفرما

بعد رسامة يونس أسقفًا على كرسي الفرما، طالب البابا شنوده بما قد تعهد به أمام الأساقفة بدفع ثلاثين دينارًا، ورسامة أخيه أسقفًا، وإلا يفعل به كما فعل بأنبا زخارياس (٦٤)، فأصدر البابا شنوده الثاني عليه حرماً يقول عنه ساويرس بن المقفع: [حرم صعب لم يسمع بمثله]. وأرسل البابا شنوده الثاني إلى كل كورة مصر والأراخنة والأساقفة أن لا يقبلوه ولا يطعموه خبرًا ولا يدفعوا له شيئًا.



(١٧)

### جرجس مطران "الحبشة"

رسمه البابا ميخائيل (٦٨) مطراناً على الحبشة في عام ٨١٨ ش (١١٠٢م) وأرسله للحبشة ومعه رسالة إلى ملك الحبشة إلا أنه لم يكن جدير بهذه المسؤولية، فقبض عليه الملك وأخذ منه كل ما تحصل عليه من المال، وأرسله إلى السيد الأجل الأفضل يشكو له من اعماله فاعتقله لمدة سنتين في حبس الشرطة.

(١٨)

### أنبا يؤنس بن سنهوت (شنوده) أسقف "مصر" (بابليون)

بعد نياحة أنبا شنوده أسقف مصر، أرسل "يوحنا بن صاعد" إلى البابا مكاريوس الثاني (٦٩) الشهير بالمصور رسائل تعزية ويطلب منه رسامة أسقف عوض أنبا شنوده فرد عليه البابا يقول: "فالأمر لله، يقدم من يراه، وبراي الأراخنة الصائب فيه". على أن البابا في قرارة نفسه لم يكن يريد رسامة أسقف بدليل لأن أسقف مصر كان يعتبر منافساً له، إلا أن يوحنا بن صاعد أرسل اليه ثانية يؤكد عليه ضرورة رسامة أسقفاً لمصر.

### القرعة الهيكلية لاختيار أسقف مصر

نزل البابا على رغبة الشعب، وبعدما طرحت اسماء كثيرة بلغت اثني عشر اسماً لرهبان من أديرة مختلفة، اتفقوا على اجراء قرعة هيكلية وانتخبوا أربعة اسماء هي كالتالي:

١ - مرقورة الحبس في أبيار،

٢ - تيدر القس بدير أنبا مقار،

٣ - يؤنس السنهوري،

٤ - يؤنس بن سنهوت.

وضعوا اسمائهم على المذبح، وبعد انتهاء القداس اختاروا طفلاً صغيراً هو ولد الشيخ أبو الفخر، فسحب ورقة من على المذبح فكان مكتوباً عليها اسم "يونس بن سنهاوت"، فشكروا الله ومجدوا اسمه على عظيم صنعه.

### يونس بن سنهاوت

من مواليد شبرا رحمه، وترهبين في دير القديس أنبا مقار، رشح للبطريركية بعد نياحة البابا ميخائيل (٦٨) ولكن أختير غيره، وحين أصابته القرعة ليصير أسقفاً على بابليون، طلب منه البابا مكاريوس الثاني أن يقابل بطريرك الأرمن ليختبر صدق إيمانه، وظل الراهب يونس معه أياماً، طلب بعدها الأراخنة من متولي المعونة السماح لهم بزفة أسقفهم الجديد حتى لا يتعرض لهم العوام والرعايا وبعد أن اعطاهم السماح، أركبوا أنبا يونس على دابة وتقدموه بالجامر والصلبان والأنجيل، وتمت رسامته يوم أحد وقرأ الأساقفة التقليد في كنيسة أبي سرجه، واحتفلوا به مرة أخرى يوم الأحد التالي في كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة. تنيح أنبا يونس في أمشير من عام ٨٥٠ ش الموافق ١١٣٤م ودفن في مدافن الأقباط ببركة الحبش.

## أساقفة لا نعلم عنها سوى اسمائهم فقط

(١٩)

أنبا يعقوب أسقف "لقانه"

ناحية شبراخيت المعروفة بالعداري من أعمال محافظة البحيرة.

(٢٠)

أنبا خرستوذولوس أسقف "فوه"

من أعمال محافظة كفر الشيخ.

(٢١)

أنبا ميخائيل أسقف "طنتا"

طنطا حاليًا.

ووردت أسماء هؤلاء الآباء الأساقفة في سيرة البابا ميخائيل بن الدنشيري (٧١) ويتضح من سياق السيرة ميولهم لترشيح أحد أبناء ديرهم لذلك رقبه قمصًا على دير القديس أنبا مقار تمهيدًا لترشيحه للبطريركية.

(٢٢)

أنبا يوحنا المعروف بـ "ابن نفرا" أسقف "طمويه"<sup>٣٠٢</sup>

كان أنبا يوحنا قبل رهبنته من أبناء الأراخنة، وترهب وهو حديث السن في دير القديس أنبا مقار بالقلالية المعروفة بالدنشتري أي "الكبرى"، والتي كان منها البابا ميخائيل الـ (٧١) والمعروف بـ "بابن الدنشتري"، كان شماساً في عهد البابا غبريال الثاني (٧٠).

رسامته أسقفًا

وفي بطريكية أنبا ميخائيل (٧١) وبعد أيام قليلة من جلوسه على الكرسي البابوي، استدعى الراهب يوحنا إلى مصر في دير الشمع، وقام البابا برسامته يوم الخميس ولم يتمهل إلى يوم الأحد كطقس رسامة الأساقفة، ورسمه على كرسي طمويه "طموه" وكان من ضمن خمسة رهبان آخرين اختارهم البابا أساقفة، وتمت رسامته وهو مازال حديث السن لم يتجاوز الثلاثين من عمره، ويروي عنه المؤرخ القبطي أبو المكارم في كتابه تاريخ الكنائس والأديرة، أن أنبا يوحنا الأسقف اشترك في يوليو عام ١١٥٩م في تعميد صائغ يهودي يدعى "أبو الفخر بن أزهر" في كنيسة "المرتوتي" (العدراء المعادي)، والخبر الثاني عن أنبا يوحنا بن نفرا أنه اشترك مع البابا مرقس بن زرعه (٧٣) في تدشين كنيسة مار يعقوب بناحية البساتين والتي كانت في يد الأرمن ثم آلت إلى الأقباط في ٢١ يونيو ١١٧٦م.<sup>٣٠٣</sup>

(٢٣)

أنبا غبريال أسقف "أسيوط" الشهير بـ "ابن كاتب القوصية"

ما نعرفه عن أنبا غبريال ورد في سيرة البابا غبريال الخامس (٨٨) عندما حضر مار باسيليوس ببنام أحد رجال الكهنوت من أنطاكية لرسامته بطريركاً

<sup>٣٠٢</sup> "طموه" وهي كرسي منف.

<sup>٣٠٣</sup> الرهينة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مرجع سابق، ص ٦٨٩.

للسريان الأرثوذكس، فعقد البابا السكندري مجمعاً كلف فيه من الآباء الأساقفة أنبا ميخائيل أسقف سمندود المعروف بـ ”الغمري“، أنبا غبريال أسقف أسيوط، وأنبا كيرلس السرياني مطران القدس المعروف باسم ”نیشان“ لإتمام رسامة الحبر الأنطاكي في كنيسة الشهيد مرقوريوس أبي سيفين مصر القديمة وتمت الرسامة في ١١٢٨ ش الموافق ١٤١٢م، وتمت رسامة مار باسيليوس باسم ”مار أغناطيوس التاسع أو أغناطيوس بهنام الأول“ البطريك (٨٢) في تسلسل بطارقة السريان.



## المراجع





## مخطوطات

١. مخطوط القمص متياس البراموسي بتاريخ ٦ هاتور ١٦٥٤ ش.
٢. مخطوط باريس عربي ٤٨٨٨، ورقة ١٧٥ إلى ٢٠٥.
٣. مخطوط سير ٣٢ - دير أنبا مقار - نبوة أنبا صموئيل المعترف.
٤. مخطوط سيرة القديس أنبا مقار أسقف إدكو نساخة القمص شنوده الصوامعي البراموسي بتاريخ ٦ كيهك ١٦٦١ ش.
٥. مخطوط كنيسة أبو سرجة بمصر القديمة، لاهوت ١٢ - مسلسل ١١٥.
٦. مخطوطة ١٨ سير - دير أنبا مقار.

## مراجع

٧. الكتاب المقدس بعهديه، الطبعة البيروتية ١٩٧٦ م.
٨. الخولاجي المقدس (الثلاثة قداسات)، دير السيدة العذراء المحرق، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦ م.
٩. الإبصلمودية المقدسة (السنوية)، الناشر مطرانية الجيزة.
١٠. السنكسار القبطي الجزئين، مكتبة المحبة، الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م.
١١. الدفنار، عربي وقبطي، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف.
١٢. الفريد بتلر، فتح العرب لمصر، تعريب محمد فريد بك، الناشر مكتبة ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة الأب أنطون صالحاني اليسوعي، الناشر دار الرائد اللبناني الحازمية - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٤ م.
١٤. إيفانيوس (نيافة الأنبا) أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار ببرية شيهيت، بستان الرهبان، الناشر دار مجلة مرقس، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٣ م.

١٥. إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد علي عودة، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٦. أنثاسيوس المقاري (الراهب القس)، سر الروح القدس والميرون المقدس، المطبعة دار نوبار، الطبعة الأولى، القاهرة، مارس ٢٠٠٧م.
١٧. أنثاسيوس المقاري (الراهب القس)، فهرس كتابات آباء الإسكندرية باللغة القبطية، مطبعة دار نوبار، الطبعة الأولى، القاهرة، يوليو ٢٠٠٦م.
١٨. أنثاسيوس المقاري (الراهب القس)، فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية الكتابات اليونانية، المطبعة دار نوبار، الطبعة الأولى، القاهرة، يناير ٢٠٠٣م.
١٩. أنثاسيوس المقاري (الراهب القس)، معجم المصطلحات الكنسية الجزء الأول أ- ج، مطبعة دار نوبار، الطبعة الثالثة، القاهرة، مارس ٢٠١١م.
٢٠. أنثاسيوس فهمي (القس)، سيرة الشماس يوسف حبيب، الناشر دير الفديس أنثاسيوس الرسولي "إيبارشية أيرلندا"، الطبعة الأولى، أغسطس ٢٠٠٦م.
٢١. أرسانيوس المقاري (الراهب)، أيقونة مجد من الجمع السماوي لرهبان دير أنبا مقار، بدون رقم للطبعة، القاهرة، ٢٠١٤م.
٢٢. أرمانبوس حشني (القُصص) البرماوي، القديسة إيلارية، مكتبة المحبة، مطبعة الأمانة، القاهرة، بدون سنة النشر.
٢٣. أميلينو "ترجمها عن القبطية"، تاريخ الأديرة في مصر السفلى "حياة القديس مقاريوس وفصائله"، ترجمها عن الفرنسية إلى العربية أحد آباء رهبان دير أنبا مقار (المتنيح الراهب القس كرنيليوس المقاري)، الناشر كنيسة أنبا مقار أترس، القاهرة، بدون بيانات إدارية.
٢٤. أميلينو، جغرافية مصر في العصر القبطي، ترجمة أرشيدياكون د. ميخائيل مكسي، الناشر مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٥. أندريه إيمار (أستاذ في السوربون)، جانين أوبوايه (أمينة متحف غيمه)، إشراف موريس كروزيه مفتش المعارف العام في فرنسا، تاريخ الحضارات العام "روما وإمبراطوريتها"، ترجمة فريد م. داغر، فؤاد ج. أبو ربحان، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت - باريس ١٩٨٦ م.
٢٦. إيريس حبيب (الأستاذة)، قصة الكنيسة القبطية، طبعة مكتبة المحبة، الطبعة الثامنة، القاهرة، ٢٠٠٦ م. (٨ أجزاء).
٢٧. إيفلين هويت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، تعريب بولا البراموسي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩ م.
٢٨. بارتولوميو بيرونه (الأب)، سيرة القديس مقاريوس العظيم، مؤلفات المركز الفرنسييسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، مطبعة الآباء الفرنسيين، القاهرة - القدس ٢٠٠٨ م.
٢٩. باسيليوس المقاري (الراهب)، دراسات في آباء الكنيسة، الناشر دار مجلة مرقس، مطبعة دير القديس انبا مقار، القاهرة، ١٩٩٩ م.
٣٠. بطرس فرماج (الأب) اليسوعي، مروج الأخيار في تراجم الأبرار، الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٨٠ م.
٣١. دار مجلة مرقس، الكشف الأثري عن رفات يوحنا المعمدان وإليشع النبي، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
٣٢. دير الشهيد أبي سيفين للراهبات، العذراء مريم وتاريخ أجيال العذارى، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
٣٣. دير القديس أنبا مقار، القديس يؤانس القصير الملقب "كولوبوس"، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠١٠ م.
٣٤. رهبان بيرية شيهيت، فردوس الآباء - بستان الرهبان الموسع - الجزء الأول، مطبعة الدلتا، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٧ م.
٣٥. ساويرس (الأنبا) أسقف الأشمونين، سلسلة تاريخ الآباء البطارقة (ثلاثة أجزاء)، طبعة دير السريان، مكتبة دير السريان، الطبعة الثانية، القاهرة.

٣٦. سيد توفيق (الدكتور) رئيس قسم الآثار المصرية - كلية الآثار جامعة القاهرة، د/ سيد أحمد على الناصري استاذ التاريخ القديم - كلية الآداب جامعة القاهرة-، معالم تاريخ وحضارة مصر "مصر تحت حكم الرومان"، الناشر دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٠م.
٣٧. شنوده ماهر (القس)، الدكتور يوحنا نسيم يوسف (دكتوراه في القبطيات). تاريخ اللغة القبطية ولهجاتها ، مصادر الأدب القبطي ومبادئه، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، القاهرة.
٣٨. صلاح الدين المنجد (الدكتور)، قواعد تحقيق المخطوطات، الطبعة العربية الرابعة، الناشر دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٥م.
٣٩. صموئيل القس قرمان (الدكتور)، الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، الناشر مكتبة باناريون، الطبعة الأولى، الجزء الأول، القاهرة، ديسمبر ٢٠٠٩م.
٤٠. صموئيل القس قرمان (الدكتور)، إطلالات على تراث الأدب القبطي، الناشر مدرسة الإسكندرية، الطبعة الأولى، القاهرة، سبتمبر ٢٠١٣م.
٤١. صموئيل وهبة (القس)، معترف جرى، كنيسة القديسين الإسكندرية، الإسكندرية، بدون بيانات إدارية.
٤٢. عمر صابر عبد الجليل (الدكتور)، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٤٣. ف. سي. صموئيل (الأب)، مجمع خلقدوننية إعادة فحص، ترجمة د/عماد موريس اسكندر، الناشر دار باناريون، الطبعة الأولى، القاهرة، يوليو ٢٠٠٩م.
٤٤. فلتاؤس المقاري (الراهب)، بطاركة من دير القديس الأنبا مقار الكبير، الناشر مكتبة مارجرجس شيكولاني، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٤م.
٤٥. فيليب لويزيه (الأب) أستاذ القبطيات في معهد الدراسات الشرقية بروما، محاضرة بعنوان اللغة القبطية ولهجاتها، ألفت بدير القديس أنبا مقار بيرية شيهيت، بتاريخ الخميس ١١-٩-٢٠١٤م.

٤٦. لويس معلوف (الأب)، المنجد في اللغة و الأدب والعلوم، الطبعة التاسعة عشرة، بيروت، بدون سنة النشر.
٤٧. مارتيروس (نيافة الأنبا) الأسقف العام، القديس العظيم أنبا يوحنا القصير، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥م.
٤٨. متى المسكين (القُمص)، الرهينة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، مطبعة دير القديس أنبا مقار، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤م.
٤٩. مجلة مرقس، الكنيسة هذا الشهر، العدد ٥٥٩.
٥٠. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، المطابع الأميرية، القاهرة، طبعة ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م.
٥١. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٥٢. محمد محمد مرسى الشيخ (الدكتور)، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
٥٣. مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٦م.
٥٤. منير شكري (الدكتور)، أديرة وادي النطرون، دير السريان، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٥٥. ميادة العفيفي، مقالة بجريدة الأهرام بعنوان ”الأفليات.. سلاح الغرب لتقسيم الوطن العربي“، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٠ / يناير / ٢٠١٥م.
٥٦. ميخائيل عساف (المطران)، سنكسار الروم الملكيين الكاثوليك، منشورات المكتبة البولسية، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٤٨م.
٥٧. نبيه كامل داود (مدرس تاريخ بالكلية الإكليريكية)، عاطف نجيب (أمين متحف أسوان)، مراجعة د/ جودت حبره، تاريخ المسيحية وآثارها في أسوان والنوبة، الناشر مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٥٨. يعقوب المقاري (المتنيح الراهب القس)، فضائل أنبا مقار، (مترجم عن الفرنسية) بحث غير منشور.

٥٩. يوحنا (نيافة الأنبا) الأسقف العام لكنائس مصر القديمة، القديس بشنونة راهب وشهيد، الناشر الكنيسة المعلقة مصر القديمة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٧م.
٦٠. يوسف حبيب (الشماس)، الأنبا يونس كبير قسوس شيهيت، القاهرة، ١٩٦٨م.
٦١. يوسف حبيب (الشماس)، الراهبات وأديرتهن، القاهرة، ١٩٦٨م.
٦٢. يوسف حبيب (الشماس)، القديس الأنبا دانيال قمص برية شيهيت، القاهرة، ١٩٦٤م.
٦٣. يونس (نيافة الأنبا) أسقف الغربية المتنيح، مذكرات في تاريخ الكنيسة بعد مجمع خلقيدونية، الكلية الإكليريكية، القاهرة، ١٩٧٩م.

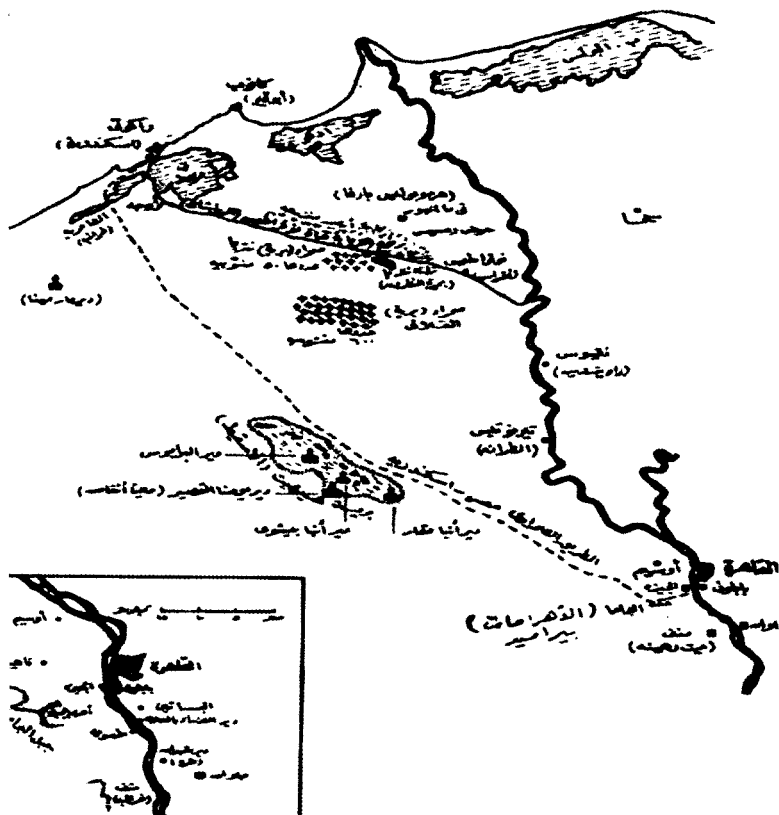
64. E. Amelineau, *Histoire des Monastères De La Basse – Égypte*, 1894.
65. René Basset, *Le synaxaire A.J.*,
66. The new Encyclopedia Britannica, 15<sup>th</sup> Edition 1986, Vol. 12.
67. Ignazio Guidi, “*vies et récits de l'Abbé Daniel de Scété*”, ROC, 5(1900).
68. Ugo Zanetti, *La vie de saint jean de Scété au VI<sup>e</sup> siècle*, in *Analecta Bollandina*, 114 (1996).

## خرائط للكتاب وصور





# خريطة رقم (١)

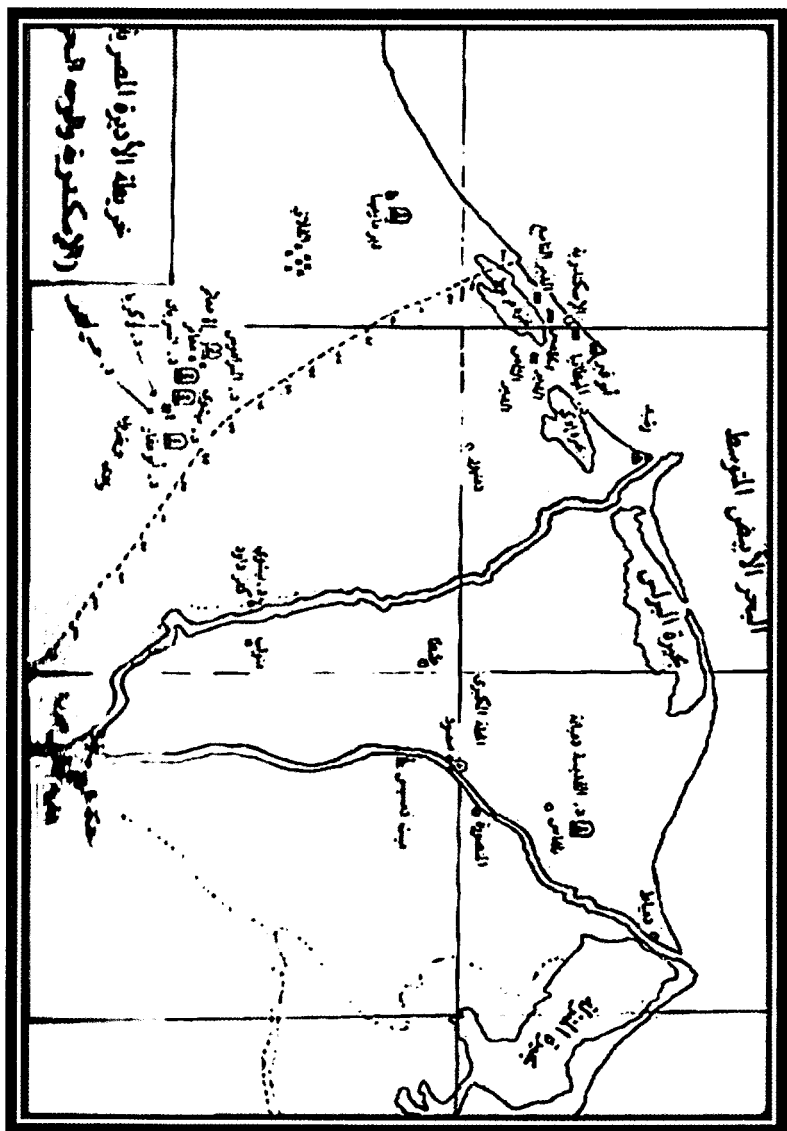




خريطة رقم (٣)



६७५





بِسْمِ الْآبِ وَالْإِنِّ وَالرُّوحِ الْعَدِيسِ إِلَهُ دَلْمِيسِ  
نَبْتِي بَعُورِ اللَّهِ قَالِي رَحْمَتِي تَوْفِيقِهِ بَشَخْ  
نَبُوءَةِ لَابِنَا الْقَدِيسِ الطُّوبَانِي أَنَا صَمُوئِيلُ رِيسْ  
دِيرِ الْقَلَمُونِ قَالِيهَا بَقِضْ نَحْنَا أَوْلَادَهُ الرِّهْبَانِ  
لِخَلَّاسِ نَفُوسِهِمْ وَدَكْرِ فِيهَا أَقْوَالُ الْكُثْرَةِ عَلَى  
الْأُمُورِ الَّتِي تَكُونُ فِي أَرْضِ مِصْرَ فِي ذَلِكَ عَرَبٌ  
نَحَضَرَتْ الْآبَاءُ تَنَقَّقُوا أَنَا غَرِيبُورِ يُونِ وَكَانَ  
قَدْ حَضَرَ لَزِيَارَتِهِ يَشْفِيهِ مِنْ مَرَضِهِ لِلْمَعَارِفِ ذَلِكَ  
بِنَقْلِ أَقْلُوا تَلْمِيدِ أَنَا صَمُوئِيلُ بَرَكَاةً عَلَيْنَا أَيْتِ  
قَالِي كَانَ لَمَّا مَلَكُوا الْأَعْرَابُ أَرْضَ مِصْرَ وَكَانُوا قَلِيلِينَ  
وَكَانُوا يَكْتَرُونَ الْأَنْعَامَ لَشَعْبِ النُّصَارَةِ حِينِيذًا أَبَدًا  
الْأَحْوَةُ الرِّهْبَانِ أَنْ يَخْدُتُوا لَعَالِي أَنَا صَمُوئِيلُ  
عَنْهُمْ وَيَسْتَخْبِرُونَ أَنْ كَانَ يَدُومُ مَلِكُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ

سير ٣٢ - دير أنبا مقار - نبوة صموئيل المعترف.

وفتح لبيرة وكتب الى منسكتي جلالكم  
 باشتياق مبرح وغيرة تليق بالاطهار  
 تحركونا وتشطونا مع نقضا وعجزات  
 تظهر لكم كتاب محض اعمال لنفعلكم  
 العاليه والسيره المظاهيه للملائكه  
 لا يا بنا الطوبانيه ابن ابراهيم واسحاق  
 هؤلاء الذين ظهر وامضنا ناطقوا  
 في جبلنا وهم اعزى انا القديسين  
 تكونوا من جنس واحد في الجند  
 الام العاليه التي للروح القدس ولديهم  
 معا حنونا وروحانا من الله وكانت  
 ابايهم الاثنين في هذا العالم ابراهيم

لا

## تجويدات جبل الطور

طوباك أنت يا جبل الطور .. أيها الجبل الذي  
سّر الله به .. أيها الجبل الذي جذب إليه هني  
النوار العظيمة .. أيها الجبل الذي أثمرت فيه  
الثمار الرومانية ثرائين وسنين وعانة.

أيها الجبل الذي قبل إليه الأنفس الملوثة  
بالخطية .. أيها الجبل الذي صيحه ساع في كل  
مكان وجذب إليه الملوك والأغنياء والساكين  
يخدمون الله فيه ..

يا حقيقه أنت قو الجبل الذي قو ملج الروماني  
مماح الأنفس التي قد فسدت بالخطية، وما قظها  
لله الذي خلقهم ...

